المملكة العربية السعودية
وقف تعظيم الوحيين - المدينة المنورة
خدمة القرآن الكريم والسنة المطهرة
في بلد الرسول الكريم ﷺ

مجلة تعظيم الوحيين

مجلّة دوريّة علميّة محكّمة، تُعنى بنشر بحوث الدّراسات القرآنيَّة والسُّنة النبويَّة وما يتعلّق بهما

موضوعات العدد:

- تَفْسير آيَات تحْوِيل الْقبْلَة.
  أ.د/ أمين بن عائش المزيني.
- تَفْسير سُورَة الْفَجْر لِأَحْمَد بْن محُمَّد بْن عَلي الحَسَني الْقَلْعَاوي المعْرُوف ب(السِّحيمي) الشَّافعي(ت:١١٧٨هـ)
  د/ أحمد بن علي بن عبد الرحمن الحذيفي.
- الضَّعْف اللُّغوي عنْدَ الدَّارسين الْيَهُود وَالنَّصَارَى وَأَثَرُهُ في محُاوَلَة نَقْد الْقُرْآن الْكَريم.
  د. أحمد محمد فلاح النمرات.
- آرَاء الْإِمَامُ الْبُخَاريّ في عُلُومِ الْقُرْآن منْ خِلَال تَرَاجمْ (كتَابُ فَضَائلِ الْقُرْآن).
  د. يحيى بن صالح الطويان .
- رسَالَة في مَوْضُوعَات الْمَصَابيح لسرِاج الدِّين عُمَرْ بْن عَلي الْقزْويني (ت ٧٥٠) رَحمَهُ الله.
  د/ مصعب بن خالد بن عبد الله المرزوقي.

ملحق المجلة لبحوث طلبة الدراسات العليا:

- مَنهَجُ أهل السُّنَّة والْمُتَكلِّمَة في التَّعامُل مَعَ المسَائِل الغَيْبيَّة (ذَبْحُ المَوْتِ وَعَذَابُ القَبر).
  عزيزة ارمولي.

المملكة العربية السعودية
وقف تعظيم الوحيين - المدينة المنورة
خدمة القرآن الكريم والسنة المطهرة
في بلد الرسول الكريم ﷺ

مجلة تعظيم الوحيين

مجلّة دوريّة علميّة محكّمة

تُعنى بنشر بحوث الدِّراسات القرآنيَّة والسُّنة النبويَّة وما يتعلّق بهما

العدد الخامس- السنة الثالثة- محرم ١٤٤١هـ - سبتمبر ٢٠١٩م

حقوق الطبع محفوظة لمجلة تعظيم الوحيين

ترخيص وزارة الثقافة والإعلام -الرياض، المملكة العربية السعودية

برقم: (٨٠٤٤)، وتأريخ: ١٤/ ٤/ ١٤٣٦هـ

رقم الإيداع: ٩٩٣٩/ ١٤٣٨

تأريخ: ٢٨/ ١/ ١٤٣٨

ردمد: ١٦٥٨ - ٧٧٤x

عناوين المراسلات والاستفسارات

جميع المراسلات تكون باسم رئيس تحرير المجلة:

البريد الالكتروني للمجلة: mjallah.wqf@gmail.com

مَجَلّةُ تَعْظِيمِ الوَحْيَيْنِ، وقف تعظيم الوَحْيَيْنِ،

حي الهدا- المدينة المنورة: ص. ب: ٥١٩٩٣، الرمز البريدي: ٤١٥٥٣،

المملكة العربية السعودية.

هاتف المجلَّة: ٠٠٩٦٦١٤٨٤٩٣٠٠٩

جوال المجلَّة وواتسآب: ٥٣٥٥٢٢١٣٠ ٩٦٦+

تويتر: @Journaltw

موقع المجلة : WWW.JOURNALTW.COM

المواد العلميَّة المنشورة في المجلَّة تُعبِّر عن وجهة نظر أصحابها وآرائهم

التعريف:

مؤسّسة وقفيَّة تقوم على خدمة القرآن الكريم والسّنة النبويّة المطهّرة، وبيان هدايتِهما، وتحقيق غاياتِهما، وتفعيل مقاصدِهما.

النشأة:

في عام ١٤٢٨ هـ، كانت البداية باسم: «**مشروع تعظيم القرآن الكريم**».

وفي عام ١٤٣٤ هـ، أصبح المشروع مركزا ضمن مراكز المدينة المنوّرة لتنمية المجتمع تحت اسم: «**مركز تعظيم القرآن الكريم**».

وفي عام ١٤٣٦هـ، تم تطوير المركز واستقلاله، ليكون مؤسّسة وقفيّة باسم: «**وقف تعظيم الوحيين**».

الرؤية:

الارتقاء في تعظيم القرآن الكريم والسّنة النّبويّة ودراساتهما محلياً وعالمياً.

الرسالة:

تعظيم القرآن الكريم والسّنة النّبويّة في المجتمع والأمّة، بتفعيل مقاصدهما وغاياتهما وبيان هدايتهما.

الأهداف:

١- إبرازُ مظاهرِ عظمة القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة الشّريفة، وبيانُ حقوقِهما.

٢- الدفاعُ عن كتاب الله تعالى وسنّة نبيّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتفنيدُ الشبهات عنهما.

٣- الارتقاء بالدِّراسات البحثيّة والدّورات التّدريبيّة المتخصِّصة في الدّراسات القرآنيّة والحديثيّة وما يتعلق بهما.

مجلة تعظيم الوحيين

التعريف:

مجلّة دوريّة علميّة محكّمة، تُعنى بنشر بحوث الدِّراسات القرآنيَّة والسُّنة النبويَّة وما يتعلّق بهما ورقياً وإلكترونياً، لأساتذة الجامعات، وأهل الاختصاص، والباحثين المهتمين بعلوم الوَحْيَيْنِ.

الرُّؤية:

أن تكون المجلة منارة علميَّة بحثيَّة في خدمة الوَحْيَيْنِ الشريفين وتعظيمهما.

الرِّسالة:

تحكيم البحوث العلميَّة الجادَّة والأصيلة ونشرها في مجالات الدِّراسات القرآنيَّة والسُّنة النبويَّة وما يتعلّق بهما.

الأهداف:

١- نشر البحوث العلميَّة المتخصصّة في الدِّراسات القرآنيَّة والسُّنة النبويَّة وما يتعلّق بهما.

٢- إثراء المجلات العلميَّة في مجالات الدِّراسات القرآنيَّة والسُّنة النبويَّة وما يتعلّق بهما.

٣- شحذُ هِمم الباحثين للكتابة، وتلبية احتياجاتهم لنشر بحوثهم.

٤- العناية بمعايير الجودة في البحوث العلميَّة.

٥- التمهيد لمشاريع علميَّة موسوعيَّة مبتكَرة في الدِّراسات القرآنيَّة والسُّنة النبويَّة وما يتعلّق بهما.

٦- دعم أنشطة الوقف المتنوعة بالبحوث العلميَّة الجادَّة ذات الصِّلة بعمل الوقف وأهدافه.

المشرف العام

أ.د/ عِمَاد بْن زهير حَافظ

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

نائب المشرف العام

أ.د. أحمد بْن عَبْد الله سليماني

أستاذ القراءات وعلومها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

رئيس التحرير

أ.د/ حِكمَت بْن بشير يَاسين

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

مدير التحرير

د/ يَاسر بْن إسمَاعيل رَاضي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك بجامعة طيبة بالمدينة المنورة

أعضاء هيئة التحرير

أ.د/ عَبد العَزيز بْن صَالح العبيد

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

أ.د/ عَبد الله بْن محمّد حَسَن دَمْفُو

أستاذ الحديث الشريف بجامعة طيبة بالمدينة المنورة

أ.د/ حسَيْن بن محمّد العَوَاجِي

أستاذ القراءات وعلومها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

أ.د/ خَالد بْن عَون العِنزي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة طيبة بالمدينة المنورة

أ.د/ عَبد الله بْن عَبد العَزيز الفَالح

أستاذ الحديث الشريف بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

أ.د/ بَاسِم بْن حَمدي حَامد السَيّد

أستاذ القراءات وعلومها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

أ.د/ أمين بْن عَايش المزيني

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

الهيئة الاستشارية

أ.د/ محمّد سيدي بن محمد الأمين
أستاذ القراءات وعلومها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(السعودية)

أ.د/ محمّد بن يعقوب تركستاني
أستاذ اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(السعودية)

أ.د/ زين العابدين بلافريج
أستاذ التعليم العالي بجامعة الحسن الثاني في الدار البيضاء
(المغرب)

أ.د/ سعيد بن فالح المغامسي
أستاذ الإدارة التربوية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(السعودية)

أ.د/ غازي بن غرماي المطيري
أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(السعودية)

أ.د/ نبيل بن محمّد الجوهري
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(مصر)

أ.د/ محمّد بن عبد العزيز العواجي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(السعودية)

أ.د/ أحمد بن علي السديس
أستاذ القراءات وعلومها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(السعودية)

أ.د/ محمّد آيدن
أستاذ التفسير بجامعة صكاريا بتركيا وجامعة قطر بقطر
(تركيا)

أ.د/ عبد الرحمن بن معاضة الشهري
أستاذ الدراسات القرآنية بجامعة الملك سعود بالرياض
(السعودية)

أ.د/ المثنى عبد الفتاح محمود محمود
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(الأردن)

أ.د/ سالم بن محمّد سالم إبراهيم
خبير الجودة والتخطيط والاعتماد الأكاديمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(مصر)

د/ وليد بن بليهش العمري
أستاذ اللغات والترجمة المشارك بجامعة طيبة بالمدينة المنورة
(السعودية)

د/ عيسى بن محمّد القايدي
أستاذ الاتصال والإعلام المشارك بجامعة طيبة بالمدينة المنورة
(السعودية)

قواعد المجلة وسياستها في النشر

١- تَقبل المجلَّة في حقل الدِّراسات القرآنيَّة والسُّنة النبويَّة وما يتعلق بهما؛ ما يأتي:

- البحوث العلميَّة الأصيلة.
- دراسة المخطوطات وتحقيق الجدير منها.

٢- تخضع البحوث المقدَّمة للمجلَّة للتحكيم العلمي وبشكل سرِّي من أهل الاختصاص.

٣- تُحكَّم البحوث تحكيماً أولياً من قبل أعضاء هيئة التحرير، فإن أجيز يُخبر الباحث لدفع رسوم التحكيم النهائي من محكميَن - على الأقل - يكون قرارهما مُلزماً، وفي حال تعارض حكمهما يُحكّم البحث من محكِّم ثالث ويكون قراره مرجحاً.

٤- يدفع الباحث رسوم التحكيم ومقدارها: (٨٠٠) ريال سعودي أو ما يعادله.

٥- يُبَلَّغ الباحث بقَبول بحثه أو عدم قَبوله برسالة رسميَّة من رئيس تحرير المجلَّة.

٦- في حال عدم قَبول البحث، فمن حق الباحث طلب استمارات التحكيم ليطّلع على أسباب الرفض.

٧- إذا تم تحكيم البحث وقَبوله للنشر لا يحق للباحث استرداده أو طلب إلغائه.

٨- حقوق الطبع والنشر محفوظة للمجلَّة.

٩- تُرتَّب البحوث في المجلَّة وفق اعتبارات موضوعيَّة وفنيَّة لا علاقة لها بقيمة البحث.

١٠- يُزوَّد الباحث بنسخة الكترونية من عدد المجلَّة المنشور فيه بحثه، والمستلاّت الخاصّة ببحثه.

١١- المواد المنشورة في المجلَّة تُعبِّر عن وجهة نظر أصحابها وآرائهم.

١٢- يُقدِّم الباحث إقراراً خطياً بصيغة خطاب مصوّر (pdf) بأنّ بحثه لم يُسبَق نشره، أو مقدماً للنشر في جهة أخرى، أو مستلاً من عمل علمي للباحث سواءً رسالة علميَّة: (الماجستير أو الدكتوراه)، أوغيرهما. ويُرسل على بريد المجلَّة الالكتروني ومن خلال موقع المجلة.

١٣- يُقدِّم الباحث نبذة مختصرة عن سيرته العلميَّة، وعناوين الاتصال، والبريد الإلكتروني، ويُرسل على بريد المجلَّة الالكتروني، ببرنامج الوورد (word).

شروط النشر ومواصفاته

١- أن يكون البحث في تخصُّص الدِّراسات القرآنيَّة والسُّنة النبويَّة وما يتعلَّق بهما.

٢- أن يتسم البحث بالأصالة والجدَّة والابتكار، وعدم التكرار مع غيره عنواناً ومضموناً.

٣- أن يتسم البحث بصحة اللّغة وسلامة المنهج.

٤- يُراعى في كتابة البحث المنهج العلمي في توثيق المعلومات، وعلامات التنصيص والترقيم.

٥- ألاَّ يقلّ عدد صفحات البحث عن: (٢٠) صفحة؛ ولا يزيد عن: (٤٠) صفحة؛ مقاس: (A4)، شاملة لملخص البحث، ومراجعه. ولهيئة تحرير المجلَّة الاستثناء عند الضَّرورة.

٦- كتابة ملخص باللغة العربية لا يتجاوز (٢٥٠) كلمة، يشمل: (موضوع البحث، وهدفه الرئيس، ومشكلة البحث، وأهم نتائجه، والكلمات الدَّالة (المفتاحية) على موضوع البحث، ولا يتجاوز عددها: (٤) كلمات.(تُنظر البحث الماضية في الموقع).

٧- أن تتضمن مقدِّمة البحث: (موضوع البحث، وأهميته، وأهدافه، وأسباب اختياره، ومنهجه العلمي، والدِّراسات السَّابقة عن الموضوع، والجديد الذي سيقدمه البحث).

٨- أن تتضمَّن خاتمة البحث: (أهم نتائج الدِّراسة، والتوصيات العلميَّة في عناصر واضحة).

٩- يلتزم الباحث بالمواصفات الفنيَّة الآتية:

- نوع الخط: (Lotus Linotype) لمتن البحث[١]، وعناوينه، وحواشيه، ومراجعه، وفهارسه...، وتباعد الأسطر: مفرَداً.
- مقاس خط متن البحث: (١٦) غير مُسْوَد (NO BOLD).
- مقاس خط العناوين الرئيسة: (٢٠) **مُسْوَدّاً (BOLD).**
- مقاس خط العناوين الفرعيّة: (١٨) **مُسْوَدّاً (BOLD).**

(١) يمكن تحميل الخط من موقع المجلة: journaltw.com

- تكتب الآيات القرآنيَّة بين قوسين مزهّرين ﴿...﴾؛ ببرنامج مصحف المدينة النبويَّة للنّشر الحاسوبي، النسخة القديمة [1] بمقاس خط: (١٤) غير مُسوَد (NO BOLD)، وتوثق الآيات في السطر نفسه بحجم: (١٢) غير مُسوَد (NO BOLD) ، هكذا: [البقرة: ٣٠].
- تكتب الأحاديث النبويَّة والآثار بين قوسين؛ هكذا: « ... »، بمقاس خط متن البحث نفسه ومُسَوَّدَة **(BOLD)**.
- مقاس خط الحواشي السُفليّة: (١٢) غير مُسوَد (NO BOLD)، وتوضع أرقام الحواشي بين قوسين؛ هكذا: (١)، ولكل صفحة من البحث حاشيتها المستقلّة.
- التوثيقات في حواشي البحث مختصرة هكذا: (اسم الكتاب مسوَدًّا **(BOLD)**، اسم المؤلف أو اسم الشهرة غير مُسوَد (NO BOLD)، ويوضع الجزء والصفحة ، مثل: **الوجوه والنظائر**، للعسكري، (ص٢١٢) أو (١/ ٤١٥).
- التوثيقات في قائمة المصادر والمراجع تكون كاملة، هكذا: (اسم الكتاب مسودًّا **(BOLD)**، اسم المؤلف غير مُسوَد (NO BOLD)، اسم المحقق إن وجد غير مُسوَد (NO BOLD)، دار النشر غير مُسوَد (NO BOLD) كهذا المثال: **المنتهى**، لأبي الفضل محمد جعفر الخزاعي (ت:٤٠٨هـ)، تحقيق: محمد شفاعت رباني، المدينة المنورة، ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٢م. وترتب المصادر ترتيباً هجائياً بحسب عناوين الكتب.
- الالتزام بمنهجية علميّة موحدة في بقيّة التوثيقات وغيرها.
- يقدِّم الباحث نسختين من بحثه وفق المواصفات الفنية الآنفة الذكر:

- نسخة إلكترونية بصيغة وورد (word).

- ونسخة أخرى مصوَّرة بصيغة (pdf)، وترسل على بريد المجلَّة الإلكتروني:

mjallah.wqf @ gmail.com

(١) يمكن تحميل البرنامج من موقع المجلة: journaltw.com

المحتويات

الموضـــــــوع	الصفحة
مقدمة التحرير	١٥
تفسير آيات تحويل القبلة. د/ أمين بن عائش المزيني.	١٩
تفسير سورة الفجر لأحمد بن محمد بن علي الحسني القلعاوي المعروف ب(السحيمي) الشافعي (ت: ١١٧٨هـ). د/ أحمد بن علي بن عبد الرحمن الحذيفي.	٩٥
الضعف اللغوي عند الدارسين اليهود والنصارى وأثره في محاولة نقد القرآن الكريم. د. أحمد محمد فلاح النمرات.	١٥١
آراء الإمام البخاري في علوم القرآن من خلال تراجم(كتاب فضائل القرآن). د. يحيى بن صالح الطويان .	٢٠٣
رسالة في موضوعات المصابيح. د/ مصعب بن خالد بن عبد الله المرزوقي.	٣٢٣
منهج أهل السنة والمتكلمة في التعامل مع المسائل الغيبية (ذبح الموت وعذاب القبر). عزيزة ارمولي.	٣٦٥

مجلة تعظيم الوحيين

افتتاحية العدد

مجلة تعظيم الوحيين

مقدمة التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

فيطيب لي أن أقدم لهذا الإصدار الخامس لمجلة تعظيم الوحيين العلمية المحكمة، والذي احتوى على عدد من البحوث العلمية الرصينة المميَّزة، وإني بهذه المناسبة أبارك للباحثين الكرام على ما قدموه خلال بحوثهم من إضافات علمية محررة، أفاد الله بها وجعلها في موازين حسناتهم، كما أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان الجميل للجامعات السعودية وغيرها لاعترافها بالمجلة واعتمادها لتكون ضمن قائمة المجلات العلمية المحكمة المعتمدة في الترقيات العلمية، وإنما تحقق ذلك بعد فضل الله تعالى وتوفيقه بما يبذله الزملاء الكرام أصحاب الفضيلة بهيئة تحرير المجلة من جهود حثيثة في العناية بالبحوث وتحكيمها والارتقاء بها، فالشكر والتقدير موصول لأعضاء هيئة التحرير الكرام رئيساً ومديراً وأعضاء، بارك الله في جهودهم وجعلها في موازين حسناتهم.

كما أني بهذه المناسبة أكرر الشكر والتقدير للهيئة الكريمة والقائمين على تقنية المعلومات بالوقف، على ما تحقق بحمد الله تعالى ثم بجهودهم من إطلاق الموقع الالكتروني الخاص بالمجلة، وما تبع ذلك من فوائد هامة للباحثين والمستفيدين والإعلان عن المجلة وأهدافها وإتاحتها للجميع من طلاب العلم والعلماء.

وإنه ليسرني أيضاً في هذه المقدمة أن أجدد الدعوة للباحثين والباحثات وطلاب الدراسات العليا في مختلف التخصصات ذات العلاقة بالقرآن الكريم والسنة النبوية للنشر في مجلتهم، ذلك أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هما أصل كل العلوم الشرعية واللغوية والتربوية والاجتماعية وغيرها.

وختاماً أرفع جزيل الشكر وعظيم التقدير إلى مقام خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود، وولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبد العزيز آل سعود، حفظهما الله تعالى ورعاهما، على كريم دعمهما للعلم والعلماء بصورة عامة، وعلى ما صدر من الموافقة السامية على نظام الجامعات الجديد بمجلس الوزراء الموقر، والذي يحقق الارتقاء لمخرجات التعليم العالي في كل المجالات وبالخصوص فيما يتصل بالمجالات البحثية والدراسات العلمية والتطبيقية بما يلبِّي التطلعات والآمال المرجوَّة.

وفق الله قيادتنا الرشيدة لمزيد الخير والعطاء لهذا البلد المبارك وأبنائه وللعلم والعلماء.

ووفق الله تعالى كل مُخلِص حريص على مُقوِّمات المملكة العربية السعودية ومُقدَّراتها المتنوِّعة، أدام الله علينا نعمته وأتمَّها إيماناً وأمناً وصحة وعافية، ووفقنا جميعاً لكل خير.

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

الأمين العام لوقف تعظيم الوحيين والمشرف على المجلة

أ.د/ عماد بن زهير حافظ

البحوث

مجلة تعظيم الوحيين

تَفْسِيْرُ آيَاتِ تَحْوِيلِ القِبْلَة

د/ أمين بن عائش المزيني

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

amin_1717@ hotmail.com

مجلة تعظيم الوحيين

مُلخص البحث

موضوع البحث:

تفسير آيات تحويل القبلة، وهي الآيات (١٤٢-١٥٠) من سورة البقرة، التي تضمنت الحديث عن تحويل القبلة من بيت المقدس، إلى الكعبة المشرفة.

الهدف الرئيس للبحث:

تفسير الآيات (١٤٢-١٥٠) من سورة البقرة، تفسيراً تحليلياً موضوعياً، يبرز من خلاله موضوع تحويل القبلة، الذي كان أول نسخ في الإسلام، وما وقع له من العناية به، والتوطئة له، والتأكيد عليه.

مشكلة البحث:

١. ما أوجه العناية التي حظي بها نسخ القبلة الذي كان أول نسخ وقع في الإسلام؟
٢. كيف نزلت آيات تحويل القبلة، وهل نزلت على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في صلاة؟ وما المساجد التي روي أن المسلمين تحولوا فيها إلى الكعبة وهم في الصلاة؟

أهم نتائج البحث:

١. لم يثبت أن مسجد القبلتين تحول الناس فيه إلى الكعبة أثناء الصلاة، فضلاً عن أن يكون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إمامهم حينها.
٢. الذي ثبت من المساجد أن أهله تحولوا فيه إلى الكعبة وهم في صلاة هو مسجد قباء، وجاء بإسناد قوي أن مثله قد وقع أيضاً في مسجد بني حارثة.

الكلمات المفتاحية: تحويل القبلة - قباء - القبلتين - المقدس - الكعبة.

مجلة تعظيم الوحيين

المقدمة

الحمد لله الذي أتم نعمته على هذه الأمة بكمال التشريع وتمامه، وله المنة والفضل في بيان التشريع في حال نسخه وإحكامه، تجلت في ذلك حكمته، وعظمت فيه منته، وصلى الله وسلم على الهادي البشير، السراج المنير، الذي تطلع إلى القبلة قبل استقبالها من سلامة فطرته، وأنزل الله في ذلك قرآناً يتلى بأن الله سيوليه قبلة يرضاها، فقال سبحانه: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [سورة البقرة:١٤٤]، أما بعد:

فإن الله جلت حكمته قد جعل أول نسخ وقع في الإسلام نسخ القبلة من استقبال المسجد الأقصى إلى استقبال الكعبة الشريفة، ولذا فقد حظي بمزيد من التمهيد وبيان الحجة، والرد على الخصوم والسفهاء، ومزيد من التأكيد على الالتزام بما أمر الله جل وعلا به.

ولذا فقد آثرت البحث في هذا الموضوع الذي أبرز من خلاله العناية الربانية بقضية نسخ القبلة، وسميته: «**تفسير آيات تحويل القبلة**»، وهي الآيات (١٤٢-١٥٠) من سورة البقرة، وهي قوله تعالى:

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟

ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٤٨﴾ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ وَإِنَّهُۥ لَلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ [سورة البقرة:١٤٢ -١٥٠]، وقد كانت القضية الرئيسة لهذا البحث: هي تفسير هذه الآيات تفسيراً تحليلياً، مع إبراز عناية الله جل وعلا بقضية النسخ فيها، وإظهار حال نزول الآيات، وأهم الأحداث المتعلقة بها.

وقد انتظم هذا البحث في مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة وفهارس على النحو التالي:

- **المقدمة**، وتحتوي على بيان موضوع البحث، وحدوده، وهيكله، ومنهج الكتابة فيه، والدراسات السابقة.
- **المبحث الأول**: سبب نزول الآيات، ووصف حاله.
- **المبحث الثاني**: تفسير الآيات ١٤٢، ١٤٣ من سورة البقرة.
- **المبحث الثالث**: تفسير الآيات ١٤٤-١٤٨ من سورة البقرة.
- **المبحث الرابع**: تفسير الآيات ١٤٩، ١٥٠ من سورة البقرة.
- **المبحث الخامس**: أوجه العناية الربانية بنسخ القبلة وتحويلها.
- **الخاتمة**، وفيها بيان أهم النتائج التي توصلت إليها.
- **الملحق**: يحتوي على تعريف بالمساجد التي روي أن المسلمين تحولوا أثناء الصلاة فيها، وخرائط لتوضيح مواقع هذه المساجد من المدينة.
- **الفهارس**: ثبت المصادر والمراجع، فهرس الموضوعات.

وقد ابتدأت هذا البحث بمبحث نزول الآيات ووصف الحال الذي نزلت فيه مما يتعلق بالقبلة، ثم استأثر التفسير التحليلي للآيات بالنصيب الأكبر من البحث، ثم ختمت صلب البحث بأحد أهم مباحثه، وهو إبراز العناية الربانية بنسخ القبلة، وألحقت به معلومات توضيحية عن المساجد التي روي أن المسلمين تحولوا أثناء الصلاة فيها، ومواقعها من المدينة.

ولم أطلع على دراسات سابقة في الموضوع ما عدا مقالة نشرت في شهر شعبان من العام ١٤١٠هـ في مجلة (منبر الإسلام) التي يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف، القاهرة ،حديث القرآن عن تحويل القبلة، لمحمد سيد طنطاوي، في خمس صفحات.

ولم أتمكن -بعد البحث- من الوقوف على هذه المقالة، إلا أنها من الواضح أنها لن تستوعب ما استوعبه هذا البحث.

وقد حرصت بأن تمتاز هذه الدراسة بأمور:

- إبراز معاني الآيات وما اكتنفها من أحداث بما يخدم الغرض الأساس من البحث، وهو بيان حكمة الله جل وعلا في التشريع.
- تحرير الخلاف في أول صلاة صلاها النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إلى الكعبة، وفي أي مسجد كان ذلك.
- تحرير المساجد التي ثبت أن المسلمين تحولوا أثناء الصلاة فيها إلى الكعبة.

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا البحث كاتبه وقارئه، وأن يصلح لنا نياتنا، فما كان فيه من صواب فمن الله، وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول:

سبب نزول الآيات ووصف حاله

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: سبب نزولها

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: أشهر الروايات الواردة في سبب نزولها:

الرواية الأولى: روى الشيخان في صحيحيهما عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: «**كان رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **صلى نحو بيت المقدس ستة عشر -أو سبعة عشر- شهراً، وكان رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يحب أن يوجه إلى الكعبة، فأنزل الله:** ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾، **فتوجه نحو الكعبة، وقال السفهاء من الناس -وهم اليهود-:** ﴿مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، **فصلى مع النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **رجل**[(١)]، **ثم خرج بعدما صلى، فمر على قوم من الأنصار في صلاة العصر نحو بيت المقدس، فقال: هو يشهد أنه صلى مع رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وأنه توجه نحو الكعبة، فتحرف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة**»[(٢)].

الرواية الثانية: روى علي بن أبي طلحة[(٣)] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**كان أول ما نسخ**

(١) قيل: هو عباد بن بشر بن قيظي، وقيل: عباد بن نهيك، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. انظر: **الجامع لأحكام القرآن** ٢/ ١٤٥، و**فتح الباري** ١/ ٦٥١، وجزم بالأول.

(٢) **رواه البخاري في صحيحه**، كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان، ح(٣٩٩) ١/ ٦٥٠، و**مسلم في صحيحه**، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ح (٥٢٥) ٢/ ١٨٢.

(٣) علي بن أبي طلحة واسمه سالم بن المخارق، أبو علي أو أبو الحسن، مولى بني هاشم، صدوق قد يخطئ، توفي سنة ١٤٣هـ. انظر: **تاريخ بغداد** ١١/ ٤٢٦، و**تقريب التهذيب** (٤٧٨٨) ص ٦٩٨.
وطريق علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس مشهورة، والأكثرون على تقوية هذه الطريق:
ففيها يقول الإمام أحمد: «بمصر كتاب التأويل عن معاوية بن صالح، لو جاء رجل إلى مصر، فكتبه، ثم انصرف به ما كانت رحلته عندي ذهبت باطلاً». وقد اعتمد عليها البخاري في صحيحه كثيراً فيما يرويه معلقاً كما نبه عليه ابن حجر. وقال النحاس معلِّقاً على هذا

من القرآن القبلة، وذلك أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما هاجر إلى المدينة، وكان أكثر أهلها اليهود أمره الله عز وجل أن يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود، فاستقبلها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بضعة عشر شهراً، فكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحب قبلة إبراهيم عليه السلام، فكان يدعو وينظر إلى السماء، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ إلى قوله ﴿فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [سورة البقرة:١٤٤]، **فارتاب من ذلك اليهود، وقالوا: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا﴾، فأنزل الله عز وجل: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾، وقال: (أينما تولوا فثم وجه الله)»**[1].

فهاتان الروايتان أشهر وأثبت ما روي في سبب نزول هذه الآيات، وحولهما تدور باقي الروايات، مع اختلاف في بعض تفاصيل القصة، مما سيأتي في موضعه عند مناسبته في ثنايا هذا البحث.

المسألة الثانية: في سبب رغبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في استقبال المسجد الحرام: اختلف في ذلك على أقوال، أهمها:

القول الأول: لكون المسجد الحرام قبلة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الإسناد:«وهو صحيح عن ابن عباس، والذي يطعن في إسناده يقول: ابن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس، وإنما أخذ التفسير عن= =مجاهد وعكرمة، وهذا القول لا يوجب طعناً، لأنه أخذه عن رجلين ثقتين، وهو في نفسه ثقة صدوق». وعدَّ ابن حجر هذه الطريق من طرق الثقات عن ابن عباس، ثم قال:«وعلي صدوق لم يلق ابن عباس، لكنه إنما حمل عن ثقات أصحابه، فلذلك كان البخاري وابن أبي حاتم وغيرهما يعتمدون على هذه النسخة». وقد اختلف العلماء في تحديد هذه الواسطة بين علي بن أبي طلحة وبين ابن عباس، ففي كلام النحاس السابق أن الواسطة مجاهد وعكرمة، وحكى السيوطي عن قوم أن الواسطة مجاهد أو سعيد بن جبير، وقال ابن أبي حاتم:«سمعت أبي يقول: علي بن أبي طلحة عن ابن عباس مرسل، إنما يروي عن مجاهد والقاسم بن محمد وراشد بن سعد ومحمد بن زيد». ويرجح أ.د. حكمت بن بشير ياسين أن الواسطة مجاهد، لما ظهر له من توافق بين روايات علي بن أبي طلحة عن ابن عباس مع أقوال مجاهد في التفسير، ولوجود روايات تفسيرية صرح فيها ابن أبي طلحة بالرواية عن مجاهد عن ابن عباس.

ومن أجل الانقطاع بين علي بن أبي طلحة وابن عباس، مع الشك في تعيين الواسطة بينهما، واحتمال أن يكون غير مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة، ولِلِيْنِ بعض رواة هذه الطريق ضعَّفَها من ضعَّفَها، كالمعلِّمي والألباني، وقال عبدالعزيز الطريفي:«وقد نظرت في حديثه، فرأيت له ما يُنكر، وما يتفرد بمعناه عن سائر أصحاب ابن عباس...» ثم ساق أمثلة على ذلك.

انظر: **المراسيل** لابن أبي حاتم ص ١١٨، **والناسخ والمنسوخ** للنحاس ١/ ٤٦١، ٤٦٢، **والشريعة** ص ٨٤، **وفتح الباري** ٨/ ٥٥٧، **والعجاب** ١/ ٢٠٣، ٢٠٧، **والتنكيل** ٢/ ٢٩٢ **المتن والحاشية**، **والتفسير الصحيح** ١/ ٤٦، ٤٩، و **التحجيل** ص ٢٣١.

(١) هذا لفظ **الطبري في تفسيره** ٢/ ٥٢٧، وأخرجه بنحوه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢٤٨، والنحاس في **الناسخ والمنسوخ** ١/ ٤٥٥.

القول الثاني: مخالفة لليهود؛ إذ كانوا يغمزون على المسلمين مخالفتهم لهم في الشريعة، واتباعهم لهم في القبلة[١].

وقد صح عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: «**كان رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يصلي وهو بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه، وبعد ما هاجر إلى المدينة ستة عشر شهراً**»[٢]، فمن تأمل هذا الحديث ترجح لديه القول الأول؛ إذ لم يكن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومها بين ظهراني اليهود، ولم ينقل أنه قد وقع منهم غمز في القبلة في الفترة المكية.

إلا أن المتأمل في أثر ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الآخر الذي رواه علي بن أبي طلحة - وفيه: «**وذلك أن رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لما هاجر إلى المدينة، وكان أكثر أهلها اليهود أمره الله عز وجل أن يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود، فاستقبلها رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بضعة عشر شهراً، فكان رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يحب قبلة إبراهيم عليه السلام**»[٣] - لا يستبعد اجتماع السببين معاً لدى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والله أعلم.

المطلب الثاني: زمن نزولها

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: في أي حين نزل تحويل القبلة، وفي أي مكان، وما أول صلاة صلاها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الكعبة؟

وهي مسألة طويلة الذيول، كثيرة النقول؛ فقبل البدء بتفصيل ما قيل فيها أبدأ بسرد الروايات الواردة فيها:

---

(١) انظر هذين القولين وغيرهما في: **زاد المسير** ص٩٣، و**البحر المحيط** ١/ ٦٠٢.

(٢) **رواه الإمام أحمد في مسنده** ح(٢٩٩١) ٥/ ١٣٦، وإسناده صحيح، ورجاله رجال الشيخين. قاله الهيثمي، والألباني وغيرهما. انظر: **مجمع الزوائد** ٢/ ١٢، و**الثمر المستطاب** ٢/ ٨٣٦، ٨٣٧، وتعليق محققي المسند.

(٣) سبق تخريجه ص(٢٧).

الرواية الأولى: وهي أصح ما ورد في الباب صريحاً، وهي حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقد أخرجه البخاري بعدة ألفاظ:

-**اللفظ الأول**: في كتاب الإيمان من صحيحه بسنده عن البراء: «أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده - أو قال: أخواله- من الأنصار، وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن صلى معه، فمر على أهل مسجد وهم راكعون، فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قبل مكة...**»[1].

-**اللفظ الثاني**: في كتاب التفسير من صحيحه بسنده عن البراء قال: «**إن رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وإنه صلى -أو صلاها- صلاة العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن كان صلى معه، فمر على أهل المسجد وهم راكعون، قال أشهد بالله لقد صليت مع النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قبل مكة، فداروا كما هم قِبَل البيت...**»[2].

-**اللفظ الثالث**: في كتاب أخبار الآحاد من صحيحه بسنده عن البراء قال: «**لما قدم رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **المدينة ... وصلى معه رجل العصر، ثم خرج فمر على قوم من الأنصار، فقال: هو يشهد أنه صلى مع النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وأنه قد وجه إلى الكعبة، فانحرفوا وهم ركوع في صلاة العصر**»[3].

-**اللفظ الرابع**: في كتاب الصلاة من صحيحه بسنده عن البراء قال: « **كان رسول الله**

(١) **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب الصلاة من الإيمان ح (٤٠) ١/ ١٢٨، ١٢٩.
(٢) **صحيح البخاري**، كتاب التفسير، باب ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ ...﴾ ح (٤٤٨٦) ٨/ ٢١٤.
(٣) **صحيح البخاري**، كتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق، ح(٧٢٥٢) ١٣/ ٢٨٥.

صلى نحو بيت المقدس ... فصلى مع النبي ﷺ رجل، ثم خرج بعد ما صلى، فمر على قوم من الأنصار في صلاة العصر نحو بيت المقدس، فقال: هو يشهد أنه صلى مع رسول الله ﷺ، وأنه توجه نحو الكعبة، فتحرف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة»[(١)].

فقد جاء التصريح في اللفظ الأول بأن الرجل صلى مع النبي ﷺ صلاة العصر، وأنها كانت أول صلاة صلاها إلى الكعبة، وجاء التصريح في اللفظين الأول والثاني بأن صلاة النبي ﷺ التي صلاها معه الرجل إلى الكعبة صلاة العصر، وأما اللفظ الثالث فهو محتمل لصلاة الظهر وصلاة العصر، والراوي واحد، والقصة واحدة، فوجب حملها على باقي ألفاظ القصة[(٢)].

وقد روى حديث البراء مسلم في صحيحه بدون التصريح باسم الصلاة[(٣)]، ورواه الترمذي بالتصريح بأنها صلاة العصر كرواية البخاري الثانية[(٤)].

فالحاصل -على هذه الرواية- أن الصلاة التي صلاها معه الرجل هي صلاة العصر، وأنها أول صلاة صلاها النبي ﷺ إلى الكعبة.

الرواية الثانية: عن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال: « **كنا نغدو على عهد رسول الله فنمر بالمسجد فنصلي فيه، فمررنا يوماً ورسول الله ﷺ قاعد على المنبر، فقال: لقد حدث اليوم أمر عظيم، فدنوت من النبي ﷺ فتلا هذه الآية:** ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ

(١) سبق تخريجه ص(٢٦).

(٢) علق ابن حجر رحمه الله على اللفظ الثالث بقوله:«واختلفت الرواية في الصلاة التي تحولت القبلة عندها، وكذا في المسجد، فظاهر حديث البراء هذا أنها الظهر». **فتح الباري** ١/ ٦٥١، ولم يتبين لي مراده، فإن هذا اللفظ محتمل، وظاهر ألفاظ البخاري الأخرى أن العصر هي الصلاة التي حولت القبلة عندها. والله أعلم.

(٣) سبق تخريجه ص(٢٦).

(٤) **سنن الترمذي**، كتاب مواقيت الصلاة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في ابتداء القبلة، ح (٣٤٠) ص٩٤.

﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ **حتى فرغ من الآية، وإلى جنبي صاحب لي، فقلت لصاحبي: اركع ركعتين قبل أن ينزل رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فنكون أول من صلى، فتوارينا فصلينا، ثم نزل رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فصلى للناس الظهر يومئذ»**[1].

الرواية الثالثة: ما حكاه ابن سعد بقوله: «**ويقال: صلى رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **ركعتين من الظهر في مسجده بالمسلمين، ثم أمر أن يوجه إلى المسجد الحرام فاستدار إليه، ودار معه المسلمون»**[2].

الرواية الرابعة: ما رواه البزار بسنده عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «**انصرف رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **نحو بيت المقدس وهو يصلي الظهر، وانصرف بوجهه إلى الكعبة، فقال السفهاء من الناس:** ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾»[3].

الرواية الخامسة: ما حكاه ابن سعد بقوله: « **ويقال: بل زار رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أم**

---

(١) **السنن الكبرى** للنسائي، كتاب التفسير، ح (١٠٩٣٧) ١٠/ ١٧، و**المعجم الكبير** للطبراني، ٢٢/ ٣٠٣، و**كشف الأستار**، ح (٤١٩) ١/ ٢١١. وقال الهيثمي في **مجمع الزوائد** ٢/ ١٣: « وحديث أبي سعيد فيه عبد الله بن صالح كاتب الليث، ضعفه الجمهور، وقال عبد الملك بن شعيب بن الليث: ثقة مأمون»، وقال عنه ابن حجر في **التقريب** (٥١٥): «صدوق كثير الغلط، ثبت في كتابه».

(٢) **الطبقات الكبرى** ١/ ٢٤١، وانظر: **المحرر الوجيز** ١/ ٢٢٢، و**البحر المحيط** ١/ ٥٩٤، و**فتح الباري** ١/ ٦٥٢. وذكره السمهودي في **وفاء الوفا** ١/ ٢٧٦ بلفظ: « **وأسند يحيى عن رافع بن خديج قال: صلى رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **ركعتين من الظهر في مسجده بالمسلمين، وأمر أن يوجّه إلى المسجد الحرام، فاستدار، قال رافع: فأتانا آت ونحن نصلي في بني عبد الأشهل فقال: إن رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قد أمر أن يوجه إلى الكعبة، قال: فأدارنا إمامنا إلى الكعبة ودرنا معه»** ولم أقف على سنده.

(٣) **البحر الزخار** ح (٦٥٣١) ١٣/ ١٣٧، ١٣٨، و**تفسير الطبري** ٣/ ١٣٥ كلاهما من طريق عثمان بن سعد عن أنس، وعثمان بن سعد هو الكاتب، ضعيف كما في **التقريب** (٤٥٠٣). قال البزار: «وأحاديث عثمان بن سعد إنما ذكرناها لأن ألفاظها تخالف الألفاظ التي تروى عن أنس»، ولذا قال الهيثمي في **كشف الأستار** ١/ ٢١٢: «حديث أنس في الصحيح أن ذلك في صلاة الصبح». وما أشار إليه الهيثمي من رواية الصحيح أخرجها **مسلم في صحيحه**، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ح (٥٢٧) ٢/ ١٨٤، بلفظ: «**أن رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **كان يصلي نحو بيت المقدس فنزلت:** ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾**، فمر رجل من بني سلمة وهم ركوع في صلاة الفجر وقد صلوا ركعة، فنادى ألا إن القبلة قد حولت، فمالوا كما هم نحو القبلة»**. إلا أن الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ يرى صحة الحديث، وأن قصة صلاة الفجر عن أنس غير قصته في صلاة الظهر، وأن قصة صلاة الفجر التي عند مسلم حكاية لما وقع في مسجد قباء، وأن قصة صلاة الظهر التي عند البزار والطبري حكاية لما وقع مع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقت تحويل القبلة.

بشر بن البراء بن معرور[١] في بني سَلِمَة[٢]، فصنعَتْ له طعاماً، وحانت الظهر، فصلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأصحابه ركعتين، ثم أُمِر أن يوجه إلى الكعبة، فاستدار إلى الكعبة، واستقبل الميزاب؛ فسمي المسجد: مسجد القبلتين[٣]»[٤].

الرواية السادسة: ما رواه الشيخان عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: بينا الناس بقباء في صلاة الصبح، إذ جاءهم آت، فقال: «**إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أنزل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة، فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشأم، فاستداروا إلى الكعبة**»[٥].

---

(١) أم بشر بنت البراء بن معرور، قيل: اسمها خليدة، وقيل: السُّلاف، صحابية بنت صحابي، وأخوها بشر بن البراء صحابي كذلك، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين. انظر: **الاستيعاب** ص ٩٤٦، **والإصابة** ٨/ ٣٦٤.

(٢) سيأتي التعريف بهم في ثنايا التعريف بمسجدهم في الملحق.

(٣) سيأتي التعريف بمسجد القبلتين في الملحق.

(٤) **الطبقات الكبرى** لابن سعد ١/ ٢٤١، ٢٤٢. وعزاه إليه الزيلعي في **تخريج أحاديث الكشاف** ١/ ٩٥، وابن حجر في **فتح الباري** ١/ ٦٥١، وغيرهما. وهنا وقفات أمام هذه القصة يثقل المتن بها فآثرت وضعها في الحاشية:

الأولى: لم أقف على هذا الخبر بسند متصل، لا صحيح ولا ضعيف.

الثانية: نقل ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في **فتح الباري** ١/ ٦٥١ عن ابن سعد قول الواقدي عن هذا الأثر: «هذا أثبت عندنا»، وبالرجوع إلى **طبقات ابن سعد** ١/ ٢٤١، ٢٤٢ تبين أن في الكلام حذفاً، حيث نقل ابنُ سعدٍ القولَ المذكور في المتن بصيغة التمريض الظاهر أن من ذكره بصيغة التمريض هو الواقدي كما يتضح من صنيع الزيلعي في **تخريج أحاديث الكشاف** ١/ ٩٥ ، وفي آخره: «فسمي المسجد: مسجد القبلتين، وذلك يوم الاثنين للنصف من رجب على رأس سبعة عشر شهراً، وفرض صوم شهر رمضان في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً، قال محمد بن عمر: وهذا الثبت عندنا»، فالذي يظهر كذلك أن قوله «وهذا الثبت عندنا» لا يريد به أن النسخ كان في مسجد القبلتين، بل الظاهر أنه يقصد توقيت النسخ كما يتضح من سابق الكلام ولاحقه على خلاف ما حكاه ابن حجر، والله أعلم.

الثالثة: قال السيوطي في **نواهد الأبكار** ٢/ ٣٤١: «هذا تحريف للحديث، فإن قصة بني سلمة لم يكن فيها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إماماً، ولا هو الذي تحول في الصلاة»، ثم ساق حديث أبي سعيد بن المعلى السابق في المتن. ونحو ذلك قال المناوي في **الفتح السماوي** ١/ ١٩٣.

الرابعة: ذكر هذه الرواية الثعلبي في **الكشف والبيان** ٢/ ١٢ والبغوي في **معالم التنزيل** ١/ ١١٨ ونسباها إلى «مجاهد وغيره» دون إسناد.

الخامسة: ذكر هذه الرواية السمهودي في **وفاء الوفا** ١/ ٢٧٦ بقوله «وعن عثمان بن محمد بن الأخنس أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلّى بأصحابه فيه يعني في مسجد القبلتين الظهر، فلما صلّى ركعتين أمر أن يوجه إلى الكعبة، فاستدار رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الكعبة، واستقبل الميزاب»، ثم قال السمهودي: «والثبت عندنا أنها صرفت في الظهر في مسجد القبلتين»، وذكره في موضع آخر من كتابه ٣/ ٤٧ عن يحيى عن عثمان بن محمد بن الأخنس، زاد فيه « **قالت أم بشر: فهم يأكلون من ذلك الطعام إلى أن سألوا رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **عن الأرواح، فذكر حديثها في أرواح المؤمنين والكافرين، ثم قال: فجاءت الظهر فصلى رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بأصحابه في مسجد القبلتين الظهر**»، ولم يذكر السمهودي مصدره الذي استقى منه هذا الخبر في أيٍّ من الموضعين.

(٥) رواه **البخاري في صحيحه**، كتاب الصلاة، باب ما جاء في القبلة ومن لا يرى الإعادة على من سها، ح (٤٠٣) ١/ ٦٥٥، **ومسلم في صحيحه**، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ح (٥٢٦) ٢/ ١٨٣، واللفظ للبخاري.

الرواية السابعة: حديث تويلة بنت أسلم[1] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهي من المبايعات، قالت: «**إنا لبمقامنا نصلي في بني حارثة[2]، فقال: عباد بن بشر بن قيظي[3]: إن رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **استقبل بيت الحرام أو الكعبة فتحول الرجال مكان النساء، والنساء مكان الرجال، فصلوا السجدتين الباقيتين نحو الكعبة**»[4].

هذه أشهر الروايات الواردة في الباب[5]، وبينها تباين:

فيظهر من **الرواية الأولى** أن ذلك لم يكن في صلاة، وأن أول صلاة توجه فيها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الكعبة كانت صلاة العصر، وهي أصح ما جاء في الباب صريحاً.

وفي **الرواية الثانية** في قصة أبي سعيد بن المعلى أن ذلك لم يكن في صلاة، ولكن فيها أن أول صلاة صليت إلى الكعبة صلاة الظهر. وفي إسنادها ضعف كما سبق في تخريجها.

أما **الرواية الثالثة** ففيها أن نزول التحويل كان في صلاة الظهر، وأنه في مسجده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) تويلة بالتصغير ، وقيل: تولة بغير تصغير، بنت أسلم، صحابية، اشتهر حديثها في تحويل القبلة. انظر: **الإصابة** ٨/ ٥٩.

(٢) سيأتي التعريف بهم في ثنايا التعريف بمسجدهم في الملحق.

(٣) عباد بن بشر بن قيظي الأنصاري الأوسي، من بني حارثة بن الحارث بن الخزرج، صاحب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، شهد بدراً، وليس هو عباد بن بشر المشهور، فذاك من بني عبدالأشهل. انظر: **الإصابة** ٣/ ٤٩٥، ٤٩٦.

(٤) رواه ابن أبي عاصم في **الآحاد والمثاني** ح (٣٤٦١) ٦/ ٢٢٨، و**ابن أبي حاتم في تفسيره** (ت: أحمد العماري) ١/ ٣٦، والطبراني في **المعجم الكبير** في موضعين ٢٤/ ٢٠٧، و ٢٥/ ٤٣. قال الهيثمي في **مجمع الزوائد** ٢/ ١٤، ١٥ عن أحدهما: «ورجاله موثقون»، وقال عن الآخر:«وفيه إسحاق بن إدريس الأسواري، وهو ضعيف متروك»، وكل من ضعّف الحديث أعله بإسحاق، انظر على سبيل المثال: تحقيق **تفسير ابن أبي حاتم** ١/ ٣٦ (الحاشية) و**تحقيق تفسير ابن كثير** ٢/ ١٤ (الحاشية)، وقد تابعه عليه راويان آخران، قال الألباني في كتابه **أصل صفة صلاة النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ١/ ٧٦ عن بعض طرقه:« وهذا إسناد رجاله ثقات، غير إبراهيم بن جعفر هذا؛ فإني لم أجد من ذكره، وأظن أنه في كتاب **(الثقات)** لابن حبان؛ فإنه عمدة الهيثمي فيمن يوثقه في **(المجمع)** ممن لا ذكر لهم في الكتب المشهورة. والله أعلم». وقال نبيل البصارة في كتابه **أنيس الساري** ٥/ ٣٤٢٧، ٣٤٢٨:«حسن» وساق طرقه ومن خرجه.

(٥) وقفت على روايتين أخريين، إحداهما ذكرها ابن حجر في **الفتح** ١/ ٦٥١، ٦٥٢ وعزاها إلى ابن أبي داود بسند ضعيف عن عمارة بن رويبة قال:« **كنا مع النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **في إحدى صلاتي العشي حين صرفت القبلة، فدار ودرنا معه في ركعتين**»، وذكرها أيضاً ٢/ ١٤ وعزاها إلى ابن مردويه.

والأخرى نحوها، ذكرها ابن حجر في كتابه **الإصابة** ٤/ ٤٧٥ عن عمارة بن أوس، وعزاها إلى ابن أبي خيثمة والبغوي، ثم قال:«تفرد به قيس وهو ضعيف، وأخرجه الطبراني من رواية عبدالله بن حسين عن زياد بن علاقة عن عمارة بن رويبة، فالله أعلم». ولم أذكر هاتين الروايتين في المتن لعدم الإضافة فيهما على ما سبق في الروايات المحكية، فضلاً عن ضعفهما.

ولكني لم أقف عليها مسندة.

وأما **الرواية الرابعة** ففيها أن التحويل كان في صلاة الظهر، إلا أنها لم تبين في أي مسجد كانت. وهي مخالفة لما صح عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أن القصة لم يكن فيها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إماماً.

وفي **الرواية الخامسة** أن ذلك كان في صلاة الظهر في مسجد القبلتين. ولم أقف عليها مسندة، بالإضافة إلى ما قاله بعض العلماء من أنها تحريف للقصة، وأن الصواب أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن فيها إماماً.

وأما الروايتان **السادسة والسابعة** فليس فيهما أن الأمر بالتحويل وقع في الصلاة، بل فيهما أن من أخبرهم بتحويل القبلة أخبرهم وهم في الصلاة، وذلك في مسجدين، أحدهما مسجد قباء في صلاة الفجر، والآخر مسجد بني حارثة في صلاة العصر.

فالراجح - والله أعلم - أن نزولها لم يكن في صلاة، وأن أول صلاة صليت إلى الكعبة هي صلاة العصر.

قال ابن كثير: «والمشهور أن أول صلاة صلاها إلى الكعبة صلاة العصر، ولهذا تأخر الخبر عن أهل قباء إلى صلاة الفجر»[1].

ومما يؤيد كون نزول القرآن لم يكن في صلاة أنه لا يعرف له نظائر في نزول آيات أخرى في أثناء الصلاة، وهو مما تتوافر الدواعي على نقله، ولم ينقل بسند تطمئن إليه النفس.

(١) **تفسير ابن كثير** ٢/ ١٣، وانظر نحوه عند ابن حجر في **فتح الباري** ١/ ٦٥٥، ٦٥٦. دون أن ينص على أن أول صلاة هي صلاة العصر، إذ إن ابن حجر يرى الجمع بين أكثر هذه الروايات بأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلى أول صلاة في بني سلمة الظهر إلى الكعبة، ثم صلى أول صلاة في مسجده العصر، ثم وصل الخبر إلى بني حارثة العصر أيضاً، ووصل إلى بني عمرو بن عوف غداة اليوم التالي. ولكن هذا الجمع مترتب على ثبوت الحديث الدال على ذلك، وحاله ما قد علمت. **فتح الباري** ١/ ١٣١.

المسألة الثانية: في المساجد التي نقل أنهم تحولوا في أثناء صلاتهم فيها من استقبال المسجد الأقصى إلى استقبال المسجد الحرام[1]:

جميع المساجد التي كانت في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي صُلِّيَ فيها قبل تحويل القبلة كانت ذات قبلتين[2]، وإنما الحديث هنا عن المساجد التي نقل أنهم بلغهم الخبر أثناء الصلاة فتحولوا أثناءها.

فيظهر من الروايات الواردة في المسألة السابقة أن الصحابة في بعض أحياء المدينة وصلهم الخبر أثناء صلاتهم، وقد كانوا مستقبلين المسجد الأقصى، فتحولوا وهم في الصلاة إلى المسجد الحرام، فتحولوا من استقبال جهة الشمال إلى جهة الجنوب، وتحول الرجال مكان النساء، والنساء مكان الرجال كما جاء ذلك في بعض تلك الروايات.

والمساجد التي نقل أنه قد وقع فيها ذلك خمس مساجد:

الأول: مسجد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد نقل ذلك في الرواية الثالثة من روايات المسألة السابقة من نقل ابن سعد، ورويت عن رافع بن خديج، وتقدم فيها أني لم أقف على سند لها.

الثاني: مسجد قباء، وهو ثابت في الصحيح من حديث ابن عمر وأنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا [3]، وقد كان ذلك في صلاة الفجر، إذ كان بنو عمرو بن عوف الذين يصلون في مسجد قباء خارج المدينة، فلم يصلهم الخبر إلا في صلاة الفجر من الغد[4].

الثالث: مسجد القبلتين، وقد جاء ذلك في خبر ابن سعد، وما روي عن عثمان بن محمد بن الأخنس، ولم أقف عليه مسنداً، ولذا نقل السمهودي -بعد نقله لرواية أن بني سلمة أتاهم

(١) سيأتي التعريف بهذه المساجد في الملحق.
(٢) انظر: **المدينة بين الماضي والحاضر** ص ٨٣.
(٣) تقدم ذكر حديث ابن عمر في المتن، وتقدم حديث أنس في ذلك في الحاشية.
(٤) انظر: **تفسير ابن كثير** ٢/ ١٣، و**فتح الباري** ١/ ٦٥٥، ٦٥٦.

الخبر وهم يصلون الظهر، فتحولوا إلى الكعبة، ولم يذكر فيها معهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن شيخ مشايخه المجد الشيرازي[١] قوله: «فعلى هذا كان مسجد قباء أولى بهذه التسمية»[٢].

الرابع: مسجد بني حارثة، وقد جاء هذا في حديث تويلة بنت أسلم، وهو حديث ضعفه بعض العلماء، وحسنه آخرون، فإذا صح ذلك فقد وقع لهم في صلاة العصر، وفي ذلك يقول ابن حجر في حديثه عن تحول أهل قباء في صلاة الفجر وتحول بني حارثة في صلاة العصر : «والجواب أن لا منافاة بين الخبرين؛ لأن الخبر وصل وقت العصر إلى من هو داخل المدينة وهم بنو حارثة، وذلك في حديث البراء ... ووصل الخبر وقت الصبح إلى من هو خارج المدينة وهم بنو عمرو بن عوف أهل قباء، وذلك في حديث ابن عمر»[٣].

الخامس: مسجد بني عبد الأشهل[٤]، وقد جاء ذلك في الخبر الذي رواه السمهودي عن يحيى عن رافع بن خديج أنهم أتاهم آت وهم يصلون في بني عبد الأشهل، فتحولوا وهم في الصلاة[٥].

ويتبين بعد تأمل أحوال الروايات التي جاء فيها ذكر المساجد التي تحول أهلها وهم في الصلاة أن الثابت الذي لا شك فيه أن أهل قباء قد وقع لهم، ذلك، كما أنه يترجح أن بني حارثة قد وقع لهم مثله.

أما بقية المواضع فلم يثبت فيها شيء، والله أعلم.

---

(١) هو الفيروزآبادي محمد بن يعقوب، صاحب **القاموس المحيط** و**المغانم المطابة في معالم طابة**.

(٢) **وفاء الوفا** ١/ ٢٧٧.

(٣) **فتح الباري** ١/ ٦٥٥، ٦٥٦. ونقله عنه السمهودي في **وفاء الوفا** ١/ ٢٧٧، دون الجزء المتعلق بكون بني حارثة داخل المدينة وبني عمرو بن عوف خارج المدينة، وفي ذلك نظر، فإن مسجد قباء لا يكاد يبعد عن المسجد النبوي إلا ما يبعده مسجد بني حارثة، فإن كان بينهما فرق فهو يسير، إلا أن يقال: إن الأحياء في شمال المدينة جهة بني حارثة كانت في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أو في زمن ابن حجر) متصلة بخلاف جنوب المدينة جهة بني عمرو بن عوف. وأياً ما كان فالأمر يسير.

(٤) سيأتي التعريف به في الملحق.

(٥) **وفاء الوفا** ١/ ٢٧٦. ولم أقف عليه مسنداً كما بينته عند الرواية الثالثة في الحاشية.

المطلب الثالث: قبلة المسلمين قبل استقبال الكعبة المشرفة

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: في قبلة المسلمين قبل الهجرة: لا شك أن المسلمين كانوا بعد الهجرة يستقبلون بيت المقدس، ولكن ما القبلة التي كانوا يستقبلونها قبل الهجرة؟ أكانوا يستقبلون بيت المقدس أم الكعبة الشريفة؟ اختلف المفسرون في ذلك على قولين:

القول الأول: أن قبلتهم كانت بيت المقدس، وأكثر من قال بهذا القول قال أيضاً: إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يجعل الكعبة بين يديه حين يستقبل بيت المقدس، بحيث يستقبلهما معاً، فلما هاجر إلى المدينة لم يمكنه أن يستقبلهما معاً، ولذا استقبل بيت المقدس على الأصل حتى نسخ الله ذلك باستقبال الكعبة[1].

وقد صح هذا القول عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بلفظ: «**كان رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يصلي وهو بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه، وبعد ما هاجر إلى المدينة ستة عشر شهراً**»[2].

ويدل عليه أيضاً ما روي عن سعيد بن المسيب أنهم - أي المسلمين - صلوا بمكة وبعدما قدموا المدينة ستة عشر شهراً نحو بيت المقدس[3].

وروي عن عثمان بن حنيف الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسند ضعيف أنه قال: «**كان رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قبل أن يَقدَم من مكة يدعو الناس إلى الإيمان بالله وتصديقاً به قولاً بلا عمل، والقبلة إلى بيت المقدس، فلما هاجر إلينا نزلت الفرائض، ونسخت المدينة مكة والقول فيها،**

(١) انظر: **الهداية** ١/ ٤٩١، **والتمهيد** ٨/ ٤٩، ٥٥، و١٧/ ٤٩، ٥٣، **والمحرر الوجيز** ١/ ٢١٨، **والجامع لأحكام القرآن** ٢/ ١٤٦، وتفسير **ابن كثير** ٢/ ٦.

(٢) سبق تخريجه ص (٢٦).

(٣) رواه **عبدالرزاق في تفسيره** ١/ ٥٦، **والطبري في تفسيره** ٣/ ١٣٧، من طريق قتادة عن ابن المسيب.

ونسخ البيت الحرام بيت المقدس، فصار الإيمان قولاً وعملاً»[١].

ويدل عليه من جهة النظر أنه لو كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي قِبَل الكعبة بمكة، ثم لما قدم المدينة حولت القبلة إلى بيت المقدس، ثم بعد مدة من الزمن صرفهم الله جل وعلا بهذه الآيات إلى الكعبة مرة أخرى للزم منه أن القبلة قد نسخت أول ما قدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة، وقد أجمعوا على أن نسخ القبلة كان أول نسخ في الإسلام[٢]، وسيأتي في المبحث الأخير[٣] أن الله جل وعلا قد مهد ووطأ لهذا النسخ بآيات كثيرة منذ أوائل سورة البقرة، ولو كان النسخ قد وقع قبل ذلك بأكثر من سنة لكان غريباً أن يمهَّد لنسخ القبلة في المرة الثانية وقد سلف من قبل في المرة الأولى ولم يمهَّد له ولم تُثَرْ بسببه شبهات.

القول الثاني: أن قبلتهم كانت الكعبة الشريفة، فلما قدم المدينة أمره الله تعالى باستقبال بيت المقدس، ثم نسخ بعد ذلك بالتوجه إلى الكعبة مرة أخرى[٤].

واستدلوا بظاهر أثر ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الذي رواه ابن أبي طلحة، وفيه: « **وذلك أن رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لما هاجر إلى المدينة، وكان أكثر أهلها اليهود أمره الله عز وجل أن يستقبل بيت المقدس**»[٥].

كما استدلوا بما روي عن قتادة - مقطوعاً - أن الأنصار صلت إلى الكعبة حولين قبل قدوم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٦].

---

(١) رواه الطبراني في **معجمه الكبير** ر ح(٨٣١٢) ٩/ ٣٢. وقال الهيثمي في **مجمع الزوائد** ١/ ٥٥:«وفي إسناده جماعة لم أعرفهم»، وقال في موضع آخر ٢/ ١٤:«وفيه سعد بن عمران، قال أبو حاتم: هو مثل الواقدي، والواقدي متروك».

(٢) نص عليه في **التمهيد** ١٧/ ٤٩.

(٣) انظر ص (٤٥).

(٤) انظر: **التمهيد** ٨/ ٤٩، ٥٥، و١٧/ ٤٩، ٥٣، و**تفسير الرازي** ٤/ ١٠١، و**الجامع لأحكام القرآن** ٢/ ١٤٦، و**التحرير والتنوير** ٢/ ١١.

(٥) سبق تخريجه ص (٢٦).

(٦) عزاه السيوطي في **الدر المنثور** ٢/ ٢٦٤ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

٩٥

واستدلالهم بأثر ابن عباس لا يُسلَّم، فقد ثبت عنه صريحاً خلاف ذلك كما سبق في أدلة القول الأول.

وقول قتادة روي عنه خلافه[١].

كما أنه يلزم من هذا القول أن نسخ القبلة قد وقع مرتين، مرة بعد الهجرة مباشرة، ومرة ثانية بعد ستة عشر شهراً أو نحوها، ويشكل عليه أن الله جل وعلا قد مهد للنسخ في مرته الثانية وبيَّن شأنه، وأجاب عن الإشكالات المترتبة عليه من مسألة حكم صلاة من صلى إلى القبلة الأولى، وأجاب عن مقالة السفهاء وغير ذلك ما لم يبينه في المرة الأولى من مرتي النسخ.

ولذا **فالراجح** - والله أعلم - **القول الأول**؛ لصحة ذلك عن صحابي، ولدلالة ظاهر سياق الآيات عليه، ولكون واقعة تحويل القبلة من الكعبة إلى بيت المقدس - عند من يقول بها - لم تشتهر مع توافر الأسباب الداعية لذلك، لكونها أول نسخ يقع في الإسلام[٢].

المسألة الثانية: في سبب استقبال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيت المقدس: اختلف العلماء في استقبال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيت المقدس أكان عن وحي أوحاه الله إليه، أم كان باجتهاد منه، أم كان مخيراً؟ على قولين:

القول الأول: أنه كان عن وحي أوحاه الله إليه، وبه قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كما سبق في رواية علي ابن أبي طلحة، وفيها «**وذلك أن رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لما هاجر إلى المدينة، وكان أكثر أهلها اليهود أمره الله عز وجل أن يستقبل بيت المقدس**»[٣]، وبه قال جمهور المفسرين.

(١) انظر: **التمهيد** ٨/ ٥٠.
(٢) وهو قول **ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ **في تفسيره** ٢/ ٦، ولم يذكر سواه.
(٣) سبق تخريجه ص (٢٦).

واستدل القائلون بهذا القول - إضافة إلى استدلالهم بقول ابن عباس - بكون السياق دالاً على أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كان يحب التوجه إلى المسجد الحرام لا إلى بيت المقدس، ولو كان مخيراً أو كان باجتهاد منه لما استقبل بيت المقدس، وذلك بيِّنٌ في قوله تعالى فيما يأتي ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَا﴾ [البقرة:١٤٤]، فما تقلُّب وجهه الشريف صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إلا تطلبٌ لاستقبال قبلة هي أرضى له من بيت المقدس، كما أنه ظاهر في وصف المسجد الحرام بأنه قبلة يرضاها النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

أضف إلى ذلك قوله تعالى في الآية التالية ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ﴾ [سورة البقرة:١٤٣]، فأسند الجَعْلَ إلى نفسه تبارك وتعالى، وبيَّن علة ذلك الجَعل، وهو أنه الابتلاء والاختبار، ومثل هذا لا يستقيم لو قلنا إن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كان مخيراً، فاختار بيت المقدس.

ثم إن القائلين بأن استقبال بيت المقدس كان بوحي من الله يقولون: كان استقبال بيت المقدس بوحي غير متلو، وشذ بعضهم فقال: بل كان بوحي متلو.

القول الثاني: أن استقبال بيت المقدس كان باجتهاد من النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ؛ فقد كان النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مخيراً في قبلته، فاختار التوجه إلى بيت المقدس؛ ليتألف اليهود، ويتألف العرب الأميين الذي كانوا يميلون إلى ما يقوله اليهود لكونهم أهل كتاب، وبه قال بعض السلف[1].

والراجح -والله تعالى أعلم- **القول الأول** وهو قول الجمهور، فإن القول الثاني لم يقل به -فيما وقفت عليه- أحد من الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ بخلاف القول الأول، كما أنه لا يستقيم

(١) انظر القولين ومناقشتهما في: **تفسير الطبري** ٣/ ١٣٧، ١٣٩، و**أحكام القرآن** لابن العربي ١/ ٦٠، **والمحرر** الوجيز ١/ ٢١٨، **وزاد المسير** ص ٩٢، **والجامع لأحكام القرآن** ٢/ ١٤٦، **والبحر المحيط** ١/ ٥٩٤. ولم أقف على من احتج للقول الأول بقوله تعالى ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ﴾ [البقرة:١٤٣]. وقد فصل بعض المفسرين القول الثاني إلى قولين: أحدهما: أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كان مخيراً، والثاني: أنه كان عن اجتهاد منه. والذي ظهر لي عدم التفرقة بينهما، وهو صنيع الطبري في تفسيره.

معه سياق الآيات الدالة على أن الله جعل القبلة التي كانوا عليها ابتلاء واختباراً، وأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقلب وجهه في السماء انتظاراً للتوجه إلى قبلة يرضاها.

المسألة الثالثة: في المدة التي استقبل فيها المسلمون بيت المقدس بعد الهجرة: اختلف في ذلك على أقوال كثيرة، فالذي في حديث البراء بن عازب في الصحيح أنها ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً[(١)]، وعلى هذا القول أكثر المفسرين وأهل السير، وقيل: تسعة أشهر أو عشرة أشهر، وقيل: اثنا عشر شهراً، وقيل: ثلاثة عشر، وقيل: ثمانية عشر، وقيل: تسعة عشر شهراً[(٢)].

(١) سبق تخريجه ص (٢٦).

(٢) انظر: **تفسير الطبري** ٣/ ١٣٢ ١٣٧، و**التمهيد** ٨/ ٤٩، وزاد المسير ص٩٢، و**عيون الأثر** ١/ ٢٦٩، و**البحر المحيط** ١/ ٥٩٤.

المبحث الثاني:

تفسير الآيتين ١٤٢، ١٤٣

وهما قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [سورة البقرة:١٤٢ - ١٤٣].

المطلب الأول: تفسير الآية (١٤٢)

وهي قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [سورة البقرة:١٤٢]، وفيها إحدى عشرة مسألة:

المسألة الأولى: في معنى السين من قوله تعالى ﴿سَيَقُولُ﴾: فقال أكثر المفسرين: إن السين هنا دالة على الاستقبال[(١)]، وذلك أن هذه الآية نزلت للتمهيد لآية تحويل القبلة، وهي قوله تعالى فيما بعد: ﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾، فكان في هذا الأسلوب أداء لأغراض وفوائد متعددة[(٢)]، منها:

الرد على السفهاء الذين علم الله جل وعلا أنهم سيقولون ﴿مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَا﴾، فرد عليهم قبل أن يقع منهم القول، قطعاً لحجتهم، ودرءاً لشغَبِهم، وإفحاماً لهم.

طمأنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين والتوطئة لهم قبل أن يرد عليهم شغبُ السفهاء ومقولتُهم؛ فإن مفاجأة المكروه أشد إيلاماً.

(١) كون السين هنا للاستقبال وأن الآية نزلت تمهيداً لاستقبال المسجد الحرام هو ظاهر الآية، و هو الأصل فيها، ولذا لم ينص عليه أكثر المفسرين المتقدمين، وممن نص عليه: الزمخشري في **الكشاف** ١/ ١٩٧، وابن عطية في **المحرر الوجيز** ١/ ٢١٨، والرازي في **تفسيره** ٤/ ٨٣، وأبو حيان في **البحر المحيط** ١/ ٥٩٣، والألوسي في **روح المعاني** ١/ ٤٠٢، وابن عاشور في **التحرير والتنوير** ٢/ ٧.

(٢) انظر هذه الأغراض والفوائد في: **الكشاف** ١/ ١٩٧، و**تفسير الرازي** ٤/ ٨٣، و**التحرير والتنوير** ٢/ ٧.

تعليم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين جواب السفهاء على مقالتهم؛ ليكون الجواب حاضراً إذا قالوا ما أخبر الله عنهم أنهم قائلوه، ولذا قال سبحانه معلماً للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين الرد عليهم : ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

تصديق الله جل وعلا لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإكرامه بمعجزة من المعجزات، حيث أخبر -بوحي الله له في القرآن- أن السفهاء سيقولون هذه المقالة، وقد وقع كما أخبر؛ حيث ثبت من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: « **كان رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **صلى نحو بيت المقدس ستة عشر -أو سبعة عشر- شهراً، وكان رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يحب أن يوجه إلى الكعبة، فأنزل الله :﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾، فتوجه نحو الكعبة، وقال السفهاء من الناس -وهم اليهود-: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها...**» الحديث[1].

وقال بعض المفسرين: إن هذه الآية نزلت بعد قوله تعالى ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، رداً على السفهاء الذين قالوا هذه المقالة، فيكون معنى الاستقبال هنا -المدلول عليه بالسين-: الاستمرار على مقولتهم، فالمعنى: قد قالوا هذه المقولة وسيستمرون على قولها[2]، أو تكون السين هنا للتحقيق، فتكون دالة على الماضي، فيصبح المعنى: (قال السفهاء من الناس)[3].

واستدل من قال بهذا القول بحديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السابق، وموضع الشاهد منه قوله « فأنزل الله :﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾، فتوجه نحو الكعبة، وقال السفهاء من الناس

(١) سبق تخرجه ص (٢٦).
(٢) انظر: **تفسير الرازي** ٤/ ٨٣، و**البحر المحيط** ١/ ٥٩٣، و**فتح القدير** ١/ ٢٨٤. وهو ظاهر كلام ابن الجوزي في **زاد المسير** ص٩٢.
(٣) انظر: **البحر المحيط** ١/ ٥٩٣، و**روح المعاني** ١/ ٤٠٢، و**التحرير والتنوير** ٢/ ٧. وقد استنكر أبو حيان قول من قال إن المراد بالفعل الدلالة على الماضي، وأنها بمعنى (قال السفهاء)، فقال:«وليس عندنا مِن وضْعِ المستقبل موضع الماضي وأن معنى ﴿سَيَقُولُ﴾: (قال) كما زعم بعضهم؛ لأن ذلك لا يتأتى مع السين لبعد المجاز فيه، ولو كان عارياً من السين ذلك، وكان يكون حكاية حال ماضية».
وقد استنكر علم الدين السخاوي في **جمال القراء** ٢/ ٦٣١ القول بتأخر نزول قوله تعالى ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ حتى نفى أن يكون قد قاله أحد من المفسرين، وإنما هو وهم بيِّنٌ من الزمخشري، وذيَّل ذلك بقوله:« وهذا واضح جداً، وقد خفي عليه هذا، فصار إلى ما صار إليه من تقدم الآية في التلاوة، وتأخرها في الإنزال، وليس بهين أن يجعل كلام الله عز وجل بهذه المثابة».

-وهم اليهود-: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها...». ولم يتضح لي وجه استدلالهم بهذا الحديث؛ فإن الحديث لا يدل على تأخر نزول قوله سبحانه ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ عن قوله ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾، بل يدل على تأخر وقوع مقالة السفهاء إلى ما بعد تحويل القبلة، ولا مانع من أن تكون الآية خبراً عما سيقع بعد تحويل القبلة، وتكون نازلة قبلها للأغراض المذكورة في القول الأول.

كما استدل بعضهم بقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما الذي رواه عنه علي بن أبي طلحة: «**كان أول ما نسخ من القرآن القبلة، وذلك أن رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لما هاجر إلى المدينة، وكان أكثر أهلها اليهود أمره الله عز وجل أن يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود، فاستقبلها رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بضعة عشر شهراً، فكان رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يحب قبلة إبراهيم عليه السلام، فكان يدعو وينظر إلى السماء، فأنزل الله تبارك وتعالى:** ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ **إلى قوله** ﴿فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [سورة البقرة:١٤٤]، **فارتاب من ذلك اليهود، وقالوا:** ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾، **فأنزل الله عز وجل:** ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾...».

هذا لفظ الطبري، ونحوه عند النحاس[(١)]، وعزاه السيوطي لابن أبي حاتم[(٢)].

لكن ابن أبي حاتم إنما أورده بلفظ: « ...**فارتاب من ذلك اليهود، وقالوا:** ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾»[(٣)].

وبنحوه أورده الواحدي -غير مسند- بلفظ: «**فلما صرفه الله تعالى إليها ارتاب من ذلك اليهود وقالوا: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها، فأنزل الله تعالى:** ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة:١١٥]»[(٤)].

---

(١) سبق عزوه إليهما ص (٢٧).

(٢) **الإتقان** ١/ ٢١٢، ٢١٣.

(٣) سبق عزوه إليه ص (٢٧)، ولا يخفى أن السياق غريب هكذا؛ إذ قوله تعالى ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ هو من رد الله تعالى على السفهاء، ولم يظهر لي كيف يكون هو قول السفهاء.

(٤) **أسباب النزول** ص ٣٦.

فلم ينصا على وقوع النزول بعد تحويل القبلة وبعد مقالة السفهاء، وإنما دل لفظهما على وقوع مقالة السفهاء بعد تحويل القبلة.

ولذا **فالراجح** -والله أعلم- أن السين في قوله تعالى ﴿سَيَقُولُ﴾ باقية على أصلها من الدلالة على الاستقبال، ويرجحه أمران:

- **الأول**: عدم ثبوت رواية يجب التسليم لها تصرِّح بوقوع نزول قوله تعالى ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ بعد نزول قوله ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾، بل تدل هذه الروايات على تأخرِ مقالة السفهاء إلى ما بعد نزول هذه الآية، وهذا هو عينه مدلول الاستقبال المبيَّنُ عنه بالسين.

- **الثاني**: أن الأصل في آيات السورة الواحدة نزولها حسب ترتيبها في المصحف، ما لم يدل دليل على خلافه[1]، ولم يأت دليل على ذلك، بل يدل ظاهر الآيات على خلافه، لكونها مصدرة بسين الاستقبال، وفعل المضارعة، للدلالة على المستقبل.

المسألة الثانية: في معنى ﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾: (السفهاء) جمع (سفيه)، وهو الجاهل الضعيف الرأي، القليل المعرفة بمواضع المنافع والمضار، وأصله من (السَّفَه)، وهو الخِفَّة، وقلة المعرفة لنقصان العقل، وكثرة الاضطراب[2].

المسألة الثالثة: في القوم الموصوفين بقوله سبحانه ﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾: اختلف المفسرون في القوم الموصوفين بالسفه في هذه الآية - وهم الذين قالوا ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾ - على ثلاثة أقوال:

- **الأول**: أنهم اليهود، قالوا ذلك كراهة لمخالفة المسلمين لهم في القبلة، وقد كانت

(١) انظر: **التحرير والتنوير** ٢/ ٥.

(٢) انظر: **تفسير الطبري** ١/ ٢٩٣، و**معجم مقاييس اللغة** ٣/ ٧٩ (س ف ه)، و**مفردات ألفاظ القرآن** للراغب ص ٤١٤ (س ف هـ).

قبلتُهم قبلتَهم، وكان ذلك مما فرحت به اليهود، لموافقة المسلمين لهم، وأنه أشبه باتباعهم، فلما خالفوهم شغبوا عليهم بمقالتهم هذه.

ويدل لهذا القول أنه قول من شهد التنزيل، فهو قول البراء بن عازب وابن عباس، كما في قوليهما السابقين.

- **الثاني**: أنهم المنافقون، قالوا هذه المقالة استهزاء بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبالمسلمين؛ إذ هذا ديدنهم وطريقتهم.

ويؤيده أن الله جل وعلا وصفهم في بذلك في صدر هذه السورة في قوله ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة:١٣].

- **الثالث**: أنهم المشركون من أهل مكة، وقرر ذلك بعض المفسرين بأنهم قالوا هذه المقالة طعناً على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ استقبل الكعبة بعد استقبال بيت المقدس، فعاد إلى ما يوافقهم؛ فزعموا أنه سيعود إلى دينهم كذلك، حاشاه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ويؤيد هذا القول أن الله جل وعلا قيد السفهاء بشبه الجملة ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾، وقد عرف في اصطلاح القرآن أن لفظ الناس يراد به المشركون[1].

والراجح - والله أعلم - أن الآية تشمل هؤلاء كلهم، ويؤيد هذا الاختيار ثلاث حجج:

- **الأولى**: عموم لفظ السفهاء؛ لدخول الألف واللام عليه، فيعم السفهاء من الطوائف الثلاث.
- **الثانية**: وصف السفهاء بقوله تعالى ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ يفيد العموم، ويدل على شمول قائلي هذه المقالة لكل سفيه من هذه الطوائف، ولا حجة لتخصيص طائفة بعينها؛ إذ جميعهم من الناس.

(١) انظر الأقوال الثلاثة في: **زاد المسير** ص ٩٢، و**تفسير الرازي** ٤/ ٨٣، ٨٤، و**البحر المحيط** ١/ ٥٩٣، و**روح المعاني** ١/ ٤٠٢.

- **الثالثة**: أن جميع هذه الطوائف: اليهود، والمنافقين، والمشركين هم أعداء للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمين، ويتربصون بهم الدوائر، ومن البعيد أن يجدوا مجالاً في سبيل النيل من المسلمين فيَدَعُوْه[1].

المسألة الرابعة: في فائدة البيان بشبه الجملة في قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾: اختلف المفسرون في فائدة هذا البيان على ثلاثة أقوال:

- **الأول**: أن فائدته إخراج ما يوصف بالسفه من غير الناس، فإن السفه يوصف به الناس، ويوصف به ما لا يعقل أيضاً، فأخرج ما لا يعقل بقيد ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾.
- **الثاني**: أن فائدته تخصيص عموم السفهاء بالمشركين منهم؛ فإن عرف القرآن في إطلاق لفظ (الناس) أن يراد به المشركون.
- **الثالث**: أن فائدته التنبيه على كمال سفاهتهم بقياسهم إلى جنسهم - وهم الناس - إزراء عليهم، وبيان أن الذين قالوا هذه المقالة هم سفهاء بني آدم.
- **الرابع**: أن فائدته إرادة شمول لفظ ﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾ للطوائف الثلاث: اليهود والمنافقين والمشركين[2].

وأظهر هذه الأقوال آخرها ثم الذي قبله، وأما القول الأول فيرده إسناد (القول) إلى السفهاء، فلا حاجة للنص على أن قائلي هذه المقالة من الناس لا من غير العقلاء.

وأما القول الثاني فيبعده أن الآية نزلت في المدينة، ونزلت مع آيات تحويل القبلة، ولأن يقول هذه المقالة اليهود والمنافقون أولى من أن يقولها المشركون، ولذا -فكما سبق في المسألة السابقة- فإن **الراجح** هو شمول لفظ السفهاء للطوائف الثلاث.

---

(١) رجح شمول الآية لجميع الطوائف: الرازي في تفسيره ٤/ ٨٤، وابن كثير في تفسيره ٢/ ٥، والبيضاوي في تفسيره ١/ ٩١، وأبو السعود في تفسيره ١/ ١٧١.

(٢) انظر هذه الأقوال في: المحرر الوجيز ١/ ٢١٨، والجامع لأحكام القرآن ٢/ ١٤٤، والبحر المحيط ١/ ٥٩٣، وتفسير أبي السعود ١/ ١٧١، وروح المعاني ١/ ٤٠٢، والتحرير والتنوير ٢/ ٦.

المسألة الخامسة: في معنى قوله تعالى ﴿مَاوَلَّىٰهُمْ﴾: أي ما الذي صرفهم؟ أو: أي شيء صرفهم عن قبلتهم؟[1] والاستفهام هنا للاستهزاء والتعجب، ومرادهم بذلك الإزراء على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى المؤمنين، وتخطئتهم وتسفيههم، وقيل: الاستفهام للإنكار، والأول أقرب[2].

المسألة السادسة: في تفسير (القبلة) في قوله تعالى ﴿قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾: الثلاثي (القاف والباء واللام) «أصل واحد صحيح تدل كلمُه كلُّها على مواجهة الشيء للشيء»[3]، و(القِبلة): كل ما قابل وجهه[4].

ووزنها وزن الهيئة والحالة[5] المصوغ من فعل الاستقبال، ثم نقل استعماله من هيئة الاستقبال إلى عين الشيء المستقبل لأن تحويل القبلة إنما كان عن الشيء المستقبَل، وهو بيت المقدس، ولم يكن عن هيئة الاستقبال[6].

ومال ابن عاشور إلى أن تكون (القبلة) اسم مفعول على وزن (فِعْل) كـ(الذِّبْح، والطِّحْن)، ثم أنثت باعتبار الجهة[7].

المسألة السابعة: في تعيين القبلة التي كانوا عليها: يكاد يجمع المفسرون على أن المراد بهذه القبلة التي كانوا عليها هي بيت المقدس، بل نقل بعضهم الإجماع على ذلك[8].

ونقل عن بعض المفسرين أن القبلة المحول عنها هي الكعبة، ويكون المراد بالسفهاء

---

(١) انظر **تفسير الطبري** ٣/ ١٣١، **والكشاف** ١/ ١٩٧.

(٢) انظر: **تفسير الرازي** ٤/ ٨٤، **وتفسير أبي السعود** ١/ ١٧١، **وروح المعاني** ١/ ٤٠٢، **والتحرير والتنوير** ٢/ ٨. وانظر في أغراض الاستفهام وما يمكن أن يدل عليه: **التلخيص** (مطبوع مع: الأطول) ١/ ٥٣، ٥٤.

(٣) **معجم مقاييس اللغة** ٥/ ٥١ (ق ب ل).

(٤) انظر: **تفسير الطبري** ٣/ ١٣١، **والقاموس المحيط** ص ١٠٤٤ (ق ب ل).

(٥) يصاغ من المصدر ما يدل على الهيئة على وزن (فِعْلَة)، كـ(جِلسة) من الجلوس، لبيان هيئته. انظر: **شذا العرف** ص ٦١.

(٦) انظر: **تفسير الطبري** ٣/ ١٣١، **ومفردات ألفاظ القرآن الكريم** ص ٦٥٤ (ق ب ل)، **والبحر المحيط** ١/ ٥٩١، **وتفسير أبي السعود** ١/ ١٧١، **والتحرير والتنوير** ٢/ ٨.

(٧) **التحرير والتنوير** ٢/ ٩.

(٨) انظر: **تفسير الطبري** ٣/ ١٣١، **وزاد المسير** ص ٩٢، **والبحر المحيط** ١/ ٥٩٤، وهو الذي نقل الإجماع عن «بعض المفسرين»، ثم بين أن هناك من خالف فيه.

على هذا القول هم المشركون لا غيرهم، والمعنى: أن المسلمين كانوا بمكة يستقبلون الكعبة، ثم لما قدموا المدينة استقبلوا بيت المقدس، فقال المشركون عائبين عليهم ذلك: ما الذي صرفهم عن استقبال البيت الحرام إلى استقبال بيت المقدس؟[١].

المسألة الثامنة: في اللام المتصلة بلفظ الجلالة من قوله تعالى ﴿لِلَّهِ﴾: هذه هي لام الملك، وبعضهم يعبر عنها بلام الاختصاص[٢]، فمعنى قوله تعالى ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾: لله ملك المشرق والمغرب وما بينهما[٣].

المسألة التاسعة: في معنى قوله تعالى ﴿يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: أي: يسدد ويوفق من يشاء من خلقه إلى الطريق القويم الذي لا اعوجاج فيه، والمقصود هنا أن الله تعالى قد أرشد نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أن يقول ما معناه: إن الله هدانا بالتوجه شطر المسجد الحرام لقبلة إبراهيم، وأضلكم أيها السفهاء عنها، فخذلكم عما هدانا له من ذلك[٤].

المسألة العاشرة: في العلاقة بين جملة ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ وجملة ﴿يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: بيَّن الله عز وجل في الجملة الأولى صحة استقبال أيِّ قبلة يوجه الله تعالى إليها عباده، وعرَّض في الجملة الثانية بأن القبلة التي هدى إليها المسلمين -وهي المسجد الحرام- أهدى وأقوم، فالجملة الأولى لبيان وجه صحة الاستقبال، والثانية لبيان وجه ترجيح إحدى القبلتين على الأخرى[٥].

---

(١) انظر: **البحر المحيط** ١/ ٥٩٤، **والتحرير والتنوير** ٢/ ٥، ٩. وإلى هذا القول مال ابن عاشور.

(٢) الكلام في هذا الجزء من الآية كالكلام في قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥]، ينطبق عليه ما قيل في تلك الآية. انظر: **تفسير الطبري** ٢/ ٥٢٦، **والمحرر الوجيز** ١/ ١٩٩، **ومعاني الحروف للرماني** ص ٥٥، **وتفسير الرازي** ٤/ ٢٠، **والبحر المحيط** ١/ ٥٩٤، **ومغني اللبيب** ص ٢٣٤. وأكثر اللغويين على التفريق بين لام الملك ولام الاختصاص، فهي لام ملك في نحو: المال لزيد، وهي لام الاختصاص في نحو: السرج للدابة. انظر: **معاني الحروف** ص ٥٥، **ومغني اللبيب** ص ٢٣٣، ٢٣٤، **وشرح ابن عقيل على الألفية** ٢/ ٢١، ٢٢.

(٣) انظر: **تفسير الطبري** ٣/ ١٤٠، **وتفسير الرازي** ٤/ ٨٥.

(٤) انظر: **تفسير الطبري** ٣/ ١٤٠، ١٤١، **والمحرر الوجيز** ١/ ٢١٨، **والجامع لأحكام القرآن** ٢/ ١٤٨، **وتفسير ابن كثير** ٢/ ٧، **والتحرير والتنوير** ٢/ ١٢.

(٥) انظر: **روح المعاني** ٢/ ٤٠٢، **والتحرير والتنوير** ٢/ ١٢.

المسألة الحادية عشرة: في تقرير الحجة التي أمر الله تعالى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يحاجهم بها: قال الله تعالى لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة البقرة:١٤٢]، وهذا هو الرد الذي أوحاه الله جل وعلا إلى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آمراً له بأن يقوله للسفهاء إذا قالوا مقالتهم هذه، وهو رد مفحم قاطع، مضمونه: أن الله تبارك وتعالى هو مالك الجهات كلها، فالأرض جميعاً ملكه وتحت تصرفه، وليست العبرة في استقبال جهة بعينها إلا امتثال أمره؛ فنحن عبيده؛ فحيثما وجَّهَنا توجهنا، فالطاعة في امتثال أمره، سواءٌ في ذلك التوجهُ إلى بيت المقدس والتوجهُ إلى البيت الحرام، إلا أنه قد اختص هذه الأمة بأن هداهم إلى القبلة الحسنى، وهي قبلة إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن، التي بنيت على اسم الله وحده لا شريك له[(١)].

وفي هذا الجواب إعراض عن إجابتهم على سؤالهم عن السبب الداعي لتحويل القبلة؛ لأن إنكارهم كان عن عنادٍ لا عن طلبٍ للحق، فأجيبوا بما لا يبين لهم حكمة التحويل، ولا سبب أحقية الكعبة بالاستقبال[(٢)].

المطلب الثاني: تفسير الآية (١٤٣).

وهي قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة البقرة:١٤٣]،

وفيها أربع عشرة مسألة:

---

(١) انظر: **تفسير الطبري** ٣/ ١٤٠، ١٤١، و**تفسير الرازي** ٤/ ٨٥، و**تفسير ابن كثير** ٢/ ٧.

(٢) **صحيح البخاري**، كتاب التفسير، باب ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ ح(٤٤٨٧)، ٨/ ٢١٥. وقوله في آخر الحديث «والوسط العدل» هو مرفوع من قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وليس بمدرج، وقد ورد في مواضع من الصحيح وغيره ألفاظ أخرى للحديث تؤيد ذلك. انظر: **تفسير ابن كثير** ٢/ ٨، و**فتح الباري** ٨/ ٢١٦.

المسألة الأولى: في ذكر الحديث المرفوع الوارد في تفسيرها: روى البخاري في صحيحه بإسناده عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يدعى نوح يوم القيامة، فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيشهدون أنه قد بلغ، ويكون الرسول عليكم شهيداً، فذلك قوله جل ذكره:** ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [سورة البقرة:١٤٣]، **والوسط العدل**»[(١)].

المسألة الثانية: في تفسير قوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾: أي: كما هديناكم أيها المؤمنون وخصصناكم بالتوفيق لملة إبراهيم وملته وفضلناكم بذلك على أهل الأديان فكذلك خصصناكم بتفضيلكم على سائر الأمم أن جعلناكم أمة وسطاً، وهذا أقرب ما قيل في المشبه به المشار إليه ب(ذلك)، وإلا ففيه أقوال أخرى[(٢)].

المسألة الثالثة: في معنى قوله تعالى ﴿وَسَطًا ﴾: أي: عدولاً، وقد ثبت هذا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الحديث المذكور قبل قليل، وعبر عنه بعض المفسرين بتفسير (الوسط) بأنه: الخِيَارُ العُدولُ.

وأصل (الوسط) في لغة العرب: المتوسِّط في موضعه، وخير الأشياء أوساطها، فهو وصف هذه الأمة أنهم خِيارٌ مُصْطَفَوْنَ من بين الأمم، ويلزم من الخيرية أن يكونوا عدولاً في الشهادة[(٣)]، ولما كان المقام في الآية وكذا في الحديث المرفوع الذي اشتمل على تفسيرها مقام شهادة هذه الأمة على سائر الأمم روعي في تفسيرها أهم وصف يناسبه من أوصاف الخيار، وهو العدالة، وهو تفسير النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن فسر من المفسرين الوسط بالخيار راعى

(١) انظر: **التحرير والتنوير** ٢/ ١٣.
(٢) انظر: **تفسير الطبري** ٣/ ١٤١، و**البحر المحيط** ١/ ٥٩٥.
(٣) انظر نحوه في: **معجم مقاييس اللغة** ٦/ ١٠٨ (و س ط)، و**زاد المسير** ص ٩٢، و**الجامع لأحكام القرآن** ٢/ ١٤٩، ١٥٠، و**التحرير والتنوير** ٢/ ١٨.

أصل الكلمة ودلالتها لتوضيح المراد، وإلا فالمعنيان متلازمان[1].

المسألة الرابعة: في تفسير قوله تعالى ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾: مضى في المسألة الأولى في هذه الآية رواية البخاري لحديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً، وقد دل على أن نوحاً عليه السلام يستشهد نبينا محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمته، وقد رواه الإمام أحمد بلفظ مقارب إلا أنه أوضح سياقاً، وأدل على المقصود، ففيه: « قال: فيدعون فيشهدون له بالبلاغ، قال: ثم أشهد عليكم»[2].

فهذا هو المقصود بشهادة هذه الأمة على الأمم، وقيل: إن المراد بقوله تعالى ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ ما رواه أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرَّ عليه بجنازة فأثني عليها خيراً، فقال: «**وجبت وجبت وجبت**»، **ثم مر عليه بأخرى، فأثني عليها شراً، فقال: «وجبت وجبت وجبت»، ثم قال: « فقال رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **من أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شراً وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض**»[3]، وفي بعض روايات الحديث بإسناد فيه ضعف أنه تلا في آخره قول الله تعالى ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾[4].

فعلى القول الأول يكون المراد بالناس في الآية: الأمم السابقة، **وعلى القول الثاني**: هذه الأمة يشهد بعضها على بعض.

والمتأمل في سياق الآيات، حين يرى أن المقام مقام مقارنة بين الأمم، وكون هذه الأمة وسطاً بينها وخياراً وعدولاً، إضافة إلى أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تلا الآية عند ذكر شهادة هذه

(١) انظر نحوه في: **روح المعاني** ٢/ ٤٠٣.

(٢) رواه **الإمام أحمد في مسنده** (١١٢٨٣) ١٧/ ٣٨٣، وصحح إسناده محققو المسند (ط. الرسالة).

(٣) رواه **مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز**، ح(٩٤٩) ٣/ ١٨، ١٩.

(٤) أخرج هذه الزيادة الحاكم في **المستدرك**، ح(٣٠٦١) ٢/ ٢٩٤، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، إنما اتفقا على «وجبت» فقط»، وقال الذهبي في التلخيص عن أحد رواة الحديث:« مصعب ليس بالقوي».

الأمة على الأمم السابقة، ليرى بوضوح أن القول الأول أرجح من القول الثاني، وإن كان لفظ الآية يصلح لعموم شهادة هذه الأمة على السابقين، وعلى بعضهم[١].

المسألة الخامسة: في وجه شهادة هذه الأمة على الأمم السابقة: هذه الأمة لم تدرك الأمم السابقة، ومع ذلك فشهادتها تجوز عليهم لأنها مبنية على خبر الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى، فصدقوه، وشهدوا بما أخبرهم به[٢].

المسألة السادسة: في شهادة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هذه الأمة: اختلف العلماء في المشهود به على هذه الأمة، فقيل: شاهداً عليكم بأنه قد بلغكم، وقيل: شاهداً عليكم بأعمالكم، وقيل: شاهداً لكم بإيمانكم به وبما جاء به، وقيل: شاهداً لكم بتزكيتكم وتعديلكم بعد أن شهدتم على الأمم[٣].

وعلى القولين الأخيرين عديت الشهادة ب(على) مع أن الشهادة لهم لا عليهم إما للمشاكلة مع ما قبلها، أو لتضمين الشهادة معنى الرقابة أو الهيمنة[٤].

المسألة السابعة: في معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا﴾: أي: وما شرعنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول، فهو متعدٍّ إلى مفعول واحد، وهو من جنس جَعْلِ الإيجاد لا جَعْلِ التصيير، فلما كان المجعول من شؤون التشريع عبر عنه بما يناسبه، فقيل: وما شرعنا...[٥].

وقيل: بل هو من جَعْلِ التصيير الذي ينصب مفعولين، والمعنى: وما صيَّرنا ...[٦].

والقول الأول أرجح، إذ هو أقرب لظاهر الآية، وأبعد عن الحذف والتقدير.

---

(١) ممن قال بشمول الآية للمعنيين ابن عاشور في **التحرير والتنوير** ٢/ ٢١.
(٢) انظر: **تفسير الطبري** ٣/ ١٤٥، ١٤٦، ١٥١، **والمحرر الوجيز** ١/ ٢١٩.
(٣) انظر هذه الأقوال في: **تفسير الطبري** ٣/ ١٤٦، **والجامع لأحكام القرآن** ٢/ ١٥٢، **والبحر المحيط** ١/ ٥٩٦.
(٤) انظر: **الكشاف** ١/ ١٩٨، **وتفسير البيضاوي** ١/ ٩٢، **والتحرير والتنوير** ٢/ ٢٢.
(٥) انظر: **تفسير ابن كثير** ٢/ ١٠، **والتحرير والتنوير** ٢/ ٢٣.
(٦) انظر: **البحر المحيط** ١/ ٥٩٦، ٥٩٧، **وتفسير أبي السعود** ١/ ١٧٣.

وقد اختلف القائلون بأن الجعل بمعنى التصيير في تعيين المفعولين على عدد من الأقوال:

فقيل:.المفعول الأول: (القبلة)، والمفعول الثاني: محذوف تقديره: (وِجهةً) أو (قبلةً) أو (منسوخةً) أو (كائنةً)، وعلى هذا القول - أياً كان التقدير - يكون قوله تعالى ﴿ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ﴾ نعتاً لـ﴿ٱلۡقِبۡلَةَ﴾.

وقيل: المفعول الأول: (القبلة)، والمفعول الثاني: (التي كنت عليها)، أي: وما جعلنا القبلة هي الجهة التي كنت عليها إلا لنعلم ...

وقيل: المفعول الأول: (التي كنت عليها)، والمفعول الثاني: (القبلة)، أي: وما جعلنا الجهة التي كنت عليها هي القبلة إلا لنعلم ...[1].

المسألة الثامنة: في تعيين القبلة المقصودة بقوله تعالى: ﴿ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ﴾: أكثر المفسرين على أن المراد بالقبلة التي كانوا عليها هي بيت المقدس، وهو ظاهر الآية؛ إذ هي القبلة التي كانوا عليها قبل نسخها بهذه الآيات، وقال بعضهم: بل المقصود الكعبة؛ إذ كانوا يستقبلونها لما كانوا بمكة، وقيل: بل ﴿ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ﴾ هنا بمعنى: (القبلة التي أنت عليها)، كقوله تعالى﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾[سورة آل عمران:١١٠]، ومن قال: المقصودُ الكعبةُ كان المعنى عنده: وما رددناك إلى القبلة الأولى إلا لنعلم[2].

المسألة التاسعة: في تفسير العلم الواقع في قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ﴾: اختلف العلماء في تفسير العلم في هذه الآية؛ لأن الله تبارك وتعالى عالم بما كان وما سيكون، فقيل: المراد: إلا ليعلم رسولي وأوليائي، وقيل: إلا ليظهر، وقريب منه من قال: إلا لنرى، وكل هذه الأقوال محتملة، وقيل: إلا لتعلموا أيها السفهاء، وهو بعيد[3].

(١) انظر: **الكشاف** ١/ ١٩٩، **والبحر المحيط** ١/ ٥٩٦، ٥٩٧، **وروح المعاني** ٢/ ٤٠٤.

(٢) انظر:.**المحرر الوجيز** ١/ ٢١٩، ٢٢٠، وت**فسير الرازي** ٤/ ٩٤، **والبحر المحيط** ١/ ٥٩٦، ٥٩٧.

(٣) القول الأول اختيار الطبري، والثاني قول ابن كثير، والثالث استظهره القرطبي. انظر: **تفسير الطبري** ٣/ ١٥٨، ١٦٢، **والجامع لأحكام القرآن** ٢/ ١٥٢، ١٥٣، **وتفسير ابن كثير** ٢/ ١٠.

المسألة العاشرة: في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾: أي إنما شرعنا لك يا نبينا التوجه أولاً إلى بين المقدس ثم صرفناك عنه إلى الكعبة ليظهر حال من يتبعك ويطيعك ويستقبل معك حيثما توجهت ممن ينقلب على عقبيه، فيرتد عن دينه(١).

المسألة الحادية عشرة: في تفسير قوله تعالى ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾: أي: وإن تحويل القبلة وصرفكم عنها وتوليتكم لقبلة أخرى لأمر عظيم شاق إلا على من وفقه الله عز وجل، فهداه للتصديق والإيمان والامتثال(٢).

وقد أُنِّثَ لفظُ (كبيرة) لأنه وصف لـ(التولية) أو (القبلة التي جرى فيها التحويل)، وقيل غير ذلك(٣).

وإنما كانت كبيرة عظيمة على النفوس إلا من هدى الله لأن تحويل القبلة أول نسخ وقع في الإسلام، فمن لم يألف النسخ، ولم يعلم حكمته، سيكون عظيماً عليه أن يتغير عليه التشريع إلا من وقر الإيمان في قلبه، وانقاد للشرع، وأسلم وجهه لله، ولم يقع في قلبه اعتراض، فهو الذي هداه الله ووفقه(٤).

المسألة الثانية عشرة: في سبب نزول قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾: هذه الآية شأنها شأن بقية آيات تحويل القبلة التي يتناولها هذا البحث، فهي نازلة في شأن تحويل القبلة، نزلت جواباً على من سأل عن حال من مات قبل تحويل القبلة، وقد كان يصلي إلى بيت المقدس ماذا يكون من شأنهم، جاء ذلك في الحديث الصحيح الذي رواه البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وفيه: «**وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحول قِبَل البيت رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم، فأنزل الله** ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾»(٥).

---

(١) انظر: زاد المسير ص ٩٢، وتفسير ابن كثير ٢/ ١٠.
(٢) انظر: تفسير الطبري ٣/ ١٦٤، ١٦٦، وزاد المسير ص٩٣.
(٣) انظر: تفسير الطبري ٣/ ١٦٤، ١٦٥، والبحر المحيط ١/ ٥٩٨.
(٤) انظر: تفسير ابن كثير ٢/ ١٠.
(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ.﴾ ح (٤٤٨٦) ٨/ ٢١٤.

وقد تقدم أن **الأرجح** في نزول آيات تحويل القبلة كان قبل تحويل القبلة، وعليه فنزول هذا الجواب حصل قبل حدوث السؤال، فيحتمل نشوء السؤال لدى بعض الصحابة الذين لم تبلغهم الآيات، بل بلغهم خبر تحويل القبلة، فطرأ لهم هذا السؤال، ثم بلغتهم الآيات التي احتوت على الجواب الشافي لسؤالهم؛ إذ لم أقف على من قال بتأخر نزول هذا الجزء من الآية عن بقية الآيات، والله أعلم.

المسألة الثالثة عشرة: في تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾: أي: وما كان الله ليحبط أجر إيمانكم بالقبلة، وتصديقكم لرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بصلاتكم التي صليتموها نحو بيت المقدس عن أمره، لأن ذلك كان منكم تصديقاً لرسول الله، واتباعاً لأمر الله، وطاعة له[1].

فعلى هذا المراد بالإيمان: التصديق، وهو المعروف في لغة العرب، وأشير به إلى الصلاة في هذا الموضع لظهور الإيمان في استقبالهم القبلة التي أمروا بها، وتأديتهم الصلاة مستقبلينها، وانقيادهم لأمر الله فيها. وهذا اختيار الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ووجَّه قول من قال من السلف: «الإيمان: الصلاة» بما ذكر قبل قليل.

وقيل: سميت الصلاة إيماناً لأنها أعظم أركانه، أو لاشتمالها على قول وعمل ونية[2].

المسألة الرابعة عشرة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: أي: إن الله تعالى بجميع الناس ذو رأفة ورحمة، ومن رأفته بهم ورحمته لهم أنه لا يضيع لهم ثواب طاعة أطاعوه بها، ومن ذلك اختيار القبلة الحسنى لهم، وألَّا يؤاخذهم بما صلوا قبل ذلك إلى غير الكعبة[3].

(١) انظر: تفسير الطبري ٣/ ١٦٩، والبحر المحيط ١/ ٥٩٩، ٦٠٠، وتفسير ابن كثير ٢/ ١١.
(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٢/ ١٥٣، والبحر المحيط ١/ ٥٩٩، ٦٠٠، والتحرير والتنوير ٢/ ٢٥.
(٣) انظر: تفسير الطبري ٣/ ١٧٠، ١٧١، وتفسير أبي السعود ١/ ١٧٤.

المبحث الثالث:

تفسير الآيات ١٤٤-١٤٨

وهي قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾﴾ [سورة البقرة:١٤٤ - ١٤٨].

المطلب الأول: تفسير الآية (١٤٤).

وهي قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾، وفيها سبع مسائل:

المسألة الأولى: في معنى (قد) في قوله تعالى ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾: (قد) هنا تفيد التحقيق على الأرجح، ويؤخذ من الفعل المضارع بعدها الدلالة على التجدد، ويؤخذ من قوله تعالى بعدها (تقلُّب) تَكَرُّرَ ذلك مراراً[(١)]. وقيل: إن (قد) هنا للتكثير، وقيل: للتقليل[(٢)].

المسألة الثانية: في تفسير قوله تعالى ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾: أي: إننا يا نبينا - عليه الصلاة والسلام- لنرى تحوُّلَ وتصرُّفَ وجهك في جهة السماء، تشوفاً للوحي الرباني باستقبال المسجد الحرام، فكان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو الله جل وعلا وينظر إلى السماء، حتى نزلت هذه الآية[(٣)].

(١) انظر: **البحر المحيط** ١/ ٦٠١، ٦٠٢، **والتحرير والتنوير** ٢/ ٢٧.
(٢) انظر: **الكشاف** ١/ ٢٠٠، **وتفسير البيضاوي** ١/ ٩٢، **وروح المعاني** ٢/ ٤٠٧.
(٣) انظر: **تفسير الطبري** ٣/ ١٧٢، **والكشاف** ١/ ٢٠٠، **والجامع لأحكام القرآن** ٢/ ١٥٤. وقد اختلفوا في كيفية هذا التقلب، وهل كان مع

المسألة الثالثة: في تفسير قوله تعالى ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ هذه بشارة من الله تعالى لنبيه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بتحويل القبلة قبل الأمر بذلك، حيث وعده الله سبحانه أنه سيصرفه إلى قبلة يحبها ويرتضيها، وأكد هذه البشارة باللام الدالة على تقدير القسم[1].

وقد صُدِّرت هذه العِدَة من الله تعالى بفاء السببية الدالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها، فرغبة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في استقبال المسجد الحرام سببٌ في الأمر بذلك إكراماً من الله تعالى له[2].

ولما كان ميل النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلى استقبال المسجد الحرام عن تعقل وتبصر في الأمور وموازنة بين المصالح عُبِّرَ عن وصف القبلة بقول الله جل وعلا: ﴿تَرْضَىٰهَا﴾، ولم تأت لفظة: (تهواها) أو (تحبها)، بخلاف ما سيأتي في الآية اللاحقة من وصف آراء اليهود لما نهى نبيه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن اتباعهم بأنها (أهواء)، فقال: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ...﴾[3].

المسألة الرابعة: في تفسير قوله تعالى ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: هذا الجزء من الآية هو لب اللباب، والمقصد من الآيات، وما قبله تمهيد، وما بعده تأكيد؛ فهو الأمر المباشر باستقبال المسجد الحرام.

فقد أمر الله نبيه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ باستقبال المسجد الحرام، وكان الأمر موجهاً إليه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ تكريماً له باعتبار ما في الأمر من إرضاء رغبته، وسيعقبه بتشريك الأمة معه في الأمر في الجملة اللاحقة من الآية[4].

الدعاء أم بدون دعاء، على أقوال، والذي جاء عن ابن عباس من رواية علي ابن أبي طلحة السابقة ص (٥) هو أنه كان يدعو وينظر إلى السماء. انظر للاستزادة: **تفسير الرازي** ٤/ ١٠٠، ١٠١، و**روح المعاني** ٢/ ٤٠٧.

(١) انظر: **تفسير الطبري** ٣/ ١٧٥، و**الكشاف** ١/ ٢٠١، و**روح المعاني** ٢/ ٤٠٧.

(٢) انظر: **تفسير أبي السعود** ١/ ١٧٤، و**التحرير والتنوير** ٢/ ٢٩.

(٣) انظر: **التحرير والتنوير** ٢/ ٢٨.

(٤) انظر: **تفسير الرازي** ٤/ ١١١، و**تفسير البيضاوي** ١/ ٩٣، و**التحرير والتنوير** ٢/ ٢٨.

والأصل في إطلاق المسجد الحرام أنه حرم الكعبة وما حولها من موضع الطواف والصلاة، إلا أن المراد به هنا الكعبة الشريفة على قول أغلب المفسرين، لما علم من أن القبلة هي الكعبة لا جملة البيت، والعرب تعبر عن الشيء بما يجاوره أو بما يشتمل عليه[١].

وعلل بعض المفسرين للتعبير عن الكعبة بالمسجد الحرام بأنه إشارة إلى السعة في شأن القبلة، وأن فرض البعيد عنها التوجه ناحيتها[٢].

والشطر في لغة العرب له أصلان، أحدهما يدل على نصف الشيء، ويدل الآخر على المواجهة والبُعد، وهو هنا من الأصل الثاني[٣]، فمعنى ﴿شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي: جهة المسجد الحرام وتلقاءه[٤].

وعبر بالوجه - والمراد الاستقبال بالبدن كله - لمقابلة قوله تعالى ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾ بقوله ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾، ولأنه أشرف الأعضاء، وبه يتميز توجُّه الإنسان[٥].

المسألة الخامسة: في تفسير قوله تعالى ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ هذا تشريك للأمة مع النبي ﷺ في الأمر باستقبال المسجد الحرام، لئلا يفهم من قوله تعالى ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ اختصاص ذلك بالنبي ﷺ[٦].

---

(١) انظر: **أحكام القرآن لابن العربي** ١/ ٦٤، و**الجامع لأحكام القرآن** ٢/ ١٥٥، و**التحرير والتنوير** ٢/ ٢٩، ٣٠. ونقل القرطبي الإجماع عليه.

(٢) انظر: **الكشاف** ١/ ٢٠١، ٢٠٢، و**تفسير أبي السعود** ٢/ ١٧٤.
وللعلماء في تعيين القبلة خلاف في بعض الأحوال، كمن كان بجوار الكعبة إلى أين يتوجه منها، ومن كان بعيداً عنها خارج المسجد أيلزمه استقبال عين الكعبة، ولا أطيل البحث بذكر هذه الأحوال والخلاف فيها؛ إذ تطول بالبحث في غير هدفه الأساس، وهي مبسوطة في كتب الفقه وكتب أحكام القرآن.

(٣) انظر: **معجم مقاييس اللغة** ٣/ ١٨٦، ١٨٨ (ش ط ر)، و**القاموس المحيط** ص ٤١٥ (ش ط ر). وظاهر قول الراغب في مفرداته ص ٤٥٣ (ش ط ر) أن مرد الأصلين واحد. وانظر: **البحر المحيط** ١/ ٦٠٣.

(٤) انظر: **تفسير الطبري** ٣/ ١٧٥، و**زاد المسير** ص ٩٣، ونقل الإجماعَ على ذلك، ونقل أبو حيان عن الجبائي والقاضي عبدالجبار أن المراد: منتصف المسجد. **البحر المحيط** ١/ ٦٠٣.

(٥) انظر: **تفسير الرازي** ٤/ ١٠٢، و**البحر المحيط** ١/ ٦٠٣.

(٦) انظر: **المحرر الوجيز** ١/ ٢٢٢، و**تفسير الرازي** ٤/ ١١١، و**تفسير البيضاوي** ص٩٣.

وفيه زيادة بيان أن استقبال المسجد الحرام واجب عليكم حيثما كنتم من شرق الأرض وغربها، وأن ذلك ليس خاصاً بمن كان قريباً من المسجد أو كان في جهات بعينها[1].

المسألة السادسة: تفسير قوله تعالى ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ يبين الله تعالى في هذه الآية أن علماء أهل الكتاب يعلمون أن التوجه نحو المسجد الحرام هو الحق الذي فرضه الله عز وجل[2].

وفي المراد بالذين أوتوا الكتاب قولان:

الأول: أنهم اليهود والنصارى، **والآخر**: أنهم اليهود خاصة، فمن نظر إلى شمول اللفظ قال بالأول، ومن نظر إلى مناسبة المقام قال بالثاني؛ إذ هم الذين قالوا: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها، ولعل من قال بذلك لم يقصد أن لفظ الآية لا يتناول غيرهم، وإنما هو من باب ذكر سبب النزول[3].

وقد اختلف العلماء في سبب معرفة أهل الكتاب بأن تحويل القبلة حق، وأكثرهم على أنهم يعلمون ذلك بما في كتبهم، سواء كان ذلك على جهة التصريح بأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيصلي إلى القبلتين، أو سيستقبل الكعبة، أو من باب اللزوم، لعلمهم بصدق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو لعلمهم بخراب المسجد الأقصى، أو لعلمهم بجواز النسخ، والله أعلم[4].

المسألة السابعة: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ يهدد الله تعالى أهل الكتاب الذين يعلمون صدق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحة ما أوحي إليه من استقبال الكعبة ثم يكتمون ذلك بأن الله ليس ساهياً عما يعملونه، ولكنه يحصيه ليجازيهم عليه[5].

(١) انظر: **تفسير الرازي** ٤/ ١١١، و**التحرير والتنوير** ٢/ ٣٠.
(٢) انظر: **تفسير الطبري** ٣/ ١٨٣.
(٣) وهو ظاهر في قول السدي وإليه ينسب هذا القول :«أنزل ذلك في اليهود». انظر: **تفسير الطبري** ٣/ ١٨٣، و**البحر المحيط** ١/ ٦٠٤، و**تفسير ابن كثير** ٢/ ١٤.
(٤) انظر: **الكشاف** ١/ ٢٠٢، و**الجامع لأحكام القرآن** ١/ ١٥٦، و**تفسير ابن كثير** ٢/ ١٤، و**التحرير والتنوير** ٢/ ٣٤.
(٥) انظر: **تفسير الطبري** ٣/ ١٨٤، و**تفسير ابن كثير** ٢/ ١٤، و**التحرير والتنوير** ٢/ ٣٤.

المطلب الثاني: تفسير الآية (١٤٥).

وهي قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (١٤٥)﴾، وفيها أربع مسائل:

المسألة الأولى: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ يخبر الله تعالى نبيه أنه لو أتى الذين أوتوا الكتاب بكل برهان وحجة لما اتبعوا قبلته، فإن انصرافهم عن الكعبة وإنكارهم لاستقبالها ليس لعدم علمهم بأن استقبالها حق، بل العناد والاستكبار هو الذي دفعهم لإنكار استقبالها، ومثل هؤلاء لا ينفع معهم حشد الحجج لإقناعهم[(١)].

وقد أكد الله تبارك وتعالى أنهم لا يتبعون قبلته بصيغة القسم المقدر بدلالة اللام الموطئة له، كما أكده بأن وضع الاسم الموصول ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ موضع الضمير للإيذان بكمال سوء حالهم من العناد مع كونهم قد أوتوا الكتاب الذي فيه صحة ما أنكروه[(٢)].

المسألة الثانية: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ يخبر تعالى عن نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واتباعه لأمر ربه واستمساكه به في مقابل استمساك أهل الكتاب بأهوائهم بأنه ليس بمتبع قبلتهم. وقد اختلف المفسرون في ماهية المنفي هنا:

فقيل: المنفي هنا هو أن يكون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد استقبل بيت المقدس لكونها قبلتهم، بل كان استقباله عن أمر الله تبارك وتعالى.

وقيل: المنفي هنا هو القدرة على استقبال قبلة اليهود والنصارى في آنٍ معاً، فإن اليهود يستقبلون بيت المقدس، والنصارى يستقبلون المشرق دوماً.

(١) انظر: تفسير الطبري ٣/ ١٨٤، ١٨٥، وتفسير الرازي ٤/ ١١٣، وتفسير ابن كثير ٢/ ١٥.
(٢) انظر: المحرر الوجيز ١/ ٢٢٢، وتفسير أبي السعود ١/ ١٧٥.

وقيل: المنفي هنا هو نسخ القبلة مرة أخرى إلى بيت المقدس، وفيها تأكيد أن استقبال الكعبة لن ينسخ.

وقيل: هو خبر بمعنى الأمر، أي فلا تتبع قبلتهم.

وقيل: المنفي هنا هو أن يتبع النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قبلتهم بعد إذ حوله الله جل وعلا إلى استقبال الكعبة، وحاشاه أن يدع أمر الله عز وجل ابتغاء رضا اليهود(١).

وأقربها من ظاهر الآية الأخير، فإنه قد جاء في مقابلة نفي أن يتبع الذين أوتوا الكتاب قبلة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لتمسكهم بقبلتهم، وسيعقبه نفي اتباع بعضهم لقبلة بعض لتمسك كل فريق بقبلته، وحري بها أن يكون معناها نفي استقبال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لقبلتهم تمسكاً بأمر الله تعالى وطاعة له، ويفهم منه تأييد الله جل وعلا لنبيه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في استمساكه بأمر ربه في استقبال الكعبة، وتأييس أهل الكتاب أن يميل النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إلى أهوائهم، فيتبع قبلتهم متألفاً لهم(٢).

المسألة الثالثة: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖ﴾ يبين الله جل وعلا أن أهل الكتاب مختلفون في قبلتهم، فاليهود يستقبلون بيت المقدس، والنصارى يستقبلون المشرق، فما اليهود بتابعي قبلة النصارى، وما النصارى بتابعي قبلة اليهود، فلا تطلب رضاهم في اتباع قبلتهم، فإنك إن اتبعت قبلة اليهود أسخطت النصارى، وإن اتبعت قبلة النصارى أسخطت اليهود(٣).

المسألة الرابعة: في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِۙ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الخطاب للنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، والمعنى: لئن اتبعت يا نبينا رضا هؤلاء اليهود والنصارى فعدت إلى قبلتهم من بعد ما أعلمناك أنهم مقيمون على باطل وعناد ومعرفة منهم

(١) انظر هذه الأقوال في: **تفسير الطبري** ٣/ ١٨٥، **والمحرر الوجيز** ١/ ٢٢٣، **والتفسير الكبير** ٤/ ١١٤، وتفسير ابن كثير ٢/ ١٥.
(٢) انظر: **روح المعاني** ١/ ٤١٠، **والتحرير والتنوير** ٢/ ٣٦.
(٣) انظر: **تفسير الطبري** ٣/ ١٨٥، ١٨٦، **والكشاف** ١/ ٢٠٢.

أن القبلة التي وجهناك إليها هي الحق إنك حينئذ لمن الظالمين أنفسهم بمخالفة أمري وترك طاعتي[١].

وحاشى نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يدع أمر الله باستقبال الكعبة ويتبع قبلة اليهود والنصارى، ولكن الخطاب وإن كان له فإن أمته تبع له في ذلك، وهم المقصودون في الحقيقة، ووجه الخطاب إليه خاصة تهويلاً للأمر وتعظيماً له[٢].

المطلب الثالث: تفسير الآيتين (١٤٦، ١٤٧).

وهي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾، وفيها ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾: يبين الله تبارك وتعالى أن أحبار اليهود وعلماء النصارى يعرفون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصدقه يقيناً كمعرفتهم بأبنائهم، وقيل: بل المراد: يعرفون صحة استقبال المسجد الحرام[٣].

المسألة الثانية: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: أي: وإن طائفة من علماء أهل الكتاب يخفون الحق الذي علموا صحته مما جاء به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أمر القبلة أو غيره[٤].

المسألة الثالثة: تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ أي: إن ما أوحاه الله عز وجل إليك من أمر القبلة هو الحق، لا ما قاله لك أحبارهم وعلماؤهم، فلا تكونن من الشاكين، وحاشى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يشك في أمر ربه الذي أوحاه إليه، ولكن الخطاب

(١) انظر: تفسير الطبري ٣/ ١٨٦، ١٨٧.
(٢) انظر: تفسير الرازي ٤/ ١١٥، والجامع لأحكام القرآن ٢/ ١٥٧، وتفسير ابن كثير ٢/ ١٥.
(٣) انظر: تفسير الطبري ٣/ ١٨٧، ١٨٨، وزاد المسير ص ٩٤.
(٤) انظر: المحرر الوجيز ١/ ٢٢٤، والتحرير والتنوير ٢/ ٤٠.

وإن كان موجهاً إليه فإن المقصود أمته[1].

المطلب الرابع: تفسير الآية (١٤٨).

وهي قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وفيها مسألتان:

المسألة الأولى: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ هذا توجيه للمؤمنين، بعد أن وضح عناد أهل الكتاب، فبين أن لكل أهل دين وملةٍ قبلةً يتوجهون إليها، فلا يشغلنكم جدالهم، ولا يهمنكم خلافهم، بل اهتموا بالمقصد، وهو المسارعة إلى الخيرات والطاعات وامتثلوا أمر الله جل وعلا[2].

المسألة الثانية: في تفسير قوله تعالى: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ بعد أن بين الله تبارك وتعالى في مبدأ الآية أن الله قد افترض على هذه الأمة استقبال الكعبة وحثهم على المسارعة في الخيرات بين أنه سيجمع الناس جميعاً، من استقبل الكعبة وغيره، ثم يجزي كلاً بعمله، والله قادر على ذلك، وعلى كل شيء[3].

(١) انظر: تفسير الطبري ٣/ ١٩٠، ١٩١، وتفسير الرازي ٤/ ١١٨، وتفسير أبي السعود ١/ ١٧٦.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٢/ ١٦، والتحرير والتنوير ٢/ ٤١.
(٣) انظر: تفسير الطبري ٣/ ١٩٧، وتفسير الرازي ٤/ ١٢٤.

المبحث الرابع:

تفسير الآيتين ١٤٩-١٥٠

وهما قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ [سورة البقرة:١٤٩ -١٥٠].

المطلب الأول: تفسير الآية (١٤٩).

وهي قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، وفيها مسألتان:

المسألة الأولى: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: ومن أي موضع خرجت يا نبينا إلى أي موضع أردت فاستقبل المسجد الحرام[1].

المسألة الثانية: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ يؤكد الله جل وعلا أن نسخ القبلة، والأمر باستقبال الكعبة هو الحق منه سبحانه[2].

المطلب الثاني: تفسير الآية (١٥٠).

وهي قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، وفيها ست مسائل:

المسألة الأولى: في سبب تكرار الأمر بالتوجه شطر المسجد الحرام: اختلف المفسرون في سبب

(١) انظر: تفسير الطبري ٣/ ١٩٨.
(٢) انظر: البحر المحيط ١/ ٦١٣، وروح المعاني ١/ ٤١٥، والتحرير والتنوير ٢/ ٤٥.

تكرار الأمر بالتولية شطر المسجد الحرام، وذلك أن الله تعالى قال في مبدأ الأمر بالتوجه نحو المسجد الحرام: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾، ثم قال ثانيةً: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، ثم قال ثالثةً: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾؛ فأمر سبحانه بالتوجه شطر المسجد الحرام ثلاث مرات، وقد اختلف المفسرون في سبب ذلك على أقوال:

- **القول الأول**: هو أن التكرار للتأكيد، وذلك أن نسخ القبلة كان أول نسخ في الإسلام، وكان لأمر عظيم، فكان المقام مناسباً للتأكيد.

- **القول الثاني**: أن التكرار كان لتوطئة الكلام لما في سياقه، ففي الموضع الأول -وليس تكراراً- بيَّن الله جل وعلا أنَّ تحويل القبلة مرضاة للنبي ﷺ، أما الموضع الثاني فقد كُرِّر فيه الأمر بالتوجه إلى الكعبة لما اتصل به من بيان أن تحويل القبلة رضىً لله تعالى، والموضع الثالث كرر لما اتصل به من بيان حكمة التحويل، وأنه قطع لحجة المعاندين.

- **القول الثالث**: أنه ليس من باب التكرار، بل كل موضع حسب سياقه، ففي الموضع الأول بين سبحانه تحويل القبلة، وفي الموضع الثاني بين استواء الأمكنة، وفي الثالث بين استواء الأوقات.

- **القول الرابع**: أنه على حسب الأحوال: فبين في الموضع الأول قبلة من كان في المسجد الحرام، وفي الثاني قبلة من كان خارج المسجد، وفي الثالث قبلة من كان خارج مكة.

وقيل غير ذلك[1].

والراجح -والله أعلم- أنه التكرار قد اشتمل على غرضين: الأول: التأكيد؛ لمسيس

(١) انظر هذه الأقوال وغيرها في: **تفسير الرازي** ٤/ ١٢٤، ١٢٦، **والجامع لأحكام القرآن** ٢/ ١٦٣، **والبحر المحيط** ١/ ٦١٣، ٦١٤، **وتفسير ابن كثير** ٢/ ١٦، ١٧.

الحاجة إلى تأكيد النسخ؛ ومن تأمل حال الآيات وحال المسلمين آنذاك لم يستبعد التكرار للتأكيد، وذلك أن نسخ القبلة هو أول نسخ وقع في الإسلام، وهو مليء بالمؤكدات وقد سبقته الممهدات، كما سيتضح في المبحث القادم بإذن الله ، والغرض الثاني: اتصاله بما قبله وما بعده من السياق(١).

المسألة الثانية: في التفسير الإجمالي لقوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ هذه هي العلة الأولى التي ختم الله تعالى بها الأمر بالتوجه إلى الكعبة، والمعنى: ولوا وجوهكم شطر المسجد الحرام لكيلا يكون لأحد من الناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا أنفسهم بمجادلتكم ومحاجتكم بشبهٍ ومشاغباتٍ ظانين بذلك أنهم قد أوردوا عليكم حجة ودليلاً وبرهاناً(٢).

المسألة الثالثة: في تعيين المراد بالناس في قوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ اختلف أهل التفسير في المراد بالناس، وفي حجتهم التي كان قطعها من حِكم تحويل القبلة، وفي الذين ظلموا، وفي تقرير حجتهم التي ظنوها حجة:

- **القول الأول:** أن المراد بالناس اليهود، قطع الله حجتهم يوم قالوا: يخالف ديننا ويتبع قبلتنا، أو قولهم: ما درى محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأصحابه عن قبلتهم حتى هديناه إليها، وهم الذين ظلموا بمحاجتهم لكم بأن قالوا لما حولت القبلة: تحير محمد في قبلته -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

- **القول الثاني:** أن المراد بالناس مشركو العرب، قطع الله حجتهم يوم قالوا: يزعم اتباع دين إبراهيم ويخالف قبلته، وهم الذين ظلموا بمحاجتهم لكم حين قالوا لما حولت القبلة: عاد محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى قبلتنا، ويوشك أن يعود إلى ديننا.

(١) انظر: **الكشاف** ١/ ٢٠٤.

(٢) انظر: **الكشاف** ١/ ٢٠٤، و**الجامع لأحكام القرآن** ٢/ ١٦٤، ١٦٥، و**تفسير البيضاوي** ١/ ٩٤، ٩٥، و**التحرير والتنوير** ٢/ ٤٥ ٤٧.

- **القول الثالث**: أن المراد بالناس: اليهود، والمراد بالذين ظلموا: مشركي العرب، ويبعد هذا القول قوله تعالى ﴿مِنْهُمْ﴾.

- **القول الرابع**: أن الآية عامة، فالمراد بالناس جميع الناس، سواء من مشركي العرب أو اليهود، وقطع الله حجتهم أيَّاً ما كانت، إلا الذين ظلموا من المشركين واليهود فمجادلتهم لكم بما ظنوه حجة[1].

وهذا القول الأخير هو الأرجح، لشمول لفظ (الناس) للفريقين، ولتعريفها بـ(ال) الدالة على الاستغراق، ولما نقل عن المشركين وعن اليهود من الشغب على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين في شأن القبلة، ولما ترجح من عموم المراد بـ(السفهاء) في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾[2].

المسألة الرابعة: في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى﴾: هذا متعلق بما سبق من دحض الله تبارك وتعالى لشبه الظالمين، ورده لدعاويهم، ناهياً عباده المؤمنين عن خشيتهم؛ إذ لن يضروهم شيئاً، بل يجب أن يخشوه هو وحده لا شريك له؛ فلا يخالفوا أمره[3].

المسألة الخامسة: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ﴾ هذا معطوف على ما سبق من قوله تعالى قبلُ ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ الذي هو علة لقوله سبحانه قبلها: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، فهي العلة الثانية للأمر باستقبال المسجد الحرام[4]، أي: ومن أجل أن أتم نعمتي عليكم بما شرعت لكم من استقبال الكعبة شريعتكم، فأكمل به فضلي عليكم، وأتم به شرائع ملتكم الحنيفية من جميع وجوهها[5].

---

(١) انظر: **تفسير الطبري** ٣/ ١٩٩، ٢٠٦، **وزاد المسير** ص ٩٤، ٩٥، **وتفسير الرازي** ٤/ ١٢٦، ١٢٧، **والجامع لأحكام القرآن** ٢/ ١٦٤، ١٦٥، **والبحر المحيط** ١/ ٦١٤، ٦١٥.

(٢) رجح الطبري العموم في لفظ الناس. انظر: **تفسيره** ٣/ ٢٠١، وظاهر كلام الزمخشري في **الكشاف** ١/ ٢٠٤ وابن عاشور في **التحرير والتنوير** ٢/ ٤٦ العموم في (الناس) و(الذين ظلموا) بحيث يقصد بها المشركون واليهود. ولم أقف على من قال: إن هذه الآية يقصد بها المنافقون.

(٣) انظر: **البحر المحيط** ١/ ٦١٦، **وتفسير ابن كثير** ٢/ ١٨.

(٤) انظر: **تفسير الرازي** ٤/ ١٢٨.

(٥) انظر: **تفسير الطبري** ٣/ ٢٠٨، **وتفسير ابن كثير** ٢/ ١٨.

المسألة السادسة: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، هذه هي العلة الثالثة التي ذكرها الله جل وعلا من علل الأمر باستقبال الكعبة المشرفة، بيَّن فيها سبحانه أن من علل تحويل الكعبة رجاء هداية هذه الأمة إلى الأرشد والأكمل حينما يمتثلون أمر الله تعالى باستقبال الكعبة قبلة أبيهم الحنيف، حين اختصهم بذلك من بين سائر الأمم[1].

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٢/ ١٨، والتحرير والتنوير ٢/ ٤٧.

المبحث الخامس:

أوجه العناية الربانية بتحويل القبلة

إن المتأمل في نسخ القبلة وتحويلها من بيت المقدس إلى الكعبة -زادها الله تشريفاً ورفعة- ليرى عجباً وأصنافاً من أوجه عناية الله تعالى بهذا الأمر، ولطفه بالمؤمنين في هذا التوجيه الرباني الكريم، الذي يتجلى فيه قوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[سورة الأنعام:١٠٣]، وقوله تبارك وتقدس ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ [سورة الشورى:١٩].

وقبل مظاهر العناية الربانية بهذا الأمر نتبين شيئاً من ملامح الزمن الذي نزلت فيه هذه الآيات، إذ نزلت بعد هجرة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلى المدينة بسنة وعدة أشهر[١]، وذلك قبل غزوة بدر بقرابة شهرين، ولا يخفى ما في هذه المرحلة من حرج، إذ لم تقو شوكة المسلمين حينها، وكان اليهود ما زال لهم كيان قوي في المدينة، وهم أهل كتاب، وأهم من ذلك كله أن لم يقع النسخ في الإسلام من قبل بالإجماع[٢].

وفيما يلي عرض لأهم مظاهر العناية واللطف الرباني بأمر تحويل القبلة:

المظهر الأول: التمهيد والتوطئة للنسخ.

حيث بيَّن الله جل وعلا في آيات سابقة أن أهل الكتاب يحرفون كلام الله، ثم بين مشروعية النسخ، وأنه ما ينسخ من آية يأت بخير منها أو مثلها، ثم ذكر قصة إبراهيم الحنيف عليه السلام وبناءه البيت العتيق، ثم مهد لتحويل القبلة بأن أخبر مقدماً بما سيقوله السفهاء، ورد عليهم، ثم أمر بتحويل القبلة، ثم بين شيئاً من حكم هذا التحويل، وختم ذلك بأن بيَّن أن العناية بتزكية النفس أولى من العناية باستقبال الجهات بقوله ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾[سورة البقرة:١٧٧][٣].

(١) سبق ذلك ص (٣٦).

(٢) حكاه ابن عبدالبر في **التمهيد** كما سبق ص (٣٤).

(٣) انظر: **البداية والنهاية** ٣/ ٢٦٧، و**نظم الدرر** ٢/ ٢٠٣، و**التحرير والتنوير** ١/ ٢٠٢.

هـذا عـلى **وجـه الإجمـال**، أمـا عـلى **وجـه التفصيـل** فقـد أبـدع في ذلـك العلامـة ابـن القيـم رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذ يقـول:

«ولما كان أمـر القبلـة وشـأنها عظيـماً وطَّـأ - سـبحانه - قبلهـا أمـر النسـخ وقدرتـه عليـه، وأنـه يـأتي بخـير مـن المنسـوخ أو مثلـه، ثـم عقـب ذلـك بالتوبيـخ لمـن تعنـت رسـول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يَنْقَـدْ لـه، ثـم ذكـر بعـده اختـلافَ اليهـود والنصـارى، وشـهادةَ بعضِهـم عـلى بعـض بأنهـم ليسـوا عـلى شيءٍ، وحـذَّرَ عبـاده المؤمنـين مـن موافقتهـم واتبـاعِ أهوائهـم، ثـم ذكـر كفرَهـم وشركَهـم بـه، وقولَهـم: إن لـه ولـداً، سـبحانه وتعـالى عـما يقولـون علـواً، ثـم أخـبر أن لـه المـشرق والمغـرب، وأينـما يـولي عبـاده وجوههـم فثـم وجهـه، وهـو الواسـع العليـم، فلعظمتـه وسـعته وإحاطتـه أينـما يوجـه العبـد، فثـم وجـه الله.

ثـم أخـبر أنـه لا يسـأل رسـوله عـن أصحـاب الجحيـم الذيـن لا يتابعونـه ولا يصدقونـه، ثـم أعلمـه أن أهـل الكتـاب مـن اليهـود والنصـارى لـن يرضـوا عنـه حتـى يتبـع ملتهـم، وأنـه إن فعـل - وقـد أعـاذه الله مـن ذلـك - فـما لـه مـن الله مـن ولي ولا نصـير، ثـم ذَكَّـرَ أهـلَ الكتـاب بنعمتـه عليهم، وخوَّفَهـم مـن بأسـه يـوم القيامـة، ثـم ذَكَـر خليلَـه بـانيَ بيتِـه الحـرام، وأثنـى عليـه ومدحـه، وأخـبر أنـه جعلـه إمامـاً للنـاس يأتـم بـه أهـل الأرض، ثـم ذكَـر بيتـه الحـرام وبنـاء خليلِـه لـه، وفي ضمـن هـذا أن بـاني البيـت كـما هـو إمـام للنـاس فكذلـك البيـت الـذي بنـاه إمـام لهـم، ثـم أخـبر أنـه لا يرغـب عـن ملـة هـذا الإمـام إلا أسـفه النـاس، ثـم أمـر عبـاده أن يأتمـوا برسـوله الخاتـم، ويؤمنـوا بـما أنـزل إليـه وإلى إبراهيـم وإلى سـائر النبيـين، ثـم رد عـلى مـن قـال: إن إبراهيـم وأهـل بيتـه كانـوا هـوداً أو نصـارى، وجعـل هـذا كلَّـه توطئـةً ومقدمـة بـين يـدي تحويـل القبلـة، ومـع هـذا كلـه فقـد كـبُر ذلـك عـلى النـاس إلا مـن هـدى الله منهـم.

وأكـد سـبحانه هـذا الأمـر مـرة بعـد مـرة بعـد ثالثـة، وأمـر بـه رسـولَه حيثـما كان ومـن حيـث خـرج، وأخـبر أن الـذي يهـدي مـن يشـاء إلى صراط مسـتقيم هـو الـذي هداهـم إلى هـذه القبلـة،

وأنها هي القبلة التي تليق بهم، وهم أهلها لأنها أوسط القِبَلِ وأفضلُها، وهم أوسط الأمم وخيارهم، فاختار أفضل القِبَلِ لأفضل الأمم، كما اختار لهم أفضل الرسل وأفضل الكتب، وأخرجهم في خير القرون، وخصهم بأفضل الشرائع، ومنحهم خير الأخلاق، وأسكنهم خير الأرض، وجعل منازلهم في الجنة خير المنازل، وموقفهم في القيامة خير المواقف، فهم على تل عال والناس تحتهم، فسبحان من يختص برحمته من يشاء، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وأخبر سبحانه أنه فعل ذلك لئلا يكون للناس عليهم حجة، ولكن الظالمون الباغون يحتجون عليهم بتلك الحجج التي ذكرت، ولا يعارض الملحدون الرسل إلا بها وبأمثالها من الحجج الداحضة، وكل من قدم على أقوال الرسول سواها فحجته من جنس حجج هؤلاء.

وأخبر سبحانه أنه فعل ذلك ليتم نعمته عليهم وليهديهم، ثم ذكرهم نعمه عليهم بإرسال رسوله إليهم، وإنزال كتابه عليهم؛ ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون، ثم أمرهم بذكره وبشكره، إذ بهذين الأمرين يستوجبون إتمام نعمه والمزيد من كرامته، ويستجلبون ذكره لهم ومحبته لهم، ثم أمرهم بما لا يتم لهم ذلك إلا بالاستعانة به، وهو الصبر والصلاة، وأخبرهم أنه مع الصابرين» انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1].

المظهر الثاني: إتقان وإحكام عرض قضية النسخ.

إن المتأمل في آيات تحويل القبلة ليرى من حسنِ عرضها، وجمالِ تسلسلها، ووقوعِها على مفاصل القضية ما يبهره، ويزيده يقيناً بأن هذا القرآن تنزيل من حكيم حميد، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

(١) **زاد المعاد** ٣/ ٦٧، ٦٩. وقد آثرت نقل كلامه على طوله لنفاسته. وله كلام مشابه في **مفتاح دار السعادة** ٢/ ٣٠، ٣١. وله كلام أبسط مما ذكرته بكثير في كتابه **بدائع الفوائد** ص ٦٩٦ ، ٧٠٨، من بديع ما استهله به قوله:« وتأمل حكمه العزيز الحكيم ولطفه وإرشاده في هذه القصة لما علم أن هذا التحويل أمر كبير كيف وطأه ومهده وذلّله بقواعد قبله...» ثم أطنب في هذه التوطئة.

إذ تسلست الموضوعات التي تطرقت إليها الآيات التي بدء فيها بالرد على الشبهات التي علم الله جل وعلا أنها ستقال، ثم أمر بالتوجه إلى القبلة، وأكده بصيغ متعددة، ونهى عن تنكب الطريق وطاعة المعاندين، ثم ختم بأبرز حكم هذا النسخ.

وهي بصيغة أخرى: تمهيدٌ، ثم أمرٌ، ثم بيان حِكَم هذا الأمر.

فقد بدئت الآيات بالإخبار أولاً بأن السفهاء سيقولون: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها، وقد قالوا ما أخبر الله جل وعلا أنهم قائلوه، ثم إن الله جل وعلا قد رد على هذه الشبهة بأن المشرق والمغرب لله، وعرَّض بضلالهم وهداية المؤمنين إلى صراط مستقيم.

ثم استطرد الخطاب إلى بيان وسطية هذه الأمة، وكونها خياراً عدولاً ليكونوا شهداء على الناس، وأن رسولهم سيكون عليهم شهيداً.

ثم بين أنه تعالى ما جعل القبلة السابقة إلا ابتلاء واختباراً ليتميز من يتبع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممن يتنكب عن الطريق، وأن هذا كان ابتلاءً عظيماً، وكان أمراً شاقاً على النفوس إلا من هداهم الله ووفقهم لاتباعه.

ثم بين حال صلاة من صلى إلى القبلة المنسوخة، وبالأخص من مات منهم ولم يصل إلى الكعبة المشرفة، وأن الله جل وعلا لم يكن ليضيع صلاتهم وتصديقهم وامتثالهم لأمره؛ لأنه رؤوف رحيم بعباده.

هذا كله كان تمهيداً قبل إلقاء أمر التحول إلى الكعبة المشرفة، ثم جاء الأمر بذلك بطريقة فيها إكرام للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ إذ بين الله جل وعلا ما كان من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تقلب وجهه في السماء رجاء تحويله لقبلة يرتضيها، وأن الله تعالى سيجيب طِلبته، ويحقق رغبته، ثم أمره بذلك تحقيقاً للوعد بقوله ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، فوجه الأمر إلى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولاً، لمناسبة تحقيق رجائه، ولما سيأتي من عطف أمته عليه تأكيداً وبياناً، إذ أمرهم بالتوجه إلى المسجد الحرام حيثما كانوا.

ولما لأهل الكتاب من علم سابق، وكتاب منزل، وأثارة من علم أنبيائهم، يجعل لاعتراضهم صدى في النفوس، وأثراً في القلوب فقد بيَّن الله جل وعلا هذا الأمر وجلاه بوضوح.

فعقَّب أمر استقبال الكعبة بتأكيده أن أهل الكتاب - وإن أظهروا خلاف ذلك - يعلمون أن ما أمر الله به هو الحق من ربهم، وتوعدهم بأنه ليس بغامل عما يعملون، وخاطب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه لو جاءهم بكل آية ما تبعوا قبلته -مقابلاً له بتثبيته على موقفه من أنه لن يتبع قبلتهم-، وأن أهل الكتاب أنفسهم لن يتبع بعضهم قبلة بعض، فما اتباع أهوائهم بعد تبيان الحق إلا ظلم.

ثم أكد ذلك بأنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، وأن فريقاً ممن يعرفه حق المعرفة يكتمه وهو عالم به.

وثبت نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وهو تثبيت للمؤمنين كذلك- بأن ذلك هو الحق، فلا يكونن من الشاكين فيه.

ثم ختم قضية عناد أهل الكتاب بأن بين أن لكل وجهة هو موليها، آمراً عباده المؤمنين باستباق الخيرات، فإن الله جامع الناس جميعاً فموفٍّ كلاًّ بعمله.

وجاء خبر الله تعالى عن أهل الكتاب وعنادهم وتثبيت المؤمنين معترضاً بين الآيات الآمرة بالتوجه إلى الكعبة، فقوله تعالى -في الآية (١٤٩)-: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾﴾ معطوف على قوله سبحانه -في الآية (١٤٤)-: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، وما بينهما اعتراض[1].

ثم بين الله تعالى في ختام هذه الآيات بعض حكم تحويل القبلة، وأنها لقطع حجة

(١) انظر: التحرير والتنوير ٢/ ٣٤، ٤٤.

المناوئين، وليتم نعمته بإكمال التشريع الأتم، وليهتدوا إلى أحسن الشرائع، وأفضل قبلة تستقبلها أمة.

المظهر الثالث: ما حوته الآيات من تأكيد على تحويل القبلة.

حفلت الآيات الكريمات بتوكيدات كثيرة لقضية تحويل القبلة؛ من أجل تقرير أول نسخ وقع في الإسلام، ولما حف به من الأحوال من دعاوى المناوئين، ومن تساؤلات المسلمين.

وأبرز أساليب التأكيد المستخدمة في الآيات التكرار، والتأكيد بالمؤكِّدات.

وقد قرر ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ التأكيد بالتكرار تقريراً جميلاً مرتباً حسناً إذ يقول: « وقد تكرر الأمر باستقبال النبيء الكعبة ثلاث مرات، وتكرر الأمر باستقبال المسلمين الكعبة مرتين، وتكرر أنه الحق ثلاث مرات، وتكرر تعميم الجهات ثلاث مرات.

والقصد من ذلك كله التنويه بشأن استقبال الكعبة، والتحذير من تطرُّقِ التساهل في ذلك؛ تقريراً للحق في نفوس المسلمين، وزيادة في الرد على المنكرين التأكيدَ: مِن زيادة[1] ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾، ومن جمل معترضة، لزيادة التنويه بحكم الاستقبال: وهي جملة ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ﴾ الآيات، وجملة: ﴿وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾، وجملة: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ الآيات، وفيه إظهار أحقية الكعبة بذلك؛ لأن الذي يكون على الحق لا يزيده إنكار المنكرين إلا تصميماً، والتصميم يستدعي إعادة الكلام الدال على ما صمم عليه؛ لأن الإعادة تدل على التحقق في معنى الكلام».

ثم يقول – موضحاً كيف لم يثقُل الكلامُ مع هذا التكرار –: «وقد ذكر في خلال ذلك – من بيان فوائد هذا التحويل وما حف به – ما يدفع قليل السآمة العارضة لسماع التكرار، فذكر قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ﴾ إلخ، وذكر قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾ إلخ»[2].

(١) كذا قال، ولعله يقصد تكرارها.

(٢) التحرير والتنوير ٢/ ٤٥.

وأما التأكيد بألفاظ التأكيد فقد جاءت الآيات القرآنية حافلة بها[1]، فهي ظاهرة في (قد) المفيدة للتحقيق في قوله تعالى ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾، ولامِ القسم ونونِ التوكيد في قوله ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾، والمجيءِ بـ(إنَّ) واللامِ الموطئة للقسم ووصفِ الحق بأنه من ربهم في قوله ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾.

ونحوه التأكيد باللام الموطئة للقسم في قوله ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾.

كما اشتمل التحذير من اتباع هوى اليهود والنصارى في القبلة في قوله سبحانه ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ على عشرة مؤكدات.

واشتمل قوله تعالى ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ وقوله ﴿وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ على مؤكدات كذلك.

وما هذا إلا لأهمية تقرير نسخ القبلة الذي كان أول نسخ في الإسلام، وقطع الطمع عن استقبال غيرها، أو اتباع أهواء أهل الكتاب ومداهنتهم باستقبال قبلتهم.

فمن تأمل ما في الآيات الكريمات من لطف الله تعالى وعنايته بأمر نسخ من تمهيد له وتوطئة، ثم إحكام وإتقان في الأمر به، ثم تأمل مدى تأكيده والنهي عن مخالفته، ووجد ذلك كله بأسلوب متناسق متصل لا يمله السامع، بأفصح عبارة، وأدلها على المقصود، وأحسنها موقعاً، وجد أن هذا الكلام إنما هو من عند الله العزيز الحكيم، وتبين له شيء من وجوه إعجاز القرآن الكريم.

أسأل الله جل وعلا أن يزيدني والقارئين من اليقين ما يبعث على دوام المراقبة، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

(١) مضى في تفسير الآيات شيء من ذلك، وللاستزادة انظر: **التحرير والتنوير** ٢/ ٢٧، ٤٧.

الملحق

يحتوي الملحق على[١]:

- تعريف بالمساجد التي روي أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ تحولوا أثناء الصلاة فيها من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام.
- خريطة قديمة للمدينة النبوية وفيها تحديد مواضع تلك المساجد.
- خريطة حديثة للمدينة النبوية وفيها تحديد مواضع تلك المساجد.

(١) استفدت في توفير مصادر المادة العلمية في الملحق الأول، وتوفير الخرائط الموجودة في هذه الملاحق من الباحث في **تاريخ المدينة**: د. محمد عمر الكاف.

أولاً: المساجد التي نقل أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ تحولوا أثناء صلاتهم فيها:

وهي أربعة مساجد[1]:

١ - مسجد قباء: وهو في منازل بني عمرو بن عوف من الأوس[2]، في قرية قباء في جنوب المدينة، وهي في الأصل بئر هناك عرفت القرية بها[3]، أما اليوم فيقع في حاضرة المدينة.

وقد بني قبل قدوم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة، فقد روي عن عبدالله بن عمر «**أن سالماً مولى أبي حذيفة كان يؤم المهاجرين الذين هاجروا إلى المدينة فيهم عمر وغيره من المهاجرين، لأنه كان أكثرهم قرآناً**»[4].

ثم تجدد بناء المسجد مراراً على مر التاريخ، فقد جدده[5]:

- عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- عمر بن عبد العزيز عندما كان والياً على المدينة، وجعل له مئذنة، وذلك بين عامي ٩١-٩٣هـ.
- أبو يعلى الحسيني، في سنة ٤٣٥هـ.
- جمال الدين الأصفهاني وزير بني زنكي، عام ٥٥٥هـ.
- الناصر بن قلاوون، سنة ٧٣٣هـ.

---

(١) سبق في المبحث الأول أنها خمسة مساجد، وسأعرف بأربعة منها، أما المسجد الخامس فهو غني عن التعريف، وهو المسجد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

(٢) انظر: **جمهرة أنساب العرب** ص٣٣٢.

(٣) انظر: **المغانم المطابة في معالم طابة** ص٣٢٣.

(٤) انظر: **المعجم الكبير** للطبراني ح(٦٣٧١، ٦٣٧٢) ٧/ ٥٩.

(٥) انظر: **فصول من تاريخ المدينة** لعلي حافظ ص ١٣٥.

- الأشرف برسباي، سنة ٨٤٠هـ.
- السلطان قايتباي، سنة ٨٨١هـ.
- السلطان محمود العثماني، سنة ١٢٤٥هـ.
- خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٢- مسجد القبلتين: وهو أحد المساجد التي روي أن القبلة حولت أثناء الصلاة فيه كما مر في المبحث الأول من هذا البحث.

وقد كان يعرف بمسجد بني سَلِمَة لوقوعه في منازلهم، وبنو سَلِمَة بطن من الخزرج من الأنصار[١].

ويقع في الجهة الغربية من المدينة المنورة غربي جبل سلع، قريباً من وادي العقيق، وهو على يمين القادم إلى المدينة المنورة من شمالها، من طريق خالد بن الوليد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وروي أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد صلى فيه[٢].

وقد جدد مراراً على مر التاريخ، منها[٣]:

- الشجاعي شاهين الجمالي، حيث جدد سقف هذا المسجد وأصلحه عام ٨٩٣ هـ.
- السلطان سليمان العثماني، عام ٩٥٠هـ.
- الملك عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
- الملك فهد بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣- مسجد بني حارثة: وهو المعروف اليوم بمسجد المستراح، وسمي بمسجد بني

(١) انظر: **جمهرة أنساب العرب** ص٣٥٨.
(٢) انظر: **وفاء الوفا** ٣/ ٤٦، ٤٧.
(٣) انظر: **وفا الوفا** ٣/ ٤٧، **وفصول في تاريخ المدينة** لعلي حافظ ص ١٤١.

حارثة، وهم بطن من الأوس من الأنصار[١].

وسيأتي تحديد موضعه على الخريطة بما يغني عن الوصف باللفظ.

وقد كان هذا المسجد مبنياً في عهد النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يصلي فيه بنو حارثة كما يستفاد من أحاديث تحويل القبلة

وتحدث عنه أبو سالم العياشي في رحلته سنة ١٠٧٣هـ وقال : وفي الطريق إلى أحد عند آخر النخيل مسجد صغير محوط عليه بأحجار يقال: إن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ جلس فيه للاستراحة بعد الرجوع من أحد[٢].

وقال الخياري (ت:١٣٨٠هـ) -وقد سماه (مسجد المستراح)- : وهو مسجد صغير غير مسقف مرتفع من الأرض بحوالي نصف متر تقريباً، وبناؤه قديم مجصص[٣].

٤-مسجد بني عبد الأشهل: وهو أحد المساجد التي روي أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ صلى فيها[٤].

وهو من المساجد التي لم تعد موجودة، وعلمت جهتها ولم يعلم عين مكانها؛ فهو في منازل بني عبد الأشهل من الأوس، ويقال له : مسجد واقم[٥].

والغالب في تحديده اليوم أنه على يمين سالك شارع المطار المتجه إلى المسجد النبوي الشريف بعد فنادق العطير وتقاطع شارع المطار مع شارع العباس بن عبد المطلب[٦].

(١) انظر: **وفاء الوفا** ٣/ ٦٣.

(٢) **المدينة المنورة في رحلة العياشي** ص١٤٥. ويبقى ما ذكره العياشي في سبب تسميته بالمستراح موضع نظر؛ إذ لم يرد في روايات السيرة ما يدل على ذلك. والله أعلم.

(٣) **تاريخ معالم المدينة المنورة قديمًا وحديثاً** ص١٣٣.

(٤) انظر: **مسند الإمام أحمد**، ح (١٨٩٥٣) ٣١/ ٢٨٢، و**تاريخ المدينة** لابن شبة ١ / ٦٦.

(٥) انظر: **وفاء الوفا** ٣/ ٢٢٦.

(٦) انظر: **معالم المدينة المنورة** لعبدالعزيز كعكي ٤ / ٢ / ٣٦٧، ٣٦٩، وانظر للاستزادة: **المدينة بين الماضي والحاضر** ص ٣٠٦، ٣٠٧، **والإصابة في معرفة مساجد طابة** ص ١٨٤. على أن لبني عبدالأشهل أكثر من مسجد، ولم يحدد أيها الذي وقع فيه تحويل القبلة، لكن

مجلة تعظيم الوحيين

خريطة قديمة للمدينة، مع تحديد المساجد التي نقل تحولهم إلى استقبال الكعبة أثناء الصلاة فيها

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبيه ومصطفاه، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

فقد تم بحمد الله وعونه هذا البحث المسمى (تفسير آيات تحويل القبلة)، في خمسة مباحث، ابتدأت ببيان سبب نزول الآيات، ووصف حاله، ثم توصلت إلى تفسيرها تفسيراً تحليلياً، وختمت بمظاهر العناية الربانية بنسخ القبلة، فكان من أبرز النتائج التي توصلت إليها:

- أن **الراجح** أن تحويل القبلة كان بعد مضي ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً من قدوم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة، وقبل غزوة بدر الكبرى.
- أن **الراجح** أن نزول آيات تحويل القبلة لم يكن في صلاة، وأن أول صلاة صلاها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الكعبة هي صلاة العصر.
- أن **الراجح** أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يصلي قبل الهجرة إلى المسجد الأقصى، ويجعل الكعبة بين يديه.
- لم يثبت أن مسجد القبلتين تحول الناس فيه إلى الكعبة أثناء الصلاة، فضلاً عن أن يكون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إمامهم حينها.
- الذي ثبت من المساجد أن أهله تحولوا فيه إلى الكعبة هو مسجد قباء، وجاء بإسناد قوي أن مثله وقع أيضاً في مسجد بني حارثة.

لطف الله تبارك وتعالى بعباده في التشريع، ورأفته ورحمته بهم، فقد وطأ ومهد للنسخ قبل وقوعه، ثم رد على دعاوى المناوئين، وأجاب عن استشكالات المؤمنين، ثم ألقى الأمر بذلك، وأكده مرة بعد مرة بعد أخرى، وبين لهم حكم هذا الأمر، ونهاهم عن اتباع أهواء أهل الكتاب باتباع قبلتهم.

وبهذا تم هذا البحث، الذي أسأل الله جل وعلا أن يخلص فيه النية، ويبارك فيه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

١. **القرآن الكريم.**

٢. **الإتقان في علوم القرآن**، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، ت: مركز الدراسات القرآنية، ١٤٢٦هـ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية.

٣. **أحكام القرآن**، لأبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي (ت ٥٤٣هـ)، ت: محمد عبد القادر عطا، ط٤، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت ٩٥١هـ)، ط٤، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥. **أسباب نزول القرآن، لعلي بن أحمد الواحدي** (ت ٤٦٨هـ)، ت: أحمد صقر، ط٢، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، دار القبلة.

٦. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ليوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، ت عادل مرشد، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، دار الأعلام، الأردن.

٧. **الإصابة في تمييز الصحابة**، لأحمد بن علي بن حجر (ت ٨٤٢هـ)، ت: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨. **الإصابة في معرفة مساجد طابة**، خالد علي حسين صباغ، ، ط١، ١٤٢١هـ، مطابع الرشيد، المدينة المنورة.

٩. **أصل صفة صلاة النبي** ﷺ، لمحمد ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠هـ)، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، مكتبة المعارف، الرياض.

١٠. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، لعبد الله بن عمر البيضاوي (ت ت٧٩١هـ)، ط١،

١٤٢٤هـ-٢٠٠٢م، دار الكتب العلمية، بيروت.

١١. **أنيس الساري في تخريج وتحقيق الأحاديث** التي ذكرها الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري، لنبيل بن منصور البصارة، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، مؤسسة السماحة، مؤسسة الريان، بيروت.

١٢. **البحر الزخار**، (مسند البزار)، لأحمد بن عمرو البزار، ت د. محفوظ الرحمن زين الله، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م، مؤسسة علوم القرآن.

١٣. **البحر المحيط**، لأبي حيان محمد بن يوسف الغرناطي (ت: ٧٤٥هـ)، ت: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٤. **البداية والنهاية**، إسماعيل بن عمر بن كثير، ت عبد الرحمن اللادقي ومحمد غازي بيضون، ط٧، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، دار المعرفة، بيروت.

١٥. **بدائع الفوائد**، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت بشير محمد عيون، ط٢، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، مكتبة دار البيان، دمشق.

١٦. **تاريخ المدينة** لعمر بن شبة النميري (ت:٢٦٢هـ) ، ت: فهيم شلتوت.

١٧. **تاريخ بغداد**، لأحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٨. **تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً**، لأحمد الخياري، ط٤، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، دار العلم، جدة.

١٩. **التحجيل في تخريج ما لم يخرج من الأحاديث والآثار في إرواء الغليل**، لعبدالعزيز بن مرزوق الطريفي، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، مكتبة الرشد، الرياض.

٢٠. **التحرير والتنوير**، لمحمد الطاهر ابن عاشور (١٣٩٣هـ)، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م،

مؤسسة التاريخ العربي، بيروت.

٢١. **تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف**، لعبدالله بن يوسف الزيلعي (ت:٧٦٢هـ)،ت:عبدالله بن عبدالرحمن السعد،ط١،١٤١٤هـ،دار ابن خزيمة،الرياض.

٢٢. **التفسير الصحيح (الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور)**، لحكمت بن بشير ياسين، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، دار المآثر، المدينة.

٢٣. **تفسير القرآن العظيم مسنداً عن الرسول** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **والصحابة والتابعين**، لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت: ٣٢٧هـ)، ت: أسعد محمد الطيب، ط٣، ١٤١٩هـ، مكتبة نزار الباز، المملكة العربية السعودية. وحيثما أطلق العزو إليه فمالراد هذه الطبعة.

٢٤. **تفسير القرآن العظيم مسنداً عن الرسول** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **والصحابة والتابعين**، لعبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت: ٣٢٧هـ)، ت: أحمد بن عبدالله العماري الزهراني، ط ١، ١٤٠٨هـ، مكتبة الدار، المدينة المنورة.

٢٥. **تفسير القرآن العظيم**، لإسماعيل بن عمر بن كثير (ت: ٧٧٤هـ)، ت: أ.د. حكمت بن بشير ياسين، ط١، ١٤٣١هـ، دار ابن الجوزي، الدمام.

٢٦. **تفسير القرآن**، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت: ٢١١هـ)، ت: مصطفى مسلم، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م، مكتبة الرشد، الرياض.

٢٧. **التفسير الكبير** (مفاتيح الغيب)، لمحمد بن عمر الرازي (ت: ٦٠٤هـ)، ط٢، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٨. **تقريب التهذيب**، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، ت: أبي الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني، ط١، ١٤١٦هـ، دار العاصمة، الرياض.

٢٩. **تلخيص مفتاح العلوم، لمحمد بن عبدالرحمن القزويني** (ت: ٧٣٩هـ) (مطبوع مع:

الأطـول)، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، دار الكتـب العلميـة، بـيروت.

٣٠. **التمهيـد لمـا في الموطـأ مـن المعـاني والأسـانيد**، ليوسـف بـن عبـدالله بـن محمـد بـن عبدالـبر النمـري (ت:٤٦٣هـ)، ت: مصطفـى أحمـد العلـوي ومحمـد عبدالكبـير البكـري، ١٣٨٧هـ، وزارة عمـوم الأوقـاف، المغـرب.

٣١. **التنكيـل بـما في تأنيـب الكوثـري مـن الأباطيـل**، لعبـد الرحمـن بـن يحيـى المعلمـي (ت ١٣٨٦هـ)، ت: محمـد نـاصر الديـن الألبـاني، ط٢، ١٤٠٦هـ، مكتبـة المعـارف، الريـاض.

٣٢. **الثمـر المسـتطاب في فقـه السـنة** والكتـاب، لمحمـد نـاصر الديـن الألبـاني (ت: ١٤٢٠هـ)، ط١، ١٤٢٢هـ، غـراس للنـشر والتوزيـع.

٣٣. **جامـع البيـان في تأويـل القـرآن**، لمحمـد بـن جريـر الطـبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيـق: محمـود محمـد شـاكر، تخريـج: أحمـد محمـد شـاكر، ط٢، دار المعـارف، مـصر.

٣٤. **الجامـع لأحـكام القـرآن**، لمحمـد بـن أحمـد الأنصـاري القرطبـي (ت: ٦٧١هـ)، ت: عبـد الـرزاق المهـدي، ط٤، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، دار الكتـاب العـربي، بـيروت.

٣٥. **جمـال القـراء وكـمال الإقـراء**، لعـلي بـن محمـد علـم الديـن السـخاوي (ت: ٦٤٣هـ)، ت: د. مـروان العطيـة ود. محسـن خرابـة، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، دار المأمـون للـتراث، دمشـق - بـيروت.

٣٦. **روح المعـاني في تفسـير القـرآن العظيـم والسـبع المثـاني**، لشـهاب الديـن محمـود الألـوسي (١٢٧٠هـ)، ت: عـلي عبـد البـاري عطيـة، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، دار الكتـب العلميـة، بـيروت.

٣٧. **زاد المسـير في علـم التفسـير**، لعبـد الرحمـن بـن عـلي ابـن الجـوزي (ت: ٥٩٧هـ)، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، دار ابـن حـزم، بـيروت.

٣٨. **زاد المعاد في هدي خير العباد**، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، ت: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، ط٢٣، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣٩. **سنن الترمذي (جامع الترمذي)**، لمحمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت: ٢٧٩هـ)، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط١، مكتبة المعارف، الرياض.

٤٠. **السنن الكبرى**، لأحمد بن شعيب النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، ت: حسن عبدالمنعم شلبي، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٤١. **شذا العرف في فن الصرف**، لأحمد بن محمد الحملاوي (ت: ١٣٥١هـ)، ت: نصر الله عبدالرحمن نصر الله، مكتبة الرشد، الرياض.

٤٢. **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، لعبد الله بن عقيل العقيلي (ت: ٧٦٩هـ)، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، المكتبة العصرية، بيروت.

٤٣. **الشريعة، لمحمد بن الحسين الآجري** (ت: ٣٦٠هـ)، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، مؤسسة الريان، بيروت.

٤٤. **صحيح البخاري**، لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٨هـ)، مع شرحه فتح الباري، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، دار السلام، الرياض.

٤٥. **صحيح مسلم**، لمسلم بن الحجاج النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، (مع شرحه للنووي)، أشرف على إعداد طباعته علي عبد الحميد بلطه جي، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، دار الخير، دمشق - بيروت.

٤٦. **الطبقات الكبرى**، لمحمد بن سعد بن منيع (ت:٢٣٠هـ)، ت: إحسان عباس، ط١،

١٩٦٨م، دار صادر، بيروت.

٤٧. **العجاب في بيان الأسباب**، لأحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، ت: عبد الحكيم الأنيس، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، دار ابن الجوزي، الدمام.

٤٨. **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، لمحمد بن محمد ابن سيد الناس (ت:٧٣٤هـ)، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، ط١٤١٤،١هـ - ١٩٩٣م، دار القلم، دمشق.

٤٩. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، دار السلام، الرياض.

٥٠. **الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي**، لعبدالرؤوف بن تاج العارفين المناوي (ت:١٠٣١هـ)، ت: أحمد مجتبى، دار العاصمة، الرياض.

٥١. **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، لمحمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ)، ت: عبد الرحمن عميرة، ط٢، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، دار الوفاء، المنصورة.

٥٢. **فصول من تاريخ المدينة**، لعلي حافظ، ط٣، ١٤١٧-١٩٩٦م.

٥٣. **فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل من القرآن بالمدينة**، لمحمد بن أيوب بن يحيى بن الضُّرَيس (ت: ٢٩٤هـ)، غزوة بدير، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م، دار الفكر، دمشق.

٥٤. **القاموس المحيط**، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ)، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، ط٧، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٥٥. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، لمحمود بن عمر الزَّمَخْشَرِي (ت: ٥٣٨هـ)، رتبه محمد عبد السلام شاهين، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٦. **كشف الأستار عن زوائد البزار**، لعلي بن أبي بكر الهيثمي (ت:٨٠٧هـ)، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، ط١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٥٧. **الكشف والبيان، لأحمد بن محمد الثعلبي** (ت: ٤٢٧هـ)، ت: أبي محمد بن عاشور، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥٨. **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ)، ت: حسام الدين المقدسي، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، مكتبة القدسي، القاهرة.

٥٩. **المجموعة المصورة لأشهر معالم المدينة المنورة**، عبدالعزيز كعكي، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٠م. مطابع دار إحياء التراث العربي.

٦٠. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لعبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٦هـ)، ت:عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦١. **المدينة المنورة في رحلة العياشي**، دراسة وتحقيق محمد أمحزون، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، دار الأرقم،الكويت.

٦٢. **المدينة بين الماضي والحاضر**، لإبراهيم بن علي العياشي (ت:١٤٠٠هـ)، ط٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، مكتبة الثقافة، المدينة.

٦٣. **المراسيل**، لعبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)، ت: أحمد عصام الكاتب، ط١، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٤. **المستدرك على الصحيحين**، محمد بن عبد الله الحاكم، ت مصطفى عبد القادر عطا، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٥. **مسند الإمام أحمد**، لأحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت:٢٤١هـ)، ت: شعيب

الأرنؤوط وآخرين، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، مؤسسة الرسالة.

٦٦. **معالم التنزيل**، للحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ)، ت: محمد عبد الله النمر وآخرين، ط٥، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، دار طيبة، الرياض.

٦٧. **معاني الحروف**، علي بن عيسى الرماني (ت: ٣٨٤هـ)، ت: د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ط٢، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة.

٦٨. **المعجم الكبير**، الطبراني، حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، مطبعة الزهراء الحديثة.

٦٩. **معجم مقاييس اللغة**، لأحمد بن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، ت: عبد السلام محمد هارون، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م، دار الجيل، بيروت.

٧٠. **المغانم المطابة في معالم طابة**، للفيروزبادي (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: حمد الجاسر، ط١، ١٣٨٩-١٩٦٩، الرياض، منشورات دار اليمامة.

٧١. **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، لعبدالله بن يوسف ابن هشام الأنصاري (ت: ٧٦١هـ)، ت: محمد محيي الدين عبدالحميد، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، المكتبة العصرية.

٧٢. **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٣. **مفردات ألفاظ القرآن الكريم**، لحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت في حدود ٤٢٥هـ)، ت: عدنان صفوان داودي، ط٢، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، دار القلم، دمشق.

٧٤. **الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عز وجل**، لأحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت: ٣٣٨هـ)، سليمان بن إبراهيم اللاحم، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩١، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٧٥. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، لبرهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي (ت:

٨٨٥هـ)، ط٢، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٧٦. **نواهد الأبكار وشوارد الأفكار**، حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي، لعبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت:٩١١هـ)، ٣ رسائل علمية منشورة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٥م، جامعة أم القرى.

٧٧. **الهداية إلى بلوغ النهاية**، مكي بن أبي طالب القيسي (ت: ٤٣٧هـ)، (مجموعة رسائل علمية)، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، جامعة الشارقة.

٧٨. **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى**، لعلي بن عبدالله الحسني السمهودي (ت:٩١١هـ)، ط١، ١٤١٩هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْفَجْرِ

لأحمد بن محمد بن علي الحسني القلعاوي الشافعي المعروف بـ(السُّحَيمي)

(ت: ١١٧٨هـ)

دراسةً وتحقيقاً

د/ أحمد بن علي بن عبد الرحمن الحذيفي

الأستاذ المساعد بقسم الدراسات القرآنية بجامعة طيبة- المدينة المنورة

aalhodhifi@gmail.com

مجلة تعظيم الوحيين

مُلخص البحث

موضوع البحث:

تحقيق مخطوط بعنوان: (تفسير سورة الفجر) للعلامة أحمد بن محمد الحسني القلعاوي الشافعي المعروف بـ(السُّحَيمي) (ت: ١١٧٨هـ).

هدف البحث:

تحقيق المخطوط وإخراجه؛ لينتفع به طلبة العلم من المتخصصين في التفسير.

مشكلة البحث:

جمع المؤلف في تفسيره لسورة الفجر بين الصحيح وغيره من الأحاديث والأقوال، مما يستلزم دراسة الرسالة وتحقيقها وخدمتها.

نتائج البحث:

١. أن مؤلف الرسالة كان من الفقهاء الذين لهم عناية بالتفسير.

٢. هذه الرسالة نسبتها ثابتة إلى المؤلف المذكور.

٣. الرسالة لها مزايا كما عليها مآخذ، وفيها فوائد تفسيرية وفقهية وحديثية، كما فيها أحاديث موضوعة وواهية.

٤. يظهر من مادة الرسالة تفنّن المؤلف في عدد من العلوم كالفقه والعربية، كما يظهر أن بضاعته من علم السنة مزجاة.

الكلمات المفتاحية:

تفسير – سورة الفجر – السحيمي – القلعاوي.

مجلة تعظيم الوحيين

المُقَدِّمَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[سورة النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[سورة آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[سورة الأحزاب: ٧٠-٧١]. أما بعد: فهذا تحقيق لمخطوط بعنوان: (تفسير سورة الفجر) للعلامة أحمد بن محمد الحسني القلعاوي الشافعي، المعروف ب(السحيمي)، (ت:١١٧٨هـ)، وبالله التوفيق ومنه الاستمداد، وعليه التوكل والاعتماد.

أهمية الموضوع:

١. تعلقه بكتاب الله تعالى الذي هو أشرف ما ينبغي شغل الأوقات به.

٢. أهمية هذه المرحلة التاريخية؛ لقلة الإنتاج العلمي في الدراسات القرآنية فيها من جهة، وقلة المفسرين من جهة أخرى، فكان حرياً بالدارسين أن تتوجه هممهم لإبراز تراث تلك الحقبة.

٣. أن المؤلف ما زالت كتبه مطوية في مجاهيل المكتبات لم يتناولها الباحثون بالدراسة والتحقيق والنشر.

أسباب اختيار الموضوع:

١. الإسهام في خدمة الدراسات القرآنية.

٢. التعرف على شخصية المؤلف العلمية عموماً، وشخصيته التفسيرية خصوصاً من خلال التحقيق والدراسة.

٣. جمْعُ المؤلف لكثير من الأحاديث والآثار والفوائد في تفسيره.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث والتنقيب لم أقف على أي نشرة لهذا المخطوط.

حدود الدراسة:

يدور عملي هذا حول تحقيق نص المخطوط وخدمته، وفق المتعارف عليه في فن تحقيق المخطوطات، وتسليط الضوء على حياة المؤلف، وإعطاء صورة كاشفة عن النص المحقق تميط اللثام عن وجه المزايا والمآخذ التي اشتمل عليها المخطوط.

خطة البحث:

جرى العمل في تحقيق هذا المخطوط وفق الخطة التالية:

١. مقدمة: تشتمل على:

- أسباب اختيار الموضوع وأهميته.
- الدراسات السابقة.
- حدود الدراسة.
- خطة البحث.

- منهج التحقيق.

٢. **قسم الدراسة**: ويشتمل على مبحثين:

- **المبحث الأول**: التعريف بالمؤلف.

- **المبحث الثاني**: التعريف بالكتاب.

٣. **قسم التحقيق**: النص المحقق.

- الخاتمة.
- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث.
- قائمة المصادر والمراجع.

منهج التحقيق:

سلكت في تحقيقي المنهج التالي:

١. سختُ النصَّ المراد تحقيقه وفق القواعد الإملائية مراعياً علامات الترقيم.

٢. أثبتُّ النص المرا د تحقيقه دون التصرف فيه، إلا ما كان فيه خطأ ظاهر، فإني أثبتُّ ما أراه صواباً في المتن بين معقوفتين، مشيراً إلى ذلك في الهامش.

٣. كتبت الآيات القرآنية بخط مصحف المدينة النبوية، وعزوتها بذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن بين معقوفتين.

٤. خرّجتُ الأحاديث النبوية من مصادر السنة الأصيلة، فما كان في الصحيحين اكتفيت بتخريج الحديث منهما أو من أحدهما، وما في غيرهما فإني أعقب التخريج بنقل الحكم على الحديث عن أهل الشأن، وما لم أجد فيه حكماً اجتهدت في إعمال قواعد أهل الحديث فيه.

٥. وثقت النصوص عن قائليها من مصنفاتهم، وإن لا فمن كتب أهل العلم.

٦. علقت على ما يحتاج إلى تعليق، وبينت ما أراه مخالفاً للصواب.

٧. بينت الألفاظ الغريبة الواردة في عبارات المؤلف.

القسم الأول

قسم الدراسة

المبحث الأول:التعريف بالمؤلف

المبحث الثاني: التعريف بالرسالة

المبحث الأول:

التعريف بالمؤلف(١)

الكلام في المصادر عن المؤلف شحيح، ولذلك فسوف أسرد كل ما وقفت عليه في ترجمته:

اسمه ونسبه ولقبه:

هو أحمد بن محمد بن موفق الدين علي الحميري القرشي الحَسَني القلعاوي المصري، المعروف بـ(السُّحَيمي).

والقلعاوي نسبة إلى قلعة الجبل بالقاهرة[٢]؛ فإنه كان يقيم بها.

ولم تذكر المصادر تاريخ ولادته.

بعض من نشأته:

أخذ عن: عيسى البراوي وغيره من الشيوخ، ثمّ درَّس بجامع سيدي سارية، ووعظ الناس، وتصدر للتدريس بجامع القاهرة.

مذهبه الفقهي:

المترجم شافعي المذهب، بل موصوف بأنه من أعيان الشافعية، ويشكل على هذا ما

(١) مصادر الترجمة: **عجائب الآثار** للجبرتي (١/ ٢٣٠)، و**هدية العارفين** للبغدادي (١/ ١٧٧)، و**إيضاح المكنون** له (٢/ ٥٦٤)، و**الأعلام** للزركلي (١/ ٢٤٣)، و**أعلام الدراسات القرآنية** للصاوي (ص: ٣١٩)، و**معجم المؤلفين** لكحالة (٢/ ١٣٠)، و**معجم مصنفات القرآن الكريم** للدكتور علي شواخ (٣/ ١٥٨)، و**معجم المفسرين** لعادل نويهض (١/ ٧٦)، و**معلمة الفقه المالكي** لعبدالعزيز بن عبدالله (ص: ١١٣)، ورسالة الماجستير (**المفسرون في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري: جمعاً ودراسة وصفية استقرائية**)، إعداد: عبدالرحمن بن محمد بن خالد بن عبدالعليم (ص: ١٦٠، ١٦١).

(٢) هي القلعة التي بناها قراقوش لصلاح الدين الأيوبي، وهي الآن واقعة بموقعها الكائن بالقاهرة بمنطقة القلعة عند سفح جبل المقطَّم، انظر: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، لأحمد بن يحيى العمري (٣/ ٣١٥)، و**المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، لأحمد بن علي المقريزي (٣/ ٣٥٥).

كُتب على ظهر المخطوط: (الفقير أحمد من محمد السحيمي الحسني الحنفي الأزهري عفي عنه آمين)، وهو مكتوب بخط مغاير لخط الناسخ، وهذا وهم من كاتبه، فلا شك أن المؤلف شافعي المذهب لأربعة أمور:

أجمع من ترجم له أنه شافعي المذهب.

- شرحه لكثير من كتب الشافعية، كما يتبين للمطالع في مؤلفاته.
- نقله كثيراً عن الشافعية في هذا المخطوط.
- قوله في موضع من المخطوط: «والمعتمد عندنا كما قاله علي الشبراملسي»، وهذا صريح في تعيين مذهبه.

مؤلفاته:

له كثير من المؤلفات[1] -كما في فهارس المخطوطات وكتب التراجم- وسأذكر طرفاً منها:

أولاً: مؤلفاته العامة:

١. شرح على (الجوهرة) في علم التوحيد.

٢. لباب الطالبين بشرح الأربعين للنووي.

٣. مفتاح الطالبين للفتح المبين، شرح على شرح ابن حجر الهيتمي (الفتح المبين) على الأربعين النووية.

٤. (النصوح) متن في الفقه.

٥. (الوضوح في شرح النصوح).

٦. بستان الروح في الفقه.

(١) لم يُطبع شيء من مؤلفاته، بل هي بين المخطوط والمفقود.

٧. المزيد على إتحاف المريد، وهي حاشية على (شرح رسالة الاستعارات) للعصام.

٨. وله غير ذلك في فنون متعددة كالفقه والمنطق والبلاغة والتوحيد.

ثانياً: مؤلفاته في التفسير:

١. تاج البيان لألفاظ القرآن[١].

٢. تفسير سورة القدر. مخطوط[٢].

٣. تفسير سورة الفجر، هو موضوع التحقيق.

٤. تفسير القرآن الكريم[٣].

٥. مناهج الكلام على آيات الصيام. مخطوط[٤].

٦. هدية المحتاج إلى قصة الإسراء والمعراج، وهو تفسير لآيات الإسراء. مخطوط[٥].

وفاته:

توفي في شعبان عام ثمان وسبعين ومائة وألف من الهجرة، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

(١) انظر: الأعلام (١/ ٢٤٣)، و**معجم مصنفات القرآن الكريم** (٢/ ١٤٩)، و**الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط** (علوم القرآن والقراءات والتفسير٢/ ٧٧٣)، و**فهرست مصنفات تفسير القرآن الكريم** (١/ ١٣١)، وهو مخطوط بخطه في المكتبة الأزهرية بالقاهرة تحت رقم (٣٠٤ تفسير) ٥٤١٦.

(٢) انظر: **الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط** (علوم القرآن والقراءات والتفسير٢/ ٧٧٣)، وفهرست مصنفات تفسير القرآن الكريم (١/ ٣٢٦).

(٣) انظر: **معجم مصنفات القرآن الكريم** (٢/ ١٥٠).

(٤) انظر: **هدية العارفين** (١/ ١٧٧)، و**إيضاح المكنون** (٢/ ٥٦٤)، و**الأعلام** (١/ ٢٤٣)، و**أعلام الدراسات القرآنية** (ص٣١٩)، و**معجم المؤلفين** (٢/ ١٣٠)، و**معجم مصنفات القرآن الكريم** (٣/ ١٥٨)، و**معجم المفسرين** (١/ ٧٦)، وهو مخطوط في المكتبة الأزهرية بالقاهرة تحت رقم (٤٢٨٠ آداب وفضائل ١٣٤١٤٩) إسكندرية، وتحت رقم (٩ مجاميع) ١٨٧، رسالة رقم: ٣.

(٥) انظر: **الأعلام** (١/ ٢٤٣)، وهو مخطوط في المكتبة الأزهرية بالقاهرة تحت رقم (٢٦٩٤ تاريخ) ٤١٢٩٧ زكي، وتحت رقم (٢٢٢ مجاميع) ٥٤٦٥، رسالة رقم: ١١.

المبحث الثاني:

التعريف بالرسالة

المطلب الأول: اسم الرسالة، ونسبتها للمؤلف:

هذا المطلب فيه أمران:

١. تحقيق اسم الرسالة:

أجمعت المصادر من كتب التراجم وفهارس الكتب والمخطوطات التي ذكرت هذه الرسالة من تأليفه على أن اسمها (تفسير سورة الفجر) كما سأشير إليه في الفقرة الثانية، وبعضها يعنون لها بـ(تفسير سورة والفجر)[١]، على سبيل حكاية الآية، والأمر قريب، وهو على ظهر المخطوط بدون الواو، كما سترى في صور المخطوط، والذي يظهر لي أن التسمية ليست من المؤلف؛ لما سيأتي في المطلب الثاني، بل هي تسمية من المفهرسين، ثم نقلت عنهم التسمية.

٢. إثبات نسبتها إلى المؤلف:

يمكن الجزم بأن هذه الرسالة التي بين أيدينا هي من تأليف العلامة أحمد السحيمي القلعاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأمور أربعة:

- **الأول**: أن بعض مصادر ترجمته التي أشرت إليها تذكر هذه الرسالة من مؤلفاته[٢].
- **الثاني**: أن عدداً من فهارس الكتب والمخطوطات تذكر هذه الرسالة وتنسبها إليه[٣].
- **الثالث**: أنها منسوبة إليه باسمه ونسبه في فهرس مخطوطات مكتبة الأزهر الشريف[٤].

---

(١) انظر: **معجم المفسرين** (١/ ٧٦).

(٢) انظر: **الأعلام** (١/ ٢٤٣)، و**معجم المفسرين** (١/ ٧٦).

(٣) انظر: **معجم مصنفات القرآن الكريم** (٢/ ١٤٩)، و**معجم المفسرين** (١/ ٧٦)، و**الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط** (علوم القرآن والقراءات والتفسير ٢/ ٧٧٣)، و**فهرست مصنفات تفسير القرآن الكريم** (١/ ٣٤٨).

(٤) (٢١/ ٣٣١) تحت رقم (٢٢١ مجاميع) ٥٤٦٤، رسالة رقم: ١١.

- **الرابع**: أن المخطوط مكتوب بخط المؤلف، وقد كتب في آخره: «تمّ هذا الكتاب على يد مؤلفه: أحمد بن محمد السحيمي القرشي الحسني، ووافق الفراغ من تأليفه يوم الثلاثاء، وهو اليوم الثامن والعشرون من ذي الحجة سنة إحدى وخمسين ومائة وألف».

- وبهذه الاعتبارات الأربعة نقطع بنسبتها إليه.

المطلب الثاني: توصيف الرسالة، وموضوعها، والمزايا، والمآخذ:

هذا المطلب فيه ثلاثة أمور:

١. توصيف الرسالة، وموضوعها:

وقعت هذه الرسالة في ثلاث لوحات، استفتحها المؤلف بتفسير سورة الفجر، حتى بلغ قوله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾[سورة الفجر:٥]، واختار أن جواب القَسَم محذوف دلّ عليه ما بعده، ثم انتقل إلى الكلام على عشر ذي الحجة وفضائلها وبعض أحكامها، وفضل يوم عرفة، وأفاض في ذلك، ثم ختم الرسالة دون إكمال تفسير بقية السورة.

والذي يظهر لي أن مقصود المؤلف أن يدوّن هذه الرسالة في فضل عشر ذي الحجة لا في تفسير سورة الفجر، ولكنه أراد أن يبين فضيلتها بدليل القرآن، فاستدل بدلالة قَسَم الله تعالى بالليالي العشر – التي هي عشر ذي الحجة على قول جمهور المفسرين كما نقله ومال إليه– على عظيم فضلها، ثم أفاض في ذكر فضائلها بعد أن حصل المقصود ببيان فضلها من جهة القرآن، ومما يؤكد ذلك أنه أفاض في فضائلها وأحكامها بما هو خارج عن المقصود، بينما كان كلامه في تفسير مطلع السورة مقتضباً، ثم ختم الرسالة بعبارات تدل على انتهاء مقصوده منها، وقد تقدم في المطلب الأول في شأن اسم الرسالة أنه يظهر لي أن التسمية ليست من المؤلف، وتعليل ذلك هو ما ذكرته هنا من بُعد موضوع الرسالة عن العنوان، وليس

هناك وجه تناسب إلا ابتداؤه الرسالة بتفسير سورة الفجر توصلاً للمقصود الذي يريده من الاستدلال بقسم الله بالليالي العشر على شرفها وفضلها؛ ليكون مدخلاً له إلى الحديث عنها، ويدل على ذلك أنه ختم الرسالة دون العود إلى استكمال تفسير بقية السورة، وليست الرسالة ناقصة بل هي تامة، وليست هي بالطويلة ليقال: ذهل المؤلف عن ذلك لتباعد طرفي الكلام، ولم يستوف كذلك تفسير قدر صالح من السورة، فتبين أن مقصوده ليس هو تفسير السورة، ولـمّا كان الأمر كذلك اشتبه الأمر على بعض المفهرسين فقرأ أولها ولم يستتمها فظنها في تفسير السورة فوضع لها هذا العنوان، فالذي يظهر لي أنها رسالة عجلى من طرف ذهن المؤلف وقلمه في بيان فضل عشر ذي الحجة، وهذا لا يستوجب رسم منهج محدد المعالم؛ لقِصَر الرسالة.

٢. المزايا:

كل عمل بشري فيه من النقص والخلل ما يعتريه، وهذا من دلائل القدرة الربانية والعجز الإنساني معاً، كما فيه دلالة على إعجاز القرآن المتمثل في إحكام آياته، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء: ٨٢]، وهذه الرسالة فيها بعض المزايا، سأذكرها مستغنياً بذلك عن الإطالة بالاستشهاد والإحالة، وذلك لصغر حجم الرسالة:

- **أولاً**: عنايته بالسنة والرواية، ويتمثل ذلك في التالي:

١. كثرة استشهاده بالسنة.

٢. اعتماده على صحيح الرواية في التفسير.

٣. نقله لأحكام المحدثين أحياناً.

٤. نقله عن بعض حفاظ السنة، كالحافظ ابن رجب وابن القيم.

- **ثانياً**: عنايته بالتعليل في الاختيار التفسيري.
- **ثالثاً**: تعدد معارفه كما هو ظاهر، فهو فقيه لغوي، كما له عناية بعلم الهيئة[١].

٣. المآخذ:

لن أتكلم عن إفاضته في فضائل عشر ذي الحجة وخروجه عن المقصود؛ ولا عدم إتمام تفسير السورة؛ لأني بينت ما يظهر لي من مقصوده بكتابة هذه الرسالة، ولذلك فهذا فليس مما يؤخذ عليه، لكن من خلال مضمون المادة العلمية في الرسالة فإنه يؤخذ على المؤلف أمران:

- **أولاً**: أنه أورد عدداً من الأحاديث الواهية والموضوعة.
- **ثانياً**: تأثره الظاهر بالمناهج الصوفية المنتشرة في تلك الحقبة الزمنية، ومن شواهد ذلك: ختمه الرسالة بدعاء من أدعية الصوفية التي تشتمل على عبارات هائلة اللفظ فارغة المعنى ركيكة التركيب، ومن شواهده: إيراده لعدد من الأحاديث الواهية في فضائل بعض الأذكار، وترتيب أنواع من الثواب عليها.

ولكن يُعتذر له بضعف السنة في تلك الفترة التاريخية، وانتشار البدع والخرافة والطرق الصوفية، ومع ذلك نجد بصيص السنة يلوح في رسالته، وهو دليل على حرصه عليها لو توفرت له الأدوات، وتهيأت له الوسائل، لكن المرحلة التاريخية التي عاش فيها المؤلف مرحلة إدبار للعلم، وضعف للسنة، فرحمه الله وغفر له وجزاه خيراً.

(١) هذا الذي يظهر من خلال هذه الرسالة، أما ما سواها فيظهر أن له عناية بكثير من العلوم كما يتبين بقراءة مؤلفاته في مصادر ترجمته التي أشرت إليها.

المطلب الثالث: وصف النسخة الخطية، وصور منها:

- **وصف النسخة الخطية:**

لم أعثر لهذه الرسالة إلا على نسخة خطية واحدة، وهي محفوظة في مخطوطات مكتبة الأزهر الشريف بمصر، وهي المعروفة بالمكتبة الأزهرية، تحت رقم (٢٢١مجاميع) ٥٤٦٤، رسالة رقم: ١١[1]، وهذه معلومات المخطوط:

- **الناسخ:** الرسالة مكتوبة بخط مؤلفها، بتاريخ (١١٥١هـ)، فقد جاء في آخرها ما نصه: «تمّ هذا الكتاب على يد مؤلفه: أحمد بن محمد السحيمي القرشي الحسني، ووافق الفراغ من تأليفه يوم الثلاثاء، وهو اليوم الثامن والعشرون من ذي الحجة سنة إحدى وخمسين ومائة وألف».
- **نوع الخط:** خط نسخ معتاد واضح، ووقعت في أكثر من ثلاث لوحات.
- **عدد الألواح:** (٣) لوحات وشيئاً سوى غلاف المخطوط.
- **عدد الأسطر:** (٢٩) سطراً.
- **عدد الكلمات:** متوسط عدد الكلمات (١١).

وعلى صفحة عنوان المخطوط تحبيس من المؤلف على طلبة العلم بمنزله بالدرب الأصفر بالجمالية.

(١) فهرس مخطوطات مكتبة الأزهر الشريف (٢١/ ٣٣١)، رابط فهرس المخطوطات:
http: / /www.feqhweb.com /vb /t23287.html

- صور المخطوطة

صورة ١/أ

صورة آخر لوحة

القسم الثاني

قسم التحقيق

النص المحقق

المقدمة:

الحمد لله الذي عرّف الإنسان ما لم يعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم،

أمّا بعد:

فيقول الفقيرُ إلى مولاه الغنيِّ أحمد بن محمد السحيمي القرشي: قد قال الله في كتابه المبين، وهو أصدق القائلين: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ وَٱلْفَجْرِ﴾ [سورة الفجر: ١] أي: أقسم بفجر كل يوم، وهو لغةً: الشق، ومنه: ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾ [سورة الكهف: ٣٣]، ومنه: الفجور، أي: العصيان؛ لأن الفاجر ينفتح له طريق المعصية ويتسع فيها[(١)]، واصطلاحًا: نور يطلع من جهة المشرق فقط معترضًا بالضياء في أقصى المشرق ذاهبًا من القبلة إلى دبرها حتى يرتفع فيعمّ الأفق[(٢)].

﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [سورة الفجر: ٢] أي: أُقسِم بها، والأصح عند ابن عباس[(٣)] وجمهور المفسرين من السلف وغيرِهم أنها عشر ذي الحجة[(٤)]، والرواية عنه أنها عشر رمضان سندها ضعيف[(٥)].

---

(١) انظر: **مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني** (ص: ٦٢٥)، **وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ** للسمين الحلبي (٣/ ٢٠٣ ٢٠٤)، **والمعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم** للدكتور/ محمد حسن جبل (٣/ ١٦٣٤، ١٦٣٦).

(٢) انظر التعريف في: **الرد على المنطقيين** لابن تيمية (ص: ٢٦٦)، وقال الطاهر ابن عاشور في **التحرير والتنوير** (٣٠/ ٣١٢،٣١٣): « اسم لوقت ابتداء الضياء في أقصى المشرق من أوائل شعاع الشمس حين يتزحزح الإظلام عن أول خط يلوح للناظر من الخطوط الفرضية المعروفة في تخطيط الكرة الأرضية في الجغرافيا ثم يمتد فيضيء الأفق ثم تظهر الشمس عند الشروق» والمؤلف يريد بقوله: «واصطلاحاً»: اصطلاح علماء الهيئة، قال **ابن خلدون في تاريخه** (ص: ٦٤١): «وهو علم ينظر في حركات الكواكب الثّابتة والمحرّكة والمتحيرة، ويستدلّ بكيفيّات تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك لزمت عنها لهذه الحركات المحسوسة بطرق هندسيّة...وأمّا في الإسلام فلم تقع به عناية إلّا في القليل، وكان في أيّام المأمون شيء منه...ولمّا مات ذهب رسمه وأغفل واعتمد من بعده على الأرصاد القديمة...وهذه الهيئة صناعة شريفة...على أنّه علم جليل وهو أحد أركان التّعاليم»، وانظر: **أبجد العلوم** للقنوجي (ص: ٥٥٦)، **ولقطة العجلان** له أيضاً (ص: ١٥٦)، وكان للفقهاء عناية به، والمطالع لكتبهم يجد نقلهم عن علماء الهيئة كثيراً.

(٣) أخرجه الحاكم في **المستدرك** (٢/ ٥٦٨) (٣٩٢٧)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي في **التلخيص**، وأخرجه البيهقي في **شعب الإيمان** (٥/ ٥٠٣) (٣٤٦٩)، وأخرجه الطبري في **جامع البيان** (٢٤/ ٣٤٥) عنه من طرق متعددة، قال ابن رجب في **الجامع** لتفسيره (٢/ ٥٦٢): «وأما (الليالي العشر) فهي: عشر ذي الحجة، هذا الصحيح الذي عليه جمهور المفسرين من السلف وغيرهم، وهو الصحيح عن ابن عباس، روي عنه من غير وجه، والرواية عنه أنه: عشر رمضان إسنادها ضعيف».

(٤) نسبه إلى جمهور المفسرين السمعاني في **تفسيره** (٦/ ٢١٧)، وابن جزي في **التسهيل** (٢/ ٤٧٨)، وابن رجب كما في **الجامع** لتفسيره (٢/ ٥٦٢)، والشوكاني في **فتح القدير** (٥/ ٥٢٦).

(٥) أي: العشر الأواخر من رمضان، أخرجه الواحدي في **التفسير الوسيط** (٤/ ٤٧٩) عنه من طريق أبي ظَبْيان، وذكره الثعلبي في **الكشف والبيان** (١٠/ ١٩١)، وابن الجوزي في **زاد المسير** (٤/ ٤٣٧) كلاهما عنه من رواية أبي ظَبْيان، وفي **تفسير القرآن العظيم** لابن كثير

﴿وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ﴾ أي: الزوج[1].

﴿وَٱلۡوَتۡرِ﴾ قرأ حمزة والكسائي بكسر الواو، والباقون بفتحها[2]، أي: الفرد[3]، وفي حديث حسن: «**العشر عشر الأضحى، والوتر يوم عرفة، والشفع يوم النحر**»[4].

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ أي: يأتي ويمضي[5].

﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ﴾ أي: فيما أقسمتُ به من هذه الأشياء، ﴿قَسَمٞ﴾ أي: مُقْسَمٌ به[6]،

﴿لِّذِي حِجۡرٍ﴾ أي: عَقْلٍ، سُمِّي بذلك؛ لأنه يَحْجُرُ عمّا لا ينبغي[7]، أي: هل في إقسامي بهذه

(٨/ ٣٩١) عنه أنها العشر الأُوَل من رمضان! وأبو ظَبْيان هو: حصين بن جندب الجنبي، ثقة. مترجم في **تهذيب التهذيب** لابن حجر (٢/ ٣٧٩)، والرواي عنه هو ابنه: قابوس بن أبي ظبيان الجنبي، وهو ضعيف لا يحتج به، كما قال ابن سعد في **الطبقات الكبرى** (٦/ ٣٣٩)، وقال ابن حبان في **المجروحين** (٢/ ٢١٦): «كان رديء الحفظ يتفرد عن أبيه بما لا أصل له، ربما رفع المراسيل وأسند الموقوف»، وانظر: **تهذيب التهذيب** (٨/ ٣٠٦).

(١) هذا من حيث اللغة، ففي **المفردات** (ص: ٤٥٧): «الشَّفْعُ: ضمّ الشيء إلى مثله»، وانظر: **المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم** (٢/ ١١٥٣)، أما من حيث المراد بها في الآية فقد اختلف المفسرون في ذلك إلى أقوال كثيرة، أوصلها ابن الجوزي في **زاد المسير** (٤/ ٤٣٨) إلى عشرين قولاً، بل قال أبو حيان في **البحر المحيط** (١٠/ ٤٧٠): «ذكر في كتاب **التحرير والتحبير** [أي: ابن النقيب] فيها ستة وثلاثين قولاً ضجرنا من قراءتها فضلاً عن كتابتها في كتابنا هذا»، وما أحسن قول الزمخشري في **الكشاف** (٤/ ٧٤٦): «وقد أكثروا في (الشفع والوتر) حتى كادوا يستوعبون أجناس ما يقعان فيه، وذلك قليل الطائل، جدير بالتلهِّي عنه»!، والصواب ما ذهب إليه الطبري في **جامع البيان** (٢٤/ ٣٥٥)من إرادة العموم حيث قال: «والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بالشفع والوتر، ولم يخصص نوعاً من الشفع ولا من الوتر دون نوع بخبر ولا عقل، وكل شفع ووتر فهو مما أقسم به مما قال أهل التأويل إنه داخل في قسمه هذا لعموم قسمه بذلك».

(٢) انظر: التيسير للداني (ص: ٢٢٢)، **والنشر** لابن الجزري (٢/ ٤٠٠).

(٣) هذا من حيث اللغة، انظر: **المفردات** (ص: ٨٥٣)، **وعمدة الحفاظ** (٤/ ٢٨٠)، **والمعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم** (١/ ٢٠٣)، أما من حيث المراد بها في الآية فالكلام فيها كالكلام في (الشفع).

(٤) أخرجه **أحمد في المسند** (٢٢/ ٣٨٩) (١٤٥١٠)، والنسائي في **السنن الكبرى** (٤/ ١٩٤) (٣٤٦٨)، والحاكم في **المستدرك** (٤/ ٢٤٥) (٧٥١٧)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي في **التلخيص**، والبيهقي في **شعب الإيمان** (٥/ ٣٠٤) (٣٤٦٨)، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً، وقد حسن إسناده ابن رجب كما في **الجامع** لتفسيره (٢/ ٥٦٢)، لكن قال ابن كثير في **تفسيره** (٨/ ٣٩١): «وهذا إسناد رجاله لا بأس بهم، وعندي أن المتن في رفعه نكارة، والله أعلم»، وحكم عليه الألباني في **السلسلة الضعيفة** (٨/ ٤٠٨) (٣٩٣٨) بالنكارة، وقال: «وهذا إسناد رجاله ثقات؛ إلا أنه معلول بعنعنة أبي الزبير؛ فإنه مدلس».

(٥) انظر: **جامع البيان** (٢٤/ ٣٥٦)، **ومعاني القرآن وإعرابه** للزجاج (٣/ ٢٢٥).

(٦) يريد أنه أطلق المصدر وأراد به اسم المفعول، وهو قول الزمخشري في **الكشاف** (٤/ ٧٤٧).

(٧) كذا قال الزمخشري في **الكشاف** (٤/ ٧٤٧)، وانظر: **معاني القرآن** للأخفش (١/ ٣١٣)، **وجامع البيان** (٢٤/ ٣٥٨).

الأشياء إقسامٌ لذي عقل، والمعنى: هل هو قسم عظيم يؤكَّدُ بمثله المُقسَمُ عليه[٨]، والمُقسَمُ عليه محذوفٌ تقديره: لتُعذّبن يا كفارَ مكة[١]، يدلّ عليه قوله:

﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ أي: يا محمد[٣] إلى قوله: ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ أي: نوعَ عذابٍ[٤]، فإن قلت: ما الحكمةُ في تنكير ﴿ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ من بين ما أَقْسَمَ به؟ أُجيب: بأن حكمته اختصاصُها بفضيلةٍ ليست لغيرها، ولو عُرّفت بلام العهد لم تَسْتَقِلَّ بمعنى الفضيلة الذي في التنكير[٥]، وقد ذهب بعض الحفاظ إلى تفضيلها على العشر الأخير من رمضان[٦]، فتكون جميعُ الأعمال المفضولة فيها أفضلَ من نظيرها المفعولِ في شهر رمضان إلا الصوم؛ فإنه فرض، وهو أفضل من صوم النفل[٧]، واستدلّ على ذلك بأحاديث كثيرة؛ لخبر البخاري أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما من أيام**

---

(١) قال مكي في **الهداية** (١٢/ ٨٢٤٠): «أي: إن في هذا القسم لكفاية لذي عقل»، وانظر: **جامع البيان** (٢٤/ ٣٥٨)، **والكشف والبيان** (١٠/ ١٩٥)، **والكشاف** (٤/ ٧٤٧).

(٢) أي: إن جواب القسم محذوف، يدل عليه قوله: «أَلَمْ تَرَ إلى قوله: ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ ﴾ [سورة الفجر: ١٣]»، وهذا قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٧٤)، وقيل: الجواب مذكور، واختلف في تقديره، فقيل: هو قوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ [سورة الفجر: ١٤]، وهو قول الزجاج في **معاني القرآن وإعرابه** (٥/ ٣٢١)، وأبو البقاء العكبري في **التبيان في إعراب القرآن** (٢/ ١٢٨٥)، وقيل: محذوف دل عليه ما قبله من آخر سورة الغاشية، وهو قوله: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾ [سورة الغاشية: ٢٥-٢٦]، قاله أبو حيان في **البحر المحيط** (١٠/ ٤٧١)، أي: إن الجواب تقديره: لتبعثُنَّ، وقد ذكره ابن الأنباري في **البيان في غريب إعراب القرآن** (٢/ ٥١١)، وقيل: محذوفٌ لدلالة المعنى عليه، أي: لَنُجازِيَنَّ كلَّ أحدٍ بما عَمل؛ بدليلِ تعديدِه ما فعلَ بالقرونِ الخاليةِ، **الدر المصون** للسمين الحلبي (١٠/ ٧٧٧).

(٣) الأولى تقديره: يا أيها النبي، أو يا أيها الرسول؛ لأن المحذوف المقدَّرَ في تقدير الملفوظ به، والله تعالى لم يُنادِ نبيه محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باسمه المجرد، إنما يناديه بوصف الرسالة أو النبوة تكريماً له، بخلاف غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

(٤) قال الفراء في **معاني القرآن** (٣/ ٢٦١): «هذه كلمة تقولها العرب لكل نوع من العذاب، تدخل فيه السوط، جرى به الكلام والمَثَل، قال ابن عاشور في **التحرير والتنوير** (٣٠/ ٣٢٢) شرحاً لكلام الفراء: «يريد أن حقيقتها كذلك، ولا يريد أنها في هذه الآية كذلك، وإضافة (سوط) إلى (عذاب) من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي: صب عليهم عذاباً سوطاً، أي: كالسوط في سرعة الإصابة، فهو تشبيه بليغ» وانظر: **جامع البيان** (٢٤/ ٣٧٣)، **ومعالم التنزيل للبغوي** (٨/ ٤٢٠).

(٥) السؤال وجوابه في **الكشاف** (٤/ ٤٧٦)، وزاد: «ولأن الأحسن أن تكون اللامات متجانسة؛ ليكون الكلام أبعد من الإلغاز والتعمية».

(٦) لعله يريد به الحافظ ابن رجب، حيث عقد في **لطائف المعارف** (ص: ٢٦٦) فصلًا في فضل عشر ذي الحجة على غيره من أعشار الشهور، وضمنه كثيراً من فضائل عشر ذي الحجة، وقال (ص: ٢٦٧): «فأما لياليه فمن المتأخرين من زعم أن ليالي عشر رمضان أفضل من لياليه لاشتمالها على ليلة القدر، وهذا بعيد جداً»، ولشيخ الإسلام ابن تيمية تفصيل لطيف في التفضيل بينهما، وهو: أن أيام عشر ذي الحجة أفضل من أيام العشر من رمضان، والليالي العشر الأواخر من رمضان أفضل من ليالي عشر ذي الحجة، انظر: **مجموع الفتاوى** (٢٥/ ٢٨٧)، ونقله ابن القيم في **بدائع الفوائد** (٣/ ١٦٢) وعلق عليه بقوله: «وإذا تأمل الفاضل اللبيب هذا الجواب وجده شافياً كافياً» وانظر: **زاد المعاد في هدي خير العباد** (١/ ٥٧).

(٧) للحديث القدسي الذي أخرجه **البخاري في صحيحه** (٨/ ١٠٥) (٦٥٠٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنتُه بالحرب، وما تقرَّب إلي عبدي بشيء أحبَّ إلي مما افترضتُ عليه**».

العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام» يعني: أيامَ العشر، قالوا يا رسول الله: ولا الجهاد؟ قال: «**ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله** [١/ أ] **ثم لم يرجع من ذلك بشيء**»[(١)]، ففيه التصريح بأن العمل فيها أحبُّ إلى الله من العمل في بقية الأيام، والأحب إلى الله هو الأفضل عنده، بل في رواية: التصريح بـ(أفضل) بدل: (أَحبّ)، وفي صحيح ابن حبان خبر: «**ما من أيامٍ أفضلَ**[(٢)] **عند الله من أيام عشر ذي الحجة»، فقال رجل: يا رسول الله، هل هو أفضل أم غزوة جهاد في سبيل الله؟ قال: «هو أفضل من عِدَّتهن جهاداً في سبيل الله»**[(٣)]، وفي حديث ضعيف: «**والعمل فيهن -أي: العشر - يُضاعَف بسبعمائة**»[(٤)]، وأخرج الترمذي وابن حبان بسند ضعيف مرفوعاً: «**ما من أيامٍ أحبَّ إلى الله أن يتعبَّد له فيها من عشر ذي الحجة، يعدل صيام كل يوم منها بسنة، وكل ليلة منها بقيام ليلة القدر**»[(٥)]، وفي حديث عند البزّار وغيره[(٦)]: «**أفضل أيام الدنيا أيام العشر»، قالوا: يا رسول الله ولا مثلُهن في سبيل الله؟ قال:**

---

(١) أخرجه **البخاري في صحيحه** (٢ / ٢٠) (٩٦٩) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بلفظ: «**ما العملُ في أيامٍ أفضلَ منها في هذه» قالوا: ولا الجهادُ؟ قال: «ولا الجهادُ، إلا رجلٌ خرج يُخاطر بنفسه وماله، فلم يرجِعْ بشيء»**، وذلك اللفظ **لأبي داود في سننه** (٢/ ٣٢٥) (٢٤٣٨)، **والترمذي في جامعه** (٣/ ١٢١) (٧٥٧)، **وابن ماجه في سننه** (١/ ٥٥٠) (١٧٢٧)، **وابن حبان في صحيحه** (٢/ ٣٠) (٣٢٤).

(٢) في الهامش: «صفة لأيام»، والمراد: أنه مجرور بالفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف.

(٣) أخرجه **أبو يعلى الموصلي في مسنده** (٤/ ٦٩) (٢٠٩٠)، **وابن حبان في صحيحه**(٩/ ١٦٤) (٣٨٥٣) من طريق هشام الدستوائي، عن أبي الزبير، عن جابر مرفوعاً، وضعفه الألباني في **السلسلة الضعيفة** (٢/ ١٢٦) (٦٧٩) لعنعنة أبي الزبير، وقال في **الإرواء** (٣/ ٤٠٠): «وأبو الزبير مدلس، وقد عنعنه من الطريقين، ولولا ذلك لقلنا بصحة إسناده».

(٤) أخرجه البيهقي في **شعب الإيمان** (٥/ ١١٣) (٤٣٨١)، وفي **فضائل الأوقات** (ص: ٣٤٣) (٢٧١) من طريق عدي بن ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مرفوعاً، وضعفه ابن رجب في **لطائف المعارف** (ص: ٢٦١)، والألباني في **ضعيف الترغيب والترهيب** (١/ ٣٦٤) (٧٣٥).

تنبيه: تضعيف الحسنات إلى سبعمائة ضِعْفٍ قد ورد به حديث صحيح أخرج **مسلم في صحيحه** (٢/ ٨٠٧) (١٥١١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله عز وجل: إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي..** » الحديث، ولكن ذلك لا يختص بعشر ذي الحجة.

(٥) أخرجه **الترمذي في جامعه** (٣/ ١٢٢) (٧٥٨)، **وابن ماجه في سننه** (١/ ٥٥١) (١٧٢٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال الترمذي: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث مسعود بن واصل، عن النهَّاس، وسألت محمداً أي: البخاريَّ عن هذا الحديث فلم يعرفه من غير هذا الوجه مثلَ هذا»، وضعفه البغوي في **شرح السنة** (٤/ ٣٤٦)، وابن حجر في **فتح الباري** (٢/ ٥٣٤)، والألباني في **السلسلة الضعيفة** (١١/ ٢٤٢) (٥١٤٢).

(٦) هو الحديث الذي سيذكره بعده لكن اختلف لفظه، وسيأتي أنه مخرَّج عند أبي عوانة وابن حبان.

«**ولا مثلُهن في سبيل الله إلا من عَفَّر وجهَه في التراب**»[١]، وروي مرسلاً، قيل: وهو الأصح[٢]، وفي حديث جابر[٣] في صحيحي ابن عوانة وابن حبان: «**ما من أيام أفضل عند الله من أيام عشر ذي الحجة**»[٤]، وتظهر فائدة الأفضلية فيمن نذر الصيام أو علّق عملًا من الأعمال بأفضل الأعشار أو أفضل الأيام، فلو أفرد يومًا منها تعيّن يوم عرفة؛ لأنه على الصحيح أفضلُ أيام العشر المذكورة، وأفضل أيام السنة، فإن أراد أفضلَ أيامِ الأسبوع تعيّن يومُ الجمعة؛ جمعاً بين الحديث الآتي وبين حديث أبي هريرة مرفوعًا: «**خير يوم طلعت فيه الشمس: يوم الجمعة؛ فيه خُلق آدم، وفيه أُدخل الجنة، وفيه أُخرج منها**» رواه البخاري ومسلم[٥]، ولو قال: أنتِ طالق في أفضل الأيام: طلقت يوم عرفة[٦]، قال بعض المتأخرين[٧]: «والتحقيق ما قاله بعض أعيان المتأخرين من العلماء: أن مجموع هذه العشر أفضل من مجموع عشر رمضان، وإن كان في عشر رمضان ليلةٌ لا يفضُل عليها غيرُها»[٨]، وقال ابن القيّم: «الصواب أن ليالي العشر الأخير من رمضان أفضل من ليالي عشر الحجة، وأيام عشر الحجة أفضل من أيام عشر رمضان؛ لأن عشر الحجة إنما فضّل ليومي النحر وعرفة، وعشر رمضان إنما فضّل بليلة القدر»[٩]، قال الشمس[١٠] الرَّمْلي: وأفتى الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى بأن عشر رمضان أفضل من عشر ذي

---

(١) أخرجه البزار كما في **كشف الأستار** (٢/ ٢٨) (١١٢٨) عن جابر رضي الله عنه، وحسّن إسناده المنذري في **الترغيب والترهيب** (٢/ ١٢٧) (١٧٨٣)، وصححه الألباني في **صحيح الترغيب والترهيب** (٢/ ٢٣) (١١٥٠)، وفي ذلك نظر لما سيأتي في الحاشية التالية.

(٢) لم أقف عليه مرسلًا، فقد تتبعت طرقه ومخارجه، فلم أجده إلا من طريق أبي الزبير عن جابر مرفوعاً، ولكن أبا الزبير رواه عن جابر معنعناً، وأبو الزبير مدلس، ولم يصرح بالسماع في جميع الطرق، انظر: **أنيس الساري لنبيل البصارة** (٧/ ٤٧٢٦-٤٧٢٨) (٣٣٦٦)..

(٣) هو الحديث الذي قبله لكن اختلف لفظه.

(٤) أخرجه **أبو عوانة في مستخرجه** (٢/ ٢٤٦) (٣٠٢٣)، ، وأخرجه **ابن حبان في صحيحه** (٩/ ١٦٤) (٣٨٥٣)، كلاهما من طريق أبي الزبير عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا، وهو الحديث الذي قبله مع اختلاف يسير في ألفاظه، وقد تقدم في الحاشية قريباً ما فيه من عنعنة أبي الزبير وعدم تصريحه بالسماع من جابر، وهو مدلس.

(٥) أخرجه **مسلم في صحيحه** (٢/ ٥٨٥) (٨٥٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ولم أقف عليه عند البخاري فالله أعلم.

(٦) انظر الإشارة لثمرة الخلاف في: **فتح الباري** (٢/ ٤٦٠)، **وفيض القدير للمناوي** (٢/ ٥١)، **وحاشية ابن عابدين** (٢/ ٥١١).

(٧) هو الحافظ ابن رجب.

(٨) **لطائف المعارف** (ص: ٢٦٧).

(٩) انظر: **بدائع الفوائد** (٣/ ١٦٢)، **وزاد المعاد** (١ / ٥٧).

(١٠) (ال) في كتب **التراجم** تقوم مقام (الدين) في ألقاب العلماء اختصاراً، فالشمس أي: شمس الدين.

الحجة[١/ ب]؛ لأن رمضان سيد الشهور[(١)]، وأما خبر: «**سيد الشهور رمضان، وأعظمها حرمة ذو الحجة**» فضعيف[(٢)]، وأفضل الصيام بعد رمضان: صيام الأشهر الحرم[(٣)]، وأولها: شهر ذي القعدة على المعتمد، وأفضلها على الأصح: المحرم ثم رجب؛ خروجًا من خلاف من فضّله على الأشهر الحرم، ثم القعدة والحجة على حد سواء، وقيل بتقديم الحجة، ثم بعدها شعبان[(٤)].

وروى أبو داود عن أمهات المؤمنين «**أن النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **كان يصوم تسع ذي الحجة**»[(٥)]، **وأما رواية مسلم عن عائشة**: «**ما رأيته** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **صائمًا العشر قط**»، وفي رواية: في العشر قط[(٦)]، فأجيب عنها بأنها إنما نفت رؤيتها، ولا يلزم من عدم رؤيتها عدم وقوعه في نفس الأمر[(٧)].

وكره ابن سيرين أن يقال: صام العشر؛ لأنه لم يصم إلا التسع إذ العاشر لا يقبل

---

(١) **نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج** (٣/ ٢٠٧).

(٢) أخرجه البيهقي في **شعب الإيمان** (٥/ ٣١٠) (٣٤٧٩)، وابن عساكر في **تاريخ دمشق** (٢٦/ ٣٢٣) (٣١١٥)، والبزار كما في **كشف الأستار** (١/ ٤٥٧) (٩٦٠) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً، وضعفه الألباني في **السلسلة الضعيفة** (٨/ ٢٠٥) (٣٧٢٧)، وانظر: **كشف الخفاء** للعجلوني (١/ ٥٢٦).

(٣) لما أخرجه **مسلم في صحيحه** (٢/ ٨٢١) (١١٦٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أفضل الصيام بعد رمضان: شهر الله المحرم**».

(٤) انظر: **تحفة المحتاج** لابن حجر الهيتمي (٣/ ٤٦١)، **ومغني المحتاج** للشربيني (٢/ ١٨٧)، **ونهاية المحتاج** للشمس الرملي (٣/ ٢١١).

(٥) أخرجه **أحمد في مسنده** (٧٣/ ٤٢) (٤٣٣٢٢) ، **وأبو داود في سننه** (٢/ ٥٢٣) (٧٣٤٢) ، والنسائي في **السنن الكبرى** (٣/ ٨٩١) (٨٣٧٢) عن بعض أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هكذا بالإبهام ، وصححه الألباني في **صحيح سنن أبي داود** (الأم) (٧/ ١٩٦) (٢١٠٦).

(٦) أخرجه **مسلم في صحيحه** (٢/ ٨٣٣) (١١٧٦) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بلفظ: «**ما رأيت رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **صائمًا في العشر قط**»، وأخرجه **أبو داود في سننه** (٢/ ٥٢٣) (٢٤٣٩)، والنسائي في **السنن الكبرى** (٣/ ٢٤٣) (٧٨٨٢)، **وابن ماجه في سننه** (١/ ١٥٥) (٧٢٩) بلفظ: «**ما رأيت رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **صام العشر قط**».

(٧) انظر: **شرح النووي على صحيح مسلم** (٨/ ٧٢)، وقال ابن رسلان في **شرح سنن أبي داود**: (١٠/ ٥٥٥): «لأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يكون عندها في يوم من تسعة أيام، والباقي عند باقي أمهات المؤمنين، أو لعله كان يصوم بعضه في بعض الأوقات، وكله في بعضها ويتركه في بعضها لعارض من سفر أو مرض أو غيرهما، وبهذا يجمع بين الأحاديث».

الصوم[١]. ويسنّ صوم الثمانية أيام قبل يوم عرفة للحاج وغيره[٢]، وفي الحديث: «**من صام عشر ذي الحجة أعطاه الله ثواب من حج واعتمر تلك السنة، وكتب الله بكل يوم عبادة نبي من الأنبياء، وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وكان يوم القيامة رفيق إبراهيم الخليل صلوات الله عليه، وإن مات إلى مائة يوم مات شهيداً**»[٣].

ويسن إحياء ليالي التسع[٤]؛ لحديثٍ فيه[٥]، كما يسن إحياء ليلتي العيد[٦]، ويسن أيضاً إكثار الذكر فيها؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾[الحج: ٢٨]، وهي العشر[٧]، وروى أحمد: «**ما من أيامٍ أعظمُ عند الله ولا أحبُّ إليه العملُ فيهن من هذه الأيام العشر، فأكثروا فيهن من التكبير والتحميد والتهليل**»[٨].

ويسن صوم يوم عرفة لغير حاج ومسافر ومريض[٩]، وهو تاسع الحجة؛ لخبر مسلم: «**صيام يوم عرفة يكفر السنة التي قبله والتي بعده**»[١٠] أي: بأن تغفر الذنوب المكتسبة فيها.

---

(١) نقله عنه ابن رجب في **لطائف المعارف** (ص: ٢٦٢)، وقال: «لأنه يوهم دخول يوم النحر فيه وإنما يقال: صام التسع ولكن الصيام إذا أضيف إلى العشر فالمراد صيام ما يجوز صومه منه»، وانظر: **شرح سنن أبي داود** لابن رسلان (١٠/ ٥٦١).

(٢) انظر: **مغني المحتاج** للشربيني (٢/ ١٨٣)، **ونهاية المحتاج** للشمس الرملي (٣/ ٢٠٧).

(٣) لم أقف عليه، وأمارات الوضع عليه لا تخفى.

(٤) أي: قيامها، انظر: **مراقي الفلاح** للشرنبلالي (ص: ١٥٠)، **والفروع** لابن مفلح (٢/ ٣٩٢).

(٥) وهو: «**ما من أيامٍ أحبَّ إلى الله أن يتعبَّد له فيها من عشر ذي الحجة، يعدل صيامُ كلِّ يومٍ منها بسنة، وكلُّ ليلةٍ منها بقيام ليلة القدر**»، وقد تقدم ذكر المؤلف له وتخريجه والحكم عليه.

(٦) انظر: **نهاية المطلب** للجويني (٢/ ٦١١)، **وشرح مختصر خليل** للخرشي (٢/ ١٠١)، قال النووي في **المجموع** (٥/ ٤٢): «واحتج له أصحابنا بحديث أبي أمامة عن النبي ﷺ: «**من أحيا ليلتي العيد لم يمت قلبه يوم تموت القلوب**»، وفي رواية الشافعي وابن ماجه: «**من قام ليلتي العيدين محتسباً لله تعالى لم يمت قلبه حين تموت القلوب**»، رواه عن أبي الدرداء موقوفاً، وروي من رواية أبي أمامة موقوفاً عليه ومرفوعاً كما سبق، وأسانيد الجميع ضعيفة».

(٧) وهو قول أكثر المفسرين، انظر: **الكشف والبيان** (٧/ ١٩)، **ومعالم التنزيل** (٥/ ٣٧٩)، ورواه **البخاري في صحيحه** (٢/ ٢٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما معلقاً بصيغة الجزم.

(٨) أخرجه **أحمد في مسنده** (٩/ ٣٢٣) (٥٥٤٦)، (١٠/ ٢٩٦) (٦١٥٤) عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً، وصحح إسناده **أحمد شاكر في تحقيقه للمسند** (٥/ ٦٨) (٥٤٤٦)، وصحح محققو المسند متنه، وانظر: **إرواء الغليل** للألباني (٣/ ٣٩٨).

(٩) لما أخرجه البخاري في **صحيحه** (٢/ ١٦١) (١٦٥٨)، ومسلم في **صحيحه** (٢/ ٧٩١) (١١٢٣) عن أم الفضل بنت الحارث رضي الله عنها قالت: (شك الناس يوم عرفة في صوم النبي ﷺ، فبعثت إلى النبي ﷺ بشراب فشربه).

(١٠) أخرجه مسلم في **صحيحه** (٢/ ٨١٨) (١١٦٢) عن أبي قتادة رضي الله عنه مرفوعاً وفيه قصة.

ولو ثبت هلال الحجة يوم الجمعة مثلاً، ثم تحدث الناس برؤيته ليلة الخميس، وظَنَّ صدقَهم ولم يثبُتْ، فهل يُندَب صومُ السبت لكونه يوم عرفة على تقدير كمال ذي القعدة؟ أم يَحرُم لاحتمال كونه يوم العيد؟ قال (م ر)[1]: «أفتى الوالد بالثاني؛ لأن دفع مفسدة الحرام [٢/ أ] مقدّم على تحصيل مصلحة المندوب»[2]، والمراد بالسنة التي قبل يوم عرفة: السنة التي تتم بفراغ شهره، وبالسنة التي بعده: السنة التي أولها المحرم الذي يلي الشهر المذكور؛ إذ الخطاب الشرعي محمول على عرف الشرع، وعرفه فيها ما ذكرناه[3]، قال بعضهم: «ويؤخذ من تكفير السنة المستقبلة أن من صامه لا يموت فيها؛ لأن التكفير لا يكون بعد الموت»[4]، وأقول: يمكن أن يكون بعد الموت بأن أحدث بدعةً قبل موته وفُعلتْ بعده فإنه يُعاقَب عليها ما دامت تُفعل، فيجوز أن الله يغفرها له بعد موته، وقال الماوردي: التكفير يطلق بمعنى الغفران وبمعنى العصمة[5]، فيحمل الأول على السنة الماضية، والثاني على المستقبلة، بمعنى أنه تعالى يحفظه أن يذنب فيها، أو يعطى من الثواب ما يكون كفارة لذنوبها، أو تغفر حقيقة قبل وقوعها[6]، قال إمام الحرمين: «والمكَفَّر: الصغائر دون الكبائر»[7]، قال النووي:

(١) هذه من الرموز الحرفية لفقهاء الشافعية المتأخرين، ويقصدون به: شمس الدين محمد الرملي، فالميم من: محمد، والراء من: الرملي، انظر: **مصطلحات المذاهب الفقهية وأسرار الفقه المرموز** لمريم الظفيري (ص: ٢٢٩).

(٢) **نهاية المحتاج** (٣/ ١٨٠)، قال والده الشهاب الرملي في **حاشيته على أسنى المطالب** (١/ ٤٣١): «وسُئلت عما إذا ثبت هلال ذي الحجة يوم الجمعة ثم تحدث الناس برؤيته يوم الخميس وظَن صدقَهم ولم يثبت، فهل يُندب صومُ يوم السبت لكونه يوم عرفة على تقدير كمال ذي القعدة؟ أم يَحرُم لاحتمال كونه يوم العيد؟ فأجبتُ بأنه يَحرُم؛ لأن دفع مفسدة الحرام مقدمة على تحصيل مصلحة المندوب».

(٣) منقول من كلام الشمس الرملي في **نهاية المحتاج** (٣/ ٢٠٦).

(٤) نقلها القليوبي في **حاشيته على شرح المحلي على منهاج الطالبين للنووي** (٢/ ٩٣)، والبجيرمي على **شرح الخطيب الشربيني على مقدمة أبي شجاع** (٢/ ٤٠٥) ونقلها عنه، ثم قال: «وقد راجعته فوجدته كما ذكر، فقد قال المدابغي على (التحرير) ما نصه: فائدة: قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وهذه بشرى بحياة سنةٍ مستقبَلةٍ لمن صامه، إذ هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشَّر بكفارتها، فدلَّ لصائمه على الحياة فيها؛ إذ هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

(٥) قال الماوردي في **الحاوي الكبير** (٣/ ٤٧٢): «...وفيه تأويلان: أحدهما: أن الله تعالى يغفر له ذنوب سنتين، والثاني: أن الله تعالى يعصمه في هاتين السنتين فلا يعصي فيهما».

(٦) انظر هذه التأويلات في: **المجموع** (٦/ ٣٨١ - ٣٨٢).

(٧) قال في **نهاية المطلب** (٤/ ٧٣): «وكل ما يرد في الأخبار من تكفير الذنوب، فهو عندي محمولٌ على الصغائر، دون الموبقات».

«فإن لم تكن صغائر فيرجى أن تُحَتَّت[١] الكبائر»[٢]، وعمّمه ابن المنذر في الكبائر أيضاً[٣]، ومشى عليه صاحب الذخائر[٤]، وقال: «التخصيص بالكبائر تحكّم يحتاج إلى دليل وفضل الله واسع»[٥]، ومال إليه الشمس الرملي في شرحه على المنهاج[٦]، فإن لم تكن ذنوب فزيادة في الحسنات[٧]، ويوم عرفة من خصائص هذه الأمة؛ ولهذا كفّر سنتين، وأخرج البيهقي أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول: «ألف يوم»[٨]، وفي الحديث: «**صوم يوم عرفة كصوم ستين سنة**»[٩]، وفي الحديث: «**صيام أول يوم من العشر يعدل مائة سنة، واليوم الثاني يعدل مائتي سنة، فإذا كان يوم التروية يعدل ألف عام**»[١٠]، ويوم التروية هو: اليوم الثامن من ذي الحجة، سُمِّي بذلك؛ لأن

(١) الحَت: التساقط، انظر: **مقاييس اللغة** لابن فارس (٢/ ٢٨) مادة (ح ت ت)، **والقاموس المحيط** للفيروز آبادي (١/ ١٥٠)، وفي المصدر: تُخفَّف، وكلاهما بمعنى واحد.

(٢) **المجموع** (٦/ ٣٨٢).

(٣) قال في **الإشراف على مذاهب العلماء** (٣/ ١٧٢): «وقوله: (غفر له ما تقدم من ذنبه) قول عام يرجى لمن قامها إيماناً واحتساباً أن يغفر له جميع ذنوبه صغيرها وكبيرها»، وانظر: **المجموع** (٦/ ٣٨٢).

(٤) هو: أبو المعالي مُجلِّي بن جُميع بن نجا المخزومي، قاضي القضاة، يعرف عند الشافعية بـ(صاحب الذخائر)، وهو أحد مؤلفاته، انظر: **مصطلحات المذاهب الفقهية وأسرار الفقه المرموز** (ص: ٢٤٥).

(٥) نقله عنه ابن قاضي شهبة في **بداية المحتاج في شرح المنهاج** (١/ ٥٩١)، والشربيني في **مغني المحتاج** (٢/ ١٨٣).

(٦) **نهاية المحتاج** (٣/ ٢٠٦).

(٧) انظر: **حاشية القليوبي على شرح المحلي على المنهاج** (٢/ ٩٣)، **وحاشية البجيرمي على شرح الخطيب الشربيني على مقدمة أبي شجاع** (٢/ ٤٠٥).

(٨) أخرجه البيهقي في **شعب الإيمان** (٥/ ٣١٥) (٣٤٨٦)، والعقيلي في **الضعفاء الكبير** (٢/ ١٤٠)، والطبراني في **المعجم الأوسط** (٧/ ٤٤) (٦٨٠٢)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وحكم عليه الألباني في **السلسلة الضعيفة** (١١/ ٣١٠) (٥١٩١) بالنكارة.

(٩) أخرجه الديلمي في **الفردوس** (٢/ ٣٩٤) (٣٧٥٠)، وأورد السيوطي سنده في **الزيادات على الموضوعات** (١/ ٤٦٧) (٥٦٥) من طريق الديلمي عن ابن مسعود مرفوعاً، وهو حديث موضوع؛ في إسناده محمد بن تميم الفاريابي، قال ابن حبان في: **المجروحين** (٢/ ٦٠٣) (١٠١٣): : «يضع الحديث»، وقال الحاكم كما في **سؤالات السجزي للحاكم** (ص: ١٣٩) (١٣٧): «وضع على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثر من عشرة آلاف حديث»، والحديث أورده ابن عراق الكناني في **تنزيه الشريعة** (٢/ ١٦٥) (٤٩)، والفتّني في **تذكرة الموضوعات** (ص: ١١٩).

(١٠) أخرجه الديلمي في **الفردوس** (٢/ ٣٩٦) (٣٧٥٥) وأورد السيوطي سنده في **الزيادات على الموضوعات** (١/ ٤٦٨) (٥٦٦) من طريق الديلمي بإسناده إلى محمد بن عبيد المحرِم، عن عطاء، عن عائشة مرفوعاً، وهذا حديث موضوع؛ آفته محمد المحرِم. انظر ترجمته في: **لسان الميزان** (٧/ ٢٢٧) (٦٩٦٦)، وأورده الفَتَّني في **تذكرة الموضوعات** (ص: ١١٩)، والسيوطي في **الزيادات على الموضوعات** (١/ ٤٦٨٥٦٦) وقالا: فيه محمد بن المحرم كذاب.

الناس يملئون رواياهم[1] فيه؛ لأجل صعود عرفة[2]، وقيل: لأن إبراهيم رأى في الليل ذبح ابنه فأصبح يوم التروية يتروّى -أي: يتفكر أنه من الشيطان، أو من الرحمن- فبقي جميع النهار متفكرًا فيما رأى، أو لأن آدم وحواء رأى كل منهما صاحبه في ذلك اليوم[3]، وفي الحديث: «**في أول ليلة من ذي الحجة ولد إبراهيم، فمن صام ذلك اليوم كان كفارة ثمانين سنة، وفي تسع من ذي الحجة أنزل توبة داود، فمن صام ذلك اليوم كان كفارة ستين سنة**»[4]، وعن أبي هريرة مرفوعًا: «**من صام يوم عرفة كتب الله له بعدد من صام ذلك اليوم، وبعدد من لم يصمه من المسلمين ثواباً، [ويتبعه][5] سبعون ألف ملك إلى الموقف، وعند نصب الميزان، ومن الموقف إلى الصراط، ومن الصراط إلى الجنة، ويبشرونه بكل خطوة يخطوها مركوبُه ببشارة جديدة**»[6][7]، وفي الحديث: «**ما من يوم أكثر من أن يُعتق الله فيه من النار من يوم عرفة**» رواه مسلم[8] [٢/ ب]، وفي الحديث: «**أن الله تعالى ينظر إلى عباده يوم عرفة فلا يدع أحداً في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا غفر له**»، قال ابن عمر: قلت: يا رسول الله، لأهل عرفة خاصة؟ قال: «لا، بل للناس عامة للمسلمين عامة»[9].

---

(١) الرواياجمع: راوية، وهي المزادة التي يوضع فيها الماء، انظر: **المحكم** لابن سيده (١٠/ ٣٥٣)، **وتاج العروس** للزبيدي (٣٨/ ١٩٢).

(٢) انظر: **غريب الحديث** لإبراهيم الحربي (٢/ ٧٧٩)، **وتهذيب اللغة** للأزهري (١٥/ ٢٢٥).

(٣) انظر: **الكشف والبيان** للثعلبي (٢/ ١١٠)، **والكشاف** للزمخشري (٤/ ٥٤)، ومثل هذه التعليلات لا يعوَّل عليها، ولا يلتفت إليها، ويدل على بطلان الأول منهما أنه لو كان كما قيل لكانت منى تسمى: ترويا؛ لأن التروية مصدر: روّى لا تروّى، وتروّى مصدره: التروِّي.

(٤) أخرجه الديلمي في **الفردوس** (٣/ ١٤٢٤٣٨١) وأورد السيوطي سنده في **الزيادات على الموضوعات** (١/ ٤٦٨٥٦٧) من طريق الديلمي عن علي بن أبي طالب مرفوعاً، قال السيوطي: «محمد بن سهل كان يضع الحديث»، وهو حديث موضوع مسلسل بالكذابين، أورده ابن عراق الكناني في **تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة** (٢/ ١٦٥٥٠)، والفتني في **تذكرة الموضوعات** (ص: ١١٩)

(٥) في المخطوط: ويشاعه، وصوابه: «ويتبعه» كما في مصدر الخبر الآتي.

(٦) من قوله: «وعن أبي هريرة مرفوعًا» إلى هنا مستدرك في هامش المخطوط.

(٧) ليس في شيء من دواوين السنة، ولم أقف عليه مسنداً، وإنما أورده الصفوري الشافعي في **نزهة المجالس ومنتخب النفائس** (١/ ١٧١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً من غير إسناد، وأمارات الوضع ظاهرة عليه.

(٨) أخرجه **مسلم في صحيحه** (٢/ ٩٨٢) (١٣٤٨) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرفوعًا.

(٩) أخرجه عبد بن حميد كما في **المنتخب من مسنده** (٢/ ٥٤) (٨٤٠)، **والمطالب العالية** لابن حجر (٧/ ٣٠) (١٢٤٧)، والشجري في **ترتيب الأمالي الخميسية** (٢/ ٨٨) (١٦٨٨)، وابن عساكر في **فضل يوم عرفة** (ص: ١٥٧) (١٠)، وحكم عليه الألباني في **السلسلة الضعيفة** (١٣/ ١٢٨) (٦٠٤٨) بالوضع.

وأما الحاج الذي يصل عرفة نهاراً فلا يسن له صوم يوم عرفة، بل يستحب له فطره ولو كان قويًّا؛ للاتباع، رواه الشيخان[١]، وليَقْوَى على الدعاء، فإن صامه كره[٢]، وأما الحاج الذي لا يصل عرفة إلا ليلاً فيستحب له صومه، وأما المسافر والمريض فيسن لهما فطره ولو كان السفر قصيرًا[٣]، ويكره التعريف بغير عرفة[٤] عند جمع من السلف كمالك[٥]، وندبه الحسن البصري[٦]، والمعتمد عندنا كما قاله (ع ش)[٧] أنه لا كراهة فيه مالم يترتب عليه اختلاط الرجال بالنساء بأن تتضام أجسامهم وإلا حَرُم لهذا العارض[٨]، وهو جمع الناس بعد صلاة العصر؛ للدعاء وذكر اسم الله تعالى إلى غروب الشمس كما يفعل أهل عرفة[٩]، وفي الحديث: «**من قال عند غروب الشمس يوم عرفة: بسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله، ما شاء الله، الخير كله بيد الله، ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله، إلا عصمه الله، وحرسه من الشيطان، وناداه من فوق عرشه: قد أرضيتني، وعلى رضاك سَلني ما شئتَ أعطيك**»[١٠]، وأخرج أبو يعلى والطبراني وابن أبي الدنيا عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

---

(١) أخرج **البخاري في صحيحه** (٢/ ١٦١) (١٦٥٨)، **ومسلم في صحيحه** (٢/ ٧٩١) (١١٢٣) عن أم الفضل بنت الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: (شك الناس يوم عرفة في صوم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فبعثت إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشراب فشربه).

(٢) انظر: **البحر الرائق** لابن نجيم (٢/ ٣٦٥)، **وشرح مختصر خليل** للخرشي (٢/ ٢٤٠)، **والمجموع شرح المهذب** للنووي (٦/ ٣٨١)، **وكشاف القناع** للبهوتي (٢/ ٣٤٠).

(٣) انظر: **أسنى المطالب** لزكريا الأنصاري (١/ ٤٣١)، **وتحفة المحتاج** لابن حجر الهيتمي (٣/ ٤٥٥)، **والإقناع** للحجاوي (١/ ٣١٨).

(٤) «التعريف هو: اجتماع الناس في المساجد عشية عرفة للدعاء والذكر حتى تغرب الشمس، كما يفعله أهل عرفة» **حاشية الروض المربع** لابن قاسم (٢/ ٥٢٣).

(٥) انظر: **إرشاد السالك** لابن فرحون (١/ ٤٠٠)، **وشرح مختصر خليل** للخرشي (١/ ٣٥٢).

(٦) بوّب البيهقي في **السنن الكبرى** (٥/ ١٩١ باب التعريف بغير عرفة)، وأخرج (٥/ ١٩١) (٩٤٧٦) عن أبي عوانة قال: رأيت الحسن البصري يوم عرفة بعد العصر جلس فدعا وذكر الله عز وجل فاجتمع الناس، ورواه الأثرم عن الحسن كما في **المغني** لابن قدامة (٢/ ٢٩٦)، وانظر: **البناية شرح الهداية** للعيني (٢/ ١٢٤)، **ونهاية المحتاج** (٣/ ٢٩٧).

(٧) هذه من الرموز الحرفية لفقهاء الشافعية المتأخرين، ويقصدون به: علي الشبراملسي، انظر: **مصطلحات المذاهب الفقهية وأسرار الفقه المرموز** لمريم الظفيري (ص: ٢٣١).

(٨) ذكره في **حاشيته على نهاية المحتاج** (٣/ ٢٩٧).

(٩) انظر: **المجموع** للنووي (٨/ ١١٧)، **ومغني المحتاج** للشربيني (٢/ ٢٦١)، **وحاشية الروض المربع** لابن قاسم (٢/ ٥٢٣).

(١٠) أخرجه ابن عساكر في **تاريخ دمشق** (١٦/ ٤٢٧) عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً، وهذا حديث باطل، قال المزي في **تهذيب الكمال** (١٣/ ٣١٥): «هو حديث منكر، وإسناد مجهول»، وقال الذهبي في **ميزان الاعتدال** (٢/ ٣٣٠) (٣٩٥٧): «جاء في إسناد مجهول بمتن باطل»، وذكر الخبر، وانظر: **لسان الميزان** (٩/ ٣٢٩) (١٢٢٣)، وأورده السيوطي في **اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة** (١/ ١٥٤).

«من قال ليلة عرفة هذه العشر كلمات ألف مرة لم يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إلا قطيعة رحم أو مأثم: سبحان الذي في السماء عرشه، سبحان الذي في الأرض موطئه، سبحان الذي في البحر سبيله، سبحان الذي في النار سلطانه، سبحان الذي في الجنة رحمته، سبحان الذي في القبور قضاؤه، سبحان الذي في الهواء روحه، سبحان الذي رفع السماء، سبحان الذي وضع الأرض، سبحان الذي لا منجى منه إلا إليه»[1].

وقال ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «ليس في دعاء عرفة حديث يعول عليه إلا قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أفضل الدعاء يوم عرفة، وأفضل قولي وقول الأنبياء من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير»**[2][3]، وكان أكثر دعائه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم عرفة: **«لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير»**[4]، قال السيوطي: «فينبغي للإنسان أن يقوله [٣/ أ] يوم عرفة مائة مرة»[5].

---

(١) أخرجه **أبو يعلى في مسنده** (٩/ ٢٦٤) (٥٣٨٥)، **وابن أبي شيبة في مصنفه** (٦/ ١٠٣) (٢٩٨٢٣)، والطبراني في **الدعاء** (ص: ٢٧٤) (٨٧٦)، عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً، وأخرجه الطبراني في **المعجم الكبير** (١٠/ ٢٢٧) (١٠٥٥٤)، والبيهقي في **فضائل الأوقات** (ص: ٣٩١) (٢٠٧)، وابن عساكر في **فضل يوم عرفة** (١٦١) (١٤) عنه كذلك موقوفاً، كلهم من طريق عَزْرَةَ بنِ قيس قال: حدثتني أم الفيض قالت: سمعت ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: وذكروه بنحوه، ولم أقف عليه عند ابن أبي الدنيا، وهو باطل؛ أورده ابن الجوزي في **الموضوعات** (٢/ ٢١١)، والسيوطي في **اللآلئ المصنوعة** (٢/ ١٠١)، وابن عراق في **تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة** (٢/ ١٦٨)، والشوكاني في **الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة** (ص: ١٠٣)، وحكم عليه الألباني في **السلسلة الضعيفة** (١٢/ ٩٦٥) (٥٩٨٢) بالنكارة.

(٢) أخرجه ابن عساكر في **فضل يوم عرفة** (ص: ١٥٨) (١١) من طريق عبد الرحمن بن يحيي المدنّي، حدثنا مالك بن أنس، عن سميٍّ مولى أبي بكر، عن أبي صالح، عن أبي هريرة مرفوعاً، قال ابن عساكر: «تفرَّد بوصله عبد الرحمن، وهو مرسلٌ في الموطأ، انظر: **موطأ مالك** (٣/ ٦٢٢) (١٥٩٨)، فالصحيح في هذا أنه مرسلٌ ولا يصح مرفوعاً عن مالك كما قال ابن عساكر، وقال ابن عبد البر في **التمهيد** (٦/ ٣٨): «لا خلاف عن مالك في إرسال هذا الحديث كما رأيت، ولا أحفظه بهذا الإسناد مسنداً من وجه يحتج بمثله».

(٣) نقله عنه المناوي في **فيض القدير** (٣/ ٤٧١).

(٤) أخرجه **الترمذي في جامعه** (٥/ ٥٧٢) (٣٥٨٥)، **وأحمد في مسنده** (١١/ ٥٤٨) (٦٩٦١) واللفظ له، والبيهقي في **شعب الإيمان** (٥/ ٣١٦) (٣٤٨٩) من طرق عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: كان أكثر دعاء رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم عرفة: **«لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير»**، قال الألباني في **سلسلة الأحاديث الصحيحة** (١/ ٨) (١٥٠٣): «وجملة القول: أن الحديث ثابت بمجموع هذه الشواهد والله أعلم».

(٥) لم أقف عليه في مؤلفاته.

وفي منسك الخطيب[١]: «**من قرأ قل هو الله أحد يوم عرفة ألف مرة أعطاه الله ما سأل**»[٢]، وفي عمل اليوم والليلة في وظائف عشر ذي الحجة[٣]: «**من حفظ لسانه وسمعه وبصره يوم عرفة حفظه الله من عرفة إلى عرفة**»[٤]، وقال بعضهم: من قال في آخر يوم الحجة الدعاء الذي سنذكره غفر الله له ما كان في تلك السنة مما ندم عليه وتقبل عمله وضاعف له ثوابه، ويقول الشيطان: واويلتاه بقينا معه طول السنة فأفسد فعلنا في ساعة واحدة، وهو هذا: اللهم ما عملت من عمل في هذه السنة مما نهيتني عنه ولم ترضه ولم أتب منه وحَلُمتَ عليّ بعد قدرتك على عقوبتي ودعوتني إلى التوبة من بعد جراءتي على معصيتك اللهم إني أستغفرك منها فاغفرها لي، وما عملت فيها مما ترضاه ووعدتني عليه الثواب فتقبله مني ولا تقطع رجائي منك يا كريم، تكرره ثلاث مرار[٥].

(١) هو: الخطيب الشربيني، وانظر: **شرح الزرقاني على مختصر خليل** (١/ ٤٨٣).

(٢) رواه أبو الشيخ من حديث ابن عمر مرفوعاً كما في **كنز العمال** (١/ ٦٠٠) (٢٧٣٧)، ولم أقف على إسناده، قال ابن عراق الكناني في **تنزيه الشريعة** (١/ ٣٠٧) (٧٧): «فيه ابن وهب، قال في اللسان: لا يُعرف، وفيه غيره مَن لم أقف له على حال أصلاً، والله أعلم»، وقال الألباني في **السلسلة الضعيفة والموضوعة** (٦/ ٣٣٣) (٢٨١٢): «ولا أعلم في فضل قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص: ١] ألف مرة حديثاً ثابتاً، بل كل ما روي فيه واه جداً.

(٣) انظر: **شرح الزرقاني على مختصر خليل** (١/ ٤٨٣).

(٤) أخرجه البيهقي في **شعب الإيمان** (٥/ ٣١٧) (٣٤٩٠) عن الفضل بن عباس مرفوعاً، وهو حديث ضعيف فيه رجل مبهم، وضعفه الألباني في **ضعيف الترغيب والترهيب** (١/ ٣٧٠) (٧٤٤).

(٥) هذا الدعاء لم أقف عليه في كتب السنن والآثار، وأورده الشيخ عبد الحي اللكنوي في **الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة** (ص: ١١٦).

خاتمة نسأل الله حسنها

قال بعضهم: من دعا بدعاء السعادة في آخر ذي الحجة إحدى وعشرين مرة يرى جميع أحواله الباطنة في العام وهو ما بين النوم واليقظة، قال: وينبغي لصاحب الأبرار أن يقرأه كل يوم ليطلع على ترقي مراتبه، وهو هذا: بسم الله الرحمن الرحيم يا رب أكرمني بشهود أنوار قدسك، وأيدني بظهور سطوات سلطانك أنسك[1]، حتى أتقلب في سبحات معارف أسمائك، وأطلعني على أسرار ذرات وجودك في معالم شهودك، لأشهد بها ما أوعدته في عوالم الملك والملكوت، وأعاين سريان سر قدرتك في معالم شواهد اللاهوت والناسوت، وعرفني معرفة تامة في حكمة عامة حتى لا يبقى معلوم إلا وأطلع على دقائق رقائقه المنبسطة في الموجودات، وأذهب بالظلمة المانعة عن إدراك حقائق الإيمان، وأتقرب إلى ما في القلوب والأرواح بهيجان المحبة والوداد، والرشد والرشاد، إنك أنت المحب والمحبوب، والطالب والمطلوب، يا مقلب القلوب، ويا كاشف الكروب، ويا دليل المتحيرين، ويا غياث المستغيثين، إنك أنت علام الغيوب [٣/ ب]، أنت ربي ورب كل شيء اللهم لا تجعلنا بين الناس مغدورين، ولا عن خدمتك محرومين مهجورين، ولا بنعمتك مستدرَجين، ولا في الدنيا مخذولين، آكلين أموال الدنيا بالدين، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين برحمتك يا أرحم الراحمين[2].

تمّ هذا الكتاب على يد مؤلفه: أحمد بن محمد السحيمي القرشي الحسني، ووافق الفراغ من تأليفه يوم الثلاثاء، وهو اليوم الثامن والعشرون من ذي الحجة سنة إحدى وخمسين ومائة وألف [٤/ أ].

(١) هكذا في المخطوط، ولعل الصواب: سلطان أنسك.

(٢) هذه من أدعية وظائف وأوراد الصوفية في كتبهم، وقد وردت أكثر ألفاظ هذا الدعاء في **مجموعة أحزاب وأوراد ابن عربي** (ص: ٤٩ ٥٠) في ورد يوم الأربعاء، ومعلوم أن ترتيب دعوات على الأيام والليالي والمناسبات من البدع المنكرة.

الخاتمة

وأختم هذا البحث بذكر نتائجه ولبابه:

المؤلف العلامة أحمد بن محمد القرشي الحسني المصري القلعاوي الشافعي (ت: ١١٧٨هـ) كان من الفقهاء الذين لهم عناية بالتفسير، يظهر ذلك من خلال مؤلفاته في التفسير وما يدور حوله، وبغيره من العلوم ولا سيما العلوم العقلية كما يظهر في مؤلفاته عامة.

١. هذه الرسالة نسبتها ثابتة إلى المؤلف المذكور بعنوان: (تفسير سورة الفجر)، ولها نسخة خطية وحيدة بخط المؤلف.

٢. الرسالة تتحدث في مستهلها عن تفسير صدر سورة الفجر إلى قوله تعالى﴿ هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ﴾[سورة الفجر:٥]، ثم يأخذ المؤلف في الكلام عن الليالي العشر التي أقسم الله بها مطلع السورة، فيتحدث عن فضائلها وخصائصها، وعن بعض الأحكام والمسائل المتعلقة بها، ويختم بذلك الرسالة دون عود إلى تفسير باقي السورة، وهو يؤكد أن المؤلف ليس غرضه من كتابة الرسالة تفسير السورة بتمامها، بل الحديث عن فضائل عشر ذي الحجة، لكنه جعل الكلام على الليالي العشر التي يراد بها عشر ذي الحجة مدخلاً للحديث عن فضائلها وأحكامها، كما بينته تفصيلاً.

٣. الرسالة لها مزايا كما عليها مآخذ، وفيها فوائد تفسيرية وفقهية وحديثية، كما فيها أحاديث موضوعة وواهية، وما لا يحسن تضمينه إياها.

٤. يظهر من مادة الرسالة تفنن المؤلف في عدد من العلوم كالفقه والعربية، كما يظهر أن بضاعته من علم السنة مزجاة، وهو معذور في ذلك بضعف العلم والسنة في تلك الفترة التاريخية، وحرصه على إيراد الأحاديث في الرسالة دليل حرصه عليها.

٥. إخـراج هـذه الرسـائل مفيـد في كونـه يفتـح لنـا كُـوَّة نحـو تلـك الحقبـة التاريخيـة، ومـا يـدور فيهـا مـن حركـة علميـة، أو في القطـر الـذي ينتمـي إليـه المؤلـف عـلى الأقـل، وذلـك لمـا يكتنف تلـك المرحلـة التاريخيـة مـن غمـوض وركـود علمـي في كثـير مـن بلـدان الإسـلام، فالهـدف منهـا أكـبر مـن مجـرد تحصيـل مسـائل علميـة.

فهرس الآيات القرآنية

الآية	إسم السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾	[سورة آل عمران: ١٠٢]	٩٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾	[سورة النساء: ١]	٩٩
﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾	[سورة النساء: ٨٢]	١٠٩
﴿وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا﴾	[سورة الكهف: ٣٣]	١١٦
﴿وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ﴾	[سورة الحج: ٢٨]	١٢٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾	[سورة الأحزاب: ٧٠]	٩٩
﴿يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾	[سورة الأحزاب: ٧١]	٩٩
﴿وَٱلۡفَجۡرِ﴾	[سورة الفجر: ١]	١١٦
﴿وَلَيَالٍ عَشۡرٖ﴾	[سورة الفجر: ٢]	١١٦-١١٨
﴿وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ﴾	[سورة الفجر: ٣]	١١٧
﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾	[سورة الفجر: ٤]	١١٧
﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ﴾	[سورة الفجر: ٥]	١٠٨-١١٧ ١٣٠-
﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾	[سورة الفجر: ٦]	١١٨
﴿فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ﴾	[سورة الفجر: ١٣]	١١٨

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
العشر عشر الأضحى، والوتر يوم عرفة، والشفع يوم النحر	١١٧
ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام	١١٨
ما من أيامٍ أفضلَ عند الله من أيام عشر ذي الحجة	١١٩
والعمل فيهن -أي: العشر - يُضاعَف بسبعمائة	١١٩
ما من أيامٍ أحبَّ إلى الله أن يتعبَّد له فيها من عشر ذي الحجة	١١٩
أفضل أيامِ الدنيا أيام العشر	١١٩
ما من أيام أفضل عند الله من أيام عشر ذي الحجة	١٢٠
خير يوم طلعت فيه الشمس: يوم الجمعة؛ فيه خُلق آدم، وفيه أُدخل الجنة، وفيه أُخرج منها	١٢٠
سيد الشهور رمضان، وأعظمها حرمة ذو الحجة	١٢٠
كان يصوم تسع ذي الحجة	١٢١
ما رأيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صائمًا العشر قط	١٢١
من صام عشر ذي الحجة أعطاه الله ثواب من حج واعتمر تلك السنة	١٢١
ما من أيامٍ أعظمُ عند الله ولا أحبُّ إليه العملُ فيهن من هذه الأيام العشر	١٢٢
صيام يومِ عرفة يكفر السنة التي قبله والتي بعده	١٢٢
ألف يوم	١٢٤
صوم يوم عرفة كصوم ستين سنة	١٢٤
صيام أول يوم من العشر يعدل مائة سنة	١٢٤
في أول ليلة من ذي الحجة ولد إبراهيم	١٢٤
من صام يوم عرفة كتب الله له بعدد من صام ذلك اليوم	١٢٥
ما من يوم أكثر من أن يُعتق الله فيه من النار من يوم عرفة	١٢٥
أن الله تعالى ينظر إلى عباده يوم عرفة	١٢٥
من قال عند غروب الشمس يوم عرفة	١٢٦
من قال ليلة عرفة هذه العشر كلمات	١٢٧
أفضل الدعاء يوم عرفة	١٢٧
لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد	١٢٧
من قرأ قل هو الله أحد يوم عرفة	١٢٨
من حفظ لسانه وسمعه وبصره يوم عرفة	١٢٨

المصادر والمراجع

١. **أبجد العلوم**، لأبي الطيب محمد صديق خان القِنَّوجي، دار ابن حزم، بيروت، ط:١، ١٤٢٣هـ.

٢. **الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة**، لمحمد عبد الحي بن محمد اللكنوي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، مكتبة الشرق الجديد، بغداد، بدون تاريخ.

٣. **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد البُستي، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:١، ١٤٠٨هـ.

٤. **إرشاد السالك إلى أفعال المناسك، لبرهان الدين إبراهيم بن فرحون المالكي**، تحقيق: د. محمد بن الهادي أبو الأجفان، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط:١، ١٤٢٣هـ.

٥. **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط:٢، ١٤٠٥هـ.

٦. **أسنى المطالب في شرح روض الطالب**، لزكريا بن محمد الأنصاري، دار الكتاب الإسلامي، بدون تاريخ.

٧. **الإشراف على مذاهب العلماء، لأبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري**، تحقيق: صغير أحمد الأنصاري أبو حماد، مكتبة مكة الثقافية، رأس الخيمة، الإمارات العربية المتحدة، ط:١، ١٤٢٥هـ.

٨. **أعلام الدراسات القرآنية في خمسة عشر قرناً، لمصطفى الصاوي الجويني**، منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٨٢م.

٩. **الأعلام**، لخير الدين بن محمود بن محمد الزركلي، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م.

١٠. **الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، لموسى بن أحمد الحجاوي**، تحقيق: عبد اللطيف محمد موسى السبكي، دار المعرفة بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

١١. **أَنِيسُ السَّاري في تخريج وَتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحَافظ ابن حَجر العسقلاني في فَتح البَاري**، لأبي حذيفة نبيل بن منصور بن سلطان البصارة، تحقيق: نبيل بن مَنصور بن يَعقوب البصارة، مؤسَّسَة السَّماحة، مؤسَّسَة الريَّان، بيروت، لبنان، ط:١، ١٤٢٦هـ.

١٢. **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، لإسماعيل بن محمد الباباني**، عني بتصحيحه: محمد شرف الدين والمعلم رفعت بيلكه، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

١٣. **البحر الرائق شرح كنز الدقائق، لزين الدين بن إبراهيم بن محمد المعروف بابن نجيم**، وفي آخره: تكملة البحر الرائق لمحمد بن حسين الطوري الحنفي، وبالحاشية: منحة الخالق لابن عابدين، دار الكتاب الإسلامي، ط:٢، بدون تاريخ.

١٤. **البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي**، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

١٥. **بداية المحتاج في شرح المنهاج، لأبي الفضل محمد بن أبي بكر ابن قاضي شهبة**، عني به: أنور بن أبي بكر الشيخي الداغستاني، بمساهمة: اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، دار المنهاج للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، ط:١، ١٤٣٢هـ.

١٦. **بدائع الفوائد، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي**، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

١٧. **البناية شرح الهداية، لأبي محمد محمود بن أحمد العينى، دار الكتب العلمية**، بيروت، لبنان، ط:١، ١٤٢٠هـ.

١٨. **البيان في غريب إعراب القرآن، لأبي البركات الأنباري**، تحقيق: د.طه عبد الحميد طه، مراجعة: مصطفى السقا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠هـ.

١٩. **تاج العروس من جواهر القاموس**، للسيد محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من الباحثين، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٨٥هـ.

٢٠. **تاريخ دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر**، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ.

٢١. **تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، لعبد الرحمن بن حسن الجبرتي**، دار الجليل، بيروت، بدون تاريخ.

٢٢. **التبيان في إعراب القرآن**، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه، بدون تاريخ.

٢٣. **التحرير والتنوير**، لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.

٢٤. **تحفة الحبيب على شرح الخطيب، حاشية البجيرمي على الخطيب**، لسليمان بن محمد بن عمر البُجَيْرَمِيّ، دار الفكر، ١٤١٥هـ.

٢٥. **تحفة المحتاج في شرح المنهاج، لأحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي**، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ١٣٥٧ه.

٢٦. **تذكرة الموضوعات لمحمد طاهر بن علي الصديقي الفَتَّنِي**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:٢، ١٣٩٩هـ.

٢٧. **ترتيب الأمالي الخميسية للشجري**، ليحيى بن الحسين الشجري الجرجاني، ترتيب: القاضي محيي الدين محمد بن أحمد القرشي العبشمي، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:١، ١٤٢٢هـ.

٢٨. **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف**، لعبد العظيم بن عبد القوي المنذري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤١٧هـ.

٢٩. **التسهيل في علوم التنزيل**، لابن جزي الكلبي، تحقيق: د. عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط:١، ١٤١٦هـ.

٣٠. **تفسير القرآن العظيم**، لابن كثير القرشي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط:٢، ١٤٢٠هـ.

٣١. **تفسير القرآن**، لأبي المظفر منصور بن محمد السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط:١، ١٤١٨هـ.

٣٢. **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، للإمام أبي عمر ابن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ.

٣٣. **تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة**، لنور الدين علي بن محمد ابن عراق الكناني، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، وعبد الله محمد الصديق الغماري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٣٩٩هـ.

٣٤. **تهذيب التهذيب**، للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط:١، ١٣٢٦هـ.

٣٥. **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، لأبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف المزي، تحقيق: د.بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:١، ١٤٠٠هـ.

٣٦. **تهذيب اللغة**، لأبي منصور الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط:١، ٢٠٠١م.

٣٧. **التيسير في القراءات السبع**، لعثمان بن سعيد الداني، تحقيق: اوتو تريزل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:٢، ١٤٠٤ه.

٣٨. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، لابن جرير الطبري، تحقيق: عبدالله التركي، دار هجر، القاهرة، ط:١، ١٤٢٢هـ.

٣٩. **حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع**، لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي، ط:١، ١٣٩٧هـ.

٤٠. **حاشية القليوبي على شرح المحلي على منهاج الطالبين للنووي**، مطبوع مع شرح المحلي على منهاج الطالبين، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.

٤١. **حاشيته الشبراملسي على نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج**، لنور الدين بن علي الشبراملسي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٤هـ.

٤٢. **الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني**، لأبي الحسن علي بن محمد الشهير بالماوردي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:١، ١٤١٩هـ.

٤٣. **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، بدون تاريخ.

٤٤. **الدعاء، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤١٣هـ.

٤٥. **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، لعبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط:٢، ١٤٠٨هـ.

٤٦. **رد المحتار على الدر المختار**، لمحمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين، دار الفكر، بيروت، ط:٢، ١٤١٢هـ.

٤٧. **الرد على المنطقيين، لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية**، دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

٤٨. **رسالة ماجستير نوقشت ضمن مشروع علمي في قسم التفسير بالجامعة الإسلامية**، بعنوان: المفسرون في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري -جمعاً ودراسة استقرائية وصفية- عبدالرحمن خالد عبدالعليم، ١٤٣٥-١٤٣٦هـ.

٤٩. **روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)**، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، ط:١، ١٤٢٢هـ.

٥٠. **زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:١، ١٤٢٢ هـ.

٥١. **زاد المعاد في هدي خير العباد، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط:٢٧، ١٤١٥هـ.

٥٢. **الزيادات على الموضوعات**، ويسمى «**ذيل اللآلئ المصنوعة**»، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: رامز خالد حاج حسن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط:١، ١٤٣١هـ.

٥٣. **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط:١، (لمكتبة المعارف)، ١٤١٥هـ.

٥٤. **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**، لأبي عبد الرحمن محمد

ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط:١، ١٤١٢ هـ.

٥٥. **سنن ابن ماجه**، للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، ومحمَّد كامل قره بللي، وعَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، بيروت، ط:١، ١٤٣٠هـ.

٥٦. **سنن أبي داود**، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط، ومحَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، بيروت، ط:١، ١٤٣٠هـ.

٥٧. **سنن الترمذي (جامع الترمذي)**، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر،ط:٢، ١٣٩٥هـ.

٥٨. **السنن الكبرى**، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:٣، ١٤٢٤هـ.

٥٩. **السنن الكبرى**، للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:١، ١٤٢١هـ.

٦٠. **سؤالات مسعود بن علي السجزي (مع أسئلة البغداديين عن أحوال الرواة للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري)**، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:١، ١٤٠٨هـ.

٦١. **شرح الزُّرقاني على مختصر خليل**، لعبد الباقي بن يوسف بن أحمد الزرقاني، تحقيق: عبد السلام محمد أمين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:١، ١٤٢٢هـ.

٦٢. **شرح السنة**، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط،

ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ط:٢، ١٤٠٣هـ.

٦٣. **شرح سنن أبي داود**، لشهاب الدين أحمد بن حسين بن رسلان الرملي الشافعي، تحقيق: عدد من الباحثين بدار الفلاح بإشراف خالد الرباط، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم، مصر، ط:١، ١٤٣٧هـ.

٦٤. **شرح مختصر خليل**، لمحمد بن عبد الله الخرشي المالكي، دار الفكر للطباعة، بيروت، بدون تاريخ.

٦٥. **شعب الإيمان**، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط:١، ١٤٢٣هـ.

٦٦. صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، بعناية: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، ط:١، ١٤٢٢هـ.

٦٧. **صحيح سنن أبي داود - ضعيف سنن أبي داود**، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ١٤١٩هـ.

٦٨. **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

٦٩. **الضعفاء الكبير**، لأبي جعفر محمد بن عمرو العقيلي المكي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية، بيروت، ط:١، ١٤٠٤هـ.

٧٠. **ضَعيف الترغِيب وَالترْهيب**، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف لِلنشر والتوزيْع، الرياض، ط:١، ١٤٢١هـ.

٧١. **الطبقات الكبرى (الجزء المتمم: الطبقة الخامسة في من قبض رسول الله ﷺ وهم أحداث الأسنان)**، للإمام أبي عبد الله محمد بن سعد المعروف بابن سعد، تحقيق: محمد

بن صامل السلمي، مكتبة الصديق، الطائف، ط:١، ١٤١٤ هـ.

٧٢. **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، لأبي العباس أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط:١، ١٤١٧هـ.

٧٣. **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، لأبي العباس، شهاب الدين أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط:١، ١٤١٧هـ.

٧٤. **غريب الحديث، لإبراهيم بن إسحاق الحربي**، تحقيق: د. سليمان إبراهيم محمد العايد، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط:١، ١٤٠٥هـ.

٧٥. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، ١٣٧٩هـ.

٧٦. **فتح القدير**، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط:١، ١٤١٤هـ.

٧٧. **الفردوس بمأثور الخطاب**، لشيرويه بن شهردار الديلميّ، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤٠٦هـ.

٧٨. **فضائل الأوقات**، لأحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: عدنان عبد الرحمن مجيد القيسي، مكتبة المنارة، مكة المكرمة، ط:١، ١٤١٠هـ.

٧٩. **فضائل الأوقات**، لأحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: عدنان عبد الرحمن مجيد القيسي، مكتبة المنارة، مكة المكرمة، ط:١، ١٤١٠هـ.

٨٠. **فضل يوم عرفة**، لأبي القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر، تحقيق: مشعل بن

بـاني الجبريـن المطـيري، دار ابـن حـزم، (طبـع ضمـن مجمـوع فيـه عـدة أجـزاء لابـن عسـاكر)، ط:١، ١٤٢٢هـ.

٨١. **الفهـرس الشـامل للـتراث العـربي والإسـلامي المخطـوط (علوم القـرآن والقـراءات والتفسـير)**، مـآب، مؤسسـة آل البيـت، ١٩٨٧م.

٨٢. **فهرسـت مصنفـات تفسـير القـرآن الكريـم**، إعـداد: مركـز الدراسـات القرآنيـة بمجمـع الملـك فهـد لطباعـة المصحـف الشريـف بالمدينـة المنـورة، ١٤٢٤هـ.

٨٣. **الفوائـد المجموعـة في الأحاديـث الموضوعـة**، لمحمـد بـن عـلي الشـوكاني، تحقيـق: عبـد الرحمـن بـن يحـي المعلمـي، دار الكتـب العلميـة، بـيروت، بـدون تاريـخ.

٨٤. **فيـض القديـر شرح الجامـع الصغـير**، لعبـد الـرؤوف بـن تـاج العارفـين المنـاوي، المكتبـة التجاريـة الكـبرى، مـصر، ط:١، ١٣٥٦هـ.

٨٥. **القامـوس المحيـط**، لمجـد الديـن الفـيروز آبـادي، تحقيـق: مكتـب تحقيـق الـتراث في مؤسسـة الرسـالة بـإشراف: محمـد نعيـم العرقسُـوسي، مؤسسـة الرسـالة للطباعـة والنـشر والتوزيـع، بـيروت، ط:٨، ١٤٢٦هـ.

٨٦. **كتـاب الفـروع ومعـه تصحيـح الفـروع لعـلاء الديـن عـلي بـن سـليمان المـرداوي**، لمحمـد بـن مفلـح بـن محمـد، تحقيـق: عبـد الله بـن عبـد المحسـن التركـي، مؤسسـة الرسـالة، ط:١، ١٤٢٤هـ.

٨٧. **الكتـاب المصنـف في الأحاديـث والآثـار (مصنـف ابـن أبي شـيبة)** للإمـام أبي بكـر بـن أبي شـيبة، تحقيـق: كـمال يوسـف الحـوت، مكتبـة الرشـد، الريـاض، ط:١، ١٤٠٩هـ.

٨٨. **كشـاف القنـاع عـن متـن الإقنـاع**، لمنصـور بـن يونـس البهوتـى الحنبـلي، دار الكتـب العلميـة، بـدون تاريـخ.

٨٩. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، للزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:٣، ١٤٠٧هـ.

٩٠. **كشف الأستار عن زوائد البزار**، لعلي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:١، ١٣٩٩هـ.

٩١. **كشف الخفاء ومزيل الإلباس**، لإسماعيل بن محمد العجلوني، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، المكتبة العصرية، ط:١، ١٤٢٠هـ.

٩٢. **الكشف والبيان**، لأبي إسحاق الثعلبي، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:١، ١٤٢٢هـ.

٩٣. **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، لعلاء الدين علي بن حسام الدين الشهير بالمتقي الهندي، تحقيق: بكري حياني وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط:٥، ١٤٠١هـ.

٩٤. **لسان الميزان**، للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط:١، ١٤٢٣هـ.

٩٥. **لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف**، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، دار ابن حزم للطباعة والنشر، ط:١، ١٤٢٤هـ.

٩٦. **لقطة العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان**، لأبي الطيب محمد صديق البخاري القِنَّوجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:١، ١٤٠٥هـ.

٩٧. **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**، للإمام أبي حاتم محمد بن حبان البُستي، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، ط:١، ١٣٩٦هـ.

٩٨. **مجموع الفتاوى**، لابن تيمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ.

٩٩. **المجموع شرح المهذب**، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار الفكر، بدون

تاريخ.

١٠٠. **مجموعة أحزاب وأوراد ابن عربي**، جمعها: خواجة أحمد ضياء الدين، ضبط واعتناء: د. عاصم إبراهيم الكيالي، بدون تاريخ.

١٠١. **مراقي الفلاح شرح متن نور الإيضاح**، لحسن بن عمار الشرنبلالي الحنفي، اعتنى به وراجعه: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، ط:١، ١٤٢٥هـ.

١٠٢. **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، لأحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط: ١، ١٤٢٣ هـ.

١٠٣. **مستخرج أبي عوانة**، لأبي عوانة يعقوب بن إسحاق الإسفراييني، تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي، دار المعرفة، بيروت، ط:١، ١٤١٩هـ.

١٠٤. **المستدرك على الصحيحين**، للحاكم النيسابوري تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤١١هـ.

١٠٥. **مسند أبي يعلى**، لأبي يعلى أحمد بن علي بن المُثنى الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط:١، ١٤٠٤هـ.

١٠٦. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤٢١هـ.

١٠٧. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط:١، ١٤١٦هـ.

١٠٨. **مصطلحات المذاهب الفقهية وأسرار الفقه المرموز في الأعلام والكتب والآراء والترجيحات**، لمريم محمد صالح الظفيري، دار ابن حزم، ط:١، ١٤٢٢هـ.

١٠٩. **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**، للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عدد من الباحثين بجامعة الإمام محمد بن سعود، تنسيق: د. سعد بن ناصر الشثري، دار العاصمة، دار الغيث، السعودية، ط:١، ١٤١٩هـ.

١١٠. **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، للبغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع –الرياض، ط:٤، ١٤١٧هـ.

١١١. **معاني القرآن للأخفش**، لأبي الحسن المجاشعي المعروف بالأخفش الأوسط، تحقيق: د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:١، ١٤١١هـ.

١١٢. **معاني القرآن وإعرابه**، لأبي إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٤هـ.

١١٣. **معاني القرآن**، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط:١، بدون تاريخ.

١١٤. **المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)**، لـ د. محمد حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، ط:١، ٢٠١٠م.

١١٥. **المعجم الأوسط**، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، بدون تاريخ.

١١٦. **المعجم الكبير**، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط:٢، بدون تاريخ.

١١٧. **معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر**، عادل نويهض، مؤسسة

نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤٠٩هـ.

١١٨. **معجم المؤلفين**، لعمر بن رضا كحالة الدمشق، ط: مكتبة المثنى، بيروت، ودار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

١١٩. **معجم مصنفات القرآن الكريم**، د. علي شواخ، دار الرفاعي، الرياض، ط:١، ١٤٠٣هـ.

١٢٠. **معلمة الفقه المالكي**، عبد العزيز عبد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط: ١، ١٤٠٣هـ.

١٢١. **مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج**، لمحمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، دار الكتب العلمية، ط:١، ١٤١٥هـ.

١٢٢. **المغني**، لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد المقدسي، الشهير بابن قدامة المقدسي، مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ.

١٢٣. **مفردات ألفاظ القرآن**، للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، ط:٣، ١٤٢٣هـ.

١٢٤. **مقاييس اللغة، لأبي زكريا أحمد بن فارس**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار العلم، بيروت، ط:٨، ١٤١٨هـ.

١٢٥. **المنتخب من مسند عبد بن حميد**، لأبي محمد عبد بن حميد الكَشّي، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، ومحمود محمد خليل الصعيدي، مكتبة السنة، القاهرة، ط:١، ١٤٠٨هـ.

١٢٦. **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:٢، ١٣٩٢هـ.

١٢٧. **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، لأحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس

الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٤١٨ هـ

١٢٨. **الموضوعات** ،للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط:١، ١٣٨٦هـ-١٣٨٨هـ.

١٢٩. **موطأ مالك** ، تحقيق: عبد الباقي، للإمام مالك بن أنس، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مصطفى البابي الحلبي (دار إحياء التراث العربي)، ١٤٠٦هـ.

١٣٠. **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، للحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، ط:١، ١٣٨٢هـ.

١٣١. **نزهة المجالس ومنتخب النفائس**، لعبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري، المطبعة الكاستلية، مصر، ١٢٨٣هـ.

١٣٢. **النشر في القراءات العشر**، للإمام محمد بن محمد بن يوسف الدمشقي ابن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، مصر، بدون تاريخ.

١٣٣. **نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج**، لشمس الدين محمد بن أبي العباس الرملي، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط: ١٤٠٤هـ.

١٣٤. **نهاية المطلب في دراية المذهب**، لأبي المعالي الجويني، تحقيق: د. عبد العظيم محمود الدّيب، دار المنهاج، ط:١، ١٤٢٨هـ.

١٣٥. **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه**، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف أ.د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ط:١، ١٤٢٩هـ.

١٣٦. **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، لإسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية، استانبول، ١٩٥١م.

١٣٧. **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض وأحمد محمد صيرة وأحمد عبد الغني الجمل وعبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:١، ١٤١٥هـ.

مجلة تعظيم الوحيين

الضَّعْفُ اللُّغَوِيُّ عِنْدَ الدَارِسِيْنَ اليَهُود والنَصارى

وَأَثَرُهُ في مُحَاوَلَةِ نَقْدِ القُرآنِ الكَرِيْم

دراسة عقدية نقدية

د/ أحمد محمد فلاح النمرات

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ahmednimrat2013@gmail.com

مجلة تعظيم الوحيين

مُلخَصُ البَحث

موضوع البحث:

التأصيل لمشكلة الضعف اللغوي عند الدارسين اليهود والنصارى، والرد على بعض شبهاتهم اللغوية الموجهة للقرآن الكريم، وبيان آثارها العقدية السيئة.

هدف البحث:

التأصيل للضعف اللغوي عند الدارسين اليهود والنصارى مع أمثلة عليه، وإظهار آثاره العقدية السيئة.

مشكلة البحث:

ظاهرة الضعف اللغوي عند الدارسين اليهود والنصارى الذين وجهوا انتقادات لغوية إلى القرآن الكريم.

نتائج البحث:

- خالف الدارسون اليهود والنصارى اشتراط علماء الملل الثلاث: العلم باللغة قبل تفسير النصوص.
- وجوب الرجوع إلى علماء التفسير واللغة والعقيدة لإزالة أيّ إشكال أو سوء فهم لألفاظ القرآن الكريم.
- لضعفِ الدارسين اللغوي آثار عقدية سيئة: كالحكم ببشرية القرآن الكريم، والتنقص من صفات الله جلّ جلاله، والطعن في رسالة نبينا محمد ﷺ، وتشويه صورة القرآن الكريم، وحرمان أنفسهم من الهداية.

الكلمات المفتاحية:

الضعف اللغوي، الدارسين، اليهود والنصارى. القرآن، العقيدة.

مجلة تعظيم الوحيين

المُقَدِّمَة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. أنزل القرآن عربياً مبيناً ولم يجعل له عوجا، وأشهد أنّ محمداً عبدهُ ورسوله، أرسله ربه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله. اللهم صلِّ على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين بإحسان، وبعد:

فتُعد مشكلة الضعف اللغوي ظاهرة خطيرة عند بعض الدارسين اليهود والنصارى والمسلمين. وتظهر هذه المشكلة في الفهم الخاطئ للنصوص المقدسة في الإسلام واليهودية والنصرانية. وقد وضحت في بحث سابق[1] وجود هذه الظاهرة عند بعض الدارسين المسلمين، وكيف أنّ الضعف اللغوي عند بعضهم أدى إلى تفسير وفهم بعض نصوص التوراة خطأ، الأمر الذي نتج عنه آثارُ عقدية كالحكم بتحريف نصوص توراتية صحيحة صدقها القرآنُ الكريم؛ ويأتي هذا البحث إبرازاً للمشكلة المنهجية عند الدارسين من اليهود والنصارى، تحذيراً مما عندهم من ضعف لغوي وزعم وجود أخطاء لغوية في القرآن الكريم، مع الفرق الواضح بين الطرفين؛ فأخطاء الدارسين اليهود والنصارى جسيمة وهي أضعاف ما عند الدراسين المسلمين من أخطاء.

يبيّن الواقع أنّ ضعف الدارسين اليهود والنصارى في فهم اللغة العربية أدى إلى نقد مواضع عديدة في القرآن الكريم ظناً وتوهماً وجود خطأ فيها، علمًا بأنّ قبائل قريش العربية المكية – مع قوة لسانهم وفصاحتهم- لم يعترضوا على لغة القرآن الكريم ولم ينقدوا موضعاً

(١) **أثر الضعف اللغوي في فهم نصوص أهل الكتاب، التوراة نموذجا**، د. أحمد محمد النمرات، بحث منشور في مجلة الدراسات العقدية، العدد ٢٢، ١٤٤٠هـ ٢٠١٨م.

واحداً في هذا الكتاب العظيم، ولو أنهم سمعوا النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يتلو كلمة خاطئة ما سكتوا، ولرددوا ذلك وسخروا منه وأشاعوه بين الناس استهزاءًا وتشهيرا؛ وبالتالي اتخذوه برهاناً على بشرية القرآن لما فيه من خطأ. ومع عجز قريش وقبائل العرب وهم أرباب الفصاحة والبلاغة عن العثور على أي خطأ لغوي في القرآن الكريم، فإنّ العجب ممن جاء بعدهم بقرون- وقد ضعفت لغات الناس وداخل كلامهم الكثير من اللحن- أن يأتي ويزعم وجود أخطاء لغوية في هذا القرآن العظيم!! كما هو الحال عند بعض نصارى العرب المعاصرين.

إنّ المتأمل في الطعون اللغوية التي وجهها ناقدو أهل الكتاب إلى القرآن الكريم يلاحظ أنها صدرت عن أشخاص لم يتمكنوا من اللغة العربية وقواعدها؛ بل يلاحظ ضعفاً لغوياً واضحاً عند هؤلاء الدارسين بأسهل قواعد العربية ومعانيها كما سيتبين القارئ هذه الحقيقة من خلال أمثلة البحث. وبالرغم من أنّ تلك الانتقادات تؤذي المسلمين من جهة، ويصعب وقفها من جهة أخرى لكنها بذات الوقت تشحذ الهمّة كي يقوم المسلمون من طلاب العلم وأهل القرآن وحراس العقيدة بأداء الواجب العقدي والعلمي والدعوي بالرد على تلك الشبهات والانتقادات الخاطئة والتحذير من آثارها الخطيرة، وإبقاء مكانة القرآن عظيمة وعزيزة في نفوس المسلمين؛ وتنبيه الدارسين ونصحهم بإبراز هذه الظاهرة النقدية؛ لذلك رغبت في إبراز هذه المشكلة دفاعاً عن كلام ربنا جل جلاله، وتنبيهاً عليها، وإقامةً للحجة على المعترضين من خلال بحث أورد فيه هذه المشكلة المنهجية متضمناً أمثلة من سوء فهمهم وأخطائهم في فهم بعض كلمات القرآن الكريم، مختاراً أمثلة نقدية قديمة وحديثة وإلكترونية، وقد سمّيته ب« الضعف اللغوي عند الدارسين اليهود والنصارى وأثره في محاولة نقد القرآن الكريم، دراسة عقدية نقدية» سائلاً المولى سبحانه التوفيق والسداد.

أهمية البحث:

١. إبراز مشكلة منهجية مهمة وقع بها الدارسون اليهود والنصارى والتحذير منها.

٢. ربط مشكلة الضعف اللغوي عند الدارسين اليهود والنصارى بآثارها العقدية.

أهداف البحث:

١. الوقوف على أمثلة من الأخطاء اللغوية التي وجهها الدارسون اليهود والنصارى لمواضع من القرآن الكريم.

٢. الرد على بعض أخطاء الدارسين اللغوية وتصحيحها في ضوء اللغة العربية والعقيدة الصحيحة .

الدراسات السابقة:

عديدة هي الدراسات الحديثة التي عُنيت بالدفاع عن القرآن الكريم منها: « دفاع عن القرآن ضد منتقديه» د. عبد الرحمن بدوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. و«دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم» د. عبد المحسن المطيري. وعصمة القرآن وجهالات المبشرين، د. ابراهيم عوض، والقرآن ونقض مطاعن الرهبان، د. صلاح الخالدي.

والإضافة في بحثي عن الدراسات السابقة -التي استفدت منها- تتمثل بتخصيص الدراسة بالأخطاء اللغوية المتعلقة بالعقيدة؛ إضافة إلى الاعتناء بمسألة تأصيل فهم لغة الكتب المقدسة، فذكرت اتفاق علماء اليهود والنصارى المسلمين على أهمية تمكُّن الدارس من لغة الآخر، ووجوب رجوع الدارسين من غير المسلمين إلى اللغة العربية لفهم معاني الآيات؛ ولذلك قدمت لهذا البحث بتمهيد يبرز هذه المسألة المهمة.

منهج البحث:

١. سار البحث وفق المنهج التحليلي النقدي بتحليل ما كتبه الدارسون اليهود والنصارى من نقد لغوي على القرآن الكريم ثم نقد هذه الدعاوى بالبراهين اللغوية والعقدية والعقلية.

٢. عرض ونقد المشكلة، وقد بدأتها بعرض الخطأ عند الدارسين اليهود والنصارى، ثم عرض المعنى الصحيح كما بينهُ علماء الإسلام وخاصة أهل التفسير، ثم مناقشة الخطأ عقدياً و لغوياً، وقد تتضمن المناقشة نقداً منهجياً، ثم أعرض الأثر العقدي أو الدعوي المترتب على الخطأ.

٣. اكتفيت بإيراد أمثلة محدودة من أخطاء الدارسين اللغوية التي لها علاقة بالعقيدة، لأنّ غرض البحث التنبيه على المشكلة المنهجية عند الدارسين وليس جمع الأخطاء. وأوردت كلام علماء الإسلام والمفسرين من مختلف الفرق الإسلامية نظراً لتشابه ردودهم – غالباً – واتفاقهم في الرد على أخطاء اليهود والنصارى اللغوية.

٤. بالنسبة للتوثيق فسأوثق الآيات القرآنية ونصوص الكتاب المقدس في المتن، وأما الأحاديث النبوية فتكون في الحاشية مكتفياً بكونه في أحد الصحيحين، وإيراد حكم أهل الحديث إن كان في غير الصحيحين. واكتفيت بذكر عام الوفاة للأعلام. وسأعرف باختصار للغريب الوارد في البحث.

خطة البحث:

رتبتُ البحث في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة على التفصيل الآتي:

١. **مقدمة** وتتضمن: مشكلة البحث وأهميته، وأهدافه، ومنهجه، وخطته.

٢. **تمهيد:** عُروبة القرآن الكريم وعصمته وجهل المعترضين عليه.

٣. **المبحث الأول:** اشتراط علماء الملل الثلاث العلم باللغة قبل تفسير نصوصهم المقدسة.

٤. **المبحث الثاني:** أمثلة من أخطاء الدارسين اليهود والنصارى اللغوية .

- **المثال الأول:** الخطأ في فهم كلمة «سنفرغ» في قوله تعالى: ﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [سورة الرحمن:٣٢]
- **المثال الثاني:** الخطأ في نسبة التحسر والندم لله تعالى في قوله تعالى: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [سورة يس:٣٠]
- **المثال الثالث:** الخطأ في زعم وجود عقيدة التثليث من خلال استخدام ضمير الجمع للدلالة على الله الواحد.
- **المثال الرابع:** الخطأ في تفسير شك النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ [سورة يونس: ٩٤].

٥. **الخاتمة:** وفيها نتائج البحث.

٦. **المصادر والمراجع.**

وأسأل الله بفضله أن يجعلنا من أهل القرآن، وأن يكون وسيلتنا وشفيعنا عنده جلّ شأنه دنيا وأخرى. اللهم تقبل واغفر وارحم، إنك أنت الأعزُّ الأكرم، وارزقنا التوفيق والرشاد والسداد. وصلّ اللهم على نبينا محمد أعظم من قرأ القرآن وتدبره وجاهد به، وعلى آله وصحبه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين.

والحمد لله ربّ العالمين.

تمهيد

عُروبة القرآن الكريم وعصمته، وجهل المعترضين عليه.

بيّن الله تعالى عروبة كتابه المنزل على خاتم رسله نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عدة آيات كريمة دالةٍ على كمال هذا الكتاب وعظمته وخلوه من أي نقص أو عوج، مظهراً جلّ أمره فضله على العرب خاصة في هذا الكتاب العربي وما في ذلك من فوائد دينية ودنيوية عظيمة.

يقول ربنا تبارك وتعالى وجلّ شأنه: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [سورة يوسف:١ ٢] قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ أي هذه آيات الكتاب، وهو القرآن المبين أي الواضح الجليّ الذي يفصح عن الأشياء المبهمة ويفسرها ويبينها ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢﴾ وذلك لأنّ لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها، وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس، فلهذا أنزل أشرف الكتب، بأشرف اللغات، على أشرف الرسل، بسفارة أشرف الملائكة»[(١)].

وقال جلّ شأنه: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ﴾ [سورة الزخرف: ٣]

قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمة تفسيره: «وقد أراد الله تعالى أن يكون القرآن كتابا مخاطباً به كل الأمم في جميع العصور، لذلك جعله بلغة هي أفصح كلام بين لغات البشر وهي اللغة العربية، لأسباب يلوح لي منها: أنّ تلك اللغة أوفر اللغات مادة، وأقلها حروفا، وأفصحها لهجة، وأكثرها تصرفا في الدلالة على أغراض المتكلم، وأوفرها ألفاظا. وجعله جامعاً لأكثر ما يمكن أن تتحمله اللغة العربية في نظم تراكيبها من المعاني..»[(٢)].

وقال تبارك اسمه: ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ۝٢٨﴾ [سورة الزمر: ٢٨]

(١) **تفسير القرآن العظيم**، لابن كثير، ٤/ ٣٦٥ .
(٢) **التحرير والتنوير**، لابن عاشور، ١/ ٩٨.

أقول: القرآن الكريم خالٍ من أي خطأ ولا مجال لأيّ نقد عليه لقوله سبحانه: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [سورة الزمر: ٢٨] ومعنى غير ذي عوج كما قال الزمخشري(٥٣٨هـ) رحمه الله: « مستقيماً بريئاً من التناقض والاختلاف»(١). وقال ابن عطية (ت:٥٤٢هـ)رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ونفى عنه العوج لأنه لا اختلاف فيه ولا تناقض ولا مغمز بوجه»(٢).

بالرغم من الكمال القرآني فقد اجتهد الدارسون لإثبات وجود تناقض أو اختلاف أو خطأ فيه فما استطاعوا لأنه كتاب ربنا الكامل. وإذا كانت الكراهية للإسلام وكتابه ونبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي ما دفع بعض دارسي القرآن الكريم للنقد، فيضاف لذلك أنّ بعضهم كان على غير علم بالعربية فصدر نقدهُ واعتراضه عن ضعف باللغة، وخاصة إذا كان من غير العرب كالمستشرقين الذين تعلموا العربية على كبر ولم تنشأ اللغة معهم فجهلوا كثيراً من قواعدها ومعانيها وجمالها، فقرؤوا القرآن الكريم وقرؤوا التراث الإسلامي وتوهموا وجود أخطاء في القرآن الكريم واللغة العربية فأشاعوها فضلوا وأضلوا. يقول عباس العقاد (ت: ١٩٦٤م)رَحِمَهُ ٱللَّهُ تحت عنوان إعجاز القرآن وأوهام المستشرقين: « هناك أوهام كثيرة أشاعها المستشرقون بسبب تفسيراتهم الخاطئة لكثير من أمور اللغة والدين». وضرب أمثلة لتلك الأخطاء فقال: « ومنها ما كتبه بعض المستشرقين تفسيراً لاسم أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من أنه« أبو العذراء»(٣)، ومنها ما تورط فيه ذلك المستشرق من خطأ معيب في تفسيرهِ لقول الله تعالى:» ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الزمر:٧٥] بقوله: أي بدون أحذية!!(٤). ويفسر العقاد رَحِمَهُ ٱللَّهُ سبب تلك الأوهام والتفسيرات الخاطئة فيقول: « ذلك أنهم على غير علم دقيق باللغة العربية. وليس هذا غريباً فهم لا يفهمون أدب أمتهم، ولا يجيدون

(١) تفسير الكشاف، للزمخشري، ٤/ ١٢٥.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، ٤/ ٥٢٩.

(٣) تُذكرني هذه الأخطاء وأمثالها بجملة قالها الداعية الشيخ أحمد ديدات رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهي:« إنّ كل اللغات جميلة ولها مذاقها الخاص، ولكنا إذا جهلنا اللغة تبدو سخيفة لنا ومضحكة». انظر كتابه: هذه حياتي سيرتي ومسيرتي، (ص٩٠)
وتنطبق هذه الجملة على هؤلاء الدارسين ومن شابههم من ناقدي الأديان الذين أساؤوا فهم لغة بعضهم بعضا.

(٤) الإسلام دعوة عالمية، لعباس العقاد، (ص ١٧٣)

معرفة هذا الأدب في لغتهم؛ فمن باب أولى ألا يحسنوا معرفة ذلك في الأدب العربي!»[١]. وأورد الشيخ عبد الرحمن الجزيري(ت: ١٣٥٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ جملة من اعتراضات نحوية لأحد النصارى على مواضع في القرآن الكريم فردّها ثم وصف حال الدارسين وضعفهم فقال: « ومنه يتضح للقراء جرأة هؤلاء الناس على الحقائق العلمية، ونزولهم إلى ميادين المناظرات وهم عزّل من كل سلاح مجردون من كل دليل، لا همّ لهم إلا التهويش والتضليل ظناً منهم أنّ ذلك يؤثر على نفوس الضعاف..»[٢]. وقد أكد د. عبد الرحمن بدوي(ت: ٢٠٠٢م) هذه الظاهرة فقال: « إنّ معرفة هؤلاء المستشرقين للغة العربية من الناحية الأدبية والفنية يشوبها الضعف. ويمكن القول إنّ هذه الملاحظة تخصهم جميعاً تقريبا»[٣]. ونلاحظ أنّ بعض المستشرقين شهدوا شهادة إنصاف؛ يقول المستشرق هنري دي كاستري(ت:١٩٢٧م):« والعقل يحار كيف يتأتى أن تصدر تلك الآيات عن رجل أميّ! وقد اعترف الشرق قاطبةً بأنها آياتٌ يعجز فكر بني الإنسان عن الإتيان بمثلها لفظاً ومعنى»[٤]؛ فهذا اعترافٌ من هذا المستشرق المنصف على عجز البشر عن أن يأتوا بمثل القرآن الذي لا خطأ فيه، وإنما الخطأ والعيب من الجاهلين بعظمته .

أقول: إنّ الإنصاف يقتضي من الدارسين ألا ينقدوا شيئاً إلا بعد تمكنهم من اللغة، وبعد سؤال أهل التفسير واللغة عن أيّ إشكال يواجههم أو الشك في المراد بلفظ ما. وهذا يجعل الباحث يجزم بوجوب رجوع الدارسين المنصفين الباحثين عن الحقيقة من أهل الكتاب إلى علماء المسلمين ليزيلوا أي إشكال؛ فأهل العربية أعلم بكتبهم كما أنّ أهل الكتاب أعلم بكتبهم.

أقول: نظراً لأنّ الإنصاف عزيز ولا يتوفر عند بعض الناس فقد ظهرت الأخطاء الجلية

(١) **نفس المرجع والصفحة.**
(٢) انظر: **أدلة اليقين في الرد على مزاعم المبشرين**، عبد الرحمن الجزيري، (ص ٤٨٤) بتصرف يسير.
(٣) **دفاع عن القرآن ضد منتقديه**، د. عبد الرحمن بدوي، (ص ٧).
(٤) **الاسلام خواطر وسوانح**، هنري دي كاستري، (ص٤٢).

عند الدارسين، وكان لها الأثر العقدي الخطير؛ حيث نتج عنها أنها أثرت أولاً في الدارس نفسه: إذ جعلته لا يقدس هذا الكتاب الإلهي بسبب سوء فهمه وجهله بالعربية، فحرم نفسه من النور والهداية والدخول في الإسلام وإنقاذ نفسه من الكفر، إضافة إلى أثرهِ على غيره بإشاعته هذه الأخطاء بين اليهود والنصارى مما منع من دخول الإسلام أو منع من الإقبال على تعلمه بسبب هذه الصورة المشوهة التي فهمها ونقلها الدارسون عن القرآن الكريم وعن من أنزل إليه. ومعلوم أنّ عوام كل ملة يأخذون بكلام علمائهم، ومن هنا كان الأثر السيئ على أبناء ملة الدارس أيضا.

ويحسن هنا إيراد مثال من أخطاء الدارسين المعاصرين حيث الخطأ الواضح في تفسير كلمة« ينال» في قول ربنا جل شأنه: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[سورة البقرة: ١٢٤].

صدر هذا الخطأ عن شخص نصراني يُدعى« عبدالله الفادي»، وهو أبرز الدارسين المعاصرين الذي زعم وجود أخطاء لغوية في القرآن الكريم. ظهر هذا الدارس قبل سنوات من خلال كتابه: « هل القرآن معصوم»، وقد أورد اعتراضاته اللغوية على مواضع عديدة في القرآن الكريم، زاعماً أنها دليلٌ على بشرية القرآن الكريم، وهذه أخطر آثار الضعف اللغوي على الدارس نفسه وعلى غير المسلمين، إضافة إلى الأثر السيء في تشويه صورة الإسلام وكتابه ونبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقد ردّ عليه العديد من علماء الإسلام مثل الدكتور إبراهيم عوض في كتابه « القرآن وجهالات المبشرين»[(١)]، والشيخ الدكتور صلاح الخالدي في كتابه« القرآن ونقض مطاعن الرهبان»[(٢)]، وقد نقضا دعاويه الباطلة.

وبالنسبة للمثال السابق فقد أخطأ الدارس «الفادي» في فهم وتفسير كلمة «ينال» في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾

(١) عصمة القرآن وجهالات المبشرين، د. إبراهيم عوض.(ص ٢٥)
(٢) القرآن ونقض مطاعن الرهبان، د. صلاح الخالدي. (ص ٣٤)

[سورة البقرة: ١٢٤] وسبب الخطأ توهمه بأنّ الفعل «ينال» في الآية بمعنى يأخذ، وإذا كان كذلك- حسب توهمه الخاطئ- فيجب أن تكون كلمة « الظالمين» هي الفاعل فالصواب «الظالمون» لأنها الفاعل. هذا هو فهم الفادي الخاطئ لهذه الكلمة.

ينقض الشيخ د. صلاح الخالدي هذه الخطأ فيقول: « وهذا الكلام دلّ على جهل الفادي باللغة العربية وقواعدها. إنّ«عهدي» هو الفاعل، و«الظالمين» مفعول به منصوب، ومعنى «ينال» هنا: يصل ويصيب، أي لا يصل عهدي الظالمين من ذريتك، وليس معنى« ينال» هنا يأخذ؛ إذ لو كان كذلك لكان فاعله« الظالمون»، ولكان المعنى: لا يأخذ عهدي الظالمون، فجملة« لا ينال عهدي الظالمين» تُقرر أنّ عهد الله لا يصل الظالمين»[١].

وهذه من جملة أخطاء «الفادي» اللغوية التي اعترض بها على القرآن الكريم، وهي دليل جهله بمعاني القرآن الكريم فالمراد ب« ينال» في الآية: يصل ويصيب، كما ذكر ذلك أهل التفسير[٢] ونبهوا إليها. قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:« وأما نصب «الظالمين»، فلأنّ العهد هو الذي لا ينال الظالمين»[٣]. ووردت قراءة أخرى جاء فيها «الظالمون» بالرفع على الفاعلية، و«عهدي» مفعول به؛ لأنّ العهد يُنال كما يَنال، أي : عهدي لا يصل إلى الظالمين، أو لا يصل الظالمون إليه»[٤]. وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وذكر أنه في قراءة ابن مسعود: «لا ينال عهدي الظالمون»، بمعنى: أنّ الظالمين هم الذين لا ينالون عهد الله» [٥].

وقال العكبري(ت: ٦١٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « هذا هو المشهور على جعل العهد هو الفاعل- ويقرأ الظالمون على العكس- والمعنيان متقاربان لأنّ ما نلته فقد نالك» [٦].

(١) **القرآن ونقض مطاعن الرهبان**، د. صلاح الخالدي، (ص ٣٤٩).
(٢) انظر مثلا: **جامع البيان للطبري**، ٢/ ٢٤، **ومعالم التنزيل للبغوي**،١/ ١٦٢،**والتحرير والتنوير لابن عاشور**،١/ ٧٠٦ .
(٣) **جامع البيان للطبري**، ٢/ ٢٤.
(٤) القراءة لابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وقتادة والأعمش. انظر: **حدائق الروح والريحان**، محمد الأمين الهرري، ٢/ ٢٥٥.
(٥) انظر مثلا: **جامع البيان للطبري**، ٢/ ٢٤.
(٦) **التبيان في إعراب القرآن**، أبو البقاء العكبري، ١/ ١١٢.

أقول: لم يورد المعترض« الفادي» القراءة الثانية لأنه لم يرجع إلى كتب التفسير، ولم يسأل العلماء المسلمين. إنّ ترك الرجوع إلى المفسرين المسلمين وعلماء العربية سببٌ مهم في صدور الأخطاء من العديد من الدارسين. وهذه مشكلةُ أكثر الدارسين، أقصد أنهم لا يرجعون إلى تفسير علماء الإسلام الذين هم أعلم بكتاب ربهم جل وعلا، كما أنهم لا يرجعون إلى أهل العربية حتى من غير المسلمين، فلو أنّ هذا المعترض بحث عن عالم بالعربية ولو غير مسلم- بشرط أن يكون منصفاً- لأعلمه وصحّح له الخطأ وأزال سوء فهمه؛ ولذلك يجب على الدارسين المنصفين من أهل الكتاب ومن غيرهم - عند وجود إشكال في فهم نصّ ما في القرآن الكريم - سؤال أهل التفسير ليزول الإشكال.

وهناك أمثلة عديدة على أخطاء الفادي أبطلها اللغويون كلّها[1]؛ ولذلك فإنّه من العدل الاعتراف بجهل الفادي المعترض على بلاغة القرآن الكريم وفصاحته. يقول د. إبراهيم عوض معلقاً على أحد اعتراضاته على القرآن الكريم: «.. إذ يُشبه تصدي طفل في الروضة لسيبويه يبغي تخطئته»[2].

أقول: بناءً على الضعف اللغوي عند الدارسين- سواء صدر نقدهم عن جهل أو عن كراهية أو عنهما- يجب القول بأنّ غير العربي يحتاج مفسراً عالماً باللغة العربية ليبين له ما أشكل عليه من مواضع في القرآن الكريم، وهذه الحاجة اللغوية ضرورية كذلك لليهود والنصارى العرب والمستشرقين الذين اعتادوا قراءة نصوصهم المقدسة فلا بدّ أن يجدوا فرقاً بين لغة الكتب السابقة ولغة القرآن الكريم، لأنها نزلت بغير اللغة العربية، واللغات تتفاوت كما هو معلوم. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية(ت:٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ «..فإنّ اللسان العربي شعار

(١) انظر مثلًا: كتاب **عصمة القرآن وجهالات المبشرين**، د. إبراهيم عوض ، (ص ١٣ ٩٣) وكتاب **القرآن ونقض مطاعن الرهبان**، (ص٣٤٧ – ٣٧٨).

(٢) **عصمة القرآن وجهالات المبشرين**، د. إبراهيم عوض ، (ص ٢٥).

الإسلام وأهله، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون»[1]؛ وعليه كان لزاماً على الدارسين غير العرب وعلى المنصفين منهم مراعاة هذا الاختلاف والتفاوت، وسؤال علماء التفسير واللغة والعقيدة المسلمين ليقفوا على الحق.

لقد أكد علماء الملل الثلاث أهمية وضرورة الجانب اللغوي لمن يفسر نصوصهم المقدسة، كما أكدوا على أهمية مراعاة اختلاف اللغات، التي- للأسف- خالفها الدارسون اليهود والنصارى فوقعوا في أخطاء فضلوا عن المعنى الصحيح وأضلوا غيرهم، وأتناول في المبحث الأول هذه الأهمية التي أكدها العلماء.

(١) **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، أحمد بن تيمية، ١/ ٥١٩.

المبحث الأول:

اشتراط علماء الملل الثلاث العلم باللغة

قبل تفسير نصوصهم المقدسة

اهتم علماء الملل الثلاث واشترطوا العلم باللغة لمن يفسر نصوصهم المقدسة، وبينوا وجوب مراعاة الاختلاف في اللغات-كما سيأتي قريبا-.

١- اشتراط علماء الاسلام العلم باللغة قبل التفسير:

لم يسمح علماء الاسلام للجاهل بالعربية وفنونها أن يفسر كلام الله تعالى. قال مجاهد (ت: ١٠٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم بكتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب» [١]. ونقل الشيخ محمد أبو شهبة(ت:١٤٠٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ مقالة الإمام مالك(ت:١٧٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالا»، وقال: والمراد: العلم باللغة الواسع، المتعمق، ولا يكتفى باليسير منه، فقد يكون اللفظ مشتركا وهو يعلم أحد المعنيين ويكون المراد الآخر؛ وكذلك العلم بالفروق اللغوية، والعلم باللغة، نثرها ونظمها..» [٢].

وقال السمرقندي(ت:٣٧٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « لا يجوز لأحد أن يفسر القرآن من ذات نفسه برأيه، ما لم يتعلم ويعرف وجوه اللغة وأحوال التنزيل» [٣].

وهكذا فإنّ علماء الإسلام أكدوا على وجوب توفر العلم الواسع باللغة العربية حتى يكون الإنسان مؤهلاً لتفسير كلام الله جلّ جلاله. والعجب بعد هذا من أناس لا علم لهم بالعربية إلا اليسير، ثم تجد أحدهم يناقش ويحكم بتخطئة كلام الله تعالى!!

٢- اشتراط علماء أهل الكتاب مراعاة اللغة وعلوها قبل التفسير:

قد يجادل في ذلك بعض الدارسين بحجة أنه على علم بلغة أسفارهم التي يقدسونها فيقال له- من جهة اللغة فحسب وهو موضوع البحث-: لو فرضنا ذلك وأنك قد

(١) نقله الزركشي في **البرهان في علوم القرآن**، بدر الدين الزركشي، ١/ ٢٩٢.
(٢) **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**، محمد أبو شهبة، (ص٣٢).
(٣) **بحر العلوم، للسمرقندي**، ١/ ٧٢.

استوعبت تلك الأسفار كلها فإنّ ثمةَ فروقاً بين لغة القرآن الكريم ولغة أسفاركم يا أهل الكتاب، فعليك مراعاة تلك الفروق. وهذه الفروق أكدها علماؤكم. وأنت لستَ بأعلمَ من الفيلسوف اليهودي موسى بن ميمون (ت: ١٢٠٤م) وهو حبرٌ في تلك الأسفار، وله كلامٌ يعد حجةً في الاختلاف بين اللغات ومراعاة ذلك من أجل فهم لغة الغير، حيث يقول: « اعلم أنّ من لم يفهم لغة إنسان إذا سمعه يتكلم غير أنه لا يدري مقصده، وأشدّ من هذا أنه قد يسمع من كلامه كلمات هي بحسب لغة المتكلم تدل على معنى، ويتفق بالعرض أنْ تكون الكلمة في لغة السامع تدلّ على ضد ذلك المعنى الذي أراده المتكلم، فيظن السامعُ أنّ دلالتها عند المتكلم كدلالتها عنده؛ مثل لو سمع عربيٌ رجلاً عبرانياً يقول: أَبَى، فيظن العربيُّ أنه يحكي عن شخص أنه كَرِه أمراً ما أو أباه، والعبراني إنما أراد أنه أرضاه ذلك الأمر وأراده؛ وهكذا يجري للجمهور في كلام الأنبياء سواءً بعض كلامهم لا يفهم أصلاً، وبعضه يفهم منه ضده أو نقيضه كما قال: «قد عكستم كلام الإله الحي». واعلم أنّ لكل نبيّ كلاماً ما خصيصاً به كأنه لغة ذلك الشخص. هكذا يُنطقه الوحي به لمن فهمه» [(١)]؛ ولهذا يتوجب على الباحث والدارس مراعاة هذه الاختلافات والاهتمام بها وإلا وقع في الخطأ.

أقول: خالف الدارسون من أهل الكتاب هذا الأمر الواجب مراعاته، فأساؤوا فهم بعض الألفاظ القرآنية، وفسروها خلاف ما هو معلوم عند علماء العربية وأهل التفسير.

أقول: لقد ظهرت الحكمة الإلهية بإنزال الكتب بلغة الرسول الذي بعث من بين قومه ويتكلم بلغتهم، يقول جلتْ حكمته: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [سورة ابراهيم: ٤] وقوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ : «**لم يبعث الله نبياً إلا بلغة قومه**» [(٢)]. ولو كان غير ذلك، أقصد لو خالفتْ لغةُ النبيّ ولغةُ الكتاب المنزل إليه

(١) **دلالة الحائرين**، موسى بن ميمون، (ص٣٥٩ ٣٦٠) النص طويل ونقلته لأهميته في وجوب مراعاة الاختلاف بين اللغات.

(٢) **مسند الإمام أحمد**، حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، ٣٥/ ٣٢٣، رقم (٢١٤١٠). قال الهيثمي في **مجمع الزوائد**: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، إلا أنّ مجاهداً لم يسمع من أبي ذر». **مجمع الزوائد** للهيثمي، ٧/ ٤٣، رقم (١١٠٩٥)، وذكره السيوطي في **الجامع الصغير** ورمز له بالصحة، انظر: **الجامع الصغير وزيادته للسيوطي**، ١/ ٩٣٢٨، وصححه الألباني في **السلسلة الصحيحة**، ٧/ ١٥٢٠، رقم (٣٥٦١).

لغةَ من أرسل إليهم لحدث الخلاف في بيان المراد من الألفاظ، ولم يحدث التبيين والتوضيح الذي أراده الحكيم سبحانه لهداية الخلق وإقامة الحجة على الكافرين منهم.

ولم أقف على نصّ في أسفار أهل الكتاب يبين هذه الحكمة، لكن أفصح بعض علمائهم عنها؛ إذ يقول د. ملاك محارب: « كان الله يتكلم مع الآباء[١] والأنبياء باللغة التي يعرفونها لمعرفة إرادته الإلهية» [٢].

وكمثال على علماء اليهود المعاصرين البارزين في العربية نأخذ مراد فرج (ت:١٩٥٦م) الذي بيّن في كتابه« اليهودية» أهمية الإحاطة باللغة ومتعلقاتها، فقد نصّ على أنّ عقيدتهم تقوم «على وجوب معرفة لغة التوراة، أي لغتها العبرية والتمكن منها، ومعرفة العلوم الموصلة إلى فهمها من نحو وصرف وبيان ومعان ومنطق وأصول فضلاً عن علم التجويد فهل الاشتغال بهذه العلوم كفر؟ أو هل هي خارجة عن الشرع ومضادة له؟ أليست هي الدين كله! » [٣].

ومنهم المفسر النصراني نجيب جرجس الذي يقول في مقدمة تفسيره الكتاب المقدس تحت عنوان« قواعد لازمة لمن يدرس الكتاب المقدس، منها:» بما أنّ الكتاب المقدس يحوي أمثالاً واستعارات وتشبيهات وأشعاراً وقضايا منطقية إلى غير ذلك فإنه يلزم كثيراً الرجوع إلى قواعد البلاغة والمعاني والبديع والمنطق وغيرها خصوصاً في لغات الكتاب الأصلية للوقوف على حلّ المشاكل الكتابية التي تتطلب ذلك» [٤].

أقول: أغفل بعض الدارسين اليهود والنصارى وتجاهلوا أهمية الجانب اللغوي الذي نصّ عليه علماؤهم وجعلوه شرطاً لمن يفسر نصوصهم، فقد سمحوا لأنفسهم ما منعوه

(١) آباء الكنيسة هم الكهنة ورؤساء الكنائس من «البابوات» ومن يمثلهم من وجهاء الكنيسة. انظر: **قاموس الكتاب المقدس**، (١/ ٢٥ ٢٦) بتصرف يسير.
(٢) **دليل العهد القديم**، د. ملاك محارب، (ص ٢٧).
(٣) **اليهودية**، مراد فرج، (ص ١٠١ ١٠٢) .
(٤) **تفسير سفر التكوين**، نجيب جرجس (ص ١٤) ، الكتاب متوفر على شبكة الانترنت.

عـلى غيرهـم. وهنـا يظهـر الكيـل بمكيالـين حيـث اشـترط علـماء اليهـود والنصـارى لمفـسر كتبهـم المعرفـة باللغـة والرجـوع إلى قواعدهـا واسـتعاراتها، بينـما تجاهلـوا أهميـة اللغـة عنـد نقدهـم بعـض ألفـاظ القـرآن الكريـم، ممـا نتـج عنـه الغلـط بسـبب عـدم مراعـاة تلـك الاختلافـات بـين اللغـات كـما حـدث مـع كبـار المعاصريـن[1].

ومـن المهـم القـول إنّ المشـكلة ليسـت في عـدم توفـر شرط معرفـة الدارسـين الواسـعة باللغـة العربيـة فحسـب، وإنـما تـزداد المشـكلة وتـبرز إذا علمـت جهـل بعضهـم وضعفهـم بأسـهل قواعـد اللغـة العربيـة كـما يتبـين في الأمثلـة في المبحـث الثـاني.

وقـد شـهد الشـيخ د. صـلاح الخالـدي في مقدمـة ردهِ فقـال: « ونشـهد أنّ كلام الفـادي المفـتري[2] في كتابـه تافـهٌ متهافـت، والـردّ عليـه وإظهـار تهافتـه سـهلٌ ميسـور.. »[3].

وكشـف الدكتـور إبراهيـم عـوض ضعف «الفـادي» باللغـة العربيـة وقواعدهـا فقـال: « معرفة هـذا الجاهـل بقواعـد اللغـة حسـبما يبـدو مـن أسـلوبه نفسـه أو مـن الاعتراضـات التـي يثيرهـا ضـد أسـلوب القـرآن هـي معرفـة تافهـة فجـة»، وذكـر العديـد مـن أخطـاء الفـادي التـي يعرفهـا المبتدئون في اللغـة العربيـة؛ ومـن ذلـك قولـه: « فجملـة السـموات والأراضي أربعـة عـشر » وصوابهـا لـكل من لـه أدنـى إلمـام بقواعـد اللغـة« أربـع عـشرة »، وقولـه: « مـع أنّ بـين الحادثتـين زمـن مديـد» وصحتـه « زمنـاً مديـدا»، وقولـه: « ونتسـاءل إن كان مـا رواه الأولـون حـق أو شـبيه الحـق» وصحتـه «حقـا»، وقولـه : «وإذا أراد محمـدٌ زينبـاً»، وصحتـه «زينـبَ» لأنـه ممنـوعٌ مـن الـصرف، وغيرهـا كثـير»[4].

أقـول: إذا كان هـذا المعـترض عـلى القـرآن الكريـم جاهـلاً بأسـهل قواعـد اللغـة فكيـف يسـمح لنفسـه بنقـد كلام ربّ العالمـين؟ عـلى أنّ الـدارس المدعـو « الفـادي» يعـد مثـالاً واضحـاً عـلى

(١) مثل القس الدكتور منيس عبد النور والقس الدكتور غالي كما سيمر في المبحث الثاني.

(٢) لعل هذا الوصف معللًا بقوله تعالى:﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾[سورة العنكبوت:٤٦].

(٣) **القرآن ونقض مطاعن الرهبان**، د. صلاح الخالدي، (ص ٩).

(٤) أورد د. إبراهيم عوض العديد من الأخطاء اللغوية التي صدرت عن «الفادي»، مما يدل على ضعفه اللغوي، فكيف لمثله أن يتكلم في وجود أخطاء في القرآن الكريم!! ولمزيد من أخطائه انظر كتاب: **عصمة القرآن وجهالات المبشرين**، د. إبراهيم عوض، (ص ١٥ – ١٨)

مخالفة الدارسين من أهل الكتاب ما اشترطه علماؤهم من أهمية المعرفة باللغة قبل تفسيرها وعلى ضعفه الجلي.

وفي المبحث التالي أمثلة من أخطاء أهل الكتاب في تفسيرهم بعض ألفاظ القرآن الكريم المتصلة بعلم العقيدة ثم بيان الصواب فيها.

المبحث الثاني

أمثلة من أخطاء الدارسين اليهود والنصارى اللغوية

سأورد أمثلة من أخطاء الدارسين اللغوية إبرازاً لمشكلة البحث وخشية الإطالة وأبدأ بأولها:

المثال الأول: الخطأ في فهم كلمة «سنفرغ» في قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ [سورة الرحمن:٣١] **وهذا بيانه:**

١- بيان الخطأ: ورد في بعض المواقع الالكترونية خطأ صدر عن بعض الدارسين النصارى المعاصرين في كلامهم على قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ [سورة الرحمن:٣١] وأورد الدارس النصراني المدعو« رشيد» الآية الكريمة وتساءل بعدها قائلاً: هل الله مشغول؟»[(١)]. فيلاحظ أنّ هذا الدارس ظنّ – وفهم خطأً -أنّ الله تعالى مشغول، وأنّ هذا الشغل يجعله لايشتغل بشيء آخر إلا إذا انتهى مما هو منشغل به، وعندما يقضي شغله سيتفرغ للثقلين وهما الإنس والجنّ!!

٢- الرد: أقول: هذا فهمٌ سقيم جداً وباطل لا يليق بالله تعالى، ولو امتلك هذا الدارس العلم باللغة العربية لاستحيا من نقد هذه الكلمة، ولو أنه إذ جهل المعنى رجع إلى بعض تفاسير المسلمين أو سأل أحد العلماء لأجابه وأزال ما أشكل عليه إن كان طالباً للحق وباحثاً منصفا.

٣- المعنى الصحيح لكلمة «سنفرغ» عند علماء المسلمين:

معلومٌ أنّ الكلمة قد تختلف باختلاف قائلها، وتختلف إذا صدرت عن نفس الإنسان

(١) ومنهم الدارس المدعو رشيد، ويمكن الوقوف على شبهة رشيد بالدخول إلى الرابط التالي في«اليوتيوب» :
https://www.youtube.com/watch?v=6eURw-0ryQI
بعنوان (بالوثائق والأدلة)«الرد على رشيد»هل الله كان مشغولاً حينما قال «سنفرغ أيها الثقلان»وبرنامج «سؤال جريء» ضمن القناة التنصيرية المسماة ب«المرشد الأمين»: http://www.almurshidalamean.com.وانظر مثلاً اعتراضهم على معجزة الاسراء والمعراج في هذا الرابط:
https: / /www.youtube.com /watch?v=drifn8wp7U0

مـن موقـف لآخـر، فالفـراغ إذا صـدر عـن إنسـان يعنـي شـيئاً، يختلـف عنـه إذا صـدر عـن ربّ العالمين جـل جلالـه.

لقـد نبّـه العلـماء قديـماً وحديثـاً عـلى هـذه الكلمـة فاتفقـوا عـلى تنـزيهِ الله تعـالى عن الشـغل، وعـن أنْ يشـغله شيء عـن شيء. وبـيّن علـماء اللغـة والتفسـير مـا حاصلـه أنّ كلمـة « سـنفرغ» يـراد بهـا هنـا التهديـد والوعيـد، لا أنّ الله- تعـالى عـن وهـم الواهمـين- منشـغلٌ لا يقـدر عـلى فعلـين معـاً حتـى ينجـز أحدهمـا.

يقول أبو عبيدة(ت:٢٠٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « سنفرغ لكم: سنحاسبكم. لم يشغله شيء» [١].

ويوضـح ابـن قتيبـة(ت: ٢٧٦هــ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ هـذا المعنـى فيقـول: « والفـراغ أيضـا يكـون مـن النـاس بعـد شـغل، ثـم قـد ينتقـل ذلـك فيصـير في معنـى القصـد للشـيء، تقـول: لئـن فرغـتُ لـك، أي قصـدت قصـدك. وقـال الله تعـالى: ﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [سورة الرحمن: ٣١] والله تبـارك وتعـالى لا يشـغله شـأنٌ عـن شـأن، ومجـازه: سـنقصد لكـم بعـد طـول الـترك والإمهـال» [٢].

وقـال الطـبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « ...إنـه وعيـد مـن الله لعبـاده وتهـدد، كقـول القائـل الـذي يتهـدد غـيره ويتوعـده ولا شـغل لـه يشـغله عـن عقابـه: لأتفرغـنّ لـك، وسـأتفرغ لـك، بمعنـى: سـأجدّ في أمـرك وأعاقبـك، وقـد يقـول القائـل للـذي لا شـغل لـه: قـد فرغـتَ لي، وقـد فرغـتَ لشـتمي: أي أخـذت فيـه، وأقبلـت عليـه، وكذلـك قولـه جـل ثنـاؤه: ﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ﴾ سنحاسـبكم، ونأخـذ في أمركـم أيهـا الإنـس والجـن، فنعاقـب أهـلَ المعـاصي، ونثيـب أهـل الطاعـة» [٣]. وقـال ابـن دريـد الأزدي(ت:٣٢١هــ)رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « فرغـتُ إلى الـشيء إذا عمـدتُ إليـه وقصدتـه. ومنـه قولـه عـز وجـل: ﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ » [٤]. وقـال ابـن الجـوزي (ت:٥٩٧هــ)رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « والفـراغ في اللغـة

(١) **مجاز القرآن**، معمر بن المثنى، ٢/ ٢٤٤.
(٢) **تأويل مشكل القرآن**، لابن قتيبة، ١/ ٧٠ .
(٣) **جامع البيان في تفسير القرآن**،للطبري،٢٣/ ٤١ .
(٤) **جمهرة اللغة**، محمد بن دريد، ١/ ٣٧٦.

على ضربين، أحدهما: الفراغ من شغل، والآخر القصد للشيء. وتقول سأتفرغ لفلان، أي سأجعله قصدي، ومعنى الآية سنقصد لحسابكم»[١].

أقول: الله تعالى يهدد ويتوعد الإنس والجنّ في هذه الآية دفعاً لهم للطاعة ليظفروا برضاه وجنته، وتخويفاً لهم من المعصية كي لا تنالهم العقوبة، وهذا كله من رحمته تعالى بهم. وهذا هو المعنى الصحيح لكلمة« سنفرغ» لا كما توهم بعض النصارى.

وبعد الوقوف على المعنى اللغوي الصحيح لكلمة« سنفرغ» نأتي إلى موقف العقيدة الإسلامية من خطأ الدارس.

٤- مناقشة الخطأ من جهة العقيدة الاسلامية:

لا يشك مسلم في تنزيهِ الله تعالى عن كل نقص مهما قلّ، فالله تعالى منزّهٌ عن صفات المخلوقين التي تتضمن النقص والضعف والافتقار إلى غيرها فهو سبحانه كما قال عن ذاته: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[سورة الشورى:١١] وإنّ الانشغال بشيء عن شيء آخر صفة نقص، لأنّ الإنسان لنقصه وضعفه يصعب عليه أن يوفق بين أمرين في وقت واحد؛ فمن اشتغل بالكتابة لا يمكنه أن يقود مركبته في وقتها، ومن اشتغل بالاستماع إلى حديث من شخص فإنه لا يمكنه أن يكلم آخر، هذا بالنسبة للمخلوق الضعيف الناقص، وأما الربّ جلّ جلاله فصفاته لا تشبه صفات المخلوقين، وهو سبحانه منزهٌ عن هذه المعاني من الانشغال.

لقد نزّه علماء الإسلام ومفسرو القرآن الكريم الخالقَ جلّ جلاله عن أنْ يشغله شيءٌ عن شيء أو فعل عن فعل[٢]، فمثل هذا منفيٌ عنه تبارك وتعالى. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « والمسلمون وصفوا الخالق بصفات الكمال، ونزّهوهُ عن صفات النقص،

(١) **زاد المسير في علم التفسير**، لابن الجوزي،٨/ ١١٥، **وطريق الهجرتين وباب السعادتين**، ابن القيم الجوزية، ١/ ٤٢٣.
(٢) انظر مثلا: **تأويلات أهل السنة**، للماتريدي، ٩/ ٤٧٤، **ومفاتح الغيب، للرازي**، ٢٩/ ٣٦٠، **وتفسير القرآن العظيم لابن كثير**، ٧/ ٤٩٦.

ونزّهوهُ أن يكون شيء كفواً له في شيء من صفات الكمال، فهو منزهٌ عن صفات النقص مطلقا، ومنزهٌ في صفات الكمال أن يماثله فيها شيء من المخلوقات» [1]. وأورد الشيخ محمد العثيمين (ت:١٤٢١هـ) الآية الكريمة ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « وهذا وعيد، وليس المعنى أنّ الله عز وجل مشغول الآن وسيخلفه الفراغ فيما بعد» [2].

وخلاصة الكلام أنّ فهم بعض الدارسين السابق لكلمة «سنفرغ» في قوله تعالى: ﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ إنما هو فهم خاطئ، لأنّ الانشغال بشيء عن آخر صفة نقص تناسب المخلوق، والله تعالى منزهٌ عنها. وقوله تعالى: (سنفرغ) يراد به القصد إلى الحساب، كما أنه تهديد ووعيد لحمل الإنس والجنّ على طاعته تعالى.

وهكذا يظهر أنّ شبهة هذا الدارس ما هي إلا محاولة يائسة لإثبات أنّ القرآن الكريم يتضمن من الألفاظ ما يصف الله بالنقص، وقد ثبت بطلان ذلك لغوياً وعقدياً، والحمد لله ربّ العالمين.

٥- من آثار الخطأ العقدية:

من آثار هذ الخطأ اللغوي أنّ يمنع هذا الدارس عن نفسه نور الهداية بسوء فهمه وجهله بمعاني القرآن الكريم. وإذا كان النصراني يعتقد تنزيه الربّ الله تعالى عن الانشغال، فإنّ الإنصاف يقتضي أن يسأل أهل العلم من المسلمين عن المعنى الصحيح للكلمة حتى يزول إشكاله. أما إن كان يفهم المعنى في نفسهِ ثم فسرها على وجهٍ آخر فاسد- يتضمن تنقصاً لصفات الله تعالى- بقصد التلبيس على أبناء ملته أو على عوام المسلمين وبقصد تشكيك الناس بالقرآن الكريم وتشويه صورته ومعانيه عند النصارى وغيرهم بأنه يحتوي أوصافاً لا تليق بالله تعالى، لينخدع بعضهم بهذه الدعوى فيتحقق للناقد النصراني ما أراد من إقناع أبناء

(١) **الصفدية**، لابن تيمية،٢/ ٣١٠ .

(٢) **القول المفيد على كتاب التوحيد**، محمد العثيمين، ٢/ ٣١٨.

ملته بأنّ القرآن من عند محمد ﷺ لا من عند الله، والتلبيس على عوام المسلمين؛ فذلك ينطبق عليه ما كان عند من كفر بالرسل مع يقينهم بصدقهم كما قال ربنا جلّ شانه عنهم: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [سورة النمل: ١٤]؛ فإنها النصيحة لهذا الدارس وأمثاله أن يرحموا أنفسهم ولا يكذبوا عليها وعلى غيرهم، فالله مطلع على السرائر كما الظواهر، وأولى بهم دعاء الله والتوسل إليه كي يهديهم سبيل الحق، وينقذهم من الضلال، لا التمادي في الغي والإغواء.

المثال الثاني: الخطأ في نسبة التحسر والندم لله تعالى في قوله تعالى: ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [سورة يس:٣٠] وبيانه كما يلي:

١- ورد في بعض المواقع الإلكترونية النصرانية- مثل «هولي بايبل»، وكنيسة «الأنبا تكلا هيمانوت»، وهو موقع شهير للدكتور غالي- أنّ إله الإسلام يتحسر. وأورد القس الدكتور غالي[(١)] قوله تعالى في الآية الكريمة: ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [سورة يس: ٣٠]، وذكرها أيضا القس الدكتور منيس عبد النور[(٢)] وغيرهم.

٢- المعنى الصحيح للكلمة عند علماء الاسلام:

بالرجوع إلى علماء الإسلام في تفسيرهم قوله تعالى: ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [سورة يس:٣٠] نجد أنهم بينوا أنّ المراد بالحسرة هنا حسرة الكفار على أنفسهم يوم القيامة[(٣)]، أو حسرة الملائكة عليهم السلام على العباد، لا أنّ الله يتحسر على العباد. قال

(١) الموقع الرسمي للدكتور غالي المعروف بـ« **هولي بايبل**» تحت عنوان «هل الله يندم؟» انظر كلامه نهاية الموضوع.

(٢) انظر الموقع التالي: **http://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks-021-Sts-Church-Sidi-Beshr/002-Hatmeyat-Al-Tagasod-Al-Ilahy/Inevitability-of-the-Incarnation__73-Islam.html**

(٣) انظر مثلا: **تفسير الطبري**، محمد بن جرير، ٢٠/ ٥١١ وما بعدها، **وتفسير زاد المسير** لابن الجوزي، ٣/ ٥٢٢، **والجامع لأحكام القرآن** للقرطبي، (١٧/ ٤٣٥ ٤٣٨).

ابن أبي زَمنين(ت:٣٩٩ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « أخبر اللهُ أَن تكذيبهم الرسلَ حسرةٌ عليهم» [١]. وقال السمعاني(ت: ٤٨٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « فإن قيل: كيف يتحسر اللهُ تعالى على العباد الذين أهلكهم، ولا يجوز عليه هذه الصفة؟ والجواب عنه: أنّ معنى الآية: يا حسرةً على العباد من أنفسهم؛ وكأنهم يتحسرون على أنفسهم غاية الحسرة، والحسرة هي التلهف على أمر فائتٍ بأبلغ وجوهه حتى يبقى الرجل حسيراً منقطعاً من شدته. وجواب آخر: أنه تعالى قال: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِ﴾ لأنهم صاروا بمنزلةٍ يُتحسر عليهم، ويقال معناه: يا حسرةَ الرسل والملائكة على العباد، والجواب الأول أحسن الأجوبة» [٢].

وقال الزمخشري(ت:٥٣٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «..والمعنى أنهم أحقاء بأن يَتحسر عليهم المتحسرون، ويتلهف على حالهم المتلهفون، أو هم متحسَّرٌ عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين» [٣].

أقول: اتفق المفسرون المسلمون على تنزيه الربّ تبارك وتقدس عن التحسر الذي هو بمعنى الندم، فحاصل أقوالهم في قوله تعالى: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِ﴾: إما ندم وتحسر الكفار على أنفسهم، أو تحسر الملائكة والرسل عليهم السلام عليهم. وأما من أجاز نسبته لله تعالى[٤] فجعل ذلك على سبيل الاستعارة؛ ومع أنني لا أوافق هذا الرأي، لكنني أوردته كما هو عند بعض المفسرين-وإن كان مرجوحا- لمقارنة ونقد موقف علماء أهل الكتاب في تفسيرهم نص التوراة الآتي: « فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ فِي الأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ»[تكوين: ٦: ٦]. إنّ قارئ هذا النص يجد بوضوح ندم الله وتأسفه على خلق الإنسان. لكنّ علماء أهل الكتاب أولوا حزن الإله وتأسفه، كما أوّل بعض المفسرين المسلمين الحسرة لا على حقيقتها. ويأتي بيان ذلك في السطور التالية عند مناقشة الخطأ.

(١) **تفسير القرآن العزيز**، لابن أبي زمنين، ٤/ ٣٤.
(٢) **تفسير القرآن**، للسمعاني، (٤/ ٢٧٤ ٣٧٥).
(٣) **تفسير الكشاف**، للزمخشري، ٤/ ١٣.
(٤) انظر مثلا: **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، للبغوي، ٤/ ١٢، **والكشاف** للزمخشري، ٤/ ١٣، **ومفاتح الغيب** للرازي، ٢٦/ ٢٧٠، **ومحاسن التأويل** للقاسمي، ٨/ ١٨٢، **وفتح القدير** للشوكاني، ٤/ ٤٢٢، **والتحرير والتنوير** لابن عاشور،٢٣/ ٧.

٣- مناقشة الخطأ:

أولا: من جهة العقيدة الإسلامية يؤمن المسلمون أنّ الله تعالى منزهٌ عن الندم والتحسر، لأنها صفات نقص، والله تعالى متصف بالكمال منزهٌ عن أي نقص. والتحسر يكون بسبب الخطأ، والله جلّ شأنه متعالٍ عن الخطأ؛ وهذا متفق عليه عند العقلاء أيضا. قال السفاريني(ت: ١١٨٨ هـ)رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « لا خلاف بين العقلاء أنّ الله سبحانه وتعالى متصف بجميع صفات الكمال، منزهٌ عن جميع صفات النقص» [(١)]. وتقدم بيان علماء التفسير أنّ الكفار هم الذين يتحسرون على أنفسهم أو تحسر الملائكة أو الرسل عليهم لا تحسر الربّ سبحانه وتعالى.

ثانيا: أما من جهة المنهج فلا بد من مناقشة علماء أهل الكتاب الذين ناقضوا أنفسهم وخالفوا منهجهم في إساءة فهم التحسر في الآية الكريمة السابقة، بينما أجازوا لأنفسهم تأويل نصّ التوراة الذي تقدم ذكره، وفيه تصريح بتأسف الله على خلقه.

فسّر علماء النصار النص السابق على خلاف الظاهر، تنزيهًا منهم لله تعالى عن هذه المنقصة؛ فمثلاً يقول نجيب جرجس: « ليس معنى هذا أنّ اللهَ يقع تحت الانفعالات البشرية، ولكنه تعبير بلغة البشر يُقصد به عدم مسرّة الله بأعمال الإنسان وعدم رضاه عنها» [(٢)]. ويقول بعضهم: «تعبيرات:» فحزن الرب« وتأسف في قلبه»، هي تعبيرات موجهة للبشر كي يفهموا، لكنّ الله ليس انفعالياً فيندم على صنعه، فهو لا يندم ولا يتغير. واستشهدوا بنص يتضمن تنزيه الإله سبحانه: « لاَ يَكْذِبُ وَلاَ يَنْدَمُ، لأَنَّهُ لَيْسَ إِنْسَانًا لِيَنْدَمَ» [صموئيل ١: ١٥: ٢٩][(٣)].

ونقلت هذا التفسير للأمانة العلمية، ومن أقوال علماء أهل الكتاب[(٤)].

---

(١) **لوامع الأنوار البهية**، للسفاريني، ١/ ١٠٤.
(٢) انظر: **تفسير سفر التكوين**، نجيب جرجس، (ص ١٣٦).
(٣) انظر: **تفسير سفر التكوين**، (ص ٨٦).
(٤) يمكن مراجعة بحث« **أثر الضعف اللغوي في فهم نصوص أهل الكتاب، التوراة نموذجا**»، ضمن المثال الثالث حيث تجد الكلام مفصلا..

أقول: إذا كان علماء النصارى قد نزّهوا الله تعالى في هذه المرة، فلماذا اعترضوا على الآية الكريمة السابقة؟ ولماذا لا يأخذوا بتفسير علماء الإسلام لها؛ حيث أكدوا تنزيه الله عن الندم والحسرة؟ لماذا أجاز علماء النصارى لأنفسهم التأويل في ألفاظ كتبهم، ومنعوه على ألفاظ القرآن الكريم ؟ أهذا من الأمانة والعدل! بل هذا كيلٌ بمكيالين، وهو تأكيد لتناقض منهج علماء النصارى في شرط الرجوع إلى اللغة لفهم النصوص[1].

وهكذا يتبين أنّ علماء أهل الكتاب أوَّلوا نص التوراة السابق تنزيهاً لله تعالى عن الندم الذي هو صفة نقص، إلا أنهم نقدوا قوله تعالى: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِ﴾ [سورة يس: ٣٠]، فمن العدل والإنصاف أن يسوق علماء أهل الكتاب نصّ التوراة السابق عند نقدهم هذه الكلمة القرآنية، ويقبلوا تفسير من أولها من المفسرين المسلمين لتوافق تأويلهم نص التوراة؛ فهذا قصدي من إيراد هذا الرأي المرجوح.

أقول: كان من المفروض منهجياً وأدبياً من القس الدكتور غالي والقس الدكتور منيس عبد النور، أن يرجعا إلى تفسير علماء الإسلام لهذه الكلمة، كي يزول الإشكال الذي لديهما عن معنى الحسرة، ولو فعلا ذلك لتيقنا تنزيه الله تعالى عن التحسر والندم، فإن أخذا بهذا الرأي وهو الأرجح كان المراد تحسر الخلق على أنفسهم أو تحسر الرسل والملائكة عليهم السلام على الخلق، لا أنّ الله سبحانه يتحسر على العباد. وإن أخذا بالقول الثاني الضعيف الذي يجيز نسبة التحسر لله تعالى فعليهما أن يدركا أنّ هذا مشابه للتأويل المتبع عند علماء النصارى في بعض عبارات كتابهم المقدس كتفسير الحزن والتأسف والندم الوارد بحق الله تعالى في النص المتقدم.

وأورده مرة أخرى وهو« فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ فِي الأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ» [2]،

(١) يراجع المبحث الأول.

(٢) في **النسخة اليسوعية**: « فندم الربّ على أنه صنع الإنسان على الأرض، وتأسف في قلبه»، (ص ٧٧ – ٧٨).

[تكوين: ٦: ٦]؛ حيث نفى علمأوهم الندم على الله، وأولوه بعدم رضا الله عن أعمال الإنسان، فكان من العدل تسليمهم بمن حمل ذلك على الاستعارة من المفسرين المسلمين، مع أنّ الأولى أن يأخذوا بالرأي الراجح وهو ندم الخلق وتحسرهم لا تحسر الخالق جلّ جلاله.

٤- أثر الخطأ:

من آثار التفسير الخاطئ للتحسر الوارد في الآية الكريمة:

١- نسبة أفعال وصفات النقص لله تعالى، وهذا ما ترفضه العقيدة الاسلامية التي أكدت تنزيه الربّ جل جلاله ووصفه بكل الكمالات.

٢- من آثار هذا الخطأ اللغوي- وما يتضمن من نقد علماء النصارى هذا الموضع والتغافل عن منهجهم القائل بالتأويل والاستعارة والكنايات في تفسير الكتاب المقدس.

٣- زيادة الصدام الثقافي بين المسلمين وأهل الكتاب، بكثرة النقد المتبادل لنصوص فيها بعض التشابه، مع ملاحظة الفرق بين الآية الكريمة إذ لا يوجد فيها ما ينسب الحسرة لله تعالى، بخلاف نصّ التوراة الذي يصرح بحزن الله وأسفه، وإن كان يحتمل التأويل.

المثال الثالث: خطأ القول بوجود عقيدة التثليث في القرآن الكريم من خلال استخدام ضمير الجمع للدلالة على الله الواحد:

وبيانه كما يلي:

١- زعم بعض النصارى وجود ألفاظ في القرآن الكريم تدل على عقيدة التثليث التي يؤمنون بها.

وهذه شبهة قديمة أعاد «الفادي» إشاعتها في محاولة يائسة لتشكيك المسلمين في عقيدتهم، ومحاولة لتثبيت النصارى على دينهم الباطل، فقال: « وقد اتفق القرآن مع الكتاب

المقدس في إسناد الفعل وضمير المتكلم في صيغة الجمع إلى الله، ولم يرد في الكتاب المقدس ولا في القرآن كلامُ مخلوق كائناً من كان تكلم عن نفسه بصيغة الجمع، مما يدل على وحدة الجوهر مع تعدد الأقانيم[1] في الذات العلية، فمثلا ورد في سورة البقرة: ﴿نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [سورة البقرة: ٢٣] بصيغة الجمع، ووردَ في سورة الأعراف: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [سورة الأعراف: ١٩٦] بصيغة المفرد، فتشير الصيغة الأولى إلى جمع الأقانيم، وتشير الصيغة الثانية إلى وحدة الذات»[2]، وبمثل ذلك قال النصراني حبيب سعد في كتابه « أديان العالم»[3]. وفيما يأتي نقض هذا الخطأ.

٢- المعنى الصحيح لضمير الجمع الدال على الله تعالى:

لا نزاع عند العرب قديماً وحديثاً في استعمال ضمير الجمع للمفرد، لأنّ كفار قريش لو فهموا أنّ ذلك الجمع يدل أو يشير إلى التعدد والجمع في حق الإله سبحانه، لاعترضوا على نبينا محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الذي جاهدهم بالقرآن الكريم، ولَقالوا له: كيف تدعو إلى التوحيد وكتابك يدل على الجمع والتعدد؟ ولو أنهم علموا أنّ ضمير الجمع لا يُستخدم للواحد بقصد التعظيم والإجلال، لطعنوا في ذلك؛ وخاصة أنهم يعلمون قيام عقيدة النصرانية المحرفة على التثليث، وهذا مما عابوه على رسالة نبينا محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وتعجبوا بأنها تقوم على توحيد الله جلّ جلاله. وأورد الله مقالتهم تلك فقال تبارك وتعالى: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ [سورة ص: ٤ ٧].

والمقصود أنّ قريشاً على كفرها، لم تعترض على كثرة استخدام ضمير الجمع في القرآن

---

(١) النصارى مضطربون في معنى الأقانيم. يقول ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ:« ..ولهذا يضطربون في تفسير الأقانيم، تارة يقولون: أشخاص، وتارة خواص، وتارة صفات، وتارة جواهر، وتارة يجعلون الأقنوم اسماً للذات والصفة معا، وهذا تفسير =حذاقهم». **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، ٣/ ٢٠٠.

(٢) **القرآن ونقض مطاعن الرهبان**، (ص ٢٢٩) نقلًا عن **كتاب هل القرآن معصوم**، (ص ٧٣).

(٣) انظر: **أديان العالم**، حبيب سعد، (ص ٢٨٤ – ٢٨٥).

الكريم للدلالة على الله الواحد الأحد، لأنّ ذلك مما تعارف عليه العرب؛ ولو أنه لم يكن مستعملاً في لغتهم، لأنكروه جداً على نبينا محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، واتخذوا ذلك دليلاً على مشابهة ملة النصارى، لكنهم لم يجادلوا في شيءٍ استقر في لغتهم ويراد منه الجمع للتعظيم والإجلال لا التعدد.

وذكر علماء اللغة القدامى هذا، فمثلاً أورد أبو عبيدة(ت:٢٠٩ هـ) مثالاً على المجاز الذي يكون للمفرد بصيغة الجمع قوله تعالى:﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [سورة القمر:٤٩] وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « والخالق وحده لا شريك له» (١).

ومن المعروف في اللغة العربية استعمال ضمير الجمع مثل « نحن» و «إنا»، للتعبير عن المفرد بقصد التعظيم، وتستخدمه العظماء والملوك، والله تعالى أحق بالعظمة؛ ولذلك تكرر استعمال ضمير الجمع في القرآن الكريم منسوباً إلى الله تعالى، وهو واحدٌ لا شريك له. ومن ذلك الآية التي استشهد بها «الفادي» وهي قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [سورة البقرة: ٢٢- ٢٣] والشاهد في الآية الكريمة قوله سبحانه: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ ففعل« نزلنا» يعود إلى الواحد سبحانه، وقد ورد بصيغة الجمع للتعظيم، لكنّ بعض النصارى اعتبروا وجود مثل هذا في القرآن الكريم دليلاً على تضمن القرآن للتثليث، وهذا خطأٌ جليٌ، لأنّه يُعد من بدهيات اللغة العربية، يفهمه المبتدئُ في اللغة كما الخبير بأنه يدل على تعظيم الله الواحد لا تعدد الذات، وهو أمرٌ مستقر عند العرب قديماً كما تقدم.

٣- مناقشة الخطأ:

أولا: تقوم عقيدة الاسلام على التوحيد الخالص لله تعالى، ويأبى المسلمون وجود ما يشير إلى التثليث في القرآن الكريم، بل القرآن الكريم وجميع آياته العظيمة متضافرة على

(١) **مجاز القرآن**، معمر بن المثنى، ١/ ٩ .

إبطال عبادة ما سوى الله عزّ وجل. والعديد من الآيات جاءت لتنقض عقيدة النصارى في التثليث وتحكم بكفرهم بجلاء وصراحة، فقال جلّ شأنه: ﴿كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ﴾[سورة المائدة: ٧٣]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ﴾ [سورة المائدة: ٧٢]. ومن يقرأ القرآن الكريم وأحاديث نبينا محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لا بد أن يقول: من اليقين أنّ الإسلام يدعو إلى توحيد الله تعالى، والكفر بما سواه، وهذا مبدأ دعوة نبينا محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وأساسها، كما هو مبدأ وأساس النصرانية قبل تحريفها، كما أنّ توحيد الله تعالى أساس جميع دعوات إخوانه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ وعليه فالقرآن الكريم يدل على توحيد الله جلّ جلاله ونبذ الشرك بصراحة وجلاء.

وأما دعوى بعض النصارى أنّ ضمير الجمع الوارد في القرآن دليل على التثليث فهذا إفكٌ عظيم وخطأ كبير قد أبطله علماء الإسلام، ومن ذلك مثلا:

يقول الجعفري(٦٦٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « هذه النون مشهورة في كلّ لسانٍ وعند كلّ إنسان، يطلقها العظماء بينهم والأكابر، وهي بالله أليق، إذ هو العظيم على الحقيقة، وكلّ عظيم سواه فهو عبده»[(١)]، والمراد نون العظمة الوارد في نص التوراة: « وقال الله: نعملُ الإنسان على صورتنا كشَبهِنا» [تكوين:١:٢٦].

ومن ذلك قول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « وهذا مما احتج به نصارى نجران[(٢)] على النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فاحتجوا بقوله تعالى (إنا) ، (نحن) قالوا : وهذا يدل على أنهم ثلاثة،...، فرد عليهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال:« وقوله: (إنا)، (نحن) لفظ يقع في جميع اللغات على من كان له شركاء وأمثال، وعلى الواحد المطاع العظيم الذي له أعوان يطيعونه، وإن لم يكونوا

(١) **تخجيل من حرّف التوراة والإنجيل**، صالح بن الحسين الجعفري،١ / ٤٥٥.

(٢) أصل القصة صحيح . انظر مثلا: **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران، ٥/ ١٧١. ولكني لم أعثر على احتجاج نصارى نجران ب «إنا» و « نحن» للدلالة عل التثليث، إلا أنّ بعض العلماء ذكرها كابن تيمية في **الجواب الصحيح**، ٣/ ٤٤٨، **وابن كثير في التفسير**،٢ / ٥٠.

شركاء ولا نظراء، والله تعالى خلَقَ كل ما سواه، فيمتنع أن يكون له شريك أو مثل، والملائكة وسائر العالمين جنوده تعالى» [١].

ومن المعاصرين الشيخ محمد بن عثيمين (ت:١٤٢١هـ) حيث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «...فاتبع النصراني هذا المتشابه، وادعى تعدد الآلهة، وقال: إنّ الله ثالث ثلاثة، وترك المحكم الدالّ على أنّ الله واحد. وأما الراسخون في العلم: فيحملون الجمع على التعظيم لتعدد صفات الله وعظمها، ويردون هذا المتشابه إلى المحكم في قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة البقرة: ١٦٣] ويقولون للنصراني: إنّ الدعوى التي ادعيت قد كفَّرك اللهُ بها وكذَّبك فيها فاستمع إلى قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [سورة المائدة: ٧٣]؛ أي كفروا بقولهم: إنّ الله ثالث ثلاثة» [٢].

أقول: يستفاد من كلام الشيخ العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجوب الرجوع إلى القرآن الكريم ذاته لبيان ما غمض من معنى، فالقرآن الكريم وِحدةٌ واحدة يصدق بعضه بعضا.

ثانيا: من الردود على هذا الخطأ احتواء التوراة على صيغة الجمع بحق الله تعالى، ولم يفهم منها اليهود إلا وحدانية الله تعالى؛ وهذا ما أكده شيخ الاسلام ابن تيمية إذ يقول في معرض ردهِ على خطأ التثليث عند النصارى: « ويكون شبهتهم قوله: (منا) لأنه عبّر بصيغة الجمع، (وكذلك إن أرادوا هذا بقوله (نخلق بشرًا على صورتنا وشبهنا) فاحتجوا على التثليث بصيغة الجمع. وهذا مما احتج به نصارى نجران على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاحتجوا بقوله تعالى (إنا)، (نحن) قالوا: وهذا يدل على أنهم ثلاثة، وكان هذا من المتشابه الذي اتبعوه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وتركوا المحكم المبين الذي لا يحتمل إلا واحدا، فإنّ الله في جميع كتبه الإلهية قد بين أنه إلهٌ واحد، وأنه لا شريك له، ولا مثل له. وقوله: (إنا) ، (نحن) لفظ يقع في جميع اللغات على من كان له شركاء

(١) **الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح**، ابن تيمية، ٣/ ٤٤٨.
(٢) **تقريب التدمرية**، محمد صالح العثيمين، (ص ٨٠).

وأمثال، وعلى الواحد المطاع العظيم الذي له أعوان يطيعونه، وإنْ لم يكونوا شركاء ولا نظراء، والله تعالى خلق كل ما سواه، فيمتنع أنْ يكون له شريك أو مثل، والملائكة وسائر العالمين جنوده تعالى. قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [سورة المدثر: ٣١] وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [سورة الفتح: ٧]، فإذا كان الواحد من الملوك يقول: إنا، ونحن، ولا يريدون أنهم ثلاثة ملوك، فمالك الملك ربّ العالمين، ربّ كل شيء ومليكه هو أحقّ بأن يقول: إنا، ونحن، مع أنه ليس له شريك، ولا مثيل، بل له جنود السماوات والأرض»[(١)].

أقول: وهكذا تجد أنّ القرآن الكريم جاء ليقرر وحدانية الله، فإنّ مفتاح الإسلام هو الشهادة بأنه لا إله إلا الله، والتي تظهر جلية في مئات الآيات في القرآن الكريم، فوجود ألفاظ في القرآن الكريم تناقضُ وحدانية الله، وتدل على تعدد الإله يُعد أمراً مُحالاً شرعًا ولغةً وعقلاً. وهذه الأمور تبطل الخطأ السابق.

وجملة القول بطلان دعوى النصارى تضمن القرآن الكريم عقيدة التثليث، وإنما هي محض افتراء وكذب ثبت بطلانه بدليل القرآن الكريم الذي صرّح بكفر النصارى القائلين بالتثليث، وبدليل اللغة العربية وفهم العرب لها، والعقيدة الإسلامية، وكلام العلماء.

٤- آثار الخطأ:

يترتب على الخطأ اللغوي القائل بأنّ ضمير الجمع الدالّ على الله تعالى في القرآن الكريم دليل على التثليث آثار عقدية خطيرة أهمها: تناقض القرآن الكريم، وتناقض دعوة نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا كله محض افتراء وتخرص، ومردود شرعاً ولغةً وعقلا. وقد تقدم موقف العقيدة الاسلامية القائمة على التوحيد الخالص لله تعالى. وأما عقلاً فمن المحال أنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتلو القرآن الموحى به من الله تعالى، والذي يصرح على لسان المسيح عليه الصلاة والسلام بشرك النصارى وتحريم الجنة عليهم وأنّ معتقده مأواه النار كما في هذه الآية

(١) **الجواب الصحيح**، لابن تيمية، ٣/ ٣٤٧-٣٤٨.

الكريمة: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [سورة المائدة: ٧٢]، ثم يتلو ألفاظاً تشير أو تدل على تثليث الإله وتصحح اعتقاد النصارى الفاسد، فهذا محال عقلا.

المثال الرابع: الخطأ في تفسير الشك في الآية: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ [يونس: ٩٤] وبيانه كما يلي:

١- من الأمثلة على أخطاء الدارسين اليهود والنصارى اللغوية:

ما نقله الإمام ابن حزم(ت:٤٥٦ هـ)رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن «ابن النغريلة اليهودي» (ت:٤٤٧هـ) الذي اعترض على قوله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ [سورة يونس: ٩٤]، فقال المعترض: « فهذا محمّد كان في شكٍ مما ادعاه» [(١)]. وأعاد :الفادي» النصراني هذا الاعتراض تحت عنوان « الوحي الذي يشكّ فيه مُبلِّغه!!».

أقول: لا يخفى أنّ هذا الزعم فيه طعنٌ بنبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وبما أُنزل إليه من ربه تعالى، وهو زعم باطل ببراهين اللغة والشرع والعقل كما يأتي:

٢- المعنى الصحيح للكلمة:

يدل هذا الخطأ على جهل صاحبه باللغة العربية واستعمالاتها، وبالشرع، وبما ورد عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ. ومن اليقين أنّ نبينا محمداً صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لم يكن شاكاً في ما أنزله الله عليه، كما ورد أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: « لا أشك ولا أسأل» [(٢)]. وإذا تقرر عدم وجود الشك في نفسه

(١) **الرد على ابن النغريلة**، ابن حزم،(ص ٦٠ ٦١).

(٢) **تفسير مقاتل بن سليمان**، ٢/ ٢٤٨، وتفسير الطبري، ١٥ / ٢٠٢، واختلف في الحكم على هذا الحديث المرسل: فضعفه الألباني في كتابه **دفاع عن الحديث النبوي والسيرة**، ص ١٥، ولكن ورد تصحيحه في كتاب **روضة المحدثين**، رقم(٤٦٧٨)١٠/ ٢٥٣، وهو تفريغ لأحكام الحافظ ابن حجر على الأحاديث، **برنامج منظومة التحقيقات الحديثية**، إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهنا يرد سؤال ذكره الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ فقال: « إن قال: فما وجه مخرج هذا الكلام إذن، إن كان الأمر على ما وصفت؟ قيل: قد بيّنا في غير موضع استجازة العرب قول القائل منهم لمملوكه: «إن كنت مملوكي فانته إلى أمري»، والعبد المأمور بذلك لا يشك سيده القائل له ذلك أنه عبده؛ كذلك قول الرجل منهم لابنه: «إنّ كنت ابني فبِرني»، وهو لا يشك في ابنه أنه ابنه، وأنّ ذلك من كلامهم صحيح مستفيض فيهم، وذكرنا ذلك بشواهده، وأنّ منه قول الله: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ﴾ [سورة المائدة: ١١٦] وقد علم جلّ ثناؤه أنّ عيسى لم يقل ذلك، وهذا من ذلك، لم يكن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شاكاً في حقيقة خبر الله وصحته، والله تعالى ذكره بذلك من أمره كان عالما، ولكنه جلّ ثناؤه خاطبهُ خطاب قومه بعضهم بعضا، إذ كان القرآن بلسانهم نزل» [(١)].

ونفى القاضي عبد الجبار (ت:٤١٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ أيضا أن يكون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقع في الشك وإنما المقصود غيره، فقال: « المراد مَن شك في ذلك على وجه الزجر، أو قال ذلك لأهل الكتاب الذين يجوز أن يسألهم غيرهم عما في الكتب عن تصديق محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» [(٢)].

ومن الردود على هذا الخطأ اللغوي وما تضمنه من دعوى، قول الشيخ العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: « إنّ مثل هذا التعبير ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ﴾ لا يلزم منه وقوع الشرط، بل ولا إمكانهِ كقوله تعالى: ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [سورة الزخرف: ٨١]، فإن وجود الولد لله عزّ وجل ممتنعٌ غاية الامتناع، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [سورة مريم: ٩١]، فكذلك الشك والامتراء من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما أنزل إليه ممتنع غاية الامتناع، ولكن جاءت العبارة بهذه الصيغة الشرطية لتأكيد امتناع الشك والامتراء من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما أنزل إليه من الله عزّ وجل» [(٣)].

بالإسكندرية. مصدره: المكتبة الشاملة.

(١) **تفسير الطبري**، ١٥ / ٢٠٣ .

(٢) **تنزيه القرآن عن المطاعن**، للقاضي عبد الجبار ، (ص ١٧٧).

(٣) **تقريب التدمرية**، محمد بن صالح العثيمين، (ص ٨١ ٨٢).

أقول: تبينَ أنّ الجملة شرطية ولا يلزم منها وقوع الشرط، كما قال بذلك العلماء كالطبري والقاضي عبد الجبار وابن عثيمين رحمهم الله. والنتيجة أنّ نبينا محمداً ﷺ لم يكن شاكاً في مصدر الوحي؛ ولذلك لم يسأل أهل الكتاب؛ وهذا يثمر في عقيدة المسلم إيماناً ورسوخاً، فكما أنّ إيمانه يجعله متيقناً باستحالة وجود ولدٍ لله تعالى، فإيمانه يجعله متيقناً بامتناع شك نبينا محمد ﷺ بما أنزله الله إليه من القرآن العظيم.

٣- مناقشة الخطأ:

أناقش الخطأ عقدياً وعقلياً، والبداية من جهة العقيدة.

أولا: إنه من المسلَّم به أنّ الشك ممتنعٌ في حق النبي ﷺ، فإنه ﷺ أعظم الخلق إيماناً وأرسخهم يقينا، وقد شهد له ربّ العزة بذلك فقال سبحانه: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [سورة البقرة:٢٨٥]، والمراد بقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ كما قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « صدق الرسول يعني رسول الله ﷺ، فأقرّ بما أنزل إليه»، يعني: بما أُوحي إليه من ربّه من الكتاب، وما فيه من حلال وحرام، ووعد وعيد، وأمر ونهي، وغير ذلك من سائر ما فيه من المعاني التي حواها» (١). وذكر الطبري عن قتادة (ت:١١٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: « ذُكر لنا أنّ نبي الله ﷺ لما نزلت هذه الآية: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ قال: «ويَحِقُّ له أن يؤمن» (٢).

وقال الخازن (ت: ٧٤١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «ومعنى آمن الرسول : صدّق الرسول يعني محمداً ﷺ أنّ هذا القرآن وجملة ما فيه من الشرائع والأحكام منزلٌ من عند الله عز وجل»(٣).

(١) **تفسير الطبري**، ٦/ ١٢٤.

(٢) قال محققه الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:» الأثر:[٦٤٩٩] أخرجه الحاكم في **المستدرك**[٢: ٢٨٧] من طريق خلاد بن يحيى، عن أبي عقيل، عن يحيى بن أبي كثير، **عن أنس قال: «لما نزلت هذه الآية على النبي** ﷺ: «**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه» قال النبي** ﷺ: **وحق له أن يؤمن»**، ثم قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» واستدرك عليه الذهبي فقال: «منقطع». انظر: **تفسير الطبري**، ٦/ ١٢٤.

(٣) **لباب التنزيل في معرفة التأويل**، للخازن، ١/ ٢١٩.

وفسرها مؤلفو التفسير الحديث فقالوا: « صدَّق وأيقن رسولُ الله محمدٌ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بما أُوحي إليه من ربِّه، وحُقَّ له أن يُوقن» [1].

أقول: في الآية الكريمة شهادةٌ وتزكيةٌ من لدن العليم الحكيم جلّ جلاله، بإيمان رسوله محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وثناءٌ منه تعالى عليه. ومعلوم أنّ الإيمان ضد الشك والتردد. وفي هذه التزكية والشهادة الربانية إبطال لشبهة اليهودي ابن النغريلة وكلّ من ادعى دعواه.

وقد ورد عن قتادة رَحِمَهُٱللَّهُ أنّ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لما نزلت هذ الآية الكريمة قال: « **لا أشك ولا أسأل**» [2]، وهذ الأثر صريحٌ في نفي الشك عن نبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

لقد بيّن أهل التفسير أنّ الآية الكريمة خطابٌ للرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ والمراد به غيره، على عادة العرب فإنهم يخاطبون الرجل ويريدون به غيره[3]؛ وعليه فالخطاب موجهٌ للمشركين من قومه بطريق التعريض، وهو كثير في استعمال العرب.

قال القرطبي(ت:٦٧١) رَحِمَهُٱللَّهُ: «الخطاب للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ والمراد غيره، أي لستَ في شك ولكنّ غيرك شك.

ونقل رَحِمَهُٱللَّهُ أنّ المعنى: أي يا عابد الوثن إنْ كنت في شك من القرآن، فاسأل من أسلم من اليهود، يعني عبد الله بن سلام وأمثاله؛ لأنّ عبدة الأوثان كانوا يقرون لليهود أنهم أعلم منهم، من أجل أنهم أصحاب كتاب، فدعاهم الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إلى أن يسألوا من يقرون بأنهم أعلم منهم» [4].

وخلاصة الكلام عند أكثر أهل التفسير ما حكاه ابن عاشور(ت: ١٣٩٣هـ) رَحِمَهُٱللَّهُ

(١) **التفسير الميسر**، نخبة من أساتذة التفسير، (ص ٤٩).
(٢) سبق تخريجه عند الكلام على المعنى الصحيح للكلمة.
(٣) انظر: **النكت والعيون**، للماوردي، ٢/ ٤٥١، **ومعالم التنزيل للبغوي**، ٢/ ٤٣٤، **والكشاف** للزمخشري، ٢/ ٣٧١، **وفتح القدير** للشوكاني، ٢/ ٥٣٨، **وتفسير المنار**، ١١/ ٣٩٢، **والتحرير والتنوير** لابن عاشور ،١١/ ٢٤٨.
(٤) نقلًا عمن سمع من الإمامين ثعلب والمبرد. انظر: **تفسير القرطبي**، ٨/ ٣٨٢.

بقوله: « فالمقصود من الآية إقامة الحجة على المشركين بشهادة أهل الكتاب من اليهود والنصارى قطعاً لمعذرتهم» (١).

وفي الآية الكريمة تقوية لعقيدة المسلمين بتضمن الكتب السابقة صفة نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال الإيجي (ت:٩٠٥ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: « فيه تثبيت للأمة، وإعلامٌ لهم أنّ صفة نبيهم مكتوب في الكتب السماوية» (٢).

ومما يجدر ذكره هنا تضمن أسفار أهل الكتاب صفة رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلمهم- وخاصة علماء زمانه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه رسول الله حق. قال بعض علماء الأديان المسلمين المعاصرين في ردهم على بعض علماء اليهود والنصارى: « هذه الآية الكريمة لا تدل على وقوع الشك، ولا على وقوع السؤال، فإنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن شاكًّا، ولا سأل أحدًا منهم، بل روي عنه أنه قال: «والله لا أشك، ولا أسأل»، ولكنّ المقصود بيان أنّ أهل الكتاب عندهم من الأدلة والبراهين ما يؤيدك ويصدقك فيما كذبك فيه الكافرون» (٣).

٢- وأما مناقشة الخطأ عقلياً:

فيأبى العقل السليم إلا أن يردّ دعوى شك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما أنزل إليه، فابن حزم في ردِّهِ على الخطأ الفاسد الذي صدر عن ابن النغريلة اليهودي قال رَحِمَهُ اللَّهُ« ..إنه من المحال العظيم الذي لا يتمثل في فهم من له مسكة، أن يكون إنسان يدعو إلى دين يقاتِل عليه وينازِع فيه أهل الأرض، ويدين به أهل البلاد العظيمة، ثم يقول لهم: إني في شك مما أقاتلكم عليه أيها المخالفون، ولستُ على يقين مما أدعوكم إليه، وأحققه لكم أيها التابعون، إلى مثل هذا السخف الذي لا يتصور إلا في مثل دماغ هذا المجنون الجاهل»(٤).

(١) **التحرير والتنوير**، لابن عاشور، ١١/ ٢٨٤.
(٢) **جامع البيان في تفسير القرآن**، للإيجي، ٢/ ١٥٥.
(٣) **مناظرة بين الإسلام والنصرانية**، د. محمد جميل غازي وآخرون، (ص ٤٠٣).
(٤) **الرد على ابن النغريلة اليهودي**، ابن حزم، (ص ٦٠).

وبناءً على ما تقدم، يتبين بجلاء أنّ اللغة والعقيدة والعقل كلها متعاضدة بتأكيد عدم شك النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وأنّ المراد قومه ومن لم يؤمن به، كما تقرر نقض دعوى ابن النغريلة والفادي بوجود خطأ، وجهلهما الواضح بمعاني وقواعد اللغة العربية.

٤- أثر الخطأ:

بعد عرض الخطأ السابق ومناقشته يظهر الأثر الخطير المترتب عليه وهو:

١- الطعن برسالة نبينا محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

٢- أنّ المعترض- بسبب جهله بالعربية- حاول تشوية صورةَ نبينا محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وأظهرهُ بصورة الشاكّ في الوحي المنزل إليه. وقد تقدم بطلان هذا الشك، وعدم حصوله أصلا.

٣- أنّ المعترض حرم نفسَه فرصة الدخول في الاسلام بسبب جهله باللغة العربية، وبسبب عدم سؤال أهل اللغة والتفسير عن المعنى الصحيح للآية الكريمة.

٤- ظهر من هذا الخطأ وتكراره عند الدارسين المعاصرين أنّ أخطاءهم اللغوية وما يصاحبها من شبهات أمر مكرر، فواضح من خلال ردود علماء الاسلام القدامى أنّ هذا الخطأ اللغوي ليس من إنشاء «الفادي»، وإنما مكررٌ منذ قرون من النصارى واليهود، وإنما أكثر الأخطاء القديمة تتكرر في زماننا، وتُنشر في المواقع الالكترونية لإثارتها ونشرها بين المسلمين لتشكيكهم بدينهم وكتابهم ونبيهم صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وإلا فإنّ الخطأ قديم كما ذكر ابن حزم رَحِمَهُٱللَّهُ، فبعد أن أورد قوله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَ﴾ قال: « إنما عهدنا هذا الاعتراض من أهل الكتاب وغيرهم، وأما من يدعى أنه مسلم فلا ولا يمكن البتة أن يكون مسلم يظن أنّ رسول

الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان شاكاً في صحة الوحي إليه»[1]، فأهل الكتاب يحيون الشُبهَ القديمة بوسائل عصرية للإثارة والتشكيك. وكل هذا له أثر سيء فيزيد من حدة الصدام العقائدي بين أتباع الملل.

أقول: إنّ أخطاء الدارسين اليهود والنصارى اللغوية كثيرة ومستمرة لا تكاد تتوقف، لأنها ناتجة عن مشكلة قائمة وهي مشكلة ضعفهم اللغوي. وقد أوردت في هذا البحث أمثلة من هذه الأخطاء تنبيهاً على المشكلة الأصل. وعلى علماء الإسلام والباحثين الإجابة عن تلك الأخطاء، والدفاع عن الإسلام كتاباً وعقيدةً ونبياً بالبراهين المتنوعة.

(١) **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، لابن حزم، ٤/ ٢٠.

الخَاتِمَة

بعد عرض مشكلة الضعف اللغوي عند الدارسين اليهود والنصارى وآثارها، نخلص إلى نتائجها:

أولا: يُعد ضعف الدارسين اليهود والنصارى باللغة العربية وأسهل قواعدها أهم الأسباب التي توقعهم في الفهم الخاطئ لمعاني القرآن الكريم.

ثانيا: يُعد عدم رجوع الدارسين من اليهود والنصارى إلى علماء اللغة والتفسير والعقيدة سبباً مهماً للوقوع في الخطأ وآثارهِ العقدية.

ثالثا: تعدد المخاطر العقدية الناتجة عن اعتقاد الدارسين اليهود والنصارى وجود أخطاء لغوية في القرآن الكريم، ونشرها يؤدي إلى: الحكم ببشرية القرآن الكريم، والتنقص من صفات الله جل شأنه، ويترتب عليه آثار عقدية سيئة يمكن تصنيفها كما يلي:

- خطر ذاتي على الدارس نفسه لأنها تصدهُ عن قبول الإسلام.
- خطر على أبناء ملة الدارس من اليهود والنصارى نظراً لتأثرهم غالباً بما يقوله وينشره أبناء ملتهم.
- خطرٌ على بعض عوام المسلمين الذين ربما يتأثرون بهذه الأخطاء، وما تتضمنه من شبهات، وخاصة في زماننا الذي ضعفت فيه اللغة العربية عند بعض المسلمين.
- خطر دعوي في تشويه صورة القرآن الكريم، وفي دعوى تضمنه أخطاء، وخطر في تشويه صورة نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

رابعا: تبين خطأ الدارسين اليهود والنصارى عندما توهموا أنّ الله مشغول في قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ والصحيح أنه تهديد بمعنى سنحاسبكم.

خامسا: تبين خطأ الدارسين اليهود والنصارى في نسبة التحسر إلى الله تعالى في قوله تعالى: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِ﴾ ،والصحيح أنها حسرة الكافرين على أنفسهم يوم القيامة.

سادسا: تبين خطأ الدارسين اليهود والنصارى في نسبة الشك لنبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في قوله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ والصحيح أنّ المراد من شك من قومه.

سابعا: تبين خطأ الدارسين النصارى في اعتبار أنّ ضمير الجمع العائد على الله تعالى يفيد التثليث، والصحيح أنّ قوله تعالى: ﴿نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا﴾ وأمثاله يفيد التعظيم والإجلال لله جلّ شأنه.

ثامنا: التحذير من ظاهرة الضعف اللغوي عند الدارسين في الملل الثلاث، وأنّ استمرارية تكرار الانتقادات يؤدي إلى زيادة الصدام الثقافي بين أتباع هذه الملل.

وأوصي بمتابعة العلماء والباحثين المسلمين للمؤلفات المعاصرة، والمواقع الإلكترونية التي تطعن في القرآن الكريم، والاهتمام بالرد العلمي عليها أداءً للأمانة، وتصحيحاً لأخطاء الدارسين وشبههم.

وفي الختام أسأل الله الكريم بفضله أن يتقبل هذا العمل، وأن يشفّع القرآن العظيم في كاتبه وفي والديه، وفي قارئه وفي المسلمين، إنه قريب مجيب.

وصلِّ اللهم على جميع المرسلين، وعلى خاتمهم محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وعلى آله وصحبه المكرمين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، والحمد لله ربِّ العالمين.

المَصَادِرُ وَالمَرَاجِعُ

١. **القرآن الكريم** جلّ من أنزله.

٢. **أثر الضعف اللغوي في فهم نصوص أهل الكتاب**، التوراة نموذجا، د. أحمد محمد فلاح النمرات، بحث منشور، مجلة الدراسات العقدية، العدد ٢٢، ١٤٤٠هـ- ٢٠١٨م.

٣. **أدلة اليقين في الرد على مزاعم المبشرين**، عبد الرحمن الجزيري(ت: ١٣٥٩هـ)، منشورات أسمار، باريس، ٢٠٠٧م.

٤. **أديان العالم**، حبيب سعد، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة. بدون تفاصيل.

٥. الإسرائيليات في كتب التفسير، محمد أبو شهبة(ت:١٤٠٣هـ)، ط٤، مكتبة السنة.

٦. **الإسلام دعوة عالمية، عباس العقاد(ت:١٩٦٤م)**، نهضة مصر للطباعة والنشر.

٧. **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، أحمد بن تيمية(ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق د. ناصر العقل، بيروت، ط٧، دار عالم الكتب، ١٤١٩هـ.

٨. **بحر العلوم**، نصر بن محمد السمرقندي(ت:٣٧٣هـ)، تحقيق الشيخ علي معوض وآخرون، بيروت، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٩. **البرهان في علوم القرآن**، بدر الدين الزركشي(ت:٧٩٤هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة.

١٠. **تأويل مشكل القرآن**، عبدالله بن مسلم بن قتيبة(ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية.

١١. **التبيان في إعراب القرآن**، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري(ت:٦١٦هـ)، تحقيق: علي

البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه.

١٢. **التحرير والتنوير**، الطاهر بن عاشور(ت: ١٩٨٤م)، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

١٣. **تخجيل من حرّف التوراة والإنجيل**، صالح بن الحسين الجعفري(ت: ٦٦٨هـ)، تحقيق محمود قدح، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

١٤. **جامع البيان في تأويل القرآن** ، محمد بن جرير الطبري(٣١٠هـ)، تحقيق أحمد شاكر، بيروت، ط١، مؤسسة الرسالة،١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

١٥. **الجامع لأحكام القرآن** ، القرطبي(٦٧١هـ)، تحقيق د. عبدالله التركي وآخرون، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

١٦. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** ، عبد الرحمن السعدي(ت: ١٣٧٦هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الرياض، ط١، مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م .

١٧. **تفسير القرآن**، منصور بن محمد السمعاني(ت: ٤٨٩هـ)، تحقيق ياسر غنيم، الرياض، ط١، دار الوطن، السعودية. ١٤١٨هـ.

١٨. **تفسير القرآن العزيز**، محمد بن أبي زمنين(ت: ٣٩٩هـ)، تحقيق حسين عكاشة ومحمد الكنز،ط١، القاهرة، الفاروق الحديثة، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

١٩. **تفسير القرآن العظيم**، اسماعيل بن كثير(ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق سامي سلامة، ط٢، دار طيبة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٢٠. **تفسير الكتاب المقدس**، سفر التكوين، نجيب جرجس(ت:١٩٩١م)، بدون تفاصيل.

٢١. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، محمود بن عمر الزمخشري(ت:٥٣٨هـ)، بيروت، ط٣، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.

٢٢. **تأويلات أهل السنة**، محمد بن محمد الماتريدي(ت:٣٣٣هـ)، تحقيق د. مجدي باسلوم، بيروت، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥.

٢٣. **تفسير سفر التكوين**، إصدار كنيسة السيدة العذراء بالفجالة. نسخة إلكترونية.

٢٤. **تفسير مقاتل بن سليمان (ت:١٥٠هـ)**، تحقيق: عبدالله شحاته، بيروت، ط١، دار إحياء التراث العربي.

٢٥. **تفسير القرآن الحكيم** ، محمد رشيد رضا(١٣٥٤هـ)، طبعة ١٩٩٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٦. **التفسير الميسر**، نخبة من أساتذة التفسير، ط٢، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، السعودية، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩ م.

٢٧. **تقريب التدمرية**، محمد صالح العثيمين(ت: ١٤٢١هـ)، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤١٩هـ، السعودية.

٢٨. **تنزيه القرآن عن المطاعن**، عبد الجبار بن أحمد(ت: ٤١٥هـ)، بيروت، دار النهضة الحديثة.

٢٩. **تهذيب اللغة**، محمد الأزهري(ت:٣٧٠هـ)، تحقيق محمد مرعب، بيروت، ط١، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٨م،

٣٠. **جامع البيان عن تفسير القرآن**، محمد بن عبد الرحمن الإيجي(٩٠٥هـ)، بيروت، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.

٣١. **جمهرة اللغة**، محمد بن دريد(ت:٣٢١هـ)، تحقيق رمزي بعلبكي، بيروت، ط١، دار العلم للملايين، ١٩٨٧م.

٣٢. **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، ابن تيمية(ت: ٧٢٨هـ)، الرياض، ط٢، تحقيق د.

علي بن حسن وآخرون، دار العاصمة، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

٣٣. **دفاع عن القرآن ضد منتقديه** ، د. عبد الرحمن بدوي(ت: ٢٠٠٢م)، ترجمة كمال جادالله، الدار العالمية للكتاب والنشر.

٣٤. **دلالة الحائرين** ، موسى بن ميمون (ت: ١٢٠٤م) ، تحقيق حسين آتاي، مكتبة الثقافة الدينية. مصر.

٣٥. **دليل العهد القديم** ، د. ملاك محارب، الناشر: أبناء الأنبا رويس، مكتب النسر ، مصر.

٣٦. **الرد على ابن النغريلة**، علي بن حزم(٤٥٦هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، جامعة الخرطوم، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ١٩٦٠م-١٣٨٠هـ.

٣٧. **الرسالة التدمرية**، أحمد بن تيمية(٧٢٨هـ)، تحقيق د. محمد السعوي، الرياض ط٦، مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٣٨. **زاد المسير في علم التفسير**، عبد الرحمن بن الجوزي(ت:٥٩٧هـ)، ط٣، المكتب الإسلامي، ١٤١٤هـ.

٣٩. **صحيح البخاري** ، محمد بن اسماعيل البخاري(ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

٤٠. **الصفدية** ، أحمد بن تيمية(٧٢٨هـ)، تحقيق محمد رشاد سالم، مصر، ط٢، مكتبة ابن تيمية.

٤١. **طريق الهجرتين وباب السعادتين** ، ابن القيم الجوزية(ت:٧٥١هـ)،ط٢، القاهرة، دار السلفية ، ١٣٩٤هـ.

٤٢. **عصمة القرآن وجهالات المبشرين**، د. إبراهيم عوض، مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠٥م. القاهرة.

٤٣. **فتح القدير، محمد علي الشوكاني(ت:١٢٥٠ هـ)**، ط١، دار الكلم الطيب، دار ابن كثير، دمشق، بيروت،١٤١٤هـ.

٤٤. **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، علي بن حزم(ت:٤٥٦هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٤٥. **قاموس الكتاب المقدس**، ترجمة وتأليف جورج فوست، المطبعة الأمريكانية، بيروت، ١٨٩٤م.

٤٦. **القرآن ونقض مطاعن الرهبان**، صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٤٧. **القول المفيد على كتاب التوحيد**، محمد العثيمين(ت:١٤٢١هـ)، ط٢، الرياض، دار ابن الجوزي،١٤٢٤هـ.

٤٨. **لباب التأويل في معاني التنزيل**، علي الخازن(ت:٧٤١ هـ)، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية.

٤٩. **لسان العرب**، محمد بن منظور الإفريقي(ت: ٧١١هـ)، ط٣، بيروت، دار صادر،١٤١٤هـ.

٥٠. **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**، محمد بن أحمد السفاريني(ت:١١٨٨هـ)، دمشق، مؤسسة الخافقين، ط٢،١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

٥١. **مجاز القرآن**، معمر بن المثنى(ت: ٢٠٩هـ)، تحقيق د. محمد سزكين، القاهرة، مكتبة الخانجي.

٥٢. **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، علي بن أبي بكر الهيثمي(ت:٨٠٧ هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، القاهرة، مكتبة القدسي، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

٥٣. **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، الحسين بن مسعود البغوي(ت: ٥١٦هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، دار إحياء التراث العربي.

٥٤. **مفاتح الغيب، التفسير الكبير**، محمد بن عمر الرازي(٦٠٦هـ)، ط ٣، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.

٥٥. **مناظرة بين الإسلام والنصرانية**، د. محمد جميل غازي(ت:١٩٨٨م)، ط٢، الرياض، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

٥٦. **هذه حياتي ، سيرتي ومسيرتي**، أحمد ديدات(ت: ٢٠٠٥م)، نسخة إلكترونية، إعداد: أشرف الوحش، بدون تفاصيل.

٥٧. **هل القرآن معصوم** ، عبد الله عبد الفادي، نسخة الكترونية، موقع الكلمة المسيحي.

٥٨. **اليهودية**، مراد فرج اليهودي(ت: ١٩٥٦م) مصر، مطبعة التوفيق، ١٩٢٠م.

٥٩. المواقع الالكترونية:

- www.alkalema.net

- القناة التنصيرية المسماة ب « **المرشد الأمين**»:

http://www.almurshidalamean.com

موقع « **هولي بايبل**».وعنوانه: **http**://**drghaly**.**com**

http://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks-021-Sts-Church-Sidi-Beshr/002-Hatmeyat-Al-Tagasod-Al-Ilahy/Inevitability-of-the-Incarnation__73-Islam.html

- موقع **الأنبا تكلا هيمانوت** الحبشي: الكنيسة القبطية الأرثوذكسية – الإسكندرية- مصر
وعنوانه : http:/St-Takla.org

آرَاءُ الْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ
مِنْ خِلَالِ تَرَاجِمِ
"كِتَابُ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ"

عرضاً ودراسة

د. يحي بن صالح الطويان

الأستاذ المشارك في قسم القرآن وعلومه في كلية أصول الدين

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

yahya.s.t@hotmail.com

مجلة تعظيم الوحيين

مُلخص البحث

موضوع البحث:

آراء الإمام البخاري في علوم القرآن من خلال تراجم «كتاب فضائل القرآن» عرضاً ودراسة.

هدف البحث:

استقراء «كتاب فضائل القرآن» من صحيح البخاري لاستخراج آراء الإمام البخاري في علوم القرآن من خلال تراجم الكتاب، ومقارنة آراءه مع غيره.

مشكلة البحث:

اشتهر بين أئمة الأعلام أنَّ فِقْهَ الإمام البُخَارِي في تراجمه، لذا جاءت هذه الدراسة للوقوف على آراءه في علوم القرآن من خلال تراجم «كتاب فضائل القرآن».

نتائج البحث:

١. ضَمَّ تراجم «كتاب فضائل القرآن» من صحيح البخاري، بين ثناياه سبعةً وثلاثين باباً، تناول الإمام البخاري من خلالها ستَّة أنواع من علوم القرآن؛ وهي: الوحي، ونزول القرآن، وجمع القرآن، وترتيب سور القرآن، وفضائل القرآن، وآداب قراءة القرآن، تبين بعد دراستها أن للإمام البخاري رأي في معظم مسائلها.

٢. هناك جوانب أخرى عن هذا الإمام ما زالت بحاجة الى دراستها ونفض الغبار عنها؛ كـ: دراسة أقواله أو استنباطاته في التفسير من خلا تراجم أبواب كتابه «الجامع الصحيح».

الكلمات الدَّالة (المفتاحية):

آراء – البخاري –علوم القرآن.

المقدمة

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ [سورة الكهف: ١]، والصَّلاة والسَّلام على نبينا محمد القائل «**لأن يَغْدُوَ أحَدُكُم إلى المسجِدِ فيَتَعَلَّمَ أو يَقْرَأَ آيتينِ مِن كِتَابِ اللهِ خَيْرٌ لهُ مِن نَاقتينِ، وثلاثٌ خَيْرٌ لهُ مِن ثلاثٍ، وأربعٌ خيْرٌ مِنْ أربعٍ وَمِنْ أعدَادِهِنَّ مِنَ الإِبِلِ**»[(١)].

وبعد:

فإنَّ المتأمل في كُتب الحديث التي ألَّفها الأئمةُ في جمع سُنَّة النبي ﷺ يجد لهم آراءً واجتهاداتٍ في علوم الشريعة منثورة في تراجم أبوابِ تلك الكُتُب، ومن أجلِّ هذه الكتب التي أكرم الله بها هذه الأمة «الجَامِعُ المُسْنَدُ الصَّحِيحُ المُخْتَصَرُ مِنْ أُمُورِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَسُنَنِهِ وَأَيَّامِهِ»، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البُخاري، الذي اتفقت الأُمَّةُ على أنَّهُ أصحّ الكُتب بعد كتاب الله تعالى[(٢)]، فقد مكث رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جمعه وانتقائه مِن زُهَاءِ سِتِّمائَةِ أَلْفِ حَدِيْثٍ ستَّةَ عشر عاماً، حتى أخرجه كتاباً جامعاً مُسنداً لصحيح سنة المصطفى ﷺ، وسيرته، وأيامه، وجعله حُجَّةً بينه وبين الله تعالى[(٣)]. ومع التزامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ برواية الأحاديث الصحيحة في جامعه إلا أنه لم يُخلِ مِنَ الاستِنبَاطَاتِ الفِقْهِيَّةِ، والنُّكَتِ الحِكَمِيَّةِ، فاستخرج بفهمه الثاقب من متون الأحاديث معاني كثيرة، فرَّقها في أبواب الكتاب بحسب المناسب لها، مما أدهشَ به العقول والأبصار، وحيَّرت الأفكار، حتى اشتهر بين الأعلام أنَّ فِقْهَ البُخَارِي في تراجمه[(٤)]، فاستحق بذلك الأفضلية والتقديم على غيره[(٥)].

ولـمَّا كان الكتابُ بهذه المنزلة صَمَدتُ إلى دراسة تراجم «كتاب فضائل القرآن»، حيث

(١) أخرجه مسلم في **صحيحه** (ح٨٠٣).
(٢) انظر: **هدي الساري** (ص١٠).
(٣) انظر: **سير أعلام النبلاء** (١٢/ ٤٠٢، ٤٠٥)، و**هدي الساري** (ص٤٨٩).
(٤) انظر: **هدي الساري** (ص١٣).
(٥) انظر: **هدي الساري** (ص١٠).

ضَمَّ بين ثناياه سبعةً وثلاثين باباً، تناول الإمام البخاري من خلالها ستَّة أنواع من علوم القرآن؛ وهي: الوحي، ونزول القرآن، وجمع القرآن، وترتيب سور القرآن، وفضائل القرآن، وآداب قراءة القرآن.

وتزدادُ أهمية الموضوع؛ أنه يفتح باباً للباحثين في دراسة تراجم أبواب كتب السنة؛ للوقوف على آراء مؤلفيها في علوم الشريعة، خصوصاً في علوم القرآن وتفسيره، لذا استعنتُ بالله تعالى على دراسة آرائه في علوم القرآن في مؤلف مستقل؛ ليسهل الرجوع إليها، والانتفاع بها، وسميته بـ: «علوم القرآن عند الإمام البخاري من خلال تراجم «كتاب فضائل القرآن» في كتابه «الجامع الصحيح» عرضاً ودراسة».

الدراسات السابقة:

أُلِّفَ في منهج الإمام البخاري وآرائه واختياراته في تراجم كتابه «الجامع الصحيح» عشرات الرسائل العلمية، والبحوث المُحكَّمة في الفقه وأصوله، وفي التفسير، وفي السياسة الشرعية، وفي الأساليب التعليمية، أمَّا ما يتعلق بجانب علوم القرآن فقد أُرشدت إلى بحثين مُحكمين لم أقف عليهما أثناء إعداد البحث، وهما:

الأول: «تثوير علوم القرآن من خلال كتاب التفسير من صحيح البخاري »سورة الفاتحة أنموذجاً»، د. مساعد الطيار، والمنشور بمجلة الدراسات الإسلامية جامعة الملك سعود، العدد الأول، عام ١٤٣٥هـ.

الثاني: «فقه الإمام البخاري في علوم القرآن من خلال كتاب فضائل القرآن»، د. عمر الدهيشي، والمنشور بمجلة الدراسات الإسلامية، جامعة الملك سعود، المجلد ٣٠، العدد الثالث، عام ١٤٤٠هـ.

ومن خلال المقارنة بينهما وموضوع البحث يتبين الفرق بما يلي:

أولاً: بالنسبة لبحث: «تثوير علوم القرآن من خلال كتاب التفسير من صحيح البخاري»، فقد اقتصر فيه مُؤلفه على:

١. إبراز شيء من منهج الإمام البخاري ومصادره في التفسير من خلال دراسة تفسير الفاتحة.

٢. استنباط واستخراج أنواع علوم القرآن من الأحاديث والآثار التي أوردها البخاري في تفسير سورة الفاتحة.

٣. لتأصيل والاستدلال لمباحث علوم القرآن من الأحاديث والآثار التي أوردها الإمام البخاري في تفسير سورة الفاتحة. وبهذا يتبين أن المؤلف لم يكن من منهجه دراسة آراء الإمام البخاري في علوم القرآن من خلال تراجم كتاب فضائل القرآن.

ثانياً: أمَّا بالنسبة لبحث: «فقه الإمام البخاري في علوم القرآن من خلال كتاب فضائل القرآن»، فقد نُشر بعد الانتهاء من إعداد هذا البحث -كما هو بينٌ من تاريخ نشره-، وكان في (٢٤ ورقة بدون الفهارس)، وهو لم يستوعب موضوع البحث من كل جوانبه، بل اقتصر فيه الباحث على دراسة وصفية لخمس تراجم فقط من أول كتاب فضائل القرآن؛ لاستنباط آراء الإمام البخاري منها.

الإضافة العلمية للبحث: هذا البحث فيه إضافات علمية آمل أن يتميز بها عمَّا سبقه، وهي:

١. انفرد هذا البحث بدراسة آراء الإمام البخاري في اثنين وثلاثين ترجمة في «كتاب فضائل القرآن»، علاوة على التراجم الخمس التي قد دُرست.

٢. انفرد هذا البحث بمقارنة آراء الإمام البخاري في علوم القرآن بأقوال العلماء، مع

ذكـر الأدلـة، والترجيـح بينهـا.

٣. انفـرد هـذا البحـث ببيـان وجـه دلالـة ومناسـبة كل مـا أورده الإمـام البخـاري تحـت الترجمـة مـن آيـات وآثـار وأحاديـث لمـا ذهـب إليـه في الترجمـة.

٤. انفـرد هـذا البحـث بدراسـة منهـج الإمـام البخـاري في تراجـم «كتـاب فضائـل القـرآن»، مـع التمثيـل لـكل فقـرة منهـا.

٥. التباين الكبير بين البحثين في منهج الدراسة، وكثرة المصادر في هذا البحث.

خُطَّة البحث:

اقتضـت طبيعـة كتابـة البحـث اختيـار الخطـة الآتيـة، وهـي: مقدمـة، وتمهيـد، وسـتة مباحـث، وخاتمـة، وفهـارس.

المقدمة، وفيها: بيان أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وخُطَّة البحث، ومنهجي فيه.

المبحث الأول: الوحي

المبحث الثاني: نزول القرآن، وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: اللغة التي نزل بها القرآن
- المطلب الثاني: على كم حرف نزل القرآن

المبحث الثالث: جمع القرآن، وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: جمع القرآن في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحفظه في الصدور
- المطلب الثاني: جمع القرآن في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكتابته في السطور
- **المطلب الثالث**: جمع القرآن في عهد أبي بكر، وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

المبحث الرابع: ترتيب سور القرآن

المبحث الخامس: فضائل القرآن الكريم، وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: فضائل القرآن عموماً
- المطلب الثاني: فضائل سور من القرآن الكريم.

المبحث السادس: آداب قراءة القرآن

الخاتمة:

وفيها أهم النتائج، والتوصيات.

الفهارس:

وفيها فهرس للمراجع، وآخر للموضوعات.

منهجي في كتابة البحث: لهذا البحث منهجٌ سِرت عليه يتمثل في الآتي:

١- تتبَّعْتُ تراجم الإمام البخاري لأبواب كتاب «فضائل القرآن»، وقسَّمتها إلى مباحث ومطالب، وعَنْوَنتُ لكل مبحث أو مطلب بما يناسبه من عناوين علوم القران.

٢- جعلت تراجم أبواب «كتاب فضائل القرآن» وما تحتها من أحاديث في أعلى الصفحة، وفصلت بينها وبين قسم الدراسة بخط.

٣- حذفت الإسناد من جميع الأحاديث ما عدا الراوي الأعلى عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٤- حذفت المتابعات والشواهد التي أوردها الإمام البخاري، إذا لم يكن لها تعلق بالترجمة.

٥- اعتمدت في النقل على نسخة «الجامع الصحيح» التي قام بتحقيقها: محمد زهير بن ناصر الناصر، مع الإبقاء على ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي لأحاديث «كتاب فضائل القرآن» في «الجامع الصحيح».

٦- بينت رأي الإمام البخاري وقصده من التَّرجمة، مُستعيناً بعد الله تعالى بما توفر لدي من الكتب التي اعتنت بهذا الأمر، ومن شروح الجامع الصحيح، مع مقارنة رأيه بأقوال العلماء، وذكر أدلتهم، والترجيح، وذلك على حسب القدرة والاستطاعة.

٧- اعتبرت الأحاديث التي أوردها الإمام البخاري تحت التَّرجمة من حيث الأصل أدلة لما ذهب إليه.

٨- بيَّنتُ وجه دلالة ومناسبة ما استدلَّ به الإمام البخاري لما ذهب إليه في التَّرجمة، إن اقتضى المقام بيانها.

٩- التزمت عند كتابة البحث بالمنهج العلمي المتبع؛ من عزو الآيات إلى سورها وأرقامها، وتخريج الأحاديث والآثار مع بيان درجتها، وتوثيق الأقوال المنقولة، وبعلامات الترقيم، وضبط ما يحتاج إلى ضبط، وشرح الكلمات الغريبة، والتعريف بما يحتاج إلى بيان من الأعلام والأماكن، والبلدان ونحوها.

هذا وقد واجهتني بعض الصعوبات في إعداد هذا البحث، من أهمها: صعوبة فهم قصد الإمام البخاري من الترجمة، وذلك عندما لا أجد أحداً مِن الشُّراح قد تطرَّق إليها، مما يستلزم النظر في نصوص الباب وشروحها، بُغية الوصول الى فهم قصده من التَّرجمة.

وبعد، فهذا الجهد الذي يسره الله تعالى لي بمنه وفضله، هو جُهْدُ مُقِلٍّ، أرجو من الله تعالى أن يبارك فيه، وأن يجعله خالِصاً لوجهه الكريم، وأن يتجاوز عمَّا وقع فيه من النقص والخطأ.

وفي ختام هذه المقدمة جزى الله تعالى خيراً كلَّ من مدَّ لي يد العون في كتابة هذا البحث، وأخصُّ بالشكر والدعاء زوجتي أم زياد، التي كانت بصبرها عليَّ في إعداد هذا البحث خير معين لي بعد الله تعالى، فأسأل الله تعالى أن يمد في عمرها في صحة وعافية، وأسأله تعالى أن يحفظ عليَّ بلدي، وأن يصلح نيتي وذريتي وزوجتي وولاة أمري، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول:

الوحي[1]

عقد الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ لبيان الوحي باباً واحداً، قال في ترجمته: «بابُ: كيفَ نزلَ الوحيُ، وأوَّلُ ما نزلَ»[2]. ثم أورد تحته أثراً مُعلَّقاً، وستة أحاديث ساقها بإسناده، فقال: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «الْمُهَيْمِنُ: الأَمِينُ، القُرْآنُ أَمِينٌ عَلَى كُلِّ كِتَابٍ قَبْلَهُ».

[٤٩٧٨، ٤٩٧٩] عَنْ عَائِشَةَ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، قَالاَ: «**لَبِثَ النَّبِيُّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ، يُنزَلُ عَلَيْهِ القُرْآنُ، وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ**».

[٤٩٨٠] عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، قَالَ: «**أُنبِئْتُ أَنَّ جِبْرِيلَ أَتَى النَّبِيَّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وَعِنْدَهُ أُمُّ سَلَمَةَ، فَجَعَلَ يَتَحَدَّثُ، فَقَالَ النَّبِيُّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لِأُمِّ سَلَمَةَ: «مَنْ هَذَا؟» «أَوْ كَمَا قَالَ، قَالَتْ: هَذَا دِحْيَةُ، فَلَمَّا قَامَ، قَالَتْ: وَاللهِ مَا حَسِبْتُهُ إِلَّا إِيَّاهُ، حَتَّى سَمِعْتُ خُطْبَةَ النَّبِيِّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يُخْبِرُ خَبَرَ جِبْرِيلَ**». أَوْ كَمَا قَالَ، قَالَ أَبِي: قُلْتُ لِأَبِي عُثْمَانَ: مِمَّنْ سَمِعْتَ هَذَا؟ قَالَ: مِنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ.

[٤٩٨١] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنَ الأَنبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْياً أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعاً يَوْمَ القِيَامَةِ**».

[٤٩٨٢] عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أخبرني أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: «**أَنَّ اللهَ تَعَالَى تَابَعَ عَلَى رَسُولِهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **الوَحْيَ قَبْلَ وَفَاتِهِ، حَتَّى تَوَفَّاهُ أَكْثَرَ مَا كَانَ الوَحْيُ، ثُمَّ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بَعْدُ**».

---

(١) أَصل الوحي فِي اللُّغَةِ: إِعلامٌ فِي خَفاء، يُقالُ: وَحَيتُ إليه الكلامَ وأوْحَيتُ؛ وهو أن تكلِّمه بكلام تخفيه. والوحيُ أيضاً: الإشارة، والكتابة، والرسالة، والإلهام، وَالكلامُ الخفِيُّ، وَكُلُّ مَا أَلقَيتَهُ إِلَى غَيرِكَ حَتَّى عَلِمَهُ فَهُوَ وَحيٌ. وفي اصطلاح الشَّرع: الإعلامُ بالشرع بكتاب، أو رسالة ملك، أو منام، أو إلهام، أو نحوها. وقد يُطلق الوحي ويراد به اسم المفعول منه، أي: الـمُوْحَى، وهو كلام الله المنزَّلُ على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. انظر: **لسان العرب** (١٥/ ٣٧٩)، و**تاج العروس** (٤٠/ ١٦٩)، مادة: «وحي»، و**منحة الباري في شرح صحيح البخاري** (١/ ٦٨)، و**فتح الباري شرح صحيح البخاري** (١/ ٩).

(٢) انظر: **صحيح البخاري**، كتاب: **فضائل القرآن** (٦/ ١٨١).

[٤٩٨٣] عَنِ الأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: سَمِعْتُ جُنْدَباً، يَقُولُ: «**اشْتَكَى النَّبِيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَةً أَوْ لَيْلَتَيْنِ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ، فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ مَا أُرَى شَيْطَانَكَ إِلَّا قَدْ تَرَكَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [سورة الضحى:٢]».

الدراسة:

جعل الإمام البخاري ترجمة الباب مكونة من جزءين:

الجزء الأول: وأشار إليه بقوله: «كيف نزل الوحي»، وأراد به: بيان كيفية نزول الوحي بالقرآن على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(١)].

الجزء الثاني: وأشار إليه بقوله: «وأوَّلُ ما نزل»، وأراد به: بيان أول ما نزل من القرآن على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(٢)].

والأثر المعلَّق الذي أورده عن ابن عباس، وصله ابن جرير، وابن أبي حاتم[(٣)] كلاهما من طريق عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، فذكره بمثله. ووجه دلالته: قال ابن حجر: «هو يتعلق بأصل الترجمة - وهي: كتاب: فضائل القرآن -، وتوجيه كلام ابن عباس: أن القرآن تضمن تصديق جميع ما أُنزل قبله ؛ لأن الأحكام التي فيه: إمَّا مُقَرِّرَةٌ لما سبق، وإمَّا ناسخة، وذلك يستدعي إثبات المنسوخ، وإمَّا مُجَدِّدَةٌ، وكل ذلك دالٌّ على تفضيل المُجَدِّدِ»[(٤)].

ثم أورد الإمام البخاري ستة أحاديث جاء فيها بيانٌ لكيفيات نزول الوحي بالقرآن، وهي:

الحديث الأول، والثاني: حديثا عائشة، وابن عباس معاً، ووجه دلالته: أن الحديث دلَّ على بيان كيفية من كيفيات نزول الوحي بالقرآن على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي: أنَّ القرآن

(١) انظر: **عمدة القاري شرح صحيح البخاري** (٢٠/ ١١)، **ولبّ اللباب في التراجم والأبواب** (٤/ ١٣٧).
(٢) انظر: المصادر السابقة، **وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري** (٧/ ٤٤٣).
(٣) انظر: **تفسير الطبري** (٨/ ٤٨٨)، **وتفسير ابن أبي حاتم** (٤/ ١١٥٠).
(٤) انظر: **فتح الباري** (٩/ ٤).

نـزل عـلى النبـي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مُفرَّقـاً مُنَجَّـماً في هـذه المـدَّة، ولم ينـزل عليـه جُملـةً واحـدة[(١)].

الحديـث الثالـث: حديـث أُسـامةَ بـن زيـد، ووجـه دلالتـه: أن الحديـث دلَّ عـلى بيـان كيفيـة ثانيـة مـن كيفيـات نـزول الوحـي بالقـرآن عـلى رسـول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وهـي: أن جبريـل كان يأتيـه بوحـي القـرآن، وهـو في صـورة رجـل كدِحْيَـة الكلبـي[(٢)]. وهنـاك صـورة أخـرى كان جبريـل يـأتي بوحـي القـرآن إلى النبـي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فقـد كان يأتيـه خُفيـة فـلا يُـرى، وإنـما يُسـمع لـه صـوت مثـل صلصلـة الجـرس، ويظهـر أثـر هـذا بالتغـير عـلى النبـي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فيثقـل جسـمه ثقـلاً شـديداً، وقـد يتصبـب منـه الجبـين عرقـاً في اليـوم الشـديد البـرد[(٣)]، وقـد دلَّ عليهـا الحديـث الـذي روتـه عَائِشَـةُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، **أن الحـارث بـن هشـام سـأل رسـول الله** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **فقـال: يـا رسـول الله، كيـف يأتيـك الوحـي؟ فقـال رسـول الله** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أحيانـاً يأتينـي مثـل صلصلـة الجـرس، وهـو أشـده عـلي، فيفصـم عنـي وقـد وعيـت عنـه مـا قـال** ...». قالـت عائشـة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: **ولقـد رأيتـه ينـزل عليـه الوحـي في اليـوم الشـديد البـرد، فَيَفْصِـمُ عنـه، وإنَّ جبينـه لَيَتَفَصَّـدُ عرقـاً**[(٤)]. ووحـي القـرآن كلّـه نـزل عـلى النبـي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بهاتـين الصورتـين، ولم ينـزل شيء منـه بغيرهمـا كالإلهـام، أو المنـام، أو التكليم بـلا واسـطة[(٥)].

الحديـث الرابـع: حديـث أبي هريـرة، ووجـه دلالتـه: أن الحديـث دلَّ عـلى بيـان كيفيـة ثالثـة مـن كيفيـات نـزول الوحـي بالقـرآن عـلى رسـول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وهـي: أن القـرآن إنـما نـزل عـن طريـق الوحـي الـذي يـأتي بـه الملَـكُ لا عـن طريـق المنـام ولا بالإلهـام[(٦)].

---

(١) انظر: **فتح الباري** (٩/ ٤)، **وعمدة القاري** (٢٠/ ١٢)، **ولب اللباب** (٤/ ١٣٨).

(٢) انظر: **فتح الباري** (٩/ ٦)، **وعمدة القاري** (٢٠/ ١٢)، **ولب اللباب** (٤/ ١٣٨).

(٣) انظر: **الإتقان في علوم القرآن** (١/ ١٥٦)، **ومباحث في علوم القرآن** (ص٣٨)، **ودراسات في علوم القرآن** (ص٢٠٢).

(٤) أخرجه البخاري في **صحيحه** (ح٢).

(٥) انظر: **مباحث في علوم القرآن** (ص٣٨)، **ودراسات في علوم القرآن** (ص١٩٨).

(٦) انظر: **فتح الباري** (٩/ ٧)، **وعمدة القاري** (٢٠/ ١٣)، **ولب اللباب** (٤/ ١٣٨). وقد سبق في الحديث الثالث بيان كيفية إتيان جبريل النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بالقرآن.

الحديث الخامس: حديث أَنَسِ بن مالك، ووجه دلالته: أن الحديث دلَّ على بيان كيفية رابعة من كيفيات نزول الوحي بالقرآن على رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وهي: كثرة نزولِ الوحي بالقرآن وتتابعه على النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أكثر مما كان، وكان ذلك قرب وفاته[(١)].

الحديث السادس: حديث جُندب، وفيه دلالة للجزء الأول من الترجمة، ووجه دلالته: أن الحديث دلَّ على بيان كيفية خامسة من كيفيات نزول الوحي بالقرآن على رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وهي: أن تأخير نزول الوحي القرآن أحياناً إنما كان يقع لحكمة تقتضي ذلك، لا لقصد تركه أصلاً، فكان نزوله على أنحاءٍ شتَّى؛ تارةً يتتابع، وتارةً يتراخى[(٢)].

أمَّا ما يتعلق بالجزء الثاني من التَّرْجَمَة، وهو قوله: «وأوَّلُ ما نزل»، فليس في هذه الأحاديث ما يدلُّ عليه دلالة ظاهرة، نتبين من خلالها رأي الإمام البخاري في أول ما نزل من القرآن على النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، إلا أن رأيه يمكن الوصول إليه من خلال معرفة منهجه رَحِمَهُٱللَّهُ في مثل هذا[(٣)]، فقد يكون تركه للحديث الدَّال على أوَّلِ ما نزل من القرآن؛ لأنه ليس على شرطه، أو لأنه تقدم ذكره في باب: كيف كان بدءُ الوحي إلى رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فقد روى بإسناده عن عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: «**أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ -وَهُوَ التَّعَبُّدُ- اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ**

(١) انظر: فتح الباري (٩/ ٨)، وعمدة القاري (٢٠/ ١٣)، ولب اللباب (٤/ ١٣٨).
(٢) انظر: فتح الباري (٩/ ٨)، وعمدة القاري (٢٠/ ١٤)، ولب اللباب (٤/ ١٣٨).
(٣) انظر: منهج الإمام البخاري في تراجم أبواب كتاب «فضائل القرآن» (ص٨).

﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣﴾ [سورة العلق: ١ - ٣]، **فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يَرْجُفُ فُؤَادُهُ ...**»[(١)]. قال الكُوراني: «والأولية إمَّا تؤخذ من هذا إجمالاً، أو هو على دأبه تركه؛ لأنه تقدم أن أول ما نزل ﴿ٱقْرَأْ﴾، وقد روى الحاكم -بإسناد صحيح- أن جبريل نزل بالقرآن جملة من اللوح إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ثم نزل به على قدر المصالح والوقائع[(٢)]، يجوز أن يكون أشار إليه؛ لكونه لم يكن على شرطه»[(٣)].

(١) انظر: **صحيح البخاري**، باب: كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الوَحْيِ إِلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ (ح٣).

(٢) أخرجه الحاكم في **المستدرك** (٢/ ٢٤٢)، والنسائي في **السنن الكبرى** (١٠/ ٢٠٥)، كلاهما من طريق يزيد بن هارون، أخبرنا داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «**أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم أنزل بعد ذلك بعشرين سنة:** ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [سورة الفرقان: ٣٣]، ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَـٰهُ تَنزِيلًا﴾ [سورة الإسراء: ١٠٦]». قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

(٣) انظر: **الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري** (٨/ ٣٧٨).

المبحث الثاني:

نزول القرآن

المطلب الأول: اللغة التي نزل بها القرآن

عقد الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ لبيان اللغة التي نزل بها القرآن باباً واحداً قال في ترجمته:

«بَابُ نَزَلَ القُرْآنُ بِلِسَانِ[1] قُرَيْشٍ وَالعَرَبِ»[2]. ثم أورد تحته آيتين، وحديثين ساقهما بإسناده، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقول الله تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾[سورة يوسف:٢]، ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [سورة الشعراء:١٩٥].

[٤٩٨٤] عن أنس بن مالك، قال: «**فَأَمَرَ عُثْمَانُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَسَعِيدَ بْنَ العَاصِ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، أَنْ يَنْسَخُوهَا فِي المَصَاحِفِ، وَقَالَ لَهُمْ: إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي عَرَبِيَّةٍ مِنْ عَرَبِيَّةِ القُرْآنِ فَاكْتُبُوهَا بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّ القُرْآنَ أُنْزِلَ بِلِسَانِهِمْ فَفَعَلُوا**».

[٤٩٨٥] عن صفوان بن يعلى بن أمية، أن يعلى، كان يقول: «**لَيْتَنِي أَرَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ الوَحْيُ، فَلَمَّا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجِعْرَانَةِ عَلَيْهِ ثَوْبٌ قَدْ أَظَلَّ عَلَيْهِ، وَمَعَهُ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مُتَضَمِّخٌ بِطِيبٍ[3]، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ تَرَى فِي رَجُلٍ أَحْرَمَ فِي جُبَّةٍ، بَعْدَ مَا تَضَمَّخَ بِطِيبٍ؟ فَنَظَرَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاعَةً فَجَاءَهُ الوَحْيُ، فَأَشَارَ عُمَرُ إِلَى يَعْلَى: أَنْ تَعَالَ، فَجَاءَ يَعْلَى فَأَدْخَلَ رَأْسَهُ، فَإِذَا هُوَ مُحْمَرُّ الوَجْهِ، يَغِطُّ كَذَلِكَ سَاعَةً، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ، فَقَالَ: «أَيْنَ الَّذِي يَسْأَلُنِي عَنِ العُمْرَةِ آنِفاً». فَالْتُمِسَ الرَّجُلُ**

(١) قوله: «بلسان» أي: بلغة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾ [سورة إبراهيم:٤]. انظر: **تاج العروس** (٣٦/ ١١٣)، مادة: «لسن»، و**إرشاد الساري** (٧/ ٤٤٥)، و**منحة الباري** (٨/ ٢٧٨).

(٢) انظر: **صحيح البخاري**، كتاب: **فضائل القرآن** (٦/ ١٨٢).

(٣) قوله: «مُتَضَمِّخٌ بِطِيبٍ» أي: مُتلطخ. انظر: **مشارق الأنوار على صحاح الآثار** (٢/ ٥٩).

فَجِيءَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَقَالَ: «أَمَّا الطِّيبُ الَّذِي بِكَ فَاغْسِلْهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَأَمَّا الْجُبَّةُ فَانزِعْهَا، ثُمَّ اصْنَعْ فِي عُمْرَتِكَ كَمَا تَصْنَعُ فِي حَجِّكَ».**

الدراسة:

ما ذكره الإمام البخاري في الترجمة يكشف عن رأيه في اللغة التي نزل بها القرآن، حيث يرى أن نزول القرآن لم يقتصر على لغة قريش، وإنما نزل بلغة قريش وسائر قبائل العرب، وتخصيصه قريشاً بالذكر؛ إمَّا لأن القرآن نزل معظمه وَأَكْثَره بلغتهم، أو أن القرآن في بداية نزوله نزل بلسان قريش، ثم أبيح بعد ذلك أن يقرأ بلسان العرب[(١)]. وقد استدلَّ الإمام البخاري على ما ذهب إليه في الترجمة، بآيتين، وحديثين:

أمَّا الآيتان: فدلالتهما على الترجمة ظاهرة، فهما حُجَّةٌ بيِّنَةٌ على نزول القرآن بلسان العرب[(٢)].

وأمَّا الحديثان، فهما:

- **الحديث الأول**: حديث أنس بن مالك، ودلالته على الترجمة ظاهرة، ووجه دلالته: أن عثمان أخبر بأن القرآن أنزل بلسان قريش[(٣)].

- **الحديث الثاني**: حديث يعلى بن أُمية، وقد أشكل على بعض شُرَّاح الصحيح دلالته على الترجمة، قال ابنُ كثير: «ولا تظهر مناسبة ما بينه وبين هذه الترجمة، ولا يكاد، ولو ذكر في الترجمة التي قبلها لكان أظهر وأبين، والله أعلم»[(٤)]. أمَّا ابنُ بَطَّال[(٥)] وغيره من

(١) انظر: **فتح الباري** (٩/ ٩)، و**عمدة القاري** (٢٠/ ١٤)، و**إرشاد الساري** (٧/ ٤٤٥)، و**تفسير ابن كثير** (١/ ٢٣).
(٢) انظر: **فتح الباري** (٩/ ٩)، و**عمدة القاري** (٢٠/ ١٤)، و**منحة الباري** (٨/ ٢٧٨).
(٣) انظر: المصادر السابقة.
(٤) انظر: **تفسير ابن كثير** (١/ ٢٣). وانظر: **المتواري على أبواب البخاري** (ص٣٨٨).
(٥) هو أبو الحسن، علي بن خلف بن عبد الملك بنُ بَطَّال البَكْرِيُّ، القُرْطُبِيُّ، البَلَنْسِيُّ، كان من أهل العلم والمعرفة، عُنِي بالحديث العناية التَّامة، له: «**شرح على صحيح البخاري**»، (ت:٤٤٩هـ). انظر: **سير أعلام النبلاء** (١٨/ ٤٧)، و**الأعلام** (٤/ ٢٨٥).

الشُّرَّاح، فقد بيَّنوا وجه دلالة الحديث على الترجمة، فقال: «أن الوحيَّ كلَّه من قرآن وسنة نزل بلسان العرب قريش وغيرهم من طوائف العرب كلها»[١].

وقال ابنُ المُنَيِّر[٢]: «لعله قصد التنبيه على أن القرآن والسنة كليهما بوحي واحد بلسان واحد»[٣].

وقال الكُوراني: «والأحسن أن يقال: لما ذكر نزول القرآن أردفه بنزول الحديث ليعلم أن النزول ليس مخصوصاً بالقرآن، بل يشمل كلا قسمي الوحي»[٤].

وقال السيوطي: «ومناسبة حديثه للباب: الإشارة إلى أن القرآن نزل بلسان العرب مطلقاً قريش وغيرهم؛ لأن السائل من غير قريش، وقد نزل الوحي في جواب سؤاله بما يفهمه»[٥].

هذا وقد استنكر ابن قتيبة[٦] أن يكون في القرآن لغة تخالف لغة قريش، مُحتجاً بقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾[سورة إبراهيم:٤]»[٧].

وقال الزَّركشي[٨]: «النوع السادس عشر: معرفة ما وقع فيه من غير لغة أهل الحجاز من قبائل العرب ... والمعروف أنه بلغة قريش»[٩].

نوقش ما استدلَّ به ابن قُتيبة: بأنه لا يلزم من هذه الآية أن يكون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) انظر: **شرح صحيح البخاري**، لابن بطال (١٠/ ٢١٨).
(٢) هو القَاضِي نَاصِر الدّين، ابن المُنَيِّر، أَبُو الْعَبَّاس، أحمد بن محمد الإسكندرانّي المالكيّ، ولي قضاء الإسكندرية وخطابتها مرّتين، من مصنفاته: «**الانتصاف من الكشاف**»، و«**مناسبات على تراجم البخاري**»، (ت:٦٨٣هـ). انظر: **طبقات المفسرين** (١/ ٨٩).
(٣) انظر: **المتواري على أبواب البخاري** (ص٣٨٨).
(٤) انظر: **الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري** (٨/ ٣٧٩).
(٥) انظر: **التوشيح شرح الجامع الصحيح** (٧/ ٣١٦٧).
(٦) هو أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينَوَريّ، ولي قضاء الدينور، نزل بغداد، وصَنَّفَ وجمعَ، وبعُدَ صِيْتُهُ، من كتبه: «**مشكل تأويل القرآن**»، (ت:٢٧٦ه). انظر: **الوافي بالوفيات** (١٧/ ٣٢٦)، و**الأعلام** (٤/ ١٣٧).
(٧) انظر: **المرشد الوجيز** (ص٩٤)، و**البرهان في علوم القرآن** (٢/ ٣١٠)، و**إرشاد الساري** (٧/ ٤٥٢).
(٨) هو بدر الدين، أبو عبد الله، محمد بن بهادر الزركشي، الشافعي، مُفسر، وعالم بفقه الشافعية والأصول، له: «**البرهان في علوم القرآن**»، و«**البحر المحيط في أصول الفقه**»، (ت: ٧٩٤ه). انظر: **طبقات المفسرين** (٢/ ١٦٢)، و**الأعلام** (٦/ ٦٠).
(٩) انظر: **البرهان في علوم القرآن** (١/ ٢٨٣).

أرسل بلسان قريش فقط؛ لكونهم قومه، بل أرسل بلسان جميع العرب؛ لأنه أرسل إليهم كلهم، ولا يرد عليه كونه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بعث إلى الناس كافّة عرباً وعجماً؛ لأنَّ القرآن أنزل باللغة العربية، وهو بلَّغه إلى طوائف العرب، وهم يترجمونه لغير العرب بألسنتهم[(١)]. قال أبو شامة[(٢)]: «وعن أيوب السِّخْتِياني أنه قال: «معنى قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ أراد: العرب كلهم. قلت: فعلى هذا القول لا يستقيم اعتراض ابن قتيبة على ذلك التأويل»[(٣)].

واستدلوا أيضاً بما يأتي:

أولاً: بحديث الباب، الذي رواه الإمام البخاري، عن عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ثانياً: عن كعب بن مالك «**أنه كان عند عمر بن الخطاب، فقرأ رجل: (من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه عَتَّى حين)، فقال عمر: مَنْ أَقْرَأَكَهَا؟ قال: أَقْرَأَنِيها ابن مسعود، فقال له عمر: ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾** [سورة يوسف:٣٥]، **وكتب إلى ابن مسعود أما بعد: فإن الله أنزل القرآن بلسان قريش، فإذا أتاك كتابي هذا فأقرئ الناس بلغة قريش، ولا تقرئهم بلغة هذيل، والسَّلام**»[(٤)].

ثالثاً: عن قتادة، عن أبي الأسود الديلي، قال: «نزل القرآن بلسان الكعبين: كعب بن عمرو، وكعب بن لؤي. فقال خالد بن سلمة لسعد بن إبراهيم: ألا تعجب من هذا الأعمى يزعم أن القرآن نزل بلسان الكعبين، وإنما نزل بلسان قريش؟»[(٥)].

نوقشت هذه الأدلة بما يلي:

قال ابن عبد البر: «قولُ مَن قال: إنَّ القرآنَ نزلَ بلغة قريش، معناهُ عندي: في الأغلب

(١) انظر: **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري** (٧/ ٤٥٢).

(٢) هو شهاب الدين، أبو القاسم، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، الشافعي، عُرف بأبي شامة، من أجل شامة كبيرة فوق حاجبه الأيسر، من مصنفاته: «**المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز**»، (ت:٦٦٥هـ). انظر: **طبقات المفسرين** (١/ ٢٦٨).

(٣) **المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز** (ص٩٣).

(٤) أخرجه ابن عبد البر في **التمهيد** (٨/ ٢٧٨)، من طريق الحسن بن علي الواسطي، عن هُشيم، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب الأنصاري، عن أبيه، عن جده به.

(٥) أخرجه الطبري في **تفسيره** (١/ ٦١)، من طريق شعبة، عن قتادة، عن أبي الأسود به.

والله أعلم؛ لأنَّ غير لغة قريش موجودةٌ في صحيح القراءات، من تحقيق الهمزات ونحوِها، وقريشٌ لا تهمِزُ»[١].

وبعد هذا العرض للقولين وأدلتهما، يتبين -والله أعلم- أن القول الراجح الذي تطمئن إليه النفس هو القول الأول؛ الذي ذهب إليه الإمام البخاري في ترجمته، وهو أن القرآن نزل بلغة قريش، وسائر قبائل العرب.

قال القاضي الباقلاني[٢]: «ولم تَقُم دلالَةٌ قاطعة على أنَّ القرآن بأسره مُنزلٌ بلغة قريش فقط، إذ فيه كلمات وحروف هي خلاف لغةِ قريش، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [سورة الزخرف:٣]، ولم يقل: قرشياً، وهذا يدلُّ على أنه منزل بجميع لسان العرب، وليس لأحد أن يقول: أنه أراد قريشاً من العرب دون غيرها، كما أنه ليس له أن يقول: أراد لغةَ عدنانَ دون قَحطان، أو ربيعة دون مضر؛ لأن اسمَ العرب يتناول جميع هذه القبائل تناولاً واحداً»[٣].

أمَّا القبائل العربية التي نزل القرآن بلغتهم، فقد اختلف العلماء في تعيينها، قال ابن الجوزي[٤]: «والذي نراه أن التعيين من اللغات على شيء بعينه لا يصح لنا سنده، ولا يثبت عند جهابذة النقل طريقه»[٥]. وقال ابن جرير: «وروي جميع ذلك عن ابن عباس، وليست الرواية عنه من رواية من يجوز الاحتجاج بنقله»[٦].

(١) انظر: **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد** (٨/ ٢٨٠).
(٢) هو أبو بكر، محمد بن الطيب البصري، البغدادي، المعروف بابن الباقلاني، من كبار علماء الكلام، انتهت اليه الرياسة في مذهب الأشاعرة، وكان يُضرب المثلُ بفهمه وذكائه، له: «إعجاز القرآن»، (ت:٤٠٣هـ). انظر: **السير** (١٧/ ١٩٠)، و**الأعلام** (٦/ ١٧٦).
(٣) انظر: **تفسير القرطبي** (١/ ٤٤). وبسط الكلام في هذه المسألة ينظر إليه في: **الصاحبي في فقه اللغة العربية** (ص٣٢)، «باب: القول في اللغة الَّتِي بِهَا نزل القرآن»، و**البرهان في علوم القرآن** (١/ ٢٨٣)، و**الإتقان في علوم القرآن** (٢/ ١٠٦).
(٤) وهو أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي الجوزي القرشي البغدادي، الحنبلي، حافظ العراق، وواعظ الآفاق، صاحب التصانيف المشهورة، من مصنفاته: «**زاد المسير في علم التفسير**»، (ت:٥٩٧هـ). انظر: **طبقات المفسرين** (١/ ٢٧٦)، و**الأعلام** (٣/ ٣١٦).
(٥) انظر: **فنون الأفنان في عيون علوم القرآن** (ص٢١٧).
(٦) انظر: **تفسير الطبري** (١/ ٦١).

المطلب الثاني: على كم حرف نزل القرآن

عقد الإمام البخاري لبيان على كم حرف نزل القرآن باباً واحداً، قال الإمام في ترجمته:

« بَابُ أُنزِلَ القُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ[1] »[2]. ثم أورد تحته حديثين ساقهما بإسناده، فقال:

[٤٩٩١] عن عُبيد الله بن عبد الله، أن عَبْدَ الله بْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَدَّثَهُ: أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ فَرَاجَعْتُهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ وَيَزِيدُنِي حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ**».

[٤٩٩٢] عن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَبْدٍ القَارِيَّ، حَدَّثَاهُ أَنَّهُمَا سَمِعَا عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، يَقُولُ: «**سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ، فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ، لَمْ يُقْرِئْنِيهَا رَسُولُ الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَكِدتُ أُسَاوِرُهُ فِي الصَّلَاةِ، فَتَصَبَّرْتُ حَتَّى سَلَّمَ، فَلَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ، فَقُلْتُ: مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ؟ قَالَ: أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَقُلْتُ: كَذَبْتَ[3]، فَإِنَّ رَسُولَ الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَدْ أَقْرَأَنِيهَا عَلَى غَيْرِ مَا قَرَأْتَ، فَانطَلَقْتُ بِهِ أَقُودُهُ إِلَى رَسُولِ الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ بِسُورَةِ الفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تُقْرِئْنِيهَا، فَقَالَ رَسُولُ الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أَرْسِلْهُ، اقْرَأْ يَا هِشَامُ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ القِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ، فَقَالَ رَسُولُ الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **كَذَلِكَ أُنزِلَتْ، ثُمَّ قَالَ: اقْرَأْ يَا عُمَرُ، فَقَرَأْتُ القِرَاءَةَ الَّتِي**

---

(١) السَّبعة: هو العدد المعروف بين الستة والثمانية. والأحرف جمع حرف، وله في اللغة عدّة معان؛ فيطلق على اللغة، فيقال: حرف قريش، وحرف ثقيف، أي: لغة قريش وثقيف، ويطلق على كل كلمة تقرأ على الوجوه من القرآن، تقول: هذا في حرف ابن مسعود، أي: قراءة ابن مسعود، ويطلق على طرف الشيء وشفيره وحَدّه وجانبه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ٱلۡحَرِيقِ﴾ [سورة الحج:١١] أي: على جانب السَّراء دون الضَّراء، ويطلق على الحرف من حروف الهجاء المعروفة أ ب ت إلخ، ويطلق على الأداة التي تُسمى الرابطة؛ لأنها تربط الاسم بالاسم والفعل بالفعل، كعن وعلى. انظر: **النهاية في غريب الحديث** (١/ ٣٦٩)، و**لسان العرب** (٩/ ٤١)، و**تاج العروس** (٢٣/ ١٢٨)، مادة: «حرف»، و**مناهل العرفان** (١/ ١٥٣)، و**دراسات في علوم القرآن** (ص٣٧١).

(٢) انظر: **صحيح البخاري**، كتاب: **فضائل القرآن** (٦/ ١٨٤).

(٣) قَوْلُهُ: «كَذَبْتَ» أي: أخطأتَ؛ والعرب تستعمل الكَذب فِي مَوْضع الْخَطَأ. انظر: **النهاية في غريب الحديث** (٤/ ١٥٩).

أَقْرَأَنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **كَذَلِكَ أُنزِلَتْ، إِنَّ هَذَا القُرْآنَ أُنزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ».**

الدراسة:

سكت شُرَّاح الصحيح عن بيان قصد الإمام البخاري من هذه الترجمة، إلا أنه بالنظر إلى ما أورده تحتها من حديثين، وإلى شرحهما يتبين -والله أعلم- أنه قصد من هذه الترجمة بيان على كم حرفٍ نزل القرآن؟ دون أن يذكر رأيه في المراد بها[(١)]، ثم استشهد على ما قصده من الترجمة بحديثين:

-**الحديث الأول**: حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

-**الحديث الثاني**: حديث المِسْوَرَ بن مَخْرَمَةَ وعبد الرحمن بن عبدٍ القاريِّ، في قصة عمر مع هشام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ودلالتهما على قصد الإمام البخاري من الترجمة ظاهرة[(٢)].

(١) حديث نزول القرآن على سبعة أحرف يُعَدُّ من الأحاديث المستفيضة، رُوِيَ ذلك عن جمع كبير من الصحابة، ذكر السيوطي أنه ورد عن واحد وعشرين صحابيّاً، مما جعل الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام يقول بتواتر هذا الحديث. وقد اختلف العلماء في تفسير هذه الأحرف اختلافاً كبيراً حتى قال السيوطي: «اختُلف في معنى الحديث على نحو أربعين قولاً». قال المنذري: «أكثرها غير مختار». وسبب هذا الاختلاف أن الأحاديث الواردة في نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف جاءت مجملة، فقد خلت جميع ألفاظها من عبارة صريحة تفسر لنا المقصود بالأحرف السبعة، ولم يأت نصٌّ صحيح صريح يبينها، فكان الاجتهاد في تحديد المراد بها مُدَّعاة للاختلاف، وكل ما ذُكر من أقوال في بيان المراد بالأحرف السبعة إنما هي من باب الاستقراء والاستنباط. قال أبو بكر بن العربي: «لم تتعين هذه السبعة بنص من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا إجماع من الصحابة، وقد اختلفت فيها الأقوال».

ومن الأسباب: أن لفظ «حرف» الوارد في الحديث مشترك لفظي له في اللغة معان تقدم ذكرها. وتفسير نزول القرآن على سبعة أحرف يُعَدُّ موضوعاً شائكاً، قال ابن الجزري: «ولا زلت أستشكل هذا الحديث، وأفكر فيه، وأمعن النظر من نيف وثلاثين سنة». لذا خفي فهمه على بعض العلماء، فعدَّ الحديث مشكلاً، وتوقف عن بيان معناه، وبعضهم أتى بآراء من غير أن يكون لهم سند معتبر، وآراء كثيرة ذات مضمون واحد أو متقارب وإن تفاوت التعبير عنها. ونزول القرآن على سبعة أحرف من موضوعات علوم القرآن التي اهتم به العلماء، وأولوه جُلَّ اهتمامهم، قديماً وحديثاً، ولبسط الكلام ينظر: **الأحرف السبعة للقرآن**، لأبي عمرو الداني، و**معاني الأحرف السبعة**، لأبي الفضل الرازي، و**نزول القرآن على سبعة أحرف**، لمناع القطان، و**حديث الأحرف السبعة**، لعبد العزيز قاري، و**الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها**، لحسن ضياء الدين عتر، و**فنون الأفنان** (ص١٩٦)، و**التمهيد** (٨/ ٢٧٢)، و**المرشد الوجيز** (ص٧٧)، و**البرهان في علوم القرآن** (١/ ٢١١)، و**الإتقان** (١/ ١٦٣)، و**مناهل العرفان** (١/ ١٣٧)، و**المدخل لدراسة القرآن الكريم** (ص١٦٦)، و**فتح الباري** (٩/ ٢٣)، و**القبس في شرح موطأ مالك بن أنس** (ص٤٠٠)، و**النشر في القراءات العشر** (١/ ٢٦).

(٢) انظر: **عمدة القاري** (٢٠/ ٢٢)، و**لب اللباب** (٤/ ١٤١).

المبحث الثالث:

جمع القرآن[1]

المطلب الأول: جمع القرآن في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحفظه في الصدور

عقد الإمام البخاري لبيان جمع القرآن في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحفظه في الصدور بابين:

* **الباب الأول:** وقال في ترجمته: «**باب: كانَ جِبْرِيلُ يَعْرِضُ[2] القُرْآنَ عَلَى النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**»[3].

ثم أورد تحته حديثاً مُعلَّقاً، وحديثين ساقهما بإسناده، فقال:

وقال مسروق، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنْ فَاطِمَةَ -عَلَيْهَا السَّلاَمُ-: «**أَسَرَّ إِلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي بِالقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي العَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلاَ أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي**».

[٤٩٩٧] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «**كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالخَيْرِ، وَأَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ؛ لِأَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، حَتَّى يَنسَلِخَ، يَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ كَانَ أَجْوَدَ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ**».

---

(١) جمع القرآن الكريم يطلق في علم علوم القرآن على معنيين:
الأول: حفظه واستظهاره في الصدور، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [سورة القيامة:١٧]. والثاني: كتابته كله حروفاً، وكلمات، وآيات، وسوراً، فهذا جمع في الصحائف والسطور، وذاك جمع في القلوب والصدور. انظر: **مناهل العرفان** (١/ ٢٣٩).

(٢) قوله: «يَعْرِضُ»: بِفَتح اليَاء وَكسر الرَّاء، أي: يقرَأُ، والعرض على العالم: قراءتك عليه فِي كتابك أَو من صدرك، ومنه: «فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَدِيثَهَا» أخرجه البخاري في **صحيحه** (ح٦٨٧). انظر: **مطالع الأنوار** (٤/ ٤٠٤)، مادة: «عرض»، وانظر: **فتح الباري** (٩/ ٤٣).

(٣) انظر: **صحيح البخاري**، كتاب: **فضائل القرآن** (٦/ ١٨٦).

[٤٩٩٨] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «**كَانَ يَعْرِضُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً، فَعَرَضَ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ فِي العَامِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ، وَكَانَ يَعْتَكِفُ كُلَّ عَامٍ عَشْراً، فَاعْتَكَفَ عِشْرِينَ فِي العَامِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ**».

الدراسة:

قصد الإمام البخاري من هذه الترجمة بيان أن جبريل كان يستعرض ما أقرأه للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من القرآن في السَّنَةِ كلها[(١)]. وكان من دواعي معارضة جبريل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالقرآن في رمضان من كل عام؛ حفظ القرآن، وتثبيته في قلب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى لا يضيع منه شيء[(٢)]. وقد استدل على ما قصده من الترجمة بثلاثة أحاديث ساق اثنين منها بإسناده، والأول رواه مُعلقاً، وهي:

-**الحديث الأول**: رواه مُعلقاً عن مسروق، عن عائشة، وهذا التعليق وصله البخاري بتمامه في كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام[(٣)]، ودلالة الحديث على قصد الإمام البخاري من الترجمة ظاهرة[(٤)].

-**الحديث الثاني**: حديث ابن عباس، وقد اعتُرِض على الإمام البخاري بأن هذا الحديث ليس مطابقاً للترجمة؛ لأنه عكسُ ما وقع في الترجمة؛ لأن فيها أن جبريلَ كان يعرضُ القرآن على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي الحديث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يعرِض القرآن على جبريلَ[(٥)].

وقد أجاب عنه الشُّرَّاح بما يلي:

قال ابن حجر: «تقدَّم في بدءِ الوحي بلفظ «وكان يلقاهُ في كل ليلة من رمضان فَيُدَارِسُهُ

(١) انظر: فتح الباري (٩/ ٤٣)، وعمدة القاري (٢٠/ ٢٣)، ومنحة الباري (٨/ ٢٨٧).
(٢) انظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص٢٦٠).
(٣) انظر: صحيح البخاري (ح٣٦٢٣).
(٤) انظر: لب اللباب في التراجم والأبواب (٤/ ١٤٣).
(٥) انظر: فتح الباري (٩/ ٤٤)، ولب اللباب في التراجم والأبواب (٤/ ١٤٣).

القرآنَ»[(١)]، فيحملُ على أنَّ كلًّا منهما كان يعرِضُ على الآخرِ، وَيُؤَيِّدُهُ ما وقعَ في رواية أبي هريرة آخر أحاديث الباب»[(٢)].

وقال العيني[(٣)]: «مطابقته للترجمة من حيث إن جبريل له دخل في العرض، بل كأن العرض بينهما كان مناوبة، ولهذا كان جبريل في الحديث الأول عارضاً والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معروضاً عليه، وفي هذا الحديث بالعكس»[(٤)].

وقال عبد الحق الهاشمي: «والجوابُ: أنه يُحمل على أن كلاً منهما كان يعرِض على الآخر، ويؤيده أولُ أحاديث الباب؛ فإنه أورده بلفظِ: «يُعارِضني»، والمفاعلة تكون من الجانبين، ولعلَّه لهذا السِّر أورد البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ حديث عائشة»[(٥)].

-**الحديث الثالث**: حديث أبي هريرة، ودلالة الحديث على قصد الإمام البخاري من الترجمة ظاهرة[(٦)].

❊ **الباب الثاني**: وقال في ترجمته: «**بابُ القُرَّاءِ**[(٧)] **مِنْ أصحابِ النبيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[(٨)].

ثم أورد تحته سبعة أحاديث ساقها بإسناده، فقال:

[٤٩٩٩] عَن مَسْرُوقٍ، ذَكَرَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَقَالَ: لاَ أَزَالُ أُحِبُّهُ،

---

(١) انظر: باب: كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ (ح٦).

(٢) انظر: **فتح الباري** (٩/ ٤٤).

(٣) وهو بدر الدين، أبو محمد، محمود بن أحمد العيني الحنفي، من كبار المحدثين، ولي في القاهرة الحسبة، وقضاء الحنفية، ونظر السجون، ثم صرف عن وظائفه، وعكف على التدريس والتصنيف إلى أن توفي بالقاهرة (ت:٨٥٥هـ)، من كتبه: «**عمدة القاري** في شرح البخاري». انظر: **الضوء اللامع** (١٠/ ١٣١)، و**الأعلام** (٧/ ١٦٣).

(٤) انظر: **صحيح البخاري**، كتاب: **فضائل القرآن** (٦/ ١٨٦).

(٥) انظر: **لب اللباب في التراجم والأبواب** (٤/ ١٤٣).

(٦) انظر: **لب اللباب في التراجم والأبواب** (٤/ ١٤٣)، و**عمدة القاري** (٢٠/ ٣٤)، و**فتح الباري** (٩/ ٤٦).

(٧) قوله: «القُرَّاءِ»: بضم القاف وتشديد الراء من القِرَاءَةِ جَمعُ قَارِئٍ، يُقالُ: قَرَأْتُ الشيءَ قُرْآناً؛ جَمَعْتُه وضَمَمْتُ بعضَه إِلَى بَعْضٍ، وكلّ شيءٍ جَمَعْتَه فَقَدَ قَرَأْتَه، وهم الذين جمعوا القرآن في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أي: حفظوه. انظر: **لسان العرب** (١/ ١٢٨)، و**تاج العروس** (١/ ٣٦٥) مادة: «قرأ»، و**فتح الباري** (٩/ ٤٧).

(٨) انظر: **صحيح البخاري**، كتاب: **فضائل القرآن** (٦/ ١٨٦).

سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**خُذُوا القُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمٍ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ**».

[٥٠٠٠] عن شَقِيق بْن سَلَمَةَ، قَالَ: خَطَبَنَا عَبْدُ الله بْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: «**وَاللهِ لَقَدْ أَخَذْتُ مِن فِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِضْعاً وَسَبْعِينَ سُورَةً، وَاللهِ لَقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنِّي مِنْ أَعْلَمِهِم بِكِتَابِ اللهِ، وَمَا أَنَا بِخَيْرِهِمْ**». قَالَ شَقِيقٌ: فَجَلَسْتُ فِي الحِلَقِ أَسْمَعُ مَا يَقُولُونَ، فَمَا سَمِعْتُ رَادّاً يَقُولُ غَيْرَ ذَلِكَ.

[٥٠٠١] عَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: «**كُنَّا بِحِمْص، فَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ سُورَةَ يُوسُفَ، فَقَالَ رَجُلٌ: مَا هَكَذَا أُنزِلَتْ، فقَالَ: قَرَأْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَحْسَنتَ. وَوَجَدَ مِنْهُ رِيحَ الخَمْرِ، فَقَالَ: أَتَجْمَعُ أَن تُكَذِّبَ بِكِتَابِ اللهِ، وَتَشْرَبَ الخَمْرَ؟ فَضَرَبَهُ الحَدَّ**».

[٥٠٠٢] عَن مَسْرُوقٍ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مِن كِتَابِ اللهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنزِلَتْ، وَلَا أُنزِلَتْ آيَةٌ مِن كِتَابِ اللهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَداً أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللهِ تبلُغُهُ الإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ**».

[٥٠٠٣] عن قَتَادَةَ، قَالَ: «**سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: مَن جَمَعَ القُرْآنَ**[1] **عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: أَرْبَعَةٌ، كُلُّهُم مِنَ الأَنصَارِ: أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَبُو زَيْدٍ**».

[٥٠٠٤] عَن ثَابِتٍ البُنَاني وَثُمَامَة، عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: «**مَاتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَجْمَعِ القُرْآنَ غَيْرُ أَرْبَعَةٍ: أَبُو الدَّرْدَاءِ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَبُو زَيْدٍ. قَالَ: وَنَحْنُ وَرِثْنَاهُ**».

(١) قوله: «مَن جَمَعَ القُرْآنَ» أي: استَظهَرَهُ حِفظاً. انظر: **فتح الباري** (٧/ ١٢٧)، و**عمدة القاري** (١٦/ ٢٧٢).

[٥٠٠٥] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «قَالَ عُمَرُ: أُبَيٌّ أَقْرَؤُنَا، وَإِنَّا لَنَدَعُ مِن لَحْنِ أُبَيٍّ، وَأُبَيٌّ يَقُولُ: أَخَذْتُهُ مِن فِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلاَ أَتْرُكُهُ لِشَيْءٍ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [سورة البقرة: ١٠٦]».

الدراسة:

عقد الإمام البخاري هذه الترجمة لبيان الذين اشتهروا بحفظ القرآن، والتصدي لتعليمه مِنْ أصحابِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في عهده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومجموع مَن ذكرهم البخاري سبعةٌ، وهم: ابن مسعود، وسالم مولى أبي حُذيفة، ومعاذ بن جبل، وأُبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو زيد عَمُّ أنس بن مالك، وأبو الدرداء[(١)]. وقد استدلَّ الإمام البخاري على ما قصده من الترجمة بسبعة أحاديث ساقها بإسناده، وهي:

- **الحديث الأول**: حديث عَبد الله بن عَمرٍو، ودلالته على الترجمة ظاهرة[(٢)]. ووجه دلالته: أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بأخذ القرآن -أي: تعلمه- عن أربعة من قراء الصحابة، وهم: عبد الله بن مسعود، وسالم مولى أبي حُذيفة، ومعاذ بن جبل، وأُبي بن كعب.
- **الحديث الثاني**: حديث شَقِيق بن سَلَمَةَ.
- **الحديث الثالث**: حديث عَلقَمَة.
- **الحديث الرابع**: حديث مسروق.

ودلالة هذه الأحاديث الثلاثة على الترجمة ظاهرة[(٣)]. ووجه دلالتها: أن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أخبر عن نفسه بأنَّهُ مِنْ أَعْلَم أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالقرآن، وتقدمه عليهم في إقراء القرآن وتعليمه.

(١) انظر: فتح الباري (٩/ ٤٧)، وعمدة القاري (٢٠/ ٢٤)، وإرشاد الساري (٧/ ٤٥٦)، ولب اللباب (٤/ ١٤٤).
(٢) انظر: عمدة القاري (٢٠/ ٢٤)، ولب اللباب في التراجم والأبواب (٤/ ١٤٤).
(٣) انظر: عمدة القاري (٢٠/ ٢٥)، ولب اللباب في التراجم والأبواب (٤/ ١٤٤).

- **الحديث الخامس، والسادس**: وكلاهما عن أَنَسِ بنِ مَالِك. ودلالتهما على الترجمة ظاهرة[١]. ووجه دلالتهما: أن أنس أخبر بأن هؤلاء الذين ذكرهم، هم مِن القراء الذين جمعوا القرآن -أي: حفظوه- في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- **الحديث السابع**: حديث ابن عباس، ودلالته على الترجمة ظاهرة. ووجه دلالته: أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخبر بأنَّ أُبيَّ بن كعب أقرأ القراء من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٢].

المطلب الثاني: جمع القرآن في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكتابته في السطور:

عقد الإمام البخاري لبيان جمع القرآن في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكتابته في السطور باباً واحداً، قال في ترجمته: «بابُ كاتِبِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[٣]. ثم أورد تحته حديثين ساقهما بإسناده، فقال:

[٤٩٨٩] عن ابن شهاب أنَّ ابن السبَّاق قال: أنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، قَالَ: «**أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: إِنَّكَ كُنتَ تَكْتُبُ الوَحْيَ لِرَسُولِ الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَاتَّبِعِ القُرْآنَ، فَتَتَبَّعْتُ حَتَّى وَجَدتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ آيَتَيْنِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الأَنصَارِيِّ، لَمْ أَجِدْهُمَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ،** ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [سورة التوبة:١٢٨] **إِلَى آخِرِهِ**».

[٤٩٩٠] عَنِ البَرَاءِ، قَالَ: «**لَمَّا نَزَلَتْ:** ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [سورة النساء:٩٥]، **قَالَ النَّبِيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **ادْعُ لِي زَيْداً، وَلْيَجِئْ بِاللَّوْحِ وَالدَّوَاةِ**[٤] **وَالكَتِفِ**[٥] **-أَوِ الكَتِفِ وَالدَّوَاةِ- ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ** ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ﴾، **وَخَلْفَ ظَهْرِ النَّبِيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **عَمْرُو بْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ الأَعْمَى، قَالَ: يَا رَسُولَ الله فَمَا تَأْمُرُنِي، فَإِنِّي رَجُلٌ ضَرِيرُ البَصَرِ؟ فَنَزَلَتْ مَكَانَهَا:**

---

(١) انظر: المصادر السابقة.
(٢) انظر: **عمدة القاري** (٢٠/ ٢٨)، **ولب اللباب** (٤/ ١٤٤).
(٣) انظر: **صحيح البخاري**، كتاب: **فضائل القرآن** (٦/ ١٨٤).
(٤) قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الدَّوَاةِ**» المراد بها: الَّتِي يُكْتَبُ مِنْهَا. انظر: **مقاييس اللغة** (٢/ ٣٠٩)، مادة: «دوى».
(٥) قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الكَتِفِ**» المراد به: عَظمُ الكَتِفِ؛ لأنهم كانوا يَكْتُبُونَ فيها. انظر: **فتح الباري** (١/ ٢٠٨).

﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [سورة النساء: ٩٥]».

الدراسة:

قصد الإمام البخاري من هذه الترجمة ذكر أشهر كُتَّاب الوحي لرسوله الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخصهم؛ وهو زيد بن ثابت؛ ولكثرة كتابته للوحي أُطلق عليه الكاتب -بلام العهد-[(١)]. وشهرة زيد بكتابة الوحي لا يعني أنها خاصة به، بل اتخذ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عددًا من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يكتبون له الوحي غير زيد بن ثابت، فكان إذا نزل عليه شيء من القرآن دعا أحدهم فيأمره بكتابته وتدوينه، عُرف هؤلاء الصحابة بـ«كُتَّاب الوحي». قال العيني: «وكُتَّابُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيرون غير زيد بن ثابت؛ لأنه أسلم بعد الهجرة، وكان له كُتَّابٌ بمكة، فأول من كتب له بمكة من قريش عبد الله بن أبي سَرْحٍ، ثُمَّ ارْتَدَّ ثُمَّ عَادَ إلى الْإِسْلَامِ يَوْمَ الْفَتْحِ، وكتب له في الجملة الخلفاء الأربعة، والزبير بن العوام، وخالدٌ وأَبانُ ابنا سعيد بن العاص بن أمية، وَحَنظَلَةُ بن الربيع الأسدي، وَمُعَيْقِيبُ بن أبي فاطمة، وعبد الله بن الأرقم الزهري، وَشُرَحْبِيلُ بن حسنة، وعبد الله بن رواحة، وأول من كتب بالمدينة أبي بن كعب، كتب له قبل زيد بن ثابت، وجماعة آخرون كتبوا له»[(٢)]. وقد استدلَّ الإمام البخاري على ما قصده من الترجمة بحديثين ساقهما بإسناده، وهما:

- **الحديث الأول**: حديث زيد بن ثابت، ودلالته على الترجمة ظاهرة[(٣)]. ووجه الدلالة: أن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شهد لزيد بن ثابت بكتابته الوحي في زمن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- **الحديث الثاني**: حديث البراء بن عازب، ودلالته على الترجمة ظاهرة[(٤)]. ووجه الدلالة: أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا زيد بن ثابت، وأمره بكتابة قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ

(١) انظر: منحة الباري بشرح صحيح البخاري (٨/ ٢٨٢)، وفتح الباري (٩/ ٢٢).
(٢) انظر: عمدة القاري (٢٠/ ١٩).
(٣) انظر: فتح الباري (٩/ ٢٢)، وعمدة القاري (٢٠/ ١٩)، وإرشاد الساري (٧/ ٤٥٠)، ولب اللباب (٤/ ١٤١).
(٤) انظر: عمدة القاري (٢٠/ ١٩)، وإرشاد الساري (٧/ ٤٥٠)، ولب اللباب (٤/ ١٤١).

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [سورة النساء: ٩٥]، لما نزلت عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

المطلب الثالث: جمع القرآن في عهد أبي بكر، وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

عقد الإمام البخاري لبيان جمع القرآن في عهد أبي بكر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا باباً واحداً، قال في ترجمته: «بَابُ جَمْعِ[(١)] القُرْآنِ»[(٢)]. ثم أورد تحته ثلاثة أحاديث ساقها بإسناده، فقال:

[٤٩٨٦] عن ابن شِهَابٍ، عَن عُبَيْدِ بْنِ السَّبَّاقِ، أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «**أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ اليَمَامَةِ، فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ عِنْدَهُ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ: إِنَّ القَتْلَ قَدِ اسْتَحَرَّ يَوْمَ اليَمَامَةِ بِقُرَّاءِ القُرْآنِ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ القَتْلُ بِالقُرَّاءِ بِالمَوَاطِنِ، فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ القُرْآنِ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ القُرْآنِ، قُلْتُ لِعُمَرَ: كَيْفَ تَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ عُمَرُ: هَذَا وَاللهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللهُ صَدْرِي لِذَلِكَ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَى عُمَرُ، قَالَ زَيْدٌ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لاَ نَتَّهِمُكَ، وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الوَحْيَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَتَبَّعِ القُرْآنَ فَاجْمَعْهُ، -فَوَاللهِ لَوْ كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ القُرْآنِ-، قُلْتُ: كَيْفَ تَفْعَلُونَ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟، قَالَ: هُوَ وَاللهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَتَتَبَّعْتُ القُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ العُسُبِ[(٣)]، وَاللِّخَافِ[(٤)]، وَصُدُورِ الرِّجَالِ، حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الأَنْصَارِيِّ لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [سورة التوبة:١٢٨] حَتَّى خَاتِمَةِ بَرَاءَةَ، فَكَانَتِ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ**».

---

(١) قوله: «جَمْعُ» الجمعُ: خلاف التَّفريق، جمعتُ الشيَّء أجمعه جمعاً؛ إذا ضَمَمْتُ بعضه إلى بعض، وجَمعَ الشيءَ عن تَفرقة يَجمَعُه جَمعاً وجَّمعَه وأَجمَعَه فاجتَمع. انظر: **جمهرة اللغة** (١/ ٤٨٣)، و**لسان العرب** (٨/ ٥٣) مادة: «جمع».

(٢) انظر: **صحيح البخاري**، كتاب: **فضائل القرآن** (٦/ ١٨٣).

(٣) جمع عسيب؛ وهو سعَفُ النّخل، وهو الجريد، وهو عود قضبان النّخل كانوا يكشطون خوصها، ويتخذونها عصياً، وكانوا يَكْتُبُونَ فِي طرفه العريض منه. انظر: **مشارق الأنوار على صحاح الآثار** (٢/ ١٠١)، مادة: «عسب».

(٤) جُمعُ لُخفَة؛ وهي حِجارةٌ بِيضٌ رِقاق. **النهاية في غريب الحديث والأثر** (٤/ ٢٤٤)، مادة: «لخف».

[٤٩٨٧] عن ابن شِهَابٍ، أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، حَدَّثَهُ: «أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ، قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّأْمِ فِي فَتْحِ أَرْمِينِيَةَ وَأَذْرَبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ العِرَاقِ، فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلَافُهُمْ فِي القِرَاءَةِ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أَدْرِكْ هَذِهِ الأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الكِتَابِ اخْتِلَافَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ: أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي المَصَاحِفِ، ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدَ بْنَ العَاصِ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِي المَصَاحِفِ، وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ القُرَشِيِّينَ الثَّلَاثَةِ: إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ القُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي المَصَاحِفِ، رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ القُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ».

[٤٩٨٧] قال ابْنُ شِهَابٍ: وَأَخْبَرَنِي خَارِجَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، سَمِعَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ قَالَ: «فَقَدْتُ آيَةً مِنَ الأَحْزَابِ حِينَ نَسَخْنَا المُصْحَفَ، قَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ بِهَا، فَالْتَمَسْنَاهَا فَوَجَدْنَاهَا مَعَ خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيِّ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [سورة الأحزاب:٢٣] فَأَلْحَقْنَاهَا فِي سُورَتِهَا فِي المُصْحَفِ».

الدراسة:

أراد الإمام البخاري بجمع القرآن في الترجمة: جَمْعاً مخصوصاً؛ وهو: جُمْعُ ما تفرق من القرآن في صُحُفٍ -أي: في أوراق مجردة-، ثم تُجمع تلك الصُّحُفِ في مُصحفٍ واحد، مرتب السور بعد عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في زمن أبي بكر، وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[(١)].

قال القسَّطلاني[(٢)]: «وإنما ترك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جمعه في مصحف واحد؛ لأن النسخ كان

(١) انظر: فتح الباري (٩/ ١١)، وعمدة القاري (٢٠/ ١٦)، وإرشاد الساري (٧/ ٤٤٦)، ولب اللباب (٤/ ١٤٠).

(٢) هو شهاب الدين، أبو العباس، أحمد بن محمد القُسْطَلَانِّي، المصري، الشَّافِعِي، من علماء الحديث، والقراءات، من مصنفاته: «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري»، (ت:٩٢٣هـ). انظر: الضوء اللامع (٢/ ١٠٣)، والأعلام (١/ ٢٣٢).

يرد على بعضه، فلو جمعه ثم رفعت تلاوة بعضه لأدى إلى الاختلاف والاختلاط، فحفظه الله تعالى في القلوب إلى انقضاء زمن النسخ. فكان التأليف في الزمن النبوي، والجمع في الصحف في زمن الصديق، والنسخ في المصاحف في زمن عثمان، وقد كان القرآن كله مكتوباً في عهده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكنه غير مجموع في موضع واحد، ولا مرتب السور»[(١)].

وقد استدلَّ الإمام البخاري على ما قصده في الترجمة بثلاثة أحاديث، وهي:

- **الحديث الأول**: حديث زيد بن ثابت، ودلالته على الترجمة ظاهرة[(٢)]. ووجه الدلالة: أنَّ أبا بكر أمر زيداً بجمع ما تفرَّق من القرآن بين الصحابة في العُسُب، واللّخاف، وصدور الرجال، ومن ثمَّ نسخها في صُحُفٍ، إذ لم يكن القرآن في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مجموعاً في موضعٍ واحد، بل كان مُفرقاً في العُسُب واللّخاف وصدور الرجال[(٣)].

- **الحديث الثاني**: حديث أنس بن مالك.

- **الحديث الثالث**: حديث زيد بن ثابت.

ودلالتهما على الترجمة ظاهرة[(٤)]. ووجه دلالتهما: أنَّ عثمان أمر زيداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بنسخ الصُحُف التي جُمعت في عهد أبي بكر، وأن تُكتب بلغة قريش، ومن ثمَّ تُجمع في مصحفٍ واحد[(٥)].

(١) انظر: إرشاد الساري (٧/ ٤٤٦).
(٢) انظر: عمدة القاري (٢٠/ ١٦)، ولب اللباب (٤/ ١٤٠).
(٣) انظر: لب اللباب في التراجم والأبواب (٤/ ١٤٠).
(٤) انظر: عمدة القاري (٢٠/ ١٧)، ولب اللباب (٤/ ١٤٠).
(٥) انظر: لب اللباب في التراجم والأبواب (٤/ ١٤٠).

المبحث الرابع:

ترتيب سور القرآن

عقد الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ لبيان ترتيب سور القرآن باباً واحداً، قال في ترجمته: «**بابُ تأليف**[1] **القُرْآن**»[2]. ثم أورد تحته أربعة أحاديث ساقها بإسناد، فقال:

[٤٩٩٣] عن يُوسُفَ بن مَاهَكٍ، قَالَ: «**إِنِّي عِنْدَ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-، إِذْ جَاءَهَا عِرَاقِيٌّ، فَقَالَ: أَيُّ الكَفَنِ خَيْرٌ؟ قَالَتْ: وَيْحَكَ، وَمَا يَضُرُّكَ؟** » **قَالَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَرِينِي مُصْحَفَكِ؟ قَالَتْ: لِمَ؟ قَالَ: لَعَلِّي أُؤَلِّفُ القُرْآنَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُقْرَأُ غَيْرَ مُؤَلَّفٍ، قَالَتْ: وَمَا يَضُرُّكَ أَيَّهُ قَرَأْتَ قَبْلُ؟ إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ الْمُفَصَّلِ، فِيهَا ذِكْرُ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الإِسْلاَمِ نَزَلَ الحَلاَلُ وَالحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لاَ تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الخَمْرَ أَبَداً، وَلَوْ نَزَلَ: لاَ تَزْنُوا، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الزِّنَا أَبَداً، لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّدٍ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ:** ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ [سورة القمر:٤٦]، **وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ البَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ، قَالَ: فَأَخْرَجَتْ لَهُ الْمُصْحَفَ، فَأَمْلَتْ عَلَيْهِ آيَ السُّوَرِ**».

[٤٩٩٤] عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ قَيْسٍ، سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالكَهْفِ، وَمَرْيَمَ، وَطه، وَالأَنْبِيَاءِ: «**إِنَّهُنَّ مِنَ العِتَاقِ الأُوَلِ، وَهُنَّ مِنْ تِلاَدِي**[3]».

[٤٩٩٥] عن الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «**تَعَلَّمْتُ** ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ [سورة الأعلى:١] **قَبْلَ أَنْ يَقْدَمَ النَّبِيُّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

[٤٩٩٦] عَنْ شَقِيقٍ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ: «**لَقَدْ تَعَلَّمْتُ النَّظَائِرَ**[4] **الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) قوله: «تأليفُ» التأليفُ هو: الجمع، يُقال: أَلَّفَ بَينَهُمَا تَأليفاً؛ جَمعَ بَينهمَا بعدَ تَفَرُّقٍ، وَمِنه تَأليفُ الكُتُبِ، وَمِنه قولُه تَعَالَى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ [سورة الأنفال:٦٣]. انظر: **تاج العروس** (٢٣/ ٣٣)، مادة: «ألف».

(٢) انظر: **صحيح البخاري**، كتاب: **فضائل القرآن** (٦/ ١٨٥).

(٣) قوله: «مِن تِلَادِي» أي: مِنْ أَوَّلِ مَا أَخَذْته وتعلَّمتُه بِمَكَّةَ. انظر: **النهاية في غريب الحديث** (١/ ١٩٤)، مادة: «تلد».

(٤) قَوْلُهُ: «لَقَدْ تعلَّمتُ النَّظَائِر» أَي: السُّور المتماثلة فِي المَعَانِي، لا الـمُتَمَاثِلَةَ فِي عَدَدِ الآيِ. انظر: **فتح الباري** (٢/ ٢٥٩).

يَقْرَؤُهُنَّ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ، فِي كُلِّ رَكْعَةٍ»، فَقَامَ عَبْدُ اللهِ وَدَخَلَ مَعَهُ عَلْقَمَةُ، وَخَرَجَ عَلْقَمَةُ فَسَأَلْنَاهُ، فَقَالَ: « عِشْرُونَ سُورَةً مِنْ أَوَّلِ الْمُفَصَّلِ عَلَى تَأْلِيفِ ابْنِ مَسْعُودٍ، آخِرُهُنَّ الْحَوَامِيمُ: ﴿حمٓ﴾ الدُّخَانِ، وَ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [سورة النبأ:١]».

الدراسة:

ذكر ابن حجر، وغيره من شُرَّاح الصحيح احتمالين في بيان قصد الإمام البخاري من «تأليف القُرْآن»، من غير تعيين المُراد منهما، فقالوا أراد به: جمعَ الآيات في السورة الواحدة، أو جمعَ السُّورِ مرتبة في المصحف[(١)]. واقتصر ابن كثير على الوجه الثاني، فقال: «والمراد من التأليف ههنا ترتيب سوره»[(٢)]، واختاره الكاندهلوي، والشيخ ابن عثيمين[(٣)]. وعند النظر إلى ما أورده الإمام البخاري تحت الترجمة من أحاديث، وإلى شرحها يتبين -والله أعلم- أنَّ قصده من «تأليف القرآن» هو: جمعُ السُّورِ مرتبة في المصحف. قال الكاندهلوي: «والأوجه أن المراد ههنا ترتيب السُّور؛ فإنه كان مختلفاً في زمانه، فإن ترتيب ابن مسعود غير ترتيب علي، وأُبيّ، وإليه أشار المصنف بذكر الروايات في الباب»[(٤)]. ثم إنَّ إيراد الإمام البخاري لأحاديث الباب تحت الترجمة، كأنه يشير إلى أن جمعَ السُّورِ مرتبة في المصحف كان باجتهاد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولم يكن بتوقيفٍ من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما سيتبين ذلك من وجه دلالة الأحاديث للترجمة. قال الشيخ عبد الحق الهاشمي: «ثم ظاهر صنيع الإمام البخاري من إيراد أحاديث الباب يقتضي أن ترتيب السُّور غيرُ لازم»[(٥)]. وما ذهب إليه البخاري هو قول جمهور العلماء، وقول الإمام مالك، واختيار القاضي أبي بكر الباقلاني وأصح القولين عنده[(٦)]، وهو قول ابن تيمية[(٧)]، وقد استدلَّ الإمام البخاري على ما ذهب إليه في الترجمة بأربعة أحاديث، وهي:

(١) انظر: فتح الباري (٩/ ٣٩)، وعمدة القاري (٢٠/ ٢١)، وإرشاد الساري (٧/ ٤٥٣).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٤٧).
(٣) انظر: الأبواب والتراجم لصحيح البخاري (٥/ ٤٣٣)، وشرح صحيح البخاري، لابن عثيمين (٦/ ٣٤).
(٤) انظر: الأبواب والتراجم لصحيح البخاري (٥/ ٤٣٣).
(٥) انظر: لب اللباب (٤/ ١٤٢).
(٦) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم (٣/ ١٣٧)، والبرهان في علوم القرآن (١/ ٢٥٧)، والإتقان في علوم القرآن (١/ ٢١٦).
(٧) انظر: مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٩٦).

- **الحديث الأول**: حديث يوسف بن مَاهَك، ودلالته على ما قصده البخاري في الترجمة ظاهرة، وهي من وجهين:

- **الأول**: أن العراقي أخبر عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بأن القرآن في بلده يُقرأ غير مؤلف، أي: غير مرتب السور، لذا جاء إلى عائشة وسأل الإملاء من مصحفها[1].

- **الثاني**: أن هذه السورة التي فيها ذكر الجنة والنار من أول ما نزل، ومع تقدمها في النزول هي متأخرة في ترتيب المصاحف، وسورة البقرة، وسورة النساء من أواخر ما نزل من القرآن، ومع تأخيرهما في النزول هما مُقدَّمتان في ترتيب المصاحف، فدلَّ على أنَّ ترتيب السُّور غيرُ لازم[2].

- **الحديث الثاني**: حديث ابن مسعود، ودلالته على ما قصده البخاري في الترجمة ظاهرة؛ ووجه دلالته: قال ابن حجر: «والغرض منه هنا: أن هذه السُّور نزلن بمكة، وأنها مُرتَّبة في مصحف ابن مسعود كما هي في مصحف عثمان، ومع تقديمهن في النزول فهن مؤخرات في ترتيب المصاحف»[3].

- **الحديث الثالث**: حديث البراء بن عازب، ودلالته على ما قصده البخاري في الترجمة ظاهرة؛ ووجه دلالته: قال ابن حجر: «والغرض منه: أن هذه السُّورة متقدمة النزول، وهي في أواخر المصحف مع ذلك»[4].

- **الحديث الرابع**: حديث ابن مسعود، ودلالته على ما قصده البخاري في الترجمة ظاهرة؛ ووجه دلالته تؤخذ من جهة: أن تأليف -أي: ترتيب- سور مصحف ابن مسعود على غير التأليف العثماني، فإن المُفَصَّل في مصحف عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من سورة الحجرات إلى

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٤٧)، وفتح الباري (٩/ ٤٢).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٤٧)، ولب اللباب (٤/ ١٤٢).
(٣) انظر: فتح الباري (٩/ ٣٩). وانظر: عمدة القاري (٢٠/ ٢٢)، وتفسير ابن كثير (١/ ٤٩)، ولب اللباب (٤/ ١٤٢).
(٤) انظر: فتح الباري (٩/ ٤٢). وانظر: عمدة القاري (٢٠/ ٢٣)، وتفسير ابن كثير (١/ ٤٩)، ولب اللباب (٤/ ١٤٢).

آخره، وسورة الدُّخان لا تدخلُ فيه بوجه[١].

هذا وللعلماء قول ثانٍ وثالث في ترتيب سور القرآن في المصحف، غير ما ذهب إليه البخاري في ترجمة الباب، وهما:

القول الثاني: أنَّ ترتيب سور القرآن في المصحف كان بتوقيف من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد ذهب إلى هذا القول أبو بكر الأنباري، وأبو جعفر النحاس، والكرماني، وابن الحصار، والطيبي، والباقلاني في أحد قوليه[٢].

قال ابن حجر: «ومما يدل على أن ترتيب المصحف كان توقيفاً ما أخرجه أحمد، وأبو داود وغيرهما، عن أوس بن أبي أوس حذيفة الثقفي قال: «**كنت في الوفد الذين أسلموا من ثقيف ... فذكر الحديث، وفيه: «فقال لنا رسول** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **طرأ عليَّ حِزبي من القرآن، فأردت ألا أخرج حتى أقضيه»**. **قال: فسألنا أصحاب رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **قلنا: كيف تُحَزِّبُونَ القرآن؟ قالوا: نُحَزِّبُهُ ثلاث سور، وخمس سور، وسبع سور، وتسع سور، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحِزْبُ المُفَصَّلِ من ق حتى تختم»**[٣]. **قلت: فهذا يدلُّ على أن ترتيب السُّور على ما هو في المصحف الآن كان في عهد النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[٤]. ونوقش هذا الدليل من وجهين:

- **الأول**: بما قاله الألباني: «إسناده ضعيف؛ ابن يعلى هذا -وهو الطائفي- ضعَّفه الذهبي والعسقلاني»[٥].
- **الثاني**: قال ابن حجر: «ويحتمل أن الذي كان مرتباً حينئذ حزب المفصل خاصة، بخلاف

(١) انظر: **فتح الباري** (٩/ ٤٢)، و**عمدة القاري** (٢٠/ ٢٤)، و**تفسير ابن كثير** (١/ ٤٩)، و**لب اللباب** (٤/ ١٤٢).
(٢) انظر: **البرهان في علوم القرآن** (١/ ٢٥٧)، و**الإتقان في علوم القرآن** (١/ ٢١٦).
(٣) أخرجه الإمام أحمد في **المسند** (٢٦/ ٨٨)، وأبو داود في **السنن** (ح١٣٩٣)، وابن ماجه في **السنن** (ح١٣٤٥)، كلهم من طريق عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي، عن عثمان بن عبد الله بن أوس الثقفي، عن جده أوس بن حذيفة به.
(٤) انظر: **فتح الباري** (٩/ ٤٢).
(٥) انظر: **ضعيف أبي داود** (٢/ ٦٩).

ما عـداه»[1].

واستدلوا أيضاً بما أورده البخاري في الباب عن عبد الرحمن بن يزيد، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ووجه الاستدلال: أنَّ ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ذكر هذه السور نسقاً كما هي مرتبة في المصحف[2].

القول الثالث: أنَّ ترتيب سور القرآن في المصحف، بعضها أو معظمها كان بتوقيف من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبعضها كان باجتهاد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. مال إليه القاضي أبو محمد بن عطية[3]، وابن حجر[4]، والبيهقي، وقال السيوطي: «والذي ينشرح له الصدر ما ذهب إليه البيهقي، وهو: أنَّ جميع السور ترتيبها توقيفي إلا براءة والأنفال»[5]، واختاره الزرقاني[6].

واستدلوا على القول بأنَّ ترتيب سور القرآن في المصحف، بعضها أو معظمها كان بتوقيف من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بما ورد من أدلة دالة على التوقيف، وقد سبق ذكرها في القول الثاني.

واستدلوا على القول بأنَّ ترتيب سور القرآن في المصحف بعضها كان باجتهاد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بما ورد من أدلة دالة على ذلك، وقد سبق ذكرها في القول الأول.

وبعد فلكل قول مما ذُكر وجهٌ معتبر، وحظٌّ من النظر، وعلى كل حال سواء أكان ترتيب السور توقيفياً أم اجتهادياً فإنه ينبغي احترامه خصوصاً في كتابة المصاحف؛ لأنه عن إجماع الصحابة والإجماع حجة، ولأن مخالفته تجر إلى الفتنة، ودرء الفتنة وسدُّ ذرائع الفساد واجب[7].

(١) انظر: فتح الباري (٩/ ٤٢).
(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٥٨).
(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٥٨).
(٤) انظر: فتح الباري (٩/ ٤٢).
(٥) انظر: الإتقان في علوم القرآن (١/ ٢١٨).
(٦) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ٣٥٦).
(٧) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ٣٥٨).

المبحث الخامس:

فضائل القرآن الكريم[١]

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: فضائل القرآن عموماً

عقد الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ لبيان فضائل القرآن عموماً ستة أبواب:

* **الباب الأول:** وقال في ترجمته: «**بَابُ نُزُولِ السَّكِينَةِ[٢] وَالمَلاَئِكَةِ عِندَ قِرَاءَةِ القُرْآنِ**»[٣].

ثم أورد تحته حديثاً واحداً ساقه بإسناده، فقال رحمه الله:

[٥٠١٨] عَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ، قَالَ: «**بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ سُورَةَ البَقَرَةِ، وَفَرَسُهُ مَرْبُوطَةٌ عِنْدَهُ، إِذْ جَالَتِ الفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ، فَقَرَأَ فَجَالَتِ الفَرَسُ، فَسَكَتَ وَسَكَتَتِ الفَرَسُ، ثُمَّ قَرَأَ فَجَالَتِ الفَرَسُ فَانْصَرَفَ، وَكَانَ ابْنُهُ يَحْيَى قَرِيباً مِنْهَا، فَأَشْفَقَ أَنْ تُصِيبَهُ فَلَمَّا اجْتَرَّهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، حَتَّى مَا يَرَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ حَدَّثَ النَّبِيَّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فَقَالَ: اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ، اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ، قَالَ: فَأَشْفَقْتُ يَا رَسُولَ الله أَنْ تَطَأَ يَحْيَى، وَكَانَ مِنْهَا قَرِيباً، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَانصَرَفْتُ إِلَيْهِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ المَصَابِيحِ،**

---

(١) الفضائل: جمعُ فَضيلة، والفَضيلَةُ: خِلافُ النَّقيصةِ؛ وَهِي الدَّرجَةُ الرَّفيعةُ فِي الفَضلِ، وفَضَّلَه على غيرِه تَفْضِيلًا: مَزّاهُ، أَي: أثبتَ لَهُ مَزِيّة، أَي: خَصْلَة تُمَيِّزُه عَن غيرِه. وفي الاصطلاح: هي ما جاء في بيان شرف القرآن، وما يتعلق به، وإظهار مزايا سوره وآياته، ومنافعها الدنيوية والأخروية. انظر: **تاج العروس** (٣٠/ ١٧٢)، مادة: «فضل»، و**فضائل القرآن**، للدكتور عبد السلام الجار الله (ص٣٦).

(٢) قوله: «السَّكِينَة»: السُّكُونُ: ضِدُّ الحَرَكَةِ؛ سَكَنَ الشيءُ يَسْكُنُ سُكوناً: إِذَا ذَهَبَتْ حَرَكَتُهُ وقَرَّ. ولفظ السَّكِينة تكرر وروده في القرآن والحديث، وقد ذكر شُرَّاح الحديث في معناها ما ذكره المفسرون من أقوال للسلف في تفسير سَكِينَةِ بني إسرائيلَ التي أُعطوها فِي التَّابُوتِ المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٨]، وأقرب الأقوال في معناها هنا قول وهب بن منبه: «هي روح من الله يتكلم، إذا اختلفوا في شيء تكلم، فأخبرهم ببيان ما يريدون». قال ابن بطَّال: «وتنزل السكينة لسماع القرآن يشهد لصحة قول من قال: إنها روح أو شيء فيه روح». وقال القرطبي: «**وفي هذا حجة** أي: **في قوله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تلك السكينة تنزلت للقرآن**» لِمَن قال: إن السكينة روح أو شيء له روح، لأنه لا يصح استماع القرآن إلا لمن يعقل». وقال ابن حجر: «وليس قول وهب ببعيد». انظر: **لسان العرب** (١٣/ ٢١١)، مادة: «سكن»، و**تفسير القرطبي** (٣/ ٢٤٩)، و**شرح صحيح البخاري**، لابن بطال (١٠/ ٢٤٨)، و**فتح الباري** (٩/ ٥٨).

(٣) انظر: **صحيح البخاري**، كتاب: **فضائل القرآن** (٦/ ١٩٠).

فَخَرَجَتْ حَتَّى لاَ أَرَاهَا، قَالَ: وَتَدْرِي مَا ذَاكَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَنظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا، لاَ تَتَوَارَى مِنْهُمْ».

الدراسة:

هذه الترجمة ظاهرة في بيان مُراد الإمام البخاري، حيث أراد أن يبين فضل قراءة القرآن، وأن قراءته سببٌ في نزول السَّكينة والملائكة. وقد استدلَّ الإمام البخاري على ما ذكره في الترجمة بحديث واحد عن أُسيد بن حُضير، ودلالته على نزول الملائكة عند قراءة القرآن ظاهرة، وتؤخذ من قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ**»، فقد أخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُسيداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بدنو المَلَائِكَة لاستماع قراءته للقرآن.

أمَّا دلالة الحديث على نزول السَّكينة عند قراءة القرآن، فقد أشكل على الشُّرَّاح؛ إذ أنَّ الحديث ليس فيه ذكر السَّكينة، والإمام البخاري في ترجمته للباب جمع بين نزول السَّكينة والملائكة؟ وأجابوا عن هذا الإشكال بما يلي:

- **الأول**: أن نزول السَّكينة ذُكرت في حديث البراء بن عازب الذي ساقه الإمام البخاري في باب: فضل سورة الكهف، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ بِالْقُرْآنِ**»[(١)]، فلعل الإمام البخاري يرى أن حديث أُسيد الذي ذُكر فيه نزول الملائكة ولم يُذكر فيه نزول السَّكينة، وحديث البراء بن عازب في فضل سورة الكهف الذي ذُكر فيه نزول السَّكينة، ولم يذكر فيه نزول الملائكة أنهما قصة واحدة[(٢)].
- **الثاني**: أنَّ عطف الملائكة على السَّكينة يدل على تلازمهما، وأنها تنزل أبداً مع الملائكة[(٣)].

(١) انظر: **صحيح البخاري** (ح٥٠١١).
(٢) انظر: **فتح الباري** (٩/ ٦٤).
(٣) انظر: **شرح صحيح البخاري**، لابن بطال (١٠/ ٢٥٤)، **والمتواري على أبواب البخاري** (ص٣٨٩)، **وفتح الباري** (٩/ ٦٣).

- **الثالث**: لعل البخاري فهم أن المراد بالظُّلَّةِ المذكورة في حديث الباب هي السَّكينة، فلذلك ساقها في الترجمة[(١)].

❋ **الباب الثاني**: وقال في ترجمته: «**بَاب مَن قَالَ: لَمْ يَتْرُكِ النَّبِيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إِلَّا مَا بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ**[(٢)]»[(٣)].

ثم أورد تحته حديثاً واحداً ساقه بإسناده، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٥٠١٩] عَنْ عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ رُفَيْعٍ، قَالَ: «**دَخَلْتُ أَنَا وَشَدَّادُ بْنُ مَعْقِلٍ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، **فَقَالَ لَهُ شَدَّادُ بْنُ مَعْقِلٍ: أَتَرَكَ النَّبِيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مِن شَيْءٍ؟ قَالَ: مَا تَرَكَ إِلَّا مَا بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ**». **قَالَ: وَدَخَلْنَا عَلَى مُحَمَّدِ ابْنِ الحَنَفِيَّةِ، فَسَأَلْنَاهُ، فَقَالَ: «مَا تَرَكَ إِلَّا مَا بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ»**.

الدراسة:

عقد الإمام البخاري هذه الترجمة للرد على مَن زَعَم مِن الرافضة أنَّ كثيراً من القرآن ذهب لذهاب حَمَلَتِه، وهو شيء اختلقه الروافض؛ لتصحيح دعواهم أنَّ التنصيص على إمامة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واستحقاقه الخلافة عند موت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان ثابتاً في القرآن، وأن الصحابة كتموه وهي دعوى باطلة مردودة، وحاشا الصحابة عن ذلك[(٤)].

قال ابن حجر: «وهي دعوى باطلة؛ لأنهم لم يكتموا مثل: «أنت عندي بمنزلة هارون من موسى»[(٥)]، وغيرها من الظواهر التي قد يتمسك بها من يدعي إمامته، كما لم يكتموا ما

(١) انظر: **شرح صحيح البخاري**، لابن بطال (١٠/ ٢٥٤)، و**المتواري على أبواب البخاري** (ص٣٨٩)، و**فتح الباري** (٩/ ٦٣).
(٢) قوله: «إلا ما بين الدَّفَّتَين»: تثنيةُ دَفَّة، بفتح الدال، وتشديد الفاء، والدَّفَّةُ والدَّفُّ: الجَنبُ مِن كُلِّ شَيءٍ، ودَفَّتَا المُصْحَفِ جَانِبَاهُ، والمراد به ههنا: الجلدان اللذان بين جانبي المصحف، يعني: ما ترك إلا القرآن المكتوب بين دفتي المصاحف. قال ابن حجر: «وليس المراد أنه ترك القرآن مجموعاً بين الدفتين؛ لأن ذلك يخالف ما تقدم من جمع أبي بكر ثم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ». انظر: **لسان العرب** (٩/ ١٠٤)، مادة: «دفف»، و**فتح الباري** (٩/ ٦٥)، و**عمدة القاري** (٢٠/ ٣٦)، و**الكواكب الدراري** (١٩/ ٢٨).
(٣) انظر: **صحيح البخاري**، كتاب: **فضائل القرآن** (٦/ ١٩٠).
(٤) انظر: **فتح الباري** (٩/ ٦٥)، و**عمدة القاري** (٢٠/ ٣٦)، و**لب اللباب** (٤/ ١٤٧).
(٥) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب: أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب: مناقب علي بن أبي طالب (ح٣٧٠٦)، ومسلم في **صحيحه** واللفظ له في كتاب: فضائل الصحابة (ح٢٤٠٤).

يعارض ذلك، أو يخصص عمومه، أو يقيد مطلقه»[(١)].

هذا وقد تلطَّفَ الإمام البخاري في الاستدلال على الرافضة بما أخرجه عن أحد أئمتهم الذين يدَّعُون إمامتَه، وهو محمد بن الحنفية؛ وهو ابنُ علي بن أبي طالب، فلو كان شيء يتعلق بإمامة أبيه علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما كان يسعه كتمانه؛ لجلالة قدره وقوة دينه، وكذلك استدلَّ بقول ابنِ عباس، فإنه ابن عم علي بن أبي طالب، وأشد الناس له لزوماً، واطلاعاً على حاله، فلو كان عنده شيء من ذلك ما وسعه كتمانه؛ لكثرة علمه وقوة دينه وجلالة قدره. ودلالة ما استدلَّ به البخاري على ما ذكره في الترجمة ظاهرة، ووجه الدلالة: أن ابن عباس ومحمد بن الحنفية أخبرا السائل بأنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مات، ولم يترك إلَّا ما جمعه الصحابة من القرآن بين الجلدتين، فلم يترك شيئاً مما اختلقه الرافضة الذين ادعوا أنَّ التنصيص على إمامة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واستحقاقه الخلافة عند موت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان ثابتاً في القرآن، وأن الصحابة كتموه[(٢)].

❋ **الباب الثالث:** وقال في ترجمته: «**بَابُ فَضْلِ القُرْآنِ عَلَى سَائِرِ الكَلَامِ**»[(٣)]. ثم أورد تحته حديثين ساقهما بإسناده، فقال رحمه الله:

[٥٠٢٠] عن أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ: كَالأُتْرُجَّةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَالَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ: كَالتَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ: كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الفَاجِرِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ القُرْآنَ: كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ، وَلَا رِيحَ لَهَا**».

[٥٠٢١] عن عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّمَا أَجَلُكُمْ فِي أَجَلِ مَنْ خَلَا مِنَ الأُمَمِ، كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ العَصْرِ وَمَغْرِبِ الشَّمْسِ، وَمَثَلُكُمْ**

(١) انظر: فتح الباري (٩/ ٦٥).
(٢) انظر: فتح الباري (٩/ ٦٥)، وعمدة القاري (٢٠/ ٣٧)، ولب اللباب (٤/ ١٤٧).
(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب: فضائل القرآن (٦/ ١٩٠).

وَمَثَلُ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عُمَّالاً، فَقَالَ: مَن يَعْمَلُ لِي إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ، فَعَمِلَتِ اليَهُودُ، فَقَالَ: مَن يَعْمَلُ لِي مِن نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى العَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ، فَعَمِلَتِ النَّصَارَى، ثُمَّ أَنتُمْ تَعْمَلُونَ مِنَ العَصْرِ إِلَى المَغْرِبِ بِقِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ، قَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلاً وَأَقَلُّ عَطَاءً، قَالَ: «هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ؟»، قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَذَاكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَن شِئْتُ».

الدراسة:

ترجم الإمام البخاري الباب بلفظ حديث أخرجه ابن عدي من رواية شهر بن حوشب، عن أبي هريرة مرفوعاً: «فضلُ القرآن على سائر الكلام، كَفَضْلِ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ»[(١)]. وأخرج الترمذي معناه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يقول الرب عزَّ وجل من شغله القرآن عن ذكري وعن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه**»[(٢)]، وإنما اكتفى الإمام البخاري بالإشارة إلى لفظ الحديث دون ذكره؛ لأنه ليس على شرطه. ثم إنَّ ما ترجم به البخاري الباب ظاهرٌ في بيان قصده، حيث أراد -والله أعلم- بيان ما جاء في فَضلِ القُرْآنِ عَلَى سَائِرِ الكَلَامِ[(٣)]. وقد استدلَّ على ما قصده من الترجمة بحديثين، وهما:

-**الحديث الأول**: حديث أَبِي مُوسى الأشعَرِيِّ، وقد أشكل على بعض شُرَّاح الصحيح دلالة الحديث على الترجمة، قال العيني: «قيل: الحديث في بيان فضل قارئ القرآن، وليس فيه التعرض إلى ذكر فضل القرآن؟ قلت: لما كان لقارئ القرآن فضل كان للقرآن فضل أقوى منه؛ لأنه الفضل للقارئ إنما يحصل من قراءة القرآن، فتأتي مطابقة الحديث للترجمة من هذه الحيثية»[(٤)].

---

(١) أخرجه ابن عدي في **الكامل في ضعفاء الرجال** (٦/ ٩٨). قال ابن حجر في **فتح الباري** (٩/ ٦٦): «وفي إسناده عمر بن سعيد الأشج؛ وهو ضعيف، وأخرجه ابن الضُّرَيْسِ من وجه آخر عن شهر بن حوشب مرسلاً، ورجاله لا بأس بهم».

(٢) أخرجه الترمذي في **السنن** (ح٢٩٢٦)، والدارمي في **السنن** (٤/ ٢١١٢) كلاهما من طريق عطية، عن أبي سعيد الخدري به. قال ابن حجر في **فتح الباري** (٩/ ٦٦): «رجاله ثقات إلا عطية العوفي، ففيه ضعف».

(٣) انظر: **منحة الباري** (٨/ ٢٩٨).

(٤) انظر: **عمدة القاري** (٢٠/ ٣٨). وانظر أيضاً: **فتح الباري** (٩/ ٦٧)، و**إرشاد الساري** (٧/ ٤٦٨)، و**لب اللباب** (٤/ ١٤٧).

- **الحديث الثاني**: حديث ابنِ عُمَرَ، وقد أشكل على بعض شُرَّاح الصحيح دلالة الحديث على الترجمة، قال الكرماني[(١)]: «فإن قلت: الترجمة لفضل القرآن ... وأما الحديث الثاني فلا دلالة على الترجمة فيه أصلاً؟»[(٢)]. وقال الكوراني: «هذا على دأبه في الاستدلال بالخفي»[(٣)].

وقد أجاب ابن حجر عن وجه دلالة الحديث للترجمة، فقال: «من جهة ثبوت فضل هذه الأمة على غيرها من الأمم، وثبوت الفضل لها بما ثبت من فضل كتابها الذي أمرت بالعمل به»[(٤)].

❋ الباب الرابع: **وقال في ترجمته: «بَابُ الوَصِيَّةِ[(٥)] بِكِتَابِ اللهِ ﷻ»**[(٦)].

ثم أورد تحته حديثاً واحداً ساقه بإسناده، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[٥٠٢٢] عن طَلْحَة، قَالَ: «**سَأَلْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى: آوْصَى النَّبِيُّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ **فَقَالَ: لاَ، فَقُلْتُ: كَيْفَ كُتِبَ عَلَى النَّاسِ الوَصِيَّةُ أُمِرُوا بِهَا وَلَمْ يُوصِ؟ قَالَ: أَوْصَى بِكِتَابِ اللهِ**».

الدراسة:

بيَّن الحافظ ابن حجر قصد الإمام البخاري بالوصية بكتاب الله ﷻ، فقال: «والْمُرَاد

---

(١) هو شمس الدين، محمد بن يوسف الكرماني: عالم بالحديث، قال ابن حجي: «تصدى لنشر العلم ببغداد ثلاثين سنة، وأقام مدة بمكة، وفيها فرغ من تأليف كتابه «الكواكب الدراري في شرح **صحيح البخاري**»، (ت:٧٨٦هـ). انظر: **طبقات المفسرين** (٢/ ٢٨٥).

(٢) انظر: **الكواكب الدراري** (١٩/ ٢٩). وانظر أيضاً: **اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح** (١٣/ ١٢٣).

(٣) انظر: **الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري** (٨/ ٣٩٨).

(٤) انظر: **فتح الباري** (٩/ ٦٧). وانظر أيضاً: **إرشاد الساري** (٧/ ٤٦٨)، **ولب اللباب** (٤/ ١٤٧).

(٥) قوله: «الوَصِيَّة» كذا في رِوَايَة الكُشْمِيْهَنِيُّ، وعند غيره «الوَصَاة» بفتح الواو، وبألف بعد الصاد، بمعنى: الوصيَّة، والوَصِيَّةُ: مأخوذة مِن قَوْلِهِمْ: وَصَيْتُ الشَّيْءَ بِكَذَا وَكَذَا: إذا وَصَّلْتَهُ بِهِ، ووَصَتِ الأَرْضُ: إذا اتَّصَلَ نباتُها، والوَصِيَّةُ: ما أوصَيْتَ به، وسُميتِ الوَصِيَّةُ وَصِيةً؛ لاتصالها بِأَمْرِ الميّت؛ لأنَّ المَيِّتَ يَصِلُ بها ما كان في حياتِهِ بما بعد مماتِهِ. قال ابن حجر: «وفِي الشَّرعِ: عهدٌ خاصٌّ مُضَافٌ إِلَى ما بعدَ المَوتِ، وَقَد يَصحَبُهُ التَّبَرُّعُ...، وتطلقُ شرعاً أيضاً: على ما يقعُ به الزَّجرُ عن المنهيات، والحثُّ على المأمورات». انظر: **مقاييس اللغة** (٦/ ١١٦)، **وتهذيب اللغة** (١٢/ ١٨٧)، **ولسان العرب** (١٥/ ٣٩٢)، مادة: «وصي»، **وفتح الباري** (٥/ ٣٥٥، ٩/ ٦٧)، **والكوثر الجاري** (٨/ ٣٩٩)، **وإرشاد الساري** (٧/ ٤٦٩).

(٦) انظر: **صحيح البخاري**، كتاب: **فضائل القرآن** (٦/ ١٩١).

بِالْوَصِيَّةِ بِكِتَاب الله تعالى: حفظه حِسّاً ومعنىً، فيكرم ويُصان، وَلَا يُسَافر بِهِ إِلَى أَرض الْعَدو، وَيتبع مَا فِيهِ، فَيعْمل بأوامره ويجتنب نواهيه، ويداوم تِلَاوَته، وتعلمه وتعليمه، وَنَحْو ذَلِك»[(١)]. وقد استدلَّ الإمام البخاري على ما قصده من الترجمة بحديث واحد، عن طلحة بن مُصَرِّفٍ، ودلالته على قصد الإمام البخاري من الترجمة ظاهرة[(٢)].

❊ **الباب الخامس:** وقال في ترجمته: «**بَاب: اغْتِبَاطِ[(٣)] صَاحِبِ القُرْآنِ**»[(٤)]. ثم أورد تحته حديثين ساقهما بإسناده، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[٥٠٢٥] عن عَبْد الله بْن عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا عَلَى اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الكِتَابَ، وَقَامَ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَرَجُلٌ أَعْطَاهُ اللهُ مَالاً، فَهُوَ يَتَصَدَّقُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**».

[٥٠٢٦] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللهُ القُرْآنَ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَسَمِعَهُ جَارٌ لَهُ، فَقَالَ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلَانٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً، فَهُوَ يُهْلِكُهُ فِي الحَقِّ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلَانٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ**».

الدراسة:

الذي يظهر من ترجمة الباب أنَّ الإمام البخاري أراد بيان أن صاحب القرآن، وما هو فيه بفضل القرآن عليه من منزلة رفيعة، ودرجة عالية، يَغْتَبِطُ نفسه[(٥)]. وقد اعترض بعض

(١) انظر: **فتح الباري** (٩/ ٦٧).
(٢) انظر: **عمدة القاري** (٢٠/ ٣٩).
(٣) قوله «اغتباطُ»: الاغتباطُ من الْغِبْطَة، وهو نَوْعٌ مِنَ الحَسَدِ غَير مَذمُوم، قال ابن الأثير: «الغَبْطُ: حَسَدٌ خاصٌ، يُقَالُ: غَبَطْتُ الرجُل أَغْبِطُه غَبْطاً، إِذَا اشتَهَيتَ أَن يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مَا لَهُ، وَأَن يَدُوم عَلَيهِ مَا هُوَ فِيهِ. وحَسَدتُه أَحْسُدُه حَسَداً، إِذَا اشتَهَيتَ أَن يَكُونَ لَكَ مَا لَهُ، وأن يَزُول عَنهُ مَا هُوَ فِيهِ». انظر: **مقاييس اللغة** (٤/ ٤١٠)، **والنهاية في غريب الحديث** (٣/ ٣٣٩).
(٤) انظر: **صحيح البخاري**، كتاب: **فضائل القرآن** (٦/ ١٩١).
(٥) انظر: **فتح الباري** (٩/ ٧٣).

شُرَّاح الصحيح على البخاري في ترجمته؛ بِأَنَّ صَاحِبَ القُرآن لا يغتبطُ نَفسه بل يغتبطهُ غيرُه[١].

قال الإسماعيلي[٢]: «هنا ترجمة الباب «اغتباطُ صاحب القرآن»، وهذا فعلُ صاحب القرآن، فهو الذي يَغْتَبِطُ، وإذا كان يَغْتَبِطُ بفعل نفسه كان معناه: أنه يُسَرُّ ويرتاح بعمل نفسه، وهذا ليس مطابقاً»[٣].

وقد أجاب ابن حجر عن هذا الاعتراض، فقال: «ويُمكنُ الجوابُ: بِأَنَّ مُرادَ البُخاريِّ بأَنَّ الحديثَ لما كان دالاً على أَنَّ غيرَ صاحبِ القُرآنِ يَغْتَبِطُ صاحبَ القُرآنِ بِما أُعطِيَهُ مِنَ العملِ بِالقُرآنِ، فَاغتِبَاطُ صاحبِ القُرآنِ بعملِ نفسِهِ أولى، إذا سَمِعَ هذهِ البِشارَةَ الوارِدَةَ فِي حديثِ الصَّادِقِ»[٤]. وتعقَّبه العيني، فقال: «هَذَا لَيْسَ بِذَاكَ، وَكَيف يُوَجه هَذَا الْكَلَام وَقد علم أَن الْغِبْطَة اشتهاء مثل مَا أعْطى فلَان مثلاً، وَكَيف يتَصَوَّر اغتباط من أُعْطِيَ مثل مَا أُعْطِيَ غَيره، والأحسَنُ فِيهِ أَن يقدر فِي التَّرجَمَة مَحْذُوف تَقدِيره: بَاب: اغتباط الرجل صَاحب القُرآن»[٥].

قال ابن حجر: «قلت: كلامه يقتضي عدم التفرقة بين الْغِبْطَة والاغتباط، وهو عين الفساد»[٦]. ومِن الأجوبة في دفع هذا الاعتراض ما ذكره الكاندهلوي، فقال: «ويمكن عندي أن يُقال: إن الاغتباط المذكور في الترجمة مصدر مضاف إلى مفعوله، أي: الاغتباط على صاحب القرآن»[٧].

---

(١) انظر: **عمدة القاري** (٢٠/ ٤١).

(٢) هو أبو بكر، أحمد بن إبراهيم الجُرجاني، الإسماعيلي، الشافعي، جمع بين الفقه والحديث، ورياسة الدين والدنيا، تصانيفه تشهدُ له بالإمامة في الفقه والحديث، والتي منها: «المستخرج على البخاري»، (ت:٢٩٧هـ). انظر: **السير** (١٦/ ٢٩٢)، و**الأعلام** (١/ ٨٦).

(٣) انظر: **فتح الباري** (٩/ ٧٣).

(٤) انظر: **فتح الباري** (٩/ ٧٣).

(٥) انظر: **عمدة القاري** (٢٠/ ٤١).

(٦) انظر: **انتقاض الاعتراض في الرد على العيني في شرح البخاري** (٢/ ٤١٣).

(٧) انظر: **الأبواب والتراجم لصحيح البخاري** (٥/ ٤٤٦).

ثم أورد الإمام البخاري تحت الترجمة حديثين فيهما دلالة على ما ذكره في الترجمة، وهما:

- **الحديث الأول**: حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

- **الحديث الثاني**: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ووجه دلالة الحديثين على الترجمة لخصها الحافظ ابن حجر، فقال: «أَنَّ الحديثَ لما كانَ دالاً على أَنَّ غيرَ صاحبِ القُرآنِ يَغْتَبِطُ صاحبَ القُرآنِ بما أُعطِيَهُ مِنَ العملِ بِالقُرآنِ، فَاغتِبَاطُ صاحبِ القُرآنِ بعملِ نفسِهِ أولى، إذا سَمِعَ هذهِ البِشارَةَ الوارِدَةَ فِي حديثِ الصَّادِقِ»[(١)].

وقال ابن كثير: «ومضمون هذين الحديثين أن صاحبَ القرآنِ في غِبْطَةٍ؛ وهو حُسْنُ الحالِ، فينبغي أن يكونَ شديدَ الاغتِباطِ بما هُوَ فِيهِ، ويُستَحَبُّ تَغْبِيطُهُ بذلك»[(٢)].

❋ **الباب السادس**: وقال في ترجمته: «**بَاب خَيْرُكُم مَن تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»[(٣)]. ثم أورد تحته ثلاثة أحاديث ساقها بإسناده، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٥٠٢٧] عن سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**خَيْرُكُم مَن تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»، قَالَ: وَأَقْرَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي إِمْرَةِ عُثْمَانَ، حَتَّى كَانَ الحَجَّاجُ، قَالَ: وَذَاكَ الَّذِي أَقْعَدَنِي مَقْعَدِي هَذَا.

[٥٠٢٨] عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ أَفْضَلَكُم مَن تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**».

[٥٠٢٩] عَن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: «**أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ امْرَأَةٌ، فَقَالَتْ: إِنَّهَا قَدْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لله وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَا لِي فِي النِّسَاءِ مِنْ حَاجَةٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: زَوِّجْنِيهَا، قَالَ: أَعْطِهَا ثَوْباً، قَالَ: لَا أَجِدُ، قَالَ: أَعْطِهَا وَلَوْ خَاتَماً مِنْ حَدِيدٍ، فَاعْتَلَّ لَهُ، فَقَالَ: مَا مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ؟ قَالَ: كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فَقَدْ زَوَّجْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ**».

(١) انظر: فتح الباري (٩/ ٧٣).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٦٦).
(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب: فضائل القرآن (٦/ ١٩٢).

الدراسة:

ترجم الإمام البخاري الباب بلفظ متن حديث عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أورده تحته: «خيركم مَن تعلَّم القرآن وعلَّمه»[(١)]. والإمام البخاري قصد من هذه الترجمة أمرين، وهما:

الأمر الأول: وهو خفي، قال ابن حجر: «كأنه أشارَ إلى ترجيحِ الرِّواية بالواو»[(٢)] التي للعطف عند الأكثرين[(٣)] على رواية: «أو تعلَّمه»[(٤)]، التي هي للتنويع لا للشك[(٥)].

قال ابن حجر: «وهي أظهرُ من حيثُ المعنى؛ لأن التي بـ «أو» تقتضي إثباتَ الخيريةِ المذكورةِ لمن فعلَ أحد الأمرين، فيلزمُ أنَّ مَن تعلَّم القرآن ولو لم يُعَلِّمهُ غيرهُ أن يكونَ خيراً ممن عملَ بما فيه مثلاً، وإن لم يَتَعَلَّمهُ، ولا يُقَالُ: يلزم على رواية الواو أيضاً أنَّ مَن تَعَلَّمَهُ وَعَلَّمَهُ غَيرَهُ أنْ يكونَ أفضلَ ممن عَمِلَ بما فيه من غيرِ أَن يَتَعَلَّمَهُ ولم يُعَلِّمهُ غَيرَهُ»[(٦)].

الأمر الثاني: وهو ظاهرٌ من الترجمة، فلعله -والله أعلم- أراد بيان فضل القرآن الكريم على مَن تعلَّمه وعلَّمه غيره، بأن جعل صاحبه من خير الناس وأفضلهم بعد النبيِّين، وهذه الخيرية والفضل إنما وجبت له بفضل القرآن الكريم.

ثم أورد الإمام البخاري تحت الترجمة ثلاثة أحاديث تشهد لما ذكره في الترجمة، وهي:

- **الحديث الأول**: والحديث الثاني كلاهما عن عثمان بن عفان، ودلالتهما على الترجمة ظاهرة إذ التَّرجمةُ هي عينُ الحديث، ووجه الدلالة بيِّنة من لفظ الحديث.

---

(١) انظر: **فتح الباري** (٩/ ٧٤)، و**عمدة القاري** (٢٠/ ٤٢).

(٢) انظر: **فتح الباري** (٩/ ٧٤).

(٣) أخرجها الإمام أحمد في **المسند** (١/ ٤٧١، ح٤١٢)، وأبو داود في **السنن** (ح١٤٥٢)، والترمذي في **السنن** (ح٢٩٠٧)، والنسائي في **السنن الكبرى** (٧/ ٢٦٧، ح٧٩٨٣)، كلهم من طريق شعبة به، بلفظ: «خيركم مَن تعلَّم القرآن وعلَّمه».

(٤) أخرجها الإمام أحمد في **المسند** (١/ ٤٧١، ح٤١٢)، من طريق شعبة به، بلفظ: «إنَّ خيركم من علَّم القرآن أو تعلَّمه».

(٥) انظر: **فتح الباري** (٩/ ٧٦)، و**عمدة القاري** (٢٠/ ٤٣).

(٦) انظر: **فتح الباري** (٩/ ٧٦).

- **الحديث الثالث**: حديث سهل بن سعد، ودلالته على الترجمة غير ظاهرة، قال ابن المنير: «مُطَابقَة الْأَحَادِيث للتَّرْجَمَة بيّنة إِلَّا حَدِيث سهل»[(١)]. لذا اختلف شُرَّاح الصحيح في بيان وجه الدلالة:

فقال ابن بطَّال: «وحديث سهل إنما ذكره في هذا الباب؛ لأنه زوَّجه المرأة لحرمة القرآن»[(٢)].

وتعقبه ابن التين: «بأنَّ السِّيَاقَ يدُلُّ على أَنَّهُ زَوَّجَهَا لهُ على أَنْ يُعَلِّمَهَا»[(٣)].

قال العيني: «قلت: فِي كل مِنْهُمَا نظر؛ أما الأول: فلأن التَّرْجَمَة لَيست فِي بيان حُرمة القُرآن، وَأما الثَّانِي: فدلالته على التَّزوِيج على تَعلِيم القُرآن، وَيُمكن أَن يُوَجه الْمُطَابقَة من قوله: «كَذَا وَكَذَا» أَي: سُورَة كَذَا، ... وَهُوَ أَن الفضل ظهر على الرجل بحفظه كذا وكذا سُورَة، وَلم يحصل لَهُ هَذَا الفضل إلا من فضل القُرآن، فدخل تحت قوله: «**خَيركُم من تعلَّم الْقُرْآن**»؛ لِأَنَّهُ تعلم ودخل فِي المتعلمين، ودخل أَيضاً تحت قوله: «وعلَّمه»؛ لأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا زوَّجه إِيَّاهَا على أَن يُعلِّمهَا القرآن»[(٤)].

وقيل: «وجهُ دُخُولِهِ أَنَّ فضلَ القُرآنِ ظَهَرَ على صَاحِبِهِ فِي العَاجِلِ بِأَن قَامَ لَهُ مَقَامَ المَالِ الذي يُتَوَصَّلُ بِهِ إلى بُلُوغِ الغَرَضِ، وَأَمَّا نَفعُهُ فِي الآجلِ فَظَاهِرٌ لا خَفَاءَ بِهِ»[(٥)].

(١) انظر: **المتواري على أبواب البخاري** (ص٣٩٢).
(٢) انظر: **شرح صحيح البخاري** لابن بطال (١٠/ ٢٦٥).
(٣) انظر: **فتح الباري** (٩/ ٧٧). وبه أيضاً تعقبه ابن المُنِير في **المتواري على أبواب البخاري** (ص٣٩٢).
(٤) انظر: **عمدة القاري** (٢٠/ ٤٤).
(٥) انظر: **فتح الباري** (٩/ ٧٧).

المطلب الثاني: فضائل سور مخصوصة من القرآن الكريم

عقد الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ لبيان فضائل سور مخصوصة من القرآن الكريم ستة أبواب دون أن يكون له رأيٌ في تفضيل بعض القرآن على بعض[(١)]:

❊ **الباب الأول:** وقال في ترجمته: «**بَابُ فَضْلِ فَاتِحَةِ الكِتَابِ**»[(٢)]. ثم أورد تحته حديثين ساقهما بإسناده، فقال:

[٥٠٠٨] عَنْ أَبِي سَعِيدِ بنِ المُعَلَّى، قَالَ: «**كُنْتُ أُصَلِّي، فَدَعَانِي النَّبِيُّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فَلَمْ أُجِبْهُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي كُنتُ أُصَلِّي، قَالَ: أَلَمْ يَقُلِ اللهُ:** ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [سورة الأنفال:٢٤]؟ **ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ**[(٣)] **قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ قُلْتَ: لَأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ مِنَ القُرْآنِ، قَالَ: الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**».

[٥٠٠٩] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: «**كُنَّا فِي مَسِيرٍ لَنَا فَنَزَلْنَا، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ، فَقَالَتْ: إِنَّ سَيِّدَ الحَيِّ سَلِيمٌ، وَإِنَّ نَفَرَنَا غَيْبٌ، فَهَلْ مِنكُمْ رَاقٍ؟ فَقَامَ مَعَهَا رَجُلٌ مَا كُنَّا نَأْبُنُهُ بِرُقْيَةٍ، فَرَقَاهُ فَبَرَأَ، فَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِينَ شَاةً، وَسَقَانَا لَبَناً، فَلَمَّا رَجَعَ قُلْنَا لَهُ: أَكُنتَ تُحْسِنُ رُقْيَةً أَوْ كُنتَ تَرْقِي؟ قَالَ: لَا، مَا رَقَيْتُ إِلَّا بِأُمِّ الكِتَابِ، قُلْنَا: لَا تُحْدِثُوا شَيْئاً حَتَّى نَأْتِيَ أَوْ نَسْأَلَ النَّبِيَّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَلَمَّا قَدِمْنَا المَدِينَةَ ذَكَرْنَاهُ لِلنَّبِيِّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَقَالَ: وَمَا كَانَ يُدْرِيهِ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟ اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ**».

---

(١) وهذه المسألة من المسائل التي وقع الخلاف فيها بين العلماء على قولين، والقول المشهور فيها والذي عليه جمهور العلماء من السلف والخلف جواز تفضيل بعض القرآن على بعض. ولبسط الكلام حول هذه المسألة ينظر إليه في: **تفسير القرطبي** (١/ ١٠٩)، **والبرهان في علوم القرآن** (١/ ٤٣٠)، **والإتقان في علوم القرآن** (٤/ ١٣٦)، **ومجموع فتاوى ابن تيمية** (١٧/ ١٠٣، ٢٠٩)، **وفتح الباري** (٨/ ١٥٨)، **وفضائل القرآن**، للجار الله (ص٤٣٢).

(٢) انظر: **صحيح البخاري**، كتاب: **فضائل القرآن** (٦/ ١٨٧).

(٣) قوله: «أعظم سورة في القرآن» المرادُ بالعَظِيم: عِظَم القدر بالثواب المرتب على قراءتها، وإن كان غيرها أطول منها، وذلك لما اشتملت عليه من الثَّناء، والدُّعاء، والسُّؤال. انظر: **فتح الباري** (٩/ ٥٤)، **وعمدة القاري** (١٨/ ٢٤٨).

الدراسة:

ما ترجم به الإمام البخاري الباب ظاهر البيان في الكشف عن قصده من الترجمة، لذا سكت شُرَّاح الصحيح عن شرحها، وهي في بيان فضل قراءة سورة الفاتحة على غيرها من سور القرآن، وقد استدلَّ على ما قصده من الترجمة بحديثين، وهما:

- **الحديث الأول**: حديث أبي سعيد بن المُعَلَّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

- **الحديث الثاني**: حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكلا الحديثين ظاهر الدلالة على فضل قراءة سورة الفاتحة[(١)]، ووجه دلالتها أظهر من أن تخفى، فهي بيِّنةٌ من لفظ الحديث.

❊ **الباب الثاني**: وقال في ترجمته: «**بَاب فَضْلِ سُورَةِ البَقَرَةِ**»[(٢)]. ثم أورد تحته حديثين ساقها بإسناده، الأول منهما رواه من طريقين، فقال:

[٥٠٠٨] عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ** ...».

[٥٠٠٩] عن سُفْيَانَ، عَن مَنصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ**[(٣)] **فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ**».

[٥٠١٠] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «**وَكَّلَنِي رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ، فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَقَصَّ الحَدِيثَ، فَقَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ، لَنْ يَزَالَ مَعَكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، وَقَالَ النَّبِيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، ذَاكَ شَيْطَانٌ**».

---

(١) انظر: **فتح الباري** (٩/ ٥٤)، و**عمدة القاري** (٢٠/ ٢٩)، و**لب اللباب** (٤/ ١٤٥).

(٢) انظر: **صحيح البخاري**، كتاب: **فضائل القرآن** (٦/ ١٨٨).

(٣) قوله: «من آخر سورة البقرة» يعني: من قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ [سورة البقرة:٢٨٥] إلى آخر السورة». انظر: **فتح الباري** (٩/ ٥٦).

الدراسة:

هذه الترجمة ظاهرة البيان، فهي مغنية في الكشف عن قصد الإمام البخاري منها، لذا سكت شُرَّاح الصحيح عن بيان مقصوده منها، وهي في بيان فضل قراءة سورة البقرة على غيرها من سور القرآن، وقد استدلَّ على ما قصده من الترجمة بحديثين، وهما:

- **الحديث الأول**: وقد رواه من طريقين عن أبي مسعود.

- **الحديث الثاني**: حديث أبي هريرة، وكلا الحديثين ظاهرُ الدلالة على فضل قراءة سورة البقرة[(١)]، ووجه دلالتهما بينة من لفظ الحديث.

❋ **الباب الثالث**: وقال في ترجمته: «بَاب فَضْلِ سُورَةِ الكَهْفِ»[(٢)]. ثم أورد تحته حديثاً واحداً ساقه بإسناده:

[٥٠١١] عَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: «**كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الكَهْفِ، وَإِلَى جَانِبِهِ حِصَانٌ مَرْبُوطٌ بِشَطَنَيْنِ[(٣)]، فَتَغَشَّتْهُ سَحَابَةٌ، فَجَعَلَت تَدْنُو وَتَدْنُو، وَجَعَلَ فَرَسُهُ يَنفِرُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى النَّبِيَّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ بِالقُرْآنِ**».

الدراسة:

هذه الترجمة ظاهرة البيان، فهي مغنية في الكشف عن قصد الإمام البخاري منها، لذا سكت شُرَّاح الصحيح عن شرحها، وهي في بيان فضل قراءة سورة الكهف على غيرها من سور القرآن، وقد استدلَّ رَحِمَهُ اللَّهُ على ما قصده من الترجمة بحديث واحد عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو ظاهر الدلالة على فضل قراءة سورة الكهف[(٤)]. ووجه دلالته أظهر من أن تخفى، فهي بيِّنةٌ من لفظ الحديث.

---

(١) انظر: **عمدة القاري** (٢٠/ ٣٠، ٣١)، **ولب اللباب** (٤/ ١٤٥).

(٢) انظر: **صحيح البخاري**، كتاب: **فضائل القرآن** (٦/ ١٨٨).

(٣) قوله: «بشطنين» جمع شَطَن؛ وهو الحبل، وإنما كان الرَّبْط بشطنين؛ لأجل جُموحه واستصعابه. انظر: **فتح الباري** (٩/ ٥٧).

(٤) انظر: **عمدة القاري** (٢٠/ ٣١)، **ولب اللباب** (٤/ ١٤٥).

❋ **الباب الرابع**: وقال في ترجمته: «**بَاب فَضْلِ سُورَةِ الفَتْحِ**»[(١)]. ثم أورد تحته حديثاً واحداً ساقه بإسناده، فقال:

[٥٠١٢] عَن زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ: «**أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **كَانَ يَسِيرُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَعُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ يَسِيرُ مَعَهُ لَيْلاً، فَسَأَلَهُ عُمَرُ عَن شَيْءٍ، فَلَمْ يُجِبْهُ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **ثُمَّ سَأَلَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ، فَقَالَ عُمَرُ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، نَزَرْتَ**[(٢)] **رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، كُلَّ ذَلِكَ لَا يُجِيبُكَ، قَالَ عُمَرُ: فَحَرَّكْتُ بَعِيرِي حَتَّى كُنْتُ أَمَامَ النَّاسِ، وَخَشِيتُ أَنْ يَنْزِلَ فِيَّ قُرْآنٌ، فَمَا نَشِبْتُ أَنْ سَمِعْتُ صَارِخاً يَصْرُخُ بِي، قَالَ: فَقُلْتُ: لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ نَزَلَ فِيَّ قُرْآنٌ، قَالَ: فَجِئْتُ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةٌ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ**[(٣)]**، ثُمَّ قَرَأَ:** ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [سورة الفتح:١]».

الدراسة:

ما ترجم به الإمام البخاري الباب ظاهر البيان في الكشف عن قصده من الترجمة، لذا سكت شُرَّاح الصحيح عن شرحها، وهي في بيان فضل قراءة سورة الفتح على غيرها من سور القرآن، وقد استدلَّ على ما قصده من الترجمة بحديث واحد عن زيد بن أسلم، عن أبيه، في قصة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو ظاهر الدلالة على فضل قراءة سورة الفتح[(٤)]. ووجه دلالته أظهر من أن تخفى، فهي بيِّنةٌ من لفظ الحديث.

❋ **الباب الخامس**: وقال في ترجمته: «**بَاب فَضْلِ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**»[(٥)].

---

(١) انظر: **صحيح البخاري**، كتاب: **فضائل القرآن** (٦/ ١٨٨).
(٢) قوله: «نَزَرْتَ» أَيْ: ألححت عَلَيْهِ. انظر: **فتح الباري** (٨/ ٥٨٣).
(٣) لما فيها من مغفرته ما تقدم وما تَأَخّر، وإتمام النِّعمَة عليه، والرِّضَا عن أصحابه تحت الشَّجَرَة. انظر: **الكواكب الدراري** (١٩/ ٣٢).
(٤) انظر: **عمدة القاري** (٢٠/ ٣٢)، **ولب اللباب** (٤/ ١٤٦).
(٥) انظر: **صحيح البخاري**، كتاب: **فضائل القرآن** (٦/ ١٨٩).

فيه عن عَمْرَة، عن عائشة، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم أورد تحته ثلاثة أحاديث ساقها بإسناده، فقال:

[٥٠١٣] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ: «**أَنَّ رَجُلاً سَمِعَ رَجُلاً يَقْرَأُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ**[(١)]».

[٥٠١٤] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، أَخْبَرَنِي أَخِي قَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ: «**أَنَّ رَجُلاً قَامَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ مِنَ السَّحَرِ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ لاَ يَزِيدُ عَلَيْهَا، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا أَتَى الرَّجُلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... نَحْوَهُ**».

[٥٠١٥] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ القُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: اللهُ الوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ القُرْآنِ**».

الدراسة:

ما ترجم به الإمام البخاري الباب ظاهر البيان في الكشف عن قصده من الترجمة، لذا سكت شُرَّاح الصحيح عن شرحها، وهي في بيان فضل قراءة سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ على غيرها من سور القرآن، وقد استدلَّ الإمام البخاري على ما قصده من الترجمة بطرف من إسناد حديث مُعلق دون متنه، وبثلاثة أحاديث ساقها بإسناده:

---

(١) قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ**» **في معنى ذلك أقوال، وقد أفردها شيخ الإسلام بجزء ضمن مجموع الفتاوى سمَّاه: «جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن من أنَّ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن»**. فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «قيل فيه وجوه أحسنها والله أعلم الجواب المنقول عن الإمام أبي العباس ابن سُرَيْج، فعن أبي الوليد القرشي أنه سأل أبا العباس بن سريج عن معنى قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن، فقال: «معناه: أنزل القرآن على ثلاثة أقسام: ثلث منها الأحكام، وثلث منها وعد ووعيد، وثلث منها الأسماء والصفات، وهذه السورة جمعت الأسماء والصفات». قال القرطبي: «ودلَّ على هذا التأويل ما في صحيح مسلم، من حديث أبي الدرداء، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**إن الله عز وجل جزأ القرآن ثلاثة أجزاء، فجعل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ جزءاً من أجزاء القرآن**»، وهذا نصٌّ». انظر: **مجموع الفتاوى** (١٧/ ١٠٣)، و**تفسير القرطبي** (٢٠/ ٢٤٧).

أمَّا طرف إسناد الحديث المعلق، فهو: عَمْرَةُ، عن عائشة، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال الكرماني: «ولما لم يكن طريقه بشرط البخاري لم ينقله بعينه، واكتفى بالإخبار عنه إجمالاً»[(١)].

وتعقبه العيني فقال: «قلت: ليس الأمر كذلك بل هذا على شرطه، وقد أخرجه بتمامه في أول كتاب التوحيد[(٢)]، قال: حدثنا محمد، حدثنا أحمد بن صالح، حدثنا ابن وهب، حدثنا عمرو، عن ابن أبي هلال أن أبا الرجال محمد بن عبد الرحمن حدثه، عن أمه عَمرة بنتِ عبد الرحمن -وكانت في حجرة عائشة زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عن عائشة: «**أن النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بعث رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بـ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾...» الحديث، وفي آخره: «أخبروه أن الله يحبه»**»[(٣)].

أمَّا الأحاديث الثلاثة الموصولة، فهي كلها عن الخُدري، وهي ظاهرة الدلالة على فضل قراءة سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[(٤)]. ووجه دلالتها أظهر من أن تخفى، فهي بيِّنةٌ من لفظ الحديث.

❋ **الباب السادس:** وقال في ترجمته: «**بَاب: فَضْلِ الْمُعَوِّذَاتِ**[(٥)]»[(٦)]. ثم أورد تحته حديثين ساقهما بإسناده، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٥٠١٦] عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ**

(١) انظر: **الكواكب الدراري** (١٩/ ٢٤).
(٢) انظر: **صحيح البخاري** (٩/ ١١٥، ح٧٣٧٥).
(٣) انظر: **عمدة القاري** (٢٠/ ٣٢). وانظر أيضاً: **فتح الباري** (٩/ ٥٩).
(٤) انظر: **عمدة القاري** (٢٠/ ٣٢، ٣٤)، و**لب اللباب** (٤/ ١٤٦).
(٥) قوله: «الـمُعَوِّذَات» بكسر الواو، جمع مُعَوِّذَة، قال ابن منظور: «عَاذَ بِهِ يَعُوذُ عَوْذاً وعِياذاً ومَعاذاً: لَاذَ بِهِ، ولجأَ إِليه، وَاعْتَصَمَ». والمراد بها: السُّور الثَّلَاث: سورة الإخلاص، وسورة الفلق، وسورة الناس، والتَّعَوُّذ ظَاهر فِي المعوذتين سورتي الفلق والناس، وذكر سورة الإخلاص معهما تغليباً، وإن لم يصرح فيها بلفظ التعويذ؛ لأَنها مما يُتَحَصَّنُ بهَا، لاشتِمَالِها على صِفةِ الله تعالى». انظر: **لسان العرب** (٣/ ٤٩٨)، و**تاج العروس** (٩/ ٤٤٤) مادة: «عوذ»، و**فتح الباري** (٩/ ٦٢)، و**عمدة القاري** (٢٠/ ٣٤).
(٦) انظر: **صحيح البخاري**، كتاب: **فضائل القرآن** (٦/ ١٨٩).

بِالْمُعَوِّذَاتِ، وَيَنفُثُ، فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ، وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا».

[٥٠١٧] عَنْ عَائِشَةَ: **«أَنَّ النَّبِيَّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا، فَقَرَأَ فِيهِمَا:** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، **ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِن جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ، وَمَا أَقْبَلَ مِن جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ».**

الدراسة:

سكت شُرَّاح الصحيح عن بيان قصد الإمام البخاري من ترجمة الباب، لكن بالنظر إلى ما أورده تحتها، يتبين -والله أعلم- أن قصده هو: بيان فضل قراءة الْمُعَوِّذَاتِ مجتمعة، وهي السُّور الثَّلَاث: الإخلاص، الفلق، الناس. وقد استدلَّ الإمام البخاري على ما قصده من التَّرجمة بحديثين:

الحديث الأول والثاني كلاهما عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهما ظاهرا الدلالة على فضل قراءة الْمُعَوِّذَاتِ مجتمعة[1]. ووجه دلالتهما أظهر من أن تخفى، فهي بيِّنةٌ من لفظ الحديث.

(١) انظر: عمدة القاري (٢٠/ ٣٤، ٣٥)، ولب اللباب (٤/ ١٤٦).

المبحث السادس:

آداب[١] قراءة القرآن

نـالَ آداب قـراءة القـرآن الحـظَّ الأوفـر والنصيـب الأكثـر مـن علـوم القـرآن التـي تناولهـا الإمـام البخـاري في كتـاب فضائـل القـرآن، فقـد عقـد لـه سـبعة عـشر بابـاً، وهـي:

* **البـاب الأول:** وقـال في ترجمتـه: «بَـاب مَـن لَمْ يَتَغَـنَّ[٢] بِالقُـرْآنِ، وقَوْلُه تعـالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة العنكبوت:٥١]»[٣]. ثـم أورد تحتـه حديثـين سـاقهما بإسناده:

[٥٠٢٣] عَـنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ، أَنَّـهُ كَانَ يَقُـولُ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لَمْ يَـأْذَنِ اللهُ لِـشَيْءٍ مَـا أَذِنَ لِلنَّبِـيِّ أَنْ يَتَغَنَّـى بِالقُـرْآنِ**»، وَقَـالَ صَاحِـبٌ لَـهُ: يُرِيـدُ يَجْهَـرُ بِـهِ.

[٥٠٢٤] عَـنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ، عَـنِ النَّبِـيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَـالَ: «**مَـا أَذِنَ اللهُ لِـشَيْءٍ**[٤] **مَـا أَذِنَ لِلنَّبِـيِّ أَنْ يَتَغَنَّـى بِالقُـرْآنِ**»، قَـالَ سُـفْيَانُ: تَفْسِـيرُهُ يَسْـتَغْنِي بِـهِ.

الدراسة:

ترجـم الإمـام البخـاري البـاب بلفـظ حديـث أورده بإسـناده في كتـاب التوحيـد، بـاب قـول اللهَّ تعـالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [سـورة الملـك:١٣ ١٤]، عَـنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ، قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لَيْـسَ مِنَّـا مَـن لَمْ يَتَغَـنَّ بِالقُـرْآنِ**»[٥]. ويفهم مـن ترجمـة الإمـام البخـاري للبـاب مـن خـلال مـا أورده تحتهـا أنـه يحمـل التَّغَنِّـيَ عـلى الاسـتغناء

(١) الآداب: جمع أدب، والأَدَبُ هو: ما يَتَأَدَّبُ بِهِ الأَديبُ مِنَ النَّاسِ، سُمِّيَ أَدَباً؛ لأنه يَأْدِبُ الناسَ إِلَى الـمَحامِد، ويَنْهاهم عَنِ الـمَقابِح. يَأْدِبهم، أَي: يَدعُوهُم. انظر: **تاج العروس** (٢/ ١٢) مادة «أدب».

(٢) قوله: «يَتَغَنَّ»: التغني له عِدَّةُ معانٍ في اللغة، سيأتي ذكرها اثناء ذكر أقوال العلماء في معنى التغني بالقرآن.

(٣) انظر: **صحيح البخاري**، كتاب: **فضائل القرآن** (٦/ ١٩١).

(٤) قوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ**» أَي: مَا اسْتَمَعَ اللهُ لِشَيْءٍ. انظر: **النهاية في غريب الحديث** (١/ ٣٣).

(٥) انظر: **صحيح البخاري** (ح٧٥٢٧).

بالقرآن عن أخبار الأمم الماضية، والكتب السَّالفة، لا أنه يحمله على الغِناء الذي هو تحسين الصوت[1]، ومما يقوي هذا المفهوم ما يلي:

أولاً: أن الإمام البخاري اتبع ترجمة الباب بهذه الآية: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة العنكبوت:٥١]، ومضمونها الإنكار على من لم يسْتَغْنِ بالقرآنِ عن غيره من أخبار الأمم الماضية، والكتب السَّالفة[2].

فقد أخرج الطبري وغيره في سبب نزولها عن يحيى بن جعدة، قال: «**إن ناساً من المسلمين أتوا نبي الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بكتب قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود، فلما أن نظر فيها ألقاها، ثم قال: كفى بها حماقة قوم، أو ضلالة قوم، أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم، إلى ما جاء به غير نبيهم إلى قوم غيرهم، فنزلت:** ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة العنكبوت:٥١]»[3].

ثانياً: أنَّ الإمام البخاري قد أفرد ما يتعلَّق بحسن الصَّوت بالقرآن بترجمة خاصة، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «بابُ حُسْنُ الصَّوتِ بالقراءةِ للقرآن»[4]. وقد استدلَّ الإمام البخاري بحديثين يشهدان لما ترجم له، وهما:

- **الحديث الأول**: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد سكت شُرَّاح الصحيح عن بيان

---

(١) انظر: **شرح صحيح البخاري**، لابن بطال (١٠/ ٢٦٣)، و**فتح الباري** (٩/ ٦٨، ٧٠)، و**تفسير القرطبي** (١/ ١٢). وانظر أيضاً: **المتواري على أبواب البخاري** (ص٣٩٠)، و**عمدة القاري** (٢٠/ ٣٩).

(٢) انظر: المصادر السابقة.

(٣) أخرجه الطبري في **تفسيره** (١٨/ ٤٢٩)، وابن أبي حاتم في **تفسيره** (٩/ ٣٠٧٢)، والدارمي في **سننه** (١/ ٤٥٢)، كلهم من طريق عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَن يَحْيَى بْنِ جَعْدَةَ به. والحديث إسناده مرسل، فيه يحيى بن جعدة، قال ابن حجر في **تقريب التهذيب** (ص٥٨٨): «ثقة، وقد أرسل عن ابن مسعود ونحوه». وأخرجه موصولاً الإسماعيلي في **معجم أسامي شيوخه** (٣/ ٧٧٢)، من طريق إبراهيم بن يزيدَ، عن عمرو بن دينار، عن يحيى بن جَعْدَةَ، عن أبي هريرة قال: كان ناس من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكتبون من التوراة، فذكروا له، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فذكره. قال الألباني في **سلسلة الأحاديث الضعيفة** (١٢/ ٧٨٧): «وهذا إسناد ضعيف جداً؛ آفته إبراهيم هذا وهو الخوزي المكي ؛ وهو متروك الحديث».

(٤) انظر: **صحيح البخاري**، كتاب: **فضائل القرآن** (٦/ ١٩٥).

وجه دلالته على ما ذهب إليه الإمام البخاري في الترجمة؛ لذا لم يتبين لي وجه الدلالة.

- **الحديث الثاني**: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ودلالته على ما ذهب إليه الإمام البخاري في الترجمة ظاهر البيان، وتؤخذ من قوله: «قال سُفيان: تفسيره: يستغني به». ووجه الدلالة: أن سفيان بن عُيينة فسَّر التغني في الحديث بالاستغناء.

ومما يُستدلُّ به أيضاً: مجيء تغنَّى بمعنى استغنى جائزٌ في لغة العرب، قال أبو عبيد: «وهذا كلامٌ جائزٌ فاشٍ في كلام العرب، وأشعارهم أن يقولوا: تَغَنَّيْتُ تغنِّياً، وتَغانَيتُ تَغَانِياً يعني: استغنيتُ، وقال الأَعْشَى:

وكُنتُ امرأً زَمَناً بالعِراقِ عَفِيفَ المُناخِ طَويلَ التَّغَنّ

يُرِيد: الِاسْتِغْنَاء، أو الغنى. وقال المُغيرَة بن حبناء التَّمِيمِي يُعاتب أَخاً له:

كِلَانَا غنيٌّ عن أَخِيهِ حَيَاتَهُ وَنحنُ إِذا مُتْنَا أَشدُّ تَغَانِيا

يُرِيد: أَشد استغْنَاء هذا وَجه الحَدِيث، والله أعلم»[(١)].

وقال ابن المُنيِّر: «وعندي أَن التَّفسِير صحيحٌ لُغَة، يدلُّ عليه قَوْله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الخيل: «وَرجل ربطها تغّنياً وَتَعَفُّفاً»، ولا خلاف لُغَة أَنه مصدر «تَغَنَّى»، ثمَّ لا إشكال بعدُ أَنَّ تَغَنَّى بهَا بِمَعْنى اسْتغنى بهَا وتَعَفَّفَ»[(٢)].

وهناك وجهٌ آخر يُفسَّر به الاستغناء بالقرآن غير الوجه الذي اختاره الإمام البخاري؛ وهو: الاستغناء بالقرآن عن مسألة الناس، قال القرطبي: «وإلى هذا التأويل ذهب سفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح، ورواه سفيان عن سعد بن أبي وقاص»[(٣)]، واختاره أبو عبيد، وقال:

(١) انظر: غريب الحديث (٢/ ١٧١).
(٢) انظر: المتواري على أبواب البخاري (ص٣٩١).
(٣) انظر: تفسير القرطبي (١/ ١٢).

«قوله: «مَن لم يَتَغَنَّ» التغني: هو الاستغناء وَالتَّعَفُّفُ مِن مَسْأَلَةِ النَّاسِ، وَاسْتِكْفَائِهِم بالقرآن، وأن يكون في نفسه بحمله القرآن غنياً، وإن كان من المال معدماً»[(١)]. وقال: «وليس للحديث عندي وجه غير هذا؛ لأنه في حديث آخر كأنه مُفَسّر عن عبد الله بن نَهِيكٍ أو ابن أبي نَهِيكٍ: «أنه دخل على سعد وعنده مَتَاعٌ رَثٌّ، ومِثَالٌ رَثٌّ[(٢)]، فقال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ليس منا من لم يتغن بالقرآن**»[(٣)]. فذكره رثاثة المتاع والمثال عند هذا الحديث يبينك أنه إنما أراد الاستغناء بالمال القليل، وليس الصوت من هذا في شيء، ويبين ذلك حديث عبد الله: «مَن قرأ سورة آل عمران، فهو غني»[(٤)] ...»[(٥)].

هذا وللعلماء أقوال أخرى غير ما ذُكر في معنى التغني بالقرآن، منها:

قيل: إنَّ التغني من الغِناء؛ وهو تحسين الصوت وتزيينه بالقرآن، والترجيع بقراءته، والتغني بما شاء من الأصوات واللحون، وقد عزاه النووي إلى الشافعي وأصحابه، وأكثر العلماء من الطوائف، وأصحاب الفنون[(٦)].

قال القرطبي: «كذلك تأوَّله عبدُ الله بنُ أبي مُلَيكَةَ، قال عبد الجبار بنُ الورد: سمعتُ ابنَ أبي مُلَيكَةَ يقول: قال عُبيد الله بن أبي يزيد: مَّر بنا أبو لُبَابة، فاتَّبعناه حتى دخلَ بيتَه، فإذا رجلٌ رَثُّ الهيئة، فسمعتُه يقول: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لَيسَ مِنَّا مَن لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ**». قال فقلت لابن أبي مُلَيكَةَ: يا أبا محمد، أرأيت إذا لم يكن حسنَ الصوت؟ قال:

---

(١) انظر: **فضائل القرآن** (ص:٢١٠)، وانظر أيضاً: **غريب الحديث**، لأبي عبيد (٢/ ١٦٩).

(٢) قوله: «ومِثَالٌ رَثٌّ» أي: فِراشٌ خَلَقٌ. انظر: **النهاية في غريب الحديث** (٤/ ٢٩٥) مادة: «مثل».

(٣) أخرجه أبو عبيد في **فضائل القرآن** (ص٢٠٩)، والطبراني في **المعجم الكبير** (٥/ ٣٤)، وأبو داود في **السنن** (ح١٤٧١)، كلهم من طريق عبد الله أو عبيد الله بن أبي نهيك به. قال الألباني في **صحيح أبي داود** (٥/ ٢١٢): «إسناده حسنٌ صحيح».

(٤) أخرجه أبو عبيد في **فضائل القرآن** (ص٢٣٧)، عن عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن سليم بن حنظلة، عن ابن مسعود قال: فذكره بمثله. والأثر رجال إسناده ثقات، وسليم بن حنظلة ذكره ابن حبان في **الثقات** (٤/ ٣٣١).

(٥) انظر: **غريب الحديث** (٢/ ١٦٩).

(٦) انظر: **شرح النووي على صحيح مسلم** (٦/ ٧٨). وانظر أيضاً: **شرح صحيح البخاري**، لابن بطال (١٠/ ٢٥٨)، **وفتح الباري** (٩/ ٦٩)، **ومعالم السنن** (١/ ٢٩١)، **وتفسير القرطبي** (١/ ١١).

يُحَسِّنُهُ ما استطاع. ذكره أبو داود[١]»[٢].

قال الطبري: «الدليلُ على أن معنى الحديث: تحسينُ الصوت، والغناء المعقول الذي هو تحزين القارئ سامعَ قراءته، كما أنَّ الغناء بالشعر هو الغناءُ المعقولُ الذي يُطربُ سامعه: ما روى سفيان، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما أذنَ الله لشيء ما أذنَ لنبيٍّ حسن التَّرنُّم بالقرآن**»[٣]، ومعقول عند ذوي الحِجا أن التَّرنُّم لا يكون إلا بالصوت إذا حسَّنه المترنم وطرَّب به. وروي في هذا الحديث: «**ما أذنَ الله لشيء ما أذنَ لنبي حسنِ الصوت يتغنى بالقرآن يجهرُ به**». قال الطبري: وهذا الحديث من أبين البيان أنَّ ذلك كما قلنا، ولو كان كما قال ابنُ عيينة، يعني: يستغني به عن غيره، لم يكن لذكر حُسن الصوت والجهر به معنى. والمعروف في كلام العرب أن التغني إنما هو الغناء؛ الذي هو حُسنُ الصوت بالترجيع، وقال الشاعرُ:

تَغَنَّ بِالشِّعْرِ مَهْمَا كُنْتَ قَائِلَهُ ... إِنَّ الْغِنَاءَ بِهَذَا الشِّعْرِ مِضْمَارُ[٤]»[٥].

وقيل: إن معنى التغني بالقرآن: هو أن يجهر به[٦]. قال ابن الأثير[٧]: «وَقَدْ جَاءَ مُفَسَّرا فِي حَدِيثٍ آخَرَ «**مَا أَذِنَ اللهُ لشيءٍ كأذَنِه لنَبِيٍّ يَتَغَنَّى بالقرآنِ يَجْهُر بِهِ**»[٨]. قِيلَ: إنَّ قَوْلَهُ «يَجْهَر بِهِ» تَفْسير لِقَوْلِهِ: «يَتَغَنَّى بِهِ»[٩].

---

(١) أخرجه أبو داود في **السنن** (ح١٤٧١)، عن ابن أبي مُليكة به. قال الألباني في **صحيح أبي داود** (٥/ ٢١٢): «إسناده حسن صحيح».

(٢) انظر: **تفسير القرطبي** (١/ ١١).

(٣) أخرجه البخاري في **صحيحه** (ح٥٠٢٤)، بدون لفظة: «حسن التَّرنُّم». وأخرجه ابن عدي في **الكامل** (٧/ ٥٠٩)، عن أبي هريرة به. قال الألباني في **سلسلة الأحاديث الضعيفة** (١٤/ ٣٣٠): منكر بلفظ «الترنم»، أخرجه ابن عدي في **الكامل**.

(٤) البيت ذكره ابن منظور في **لسان العرب** (١٥/ ١٣٩)، مادة: «غنا»، ولم ينسبه لأحد.

(٥) انظر: **زاد المعاد** (١/ ٤٦٨)، و**شرح صحيح البخاري لابن بطال** (١٠/ ٢٥٩)، و**تفسير القرطبي** (١/ ١١).

(٦) انظر: **غريب الحديث**، للخطابي (١/ ٦٥٥)، و**النهاية في غريب الحديث** (٣/ ٣٩١)، و**شرح النووي** (٦/ ٧٨).

(٧) هو مجد الدين، أبو السَّعادات، المبارك بن محمد الشيبانّي الجزري، المَوْصِلِّي، المحدث، اللغوي، الأصولي، أصيب بالنقرس فبطلت حركة يديه ورجليه، ولازمه المرض إلى أن توفي سنة (٦٠٦هـ)، له «**النهاية في غريب الحديث**». انظر: **السير** (٢١/ ٤٨٨).

(٨) أخرجه البخاري في **صحيحه** (ح:٥٠٢٣)، ومسلم في **صحيحه** (ح:٧٩٣)، واللفظ له عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٩) انظر: **النهاية في غريب الحديث والأثر** (٣/ ٣٩١).

وقال الخطابي[(١)]: «والعرب تقولُ: سمعتُ فلاناً يُغَنّي بهذا الحديث، أي: يجهرُ بهِ، ويصرحُ ولا يورّي ولا يكني». وقال أبو عاصم: «أخذ بيدي ابن جريج ووَقَفني على أشعب الطماع، فقال: غَنّ ابنَ أخي مَا بلغَ من طَمعِك. فقال: بَلغ مِن طَمعي أَنَّهُ ما زُفَّتْ امرأةٌ بالمدينة إلا كسَحْتُ[(٢)] بَيْتي رجاءَ أَن يُهْدَى إليَّ». يَقُول: أَخبِر ابن أخي مجاهراً بذلك غير مُساترٍ، ومن هذا قَولُ ذِي الرُّمَّة:

أُحِبُّ المَكانَ القَفْرَ من أجْل أَنَّني ... بِهِ أَتَغنَّى باسمها غَيْرَ مُعْجِم[(٣)]

أي: أجهر بالصوت بذكرها لا أكني عنها حِذارَ كاشِحٍ أو خوفًا من رقيب، وعلى هذا تأوّل بعضُ العلماء قولَه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ليْسَ منّا مَن لم يتغنَّ بالقرآن**». أي: يَجْهَرُ بِهِ، وقد يُروى هذا التفسير مَرفوعاً أو موصولاً بحديث مرفوع، فكُلُّ من رفع صوته بشيءٍ ووالَى بِهِ مرَّةً بعْدَ أُخرى فصَوْتُه عند العرب غِناء»[(٤)].

وقيل: إنَّ معنى التغني بالقرآن: هو أن يَلهَجَ بتلاوته كما يَلهَجُ الناسُ بالغِناء والطَّرَب عليه، وإلى هذا المعنى ذَهَب ابنُ الأعرابيّ[(٥)]، وحسَّنَه ابن حجر[(٦)]. قال الخطابيُ: «أخبرني إبراهيمُ بن فِراسٍ قالَ: سألتُ ابنَ الأعرابيّ عن هذا[(٧)] فقالَ: «إنّ العرب كانت تتغَنَّى بالرُّكبَاني -وهو النَّشيد بالتَّمطِيط والمَدِّ- إذا رَكِبت الإبل، وإذا تبطَّحت عَلَى الأرْض، وإذا جَلَسَتْ في الأَفْنِية، وعلى أكثر أحوالها، فلما نزل القرآن أحبَّ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يكون القرآن هِجِّيراهُم[(٨)] مكان التغني بالركباني»[(٩)].

---

(١) هو أبو سليمان، حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطَّاب البستيّ، الخطَّابِيُّ، ينتهي نسبه إلى زيد بن الخطاب، ومن أهل «بست» من بلاد كابل، فقيه محدّث لغوي، من مصنفاته: «**غريب الحديث**»، (ت:٣٨٨هـ). انظر: **السير** (١٧/ ٢٣)، و**الأعلام** (٢/ ٢٧٣).

(٢) قوله: «كسحتُ» أي: كنسته. انظر: **الصحاح** (١/ ٣٩٨)، مادة: «كسح».

(٣) انظر: **ديوان ذِي الرُّمَّة** (٢/ ١١٧٢).

(٤) انظر: **غريب الحديث**، للخطابي (١/ ٦٥٥).

(٥) انظر: **معالم السنن** (١/ ٢٩١)، و**النهاية في غريب الحديث** (٣/ ٣٩١)، و**تفسير القرطبي** (١/ ١٣).

(٦) انظر: **فتح الباري** (٩/ ٧٠).

(٧) أي: عن معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ليسَ مِنّا مَن لم يتغَنَّ بالقُرآن**». انظر: **غريب الحديث**، للخطابي (١/ ٣٥٨).

(٨) يُقالُ: مَا زَالَ ذَلِكَ هِجِّيراه؛ أَي: دأبُهُ وشأنَهُ وَعَادَتَهُ. انظر: **لسان العرب** (٥/ ٢٥٤) مادة: «هجر».

(٩) انظر: **غريب الحديث**، للخطابي (١/ ٣٥٨).

وقيل: إنَّ معنى التغني بالقرآن: هو أن يتحزَّن به[١]. قال القرطبي: « أي: يَظهرُ على قارئه الحُزن -الذي هو ضد السرور -عند قراءته وتلاوته، ... ذهب إلى هذا جماعة من العلماء: منهم الإمام أبو حاتم محمد بنُ حِبَّان البُستي، واحتجوا بما رواه مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير، عن أبيه قال: «**رأيتُ رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يُصلي ولصدره أزيز كأزيز المِرجَل من البكاء**»[٢]. الأزيز -بزايين-: صوتُ الرعد وغَلَيانُ القِدر[٣]. قالوا: ففي هذا الخبر بيانٌ واضحٌ على أن المراد بالحديث التحزُّن»[٤]. وقد عزا الأزهري، والقاضي عياض، والنووي هذا القول إلى الإمام الشافعي[٥]، قال أبو منصور الأزهري[٦]: «وَأَمَّا الحَدِيث الآخر: «**مَا أذِن الله لشَيْء كأذَنِهِ لنبيٍّ يتغنَّى بِالْقُرْآنِ**»، فإن عبد الملك أَخْبرنِي، عَن الرَّبيع، عن الشَّافِعِي أَنه قَالَ: «معنَاهُ: تحزينُ القِرَاءَة وترقيقها»، ومما يحقِّق ذَلِك الحَدِيث الآخر: «**زيِّنُوا الْقُرْآن بِأَصْوَاتِكُمْ**»[٧]»[٨]، وبه فسَّر أبو عبيد قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَتَغَنَّى بالقرآنِ**». فقال: «إنما مذهبه عندنا تحزينُ القراءة»[٩].

وبعد هذا العرض للأقوال وأدلتها، يتبين -والله أعلم- أن **القول الراجح** الذي تطمئن إليه النفس هو ما اختاره الحافظ ابن حجر، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «والحاصل أنه يمكن الجمع بين

(١) انظر: **المعلم بفوائد مسلم** (١/ ٤٥٩)، و**شرح النووي على صحيح مسلم** (٦/ ٧٨)، و**كشف المشكل** (٣/ ٣٦٧).
(٢) أخرجه الإمام أحمد في **المسند** (٢٦/ ٢٣٨، ح١٦٣١٢)، وأبو داود في **السنن** (ح٩٠٤)، والنسائي في **السنن** (ح١٢١٤)، كلهم من طريق ثابت البناني، عن مطرف بن عبد الله به. قال الألباني في **صحيح سنن أبي داود** (٤/ ٥٩): «إسناده صحيح».
(٣) انظر: **لسان العرب** (١١/ ٦٢٢) مادة: «مرجل».
(٤) انظر: **تفسير القرطبي** (١/ ١٣).
(٥) انظر: **تهذيب اللغة** (٨/ ١٧٤)، و**المعلم بفوائد مسلم** (١/ ٤٥٩)، و**شرح النووي على صحيح مسلم** (٦/ ٧٨).
(٦) هو أبو منصور، محمد بن أحمد الأزهريُّ الهرويُّ، اللُّغويُّ، الشافعيُّ، كان رأساً فِي اللُّغَةِ وَالفِقهِ، من مصنفاته: «تهذيبُ اللُّغَةِ»، و«عِلَلُ القِرَاءاتِ»، (ت:٣٧٠هـ). انظر: **السير** (١٦/ ٣١٥)، و**طبقات المفسرين** (٢/ ٦٥).
(٧) أخرجه الإمام أحمد في **المسند** (٣٠/ ٤٥١، ح١٨٤٩٤)، وأبو داود في **السنن** (ح١٤٦٨)، والنسائي في **السنن** (ح١٠١٥)، وابن ماجه في **السنن** (ح١٣٤٢)، كلهم من طريق عبد الرحمن بن عوسجة، عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فذكر الحديث بمثله. قال الألباني في **صحيح سنن أبي داود** (٥/ ٢٠٨): «إسناده صحيح، وصححه ابن حبان، والحاكم والذهبي، وابن كثير».
(٨) انظر: **تهذيب اللغة** (٨/ ١٧٤).
(٩) انظر: **غريب الحديث** (٢/ ١٤٠).

أكثر التأويلات المذكورة، وهو أنه يحسن به صوته جاهراً به مترنماً على طريق التحزن، مستغنياً به عن غيره من الأخبار، طالباً به غنى النفس راجياً به غنى اليد، وَقَدْ نَظَمْتُ ذَلِكَ فِي بَيْتَيْنِ:

تَغَنَّ بِالقُرْآنِ حَسِّنْ بِهِ الصَّو ... تَ حَزِيناً جَاهِراً رَنِّمِ

وَاسْتَغْنِ عَنْ كُتبِ الأُلَى طَالِباً ... غِنَى يَدٍ وَالنَّفسِ ثُمَّ الزَمِ»[1]

❊ **الباب الثاني:** قال في ترجمته: «**بَابُ القِرَاءَةِ عَنْ ظَهْرِ القَلْبِ**[2]»[3]. ثم أورد تحته حديثاً واحداً ساقه بإسناده، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[٥٠٣٠] عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: «**يَا رَسُولَ الله جِئْتُ لِأَهَبَ لَكَ نَفْسِي، فَنَظَرَ إِلَيْهَا رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَصَعَّدَ النَّظَرَ إِلَيْهَا وَصَوَّبَهُ، ثُمَّ طَأْطَأَ رَأْسَهُ، فَلَمَّا رَأَتِ المَرْأَةُ أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ فِيهَا شَيْئًا جَلَسَتْ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ بِهَا حَاجَةٌ فَزَوِّجْنِيهَا، فَقَالَ: هَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَ: لَا وَالله يَا رَسُولَ الله، قَالَ: اذْهَبْ إِلَى أَهْلِكَ فَانظُرْ هَلْ تَجِدُ شَيْئاً؟ فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: لَا وَالله يَا رَسُولَ الله، مَا وَجَدتُ شَيْئاً، قَالَ: انظُرْ وَلَوْ خَاتَماً مِنْ حَدِيدٍ، فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ: لَا وَالله يَا رَسُولَ الله وَلَا خَاتَماً مِنْ حَدِيدٍ، وَلَكِنْ هَذَا إِزَارِي -قَالَ سَهْلٌ: مَا لَهُ رِدَاءٌ- فَلَهَا نِصْفُهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا تَصْنَعُ بِإِزَارِكَ؟ إِنْ لَبِسْتَهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا مِنْهُ شَيْءٌ، وَإِنْ لَبِسَتْهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ شَيْءٌ، فَجَلَسَ الرَّجُلُ حَتَّى طَالَ مَجْلِسُهُ ثُمَّ قَامَ، فَرَآهُ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُوَلِّياً، فَأَمَرَ بِهِ فَدُعِيَ، فَلَمَّا جَاءَ قَالَ: مَاذَا مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ؟ قَالَ: مَعِي سُورَةُ كَذَا، وَسُورَةُ كَذَا، وَسُورَةُ كَذَا عَدَّهَا، قَالَ:**

(١) انظر: **فتح الباري** (٩/ ٧٢).

(٢) قوله: «هَرِ القَلب»: أي: حِفْظُه عَن غَيْرِ كِتَابٍ، تَقُولُ: قرأتُ القرآنَ عَن ظَهْرِ قلبي؛ أَي: قرأتُه مِنْ حِفْظِي. انظر: **لسان العرب** (٤/ ٥٢٦) مادة: «ظهر».

(٣) انظر: **صحيح البخاري**، كتاب: **فضائل القرآن** (٦/ ١٩٢).

أَتَقْرَؤُهُنَّ عَن ظَهْرِ قَلْبِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: اذْهَبْ، فَقَدْ مَلَّكْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ».

الدراسة:

اختلف شُرَّاح الصحيح في بيان قصد الإمام البخاري من هذه الترجمة:

فذهب ابن حجر، والقسْطَلاني، وعبد الحق الهاشمي إلى أنَّ الإمام البخاري قصد من هذه الترجمة بيان مشروعية أو استحباب قراءة القرآن عن ظهر قلب، وأمَّا كونها أفضل من قراءة القرآن نظراً في المصحف فلم يتعرض لها في الترجمة[(١)].

وذهب ابن كثير والعيني إلى أن هذه الترجمة من الإمام البخاري مُشعِرةٌ بأنه يرى أن قراءة القرآن عن ظهر قلب أفضل من قراءته نظراً في المصحف[(٢)]، وفي ذلك يقول العيني: «البابُ مَذكُورٌ فِي بيان فَضَائِل القرآن، فكيف يقول[(٣)]: ولم يتَعَرَّض لكونها أفضل من القراءة نظراً؟ ولم يضع هذه التَّرْجَمَة إلا لبَيَان أَفضَلِيَّة القراءة نظراً»[(٤)]. وبالنظر إلى الحديث الذي أورده الإمام البخاري تحت التَّرجمة، وإلى شرحه يتبين -والله أعلم- أن الإمام البخاري لم يتعرض إلى الأفضلية بين قراءة القرآن نظراً أو عن ظهر قلب، وإنما تعرض إلى مشروعية أو استحباب قراءة القرآن عن ظهر قلب[(٥)]. وقد استدلَّ الإمام البخاري على ما ذهب إليه في الترجمة بحديث واحد، عن سهل بن سعد، ودلالته على الترجمة -كما قال الحافظ ابن حجر-: «هو ظاهرٌ فيما ترجم له؛ لقوله فيه: «**أتقرؤهُنَّ عن ظهر قلبك؟ قال: نعم**»... والحديث مطابقٌ لما

(١) انظر: **فتح الباري** (٩/ ٧٨)، و**انتقاض الاعتراض** (٢/ ٤١٤)، و**إرشاد الساري** (٧/ ٤٧٣)، و**لب اللباب** (٤/ ١٥٠).

(٢) انظر: **تفسير ابن كثير** (١/ ٦٨)، و**عمدة القاري** (٢٠/ ٤٦).

(٣) أي: الحافظ ابن حجر.

(٤) انظر: **عمدة القاري** (٢٠/ ٤٦).

(٥) الأفضلية في قراءة القرآن من المصحف نظراً أو عن ظهر قلب تختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، فإن كان القارئ من حفظه يحصل له من التدبر والتفكر وجمع القلب أكثر مما يحصل له من المصحف، فالقراءة من الحفظ أفضل، وإن استويا فمن المصحف أفضل، قال النووي: «والظاهر أن كلام السلف، وفعلَهم محمول على هذا التفصيل». وهو اختيار النووي، وابن حجر. وبسط الكلام في هذه المسألة ينظر إليه في: **التبيان** (ص١٠٠)، و**البرهان في علوم القرآن** (١/ ٤٦١)، و**فتح الباري** (٩/ ٧٨)، و**تفسير ابن كثير** (١/ ٦٩).

ترجم به، ولم يتعرض لكونها أفضل من القراءة نظراً»[(١)].

* **الباب الثالث:** وقال في ترجمته: «**بَاب اسْتِذْكَارِ القُرْآنِ وَتَعَاهُدِهِ**»[(٢)]. ثم أورد تحته ثلاثة أحاديث ساقها بإسناده، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[٥٠٣١] عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ القُرْآنِ، كَمَثَلِ صَاحِبِ الإِبِلِ المُعَقَّلَةِ، إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ**».

[٥٠٣٢] عَنْ عَبْدِ الله، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بِئْسَ مَا لِأَحَدِهِمْ أَن يَقُولَ نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ، بَلْ نُسِّيَ وَاسْتَذْكِرُوا القُرْآنَ، فَإِنَّهُ أَشَدُّ تَفَصِّياً مِن صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ**».

[٥٠٣٣] عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**تَعَاهَدُوا القُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّياً مِنَ الإِبِلِ فِي عُقُلِهَا**».

الدراسة:

أراد الإمام البخاري بهذه الترجمة حضَّ قارئ القرآن الكريم على أمرين؛ لكيلا ينساه:

الأول: اسْتِذْكَارِ القُرْآنِ، وهو: طلبُ ذُكْرِهِ -بضم الذَّال-، باسترجاعه في ذهنه.

والثاني: تعاهد القرآن، وهو: تجديد العهد به بملازمة تلاوته، وَتَحَفُّظِه وَترك الكَسَلِ عَن تكراره[(٣)].

وقد أورد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثلاثة أحاديث تشهد لما قصده من الترجمة:

- **الحديث الأول:** عن ابن عمر، ودلالته على الترجمة ظاهرة[(٤)].

(١) انظر: **فتح الباري** (٩/ ٧٨). وانظر أيضاً: **لب اللباب** (٤/ ١٥٠)، **وانتقاض الاعتراض في الرد على العيني** (٢/ ٤١٤).
(٢) انظر: **صحيح البخاري**، كتاب: **فضائل القرآن** (٦/ ١٩٣).
(٣) انظر: **فتح الباري** (٩/ ٧٩)، **وعمدة القاري** (٢٠/ ٤٧)، و+ (٧/ ٤٧٣).
(٤) انظر: **عمدة القاري** (٢٠/ ٤٧)، **ومنار القاري** (٥/ ٨٤)، **ولب اللباب** (٤/ ١٥٠).

- **الحديث الثاني**: عن عبد الله بن مسعود، ودلالته على الترجمة ظاهرة[١].

- **الحديث الثالث**: عن أبي موسى الأشعري، ودلالته على الترجمة ظاهرة[٢].

ووجه دلالة الأحاديث الثلاثة على الترجمة، قال ابن كثير: «ومضمون هذه الأحاديث الترغيب في كثرة تلاوة القرآن، واستذكاره وتعاهده؛ لئلَّا يُعرِّضَه حافظُه للنسيان، فإن ذلك خطأ كبير»[٣].

وقال ابن حجر: «وفي هذه الأحاديث الحضُّ على محافظة القرآن بدوامِ دراستِهِ، وتكرارِ تلاوته»[٤].

❊ **الباب الرابع**: وقال في ترجمته: «**بَاب القِرَاءَةِ عَلَى الدَّابَّةِ**»[٥]. ثم أورد تحته حديثاً واحداً ساقه بإسناده، فقال:

[٥٠٣٤] عن عَبْد الله بْن مُغَفَّلٍ، قَالَ: «**رَأَيْتُ رَسُولَ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَهُوَ يَقْرَأُ عَلَى رَاحِلَتِهِ سُورَةَ الفَتْحِ**».

الدراسة:

هذه الترجمة لها تعلق بما تقدم من استذكار القرآن وتعاهده[٦]، والإمام البخاري بهذه الترجمة، وما أورده تحتها قصد بيان أمرين، وهما:

-**الأمر الأول**: بيان جواز قِرَاءَة القرآن للراكب على الدَّابَّة[٧]، قال ابن بطَّال: «إنما

(١) انظر: **عمدة القاري** (٢٠/ ٤٧)، **ولب اللباب** (٤/ ١٥٠).
(٢) انظر: **عمدة القاري** (٢٠/ ٤٩)، **ولب اللباب** (٤/ ١٥٠).
(٣) انظر: **تفسير ابن كثير** (١/ ٧٢).
(٤) انظر: **فتح الباري** (٩/ ٨٣).
(٥) انظر: **صحيح البخاري**، كتاب: **فضائل القرآن** (٦/ ١٩٣).
(٦) انظر: **تفسير ابن كثير** (١/ ٧٤).
(٧) انظر: **عمدة القاري** (٢٠/ ٤٩)، **وإرشاد الساري** (٧/ ٤٧٤)، **ومنحة الباري** (٨/ ٣٠٦).

أراد بهذا الباب -والله أعلم- ليدلَّ أن القراءة على الدابة سنة موجودة، وأصل هذه السنة في كتاب الله، وهو قوله: ﴿ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ الآية [الزخرف:١٣]»[(١)].

-**الأمر الثاني**: الردُّ على مَن كره قِرَاءَة القرآن للراكب على الدَّابَّة[(٢)]، قال ابن حجر: «كَأَنَّهُ أَشَارَ إلى الرَّدِّ على مَن كَرِهَ ذلك، وقد نَقَلَهُ ابن أَبِي داوُدَ عن بعضِ السَّلَفِ»[(٣)]. قال النووي: «قال ابن أبي داود: حدثني أبو الربيع، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: «سألتُ مالكاً عن الرجل يُصلي من آخر الليل، فيخرج إلى المسجد، وقد بقي من السورة التي كان يقرأ فيها شيءٌ. قال: ما أعلمُ القراءةَ تكونُ في الطريق، وكره ذلك». وهذا إسناد صحيح عن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ»[(٤)].

قال العيني: «كَيفَ يُكْرَه، وأصلُ القِرَاءَة على الدَّابَّة مَوْجُودٌ فِي الْقُرْآن؟ قال عز وَجل: ﴿ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ ﴾[سورة الزخرف:٣١] الْآيَة»[(٥)]. وقد استدلَّ الإمام البخاري على ما ذهب إليه في الترجمة بحديث واحد، عن عبد الله بن مُغَفَّلٍ، ودلالته على الترجمة ظاهرة[(٦)]. ووجه دلالته: أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرأ في الطريق سورة الفتح وهو راكب على راحلته، مما يدل على جواز قراءة القرآن في الطريق.

❋ **الباب الخامس**: قال في ترجمته: «**بَابُ تَعْلِيمِ الصِّبْيَانِ القُرْآنَ**»[(٧)]. ثم أورد تحته حديثين ساقهما بإسناده، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

(١) انظر: شرح صحيح البخاري (١٠/ ٢٦٨).
(٢) انظر: فتح الباري (٩/ ٨٣)، وعمدة القاري (٢٠/ ٤٩)، ولب اللباب (٤/ ١٥٠).
(٣) انظر: فتح الباري (٩/ ٨٣).
(٤) انظر: التبيان في آداب حملة القرآن (ص٧٩).
(٥) انظر: عمدة القاري (٢٠/ ٤٩).
(٦) انظر: عمدة القاري (٢٠/ ٤٩)، ولب اللباب (٤/ ١٥٠).
(٧) انظر: صحيح البخاري، كتاب: فضائل القرآن (٦/ ١٩٣).

[٥٠٣٥] عَـن سَـعِيدِ بْـنِ جُبَـيْرٍ، قَـالَ: إِنَّ الَّـذِي تَدْعُونَـهُ الـمُفَصَّلَ[(١)] هُـوَ الـمُحْكَمُ، قَـالَ: وَقَـالَ ابْـنُ عَبَّـاسٍ: «**تُـوُفِّيَ رَسُـولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وَأَنَـا ابْـنُ عَـشْرِ سِـنِينَ، وَقَـدْ قَـرَأْتُ الـمُحْكَمَ**».

[٥٠٣٦] عَـن سَـعِيدِ بْـنِ جُبَـيْرٍ، عَـنِ ابْـنِ عَبَّـاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**جَمَعْـتُ الـمُحْكَمَ فِي عَهْـدِ رَسُـولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، **فَقُلْـتُ لَـهُ: وَمَـا الـمُحْكَمُ؟ قَالَ: «الـمُفَصَّلُ»**.

الدراسة:

أراد الإمام البخاري بهذه الترجمة وما أورده تحتها بيان أمرين، وهما:

- **الأمر الأول**: بيان جواز تعليم الصبيان القرآن[(٢)].

- **الأمر الثاني**: أشار الإمام البخاري بهذه الترجمة إلى الرَّد على مَن كره ذلك من السَّلف[(٣)].

قال العيني: «وقد جاءت كراهية ذلك عن سعيد بن جُبَير، وإبراهيمَ النَّخعِيّ، رواهُ ابن أبي دَاوُد عنهما، فلفظ سعيد بن جُبَير: «كَانُوا يحبونَ أَن يكون يقْرَأ الصَّبِي بعد حِين»، مَعْنَاهُ: أَن يُترك الصَّبِي أولاً مُرفهاً ثمَّ يُؤخذ بالجدِّ على التدريج، ولفظ إبراهيم: «كانوا يكْرهُونَ أَن يعلم الغُلَام القُرْآن حتَّى يعقل»[(٤)]. وقد استدلَّ الإمام البخاري على ما ذهب إليه في الترجمة بحديثين:

- **الحديث الأول**: عن ابن عباس، ودلالته على الترجمة ظاهرة.

---

(١) الـمُفَصَّلَ قيل هو: من أول سورة ق، أو من أول الحُجُرات، أو من أول الفتح، أو من أول سورة محمد على الاختلاف فيه إلى آخر القرآن، وسُمي مُفصَّلاً لكثْرة ما يقع فيه من فصول التسمية بين السور، وسُمي مُحْكَمًا؛ قيل: لأنَّه لا مَنسوخَ فيه، وليس المحكم ههنا المراد به ضِدَّ الـمُتشابه بل ضِدُّ المنسوخ. قال الكُوراني: «وليس بصواب؛ فإن قيام الليل في سورة المزمل نُسخ بالاتفاق، و﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [سورة الكافرون: ١] منسوخٌ عند طائفة، والصواب: أنه أراد بالمحكم: ما يقابل المتشابه». انظر: **الكواكب الدراري** (١٩/ ٣٧)، و**الكوثر الجاري** (٨/ ٤٠٦)، و**فتح الباري** (٩/ ٨٣).

(٢) انظر: **عمدة القاري** (٢٠/ ٤٩).

(٣) انظر: **فتح الباري** (٩/ ٨٣)، و**عمدة القاري** (٢٠/ ٤٩)، و**لب اللباب** (٤/ ١٥١).

(٤) انظر: **عمدة القاري** (٢٠/ ٤٩). وانظر أيضاً: **فتح الباري** (٩/ ٨٣).

- **الحديث الثاني**: عن ابن عباس، ودلالته على الترجمة ظاهرة. ووجه دلالة الحديثين على الترجمة قال ابن كثير: «وفيه دَلَالَةٌ على جوازِ تَعَلُّمِ الصِّبيَانِ القرآنَ؛ لأنَّ ابنَ عَبَّاسٍ أخبرَ عن سِنِّهِ حِينَ مَوتِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد كَانَ جَمَعَ المُفَصَّل -وهو من الحجرات-، وَعُمْرُهُ آنَذَاكَ عَشْرُ سِنِين»[(١)].

❋ **الباب السادس**: وقال في ترجمته: «**بَابُ نِسْيَانِ القُرْآنِ**[(٢)]، **وَهَلْ يَقُولُ: نَسِيتُ آيَةَ كَذَا وَكَذَا؟ وقَوْلِ الله تعالى**: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾[سورة الأعلى:٦-٧]»[(٣)]. ثم أورد تحته ثلاثة أحاديث ساقها بإسناده:

[٥٠٣٧] عن هِشَام، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: **سَمِعَ النَّبِيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **رَجُلاً يَقْرَأُ فِي المَسْجِدِ، فَقَالَ: «يَرْحَمُهُ اللهُ، لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا، آيَةً مِن سُورَةِ كَذَا». وعَنْ هِشَامٍ، وَقَالَ: «أَسْقَطْتُهُنَّ**[(٣)] **مِن سُورَةِ كَذَا»**.

[٥٠٣٨] عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: **سَمِعَ رَسُولُ الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **رَجُلًا يَقْرَأُ فِي سُورَةٍ بِاللَّيْلِ، فَقَالَ: «يَرْحَمُهُ اللهُ، لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا، آيَةً كُنْتُ أُنْسِيتُهَا مِنْ سُورَةِ كَذَا وَكَذَا»**.

[٥٠٣٩] عَنْ عَبْدِ الله، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بِئْسَ مَا لِأَحَدِهِمْ يَقُولُ: نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ، بَلْ هُوَ نُسِّيَ**[(٤)]**»**.

---

(١) انظر: **تفسير ابن كثير** (١/ ٧٤). وانظر أيضاً: **عمدة القاري** (٢٠/ ٤٩)، **ولب اللباب** (٤/ ١٥١).

(٢) قوله: «نِسْيَانِ القُرْآنِ»: قال الجوهري: « النِّسْيانُ بكسر النون : خلافُ الذِّكر والحفظ». قال الزَّبيدي: «قال شَيخنا أبو عبد الله محمد بن الطَّيِّب الفاسيّ : وهو لا يخلو عن تأمّلٍ، وأَكْثَر أَهْلِ اللغَةِ فَسَّرُوه بالتَّرْكِ، وهو المشهورُ عندَهُم، كما فِي «المَشارِقِ»، وغيرِهِ، وجَعَلَه فِي «الأساسِ» مجَازاً ... قُلت: قالَ الرَّاغبُ: النِّسْيانُ: تَرْكُ الإنسانِ ضَبْط ما اسْتُوْدِعَ؛ إمَّا لضَعْفِ قَلْبِه، وإمَّا عَن غَفْلَةٍ أَو عَن قَصْدٍ حَتَّى يَنْحَذِفَ عَن القَلْبِ ذِكْرُهُ، انتهى». انظر: **الصحاح** (٦/ ٢٥٠٨)، و**تاج العروس** (٤٠/ ٧٤) مادة: «نسي».

(٣) أي: بالنسيان، قال ابن حجر: «قوله في الرواية الثالثة: «كنت أُنسِيتها»: هي مفسرة لقوله: «أسقطتها»، فكأنه قال: أسقطتها نسياناً لا عمداً». انظر: **فتح الباري** (٩/ ٨٦).

(٤) قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بَلْ هُوَ نُسِّيَ**» بِضَم النُّون وَكسر السِّين، أي: أنه عُوقب بالنسيان على ذنب كان منه، أو على سوء تعهده القرآن والقيام بحقه حتى نسيه. انظر: **أعلام الحديث**، للخطابي (٣/ ١٩٤٦)، و**عمدة القاري** (٢٠/ ٤٨).

الدراسة:

هذه الترجمة من الإمام البخاري وما أورده تحتها مشعرة بأنه يرى أمرين:

الأمر الأول: يرى جواز أن يقول مَن نسي شيئاً من القرآن: نَسِيتُ آيةَ كذا وكذا، وأن النهي الوارد في الحديث ليس عن قول: نَسِيتُ آيةَ كذا وكذا، وإنما النهي عن تعاطي أسباب النسيان الداعية لقول هذا اللفظ[(١)]. أي: أنه من قبيل إطلاق المُسَبَّبِ وإرادة السَّبَب، وهو أسلوبٌ معروف في اللغة العربية[(٢)]. قال ابن حجر: «كأنه يريد أن النهيَ عن قول: نَسِيتُ آيةَ كذا وكذا ليس للزجر عن هذا اللفظ، بل للزجر عن تعاطي أسباب النسيان المقتضية لقول هذا اللفظ»[(٣)]. وقد ذهب النووي وغيره إلى كراهية أن يقول مَن نسي شيئاً من القرآن: نَسِيتُ آيةَ كذا وكذا[(٤)]، فقال: «يكره أن يقول: نسيتُ آية كذا، بل يقول: أُنْسِيتُهَا أو أسقطتها»[(٥)]. ولأن «ما فيه من الإشعارِ بعدم الاعتناءِ بالقرآن، إذ لا يقعُ النسيانُ إلا بترك التعاهُدِ وكثرة الغفلة، فلو تعاهَدَهُ بتلاوتِهِ والقيام به في الصلاة؛ لدامَ حِفظُهُ وَتَذَكُّرُهُ، فإذا قال الإنسانُ: نسِيتُ الآيةَ الفلانيةَ، فكأنهُ شَهِدَ على نفسه بالتفريط»[(٦)]. بينما جمع الحافظ ابن حجر بين القولين، فقال: «ويحتملُ أَن يَنزِلَ المنعُ وَالْإِبَاحَةُ عَلَى حالتين: فَمَن نَشَأَ نِسْيَانُهُ عَنِ اشتغالهِ بِأَمْرٍ دِينِيٍّ كالجهاد لَمْ يمتنع عليه قَوْلُ ذلك؛ لِأَنَّ النِّسْيَانَ لَمْ ينشأ عَنْ إهمالٍ دِينِيٍّ، وعلى ذلكَ يُحْمَلُ ما وَرَدَ مِن ذلك عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن نِسْبَةِ النِّسْيَانِ إلى نَفْسِهِ. وَمَن نَشَأَ نِسْيَانُهُ عن اشْتِغاله بأمرٍ دُنيَوِيٍّ -ولا سِيَّمَا إن كان محظوراً- امتنعَ عليه؛ لِتَعَاطِيهِ أَسْبابَ النِّسْيانِ»[(٧)].

(١) انظر: فتح الباري (٩/ ٨٥)، وعمدة القاري (٢٠/ ٥٠)، والأبواب والتراجم (٥/ ٤٥٠)، ولب اللباب (٤/ ١٥١).
(٢) انظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص٤٥١).
(٣) انظر: فتح الباري (٩/ ٨٥).
(٤) انظر: التبيان في آداب حملة القرآن (ص١٦٩)، والإتقان في علوم القرآن (١/ ٣٨٦)، وإكمال المعلم بفوائد مسلم (٣/ ١٥٤).
(٥) انظر: التبيان في آداب حملة القرآن (ص١٦٩).
(٦) انظر: فتح الباري (٩/ ٨١).
(٧) انظر: فتح الباري (٩/ ٨٥).

أمَّا **الأمر الثاني**: فإنَّ الإمام البخاري يرى أن «لا» في قوله تعالى ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾[سورة الأعلى:٦، ٧] للنفي، وهذا إخبارٌ من الله تعالى لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه سَيُقرِئُهُ قراءةً، وأنه لا ينساها إلا ما شاء الله أن ينساهُ ثم يتَذَكَّرَ بعد ذلك[(١)]. قال ابن حجر: «وقول الله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ هو مصيرٌ منهُ إلى اختيار ما عليه الأكثرُ أنَّ «لا» في قوله: ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ نافيةٌ، وأنَّ اللهَ أخبرهُ أَنَّهُ لا ينسى ما أقرأَهُ إيَّاهُ. وقد قيلَ: إنَّ «لا» ناهيةٌ، وإنما وقع الإشباعُ في السين؛ لِتَنَاسُبِ رؤوس الآية، والأَوَّلُ أكثر...»[(٢)].

هذا وقد استدلَّ الإمام البخاري بثلاثة أحاديث تشهد لما ترجم له، وهي:

- **الحديث الأول، والحديث الثاني**: كلاهما عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وفيهما دلالة على ما ذهب إليه في الآية، ووجه دلالتهما قال العيني: «من حيثُ إن معناهُ أَنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نسيَ كذا وكذا آية ثمَّ تذكرها. وقال ابن التِّين: «**وفِي الحَدِيث أَنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان ينسى القُرْآن ثمَّ يتذكره**»»[(٣)].

- **الحديث الثالث**: عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه دلالة على ما ذهب إليه في قول: نَسِيتُ آية كذا وكذا، ووجه دلالته قال عبد الحق الهاشمي: «من جهة أنَّ فيه ذِكْرَ النهي الذي أوَّلَه البخاريُّ»[(٤)].

❋ **الباب السابع**: وقال في ترجمته: «**بَابُ: مَن لَمْ يَرَ بَأْساً أَن يَقُولَ: سُورَةُ البَقَرَةِ، وَسُورَةُ كَذَا وَكَذَا**»[(٥)].

ثم أورد تحتها ثلاثة أحاديث ساقها بإسناده، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

---

(١) انظر: **فتح الباري** (٩/ ٨٥)، **وعمدة القاري** (٢٠/ ٥١)، **ونجاح القاري** (٢٢/ ١٦١).
(٢) انظر: **فتح الباري** (٩/ ٨٥). وانظر أيضاً: **تفسير القرطبي** (٢٠/ ١٨)، **وتفسير أبي حيان** (١٠/ ٤٥٦).
(٣) انظر: **عمدة القاري** (٢٠/ ٥١).
(٤) انظر: **لب اللباب في التراجم والأبواب** (٤/ ١٥١).
(٥) انظر: **صحيح البخاري**، كتاب: **فضائل القرآن** (٦/ ١٩٤).

[٥٠٤٠] عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنصَارِيِّ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ مَن قَرَأَ بِهِمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ**».

[٥٠٤١] عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ قال: «**سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، يَقْرَأُ سُورَةَ الفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ، فَإِذَا هُوَ يَقْرَؤُهَا عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ، لَمْ يُقْرِئْنِيهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكِدتُ أُسَاوِرُهُ فِي الصَّلَاةِ، فَانْتَظَرْتُهُ حَتَّى سَلَّمَ، فَلَبَبْتُهُ، فَقُلْتُ: مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ؟ قَالَ: أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ لَهُ: كَذَبْتَ، فَوَاللهِ إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُوَ أَقْرَأَنِي هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ. فَانطَلَقْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقُودُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ سُورَةَ الفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تُقْرِئْنِيهَا، وَإِنَّكَ أَقْرَأْتَنِي سُورَةَ الفُرْقَانِ، فَقَالَ: يَا هِشَامُ اقْرَأْهَا، فَقَرَأَهَا القِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَكَذَا أُنزِلَتْ، ثُمَّ قَالَ: اقْرَأْ يَا عُمَرُ، فَقَرَأْتُهَا الَّتِي أَقْرَأَنِيهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَكَذَا أُنزِلَتْ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ القُرْآنَ أُنزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ**».

[٥٠٤٢] عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «**سَمِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَارِئاً يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ فِي المَسْجِدِ، فَقَالَ: يَرْحَمُهُ اللهُ لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا آيَةً أَسْقَطْتُهَا مِن سُورَةِ كَذَا وَكَذَا**».

الدراسة:

كأنَّ الإمام البخاري أرادَ بهذه التَّرجمة الرَّد على مَن كَرِهَ ذلك من السَّلَف، وقال: لا يقال سورة البقرة، وإنما يُقال: السورة التي يذكر فيها البقرة، ونحو ذلك[(١)].

قال ابن كثير: «وكَرِهَ بعضُ السَّلَفِ ذلك، ولم يروا إلا أن يُقال: السُّورةُ التي يُذكرُ فيها كذا وكذا»[(٢)].

(١) انظر: **فتح الباري** (٩/ ٨٧)، **وعمدة القاري** (٢٠/ ٥٢)، **ولب اللباب** (٤/ ١٥٢)، **ونجاح القاري** (٢٢/ ١٦٥).
(٢) انظر: **تفسير ابن كثير** (١/ ٧٧). وانظر أيضاً: **شرح صحيح البخاري**، لابن بطال (١٠/ ٢٧١).

قال ابن حجر: «قلتُ: وقد جاء فيما يُوافِقُ ما ذَهَبَ إليه البعضُ المُشارُ إليه حديثٌ مرفُوعٌ عن أنسٍ رَفَعَهُ: «لا تَقُولوا سُورةُ البقرةِ ولا سورةُ آلِ عِمرانَ ولا سُورةُ النِّساءِ وكذلِك القُرآنُ كُلُّهُ». أخرجه أبو الحسين ابنُ قانِعٍ في «فوائده»، والطبراني في «الأوسط»[(١)]، وفي سَنَدِهِ عُبَيْسُ بن مَيْمُون العطَّار؛ وهو ضعيف، وأورده ابن الجوزي في «الموضُوعاتِ»، ونقلَ عن أحمدَ أنَّهُ قال: «هو حديثٌ مُنكَرٌ»[(٢)]. قلتُ: وقد تقدَّمَ ف باب تَأْلِيفِ القرآن حدِيثُ يَزِيدَ الفارسي، عن ابن عبَّاسٍ أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كان يَقُولُ: ضَعُوهَا فِي السُّورَةِ التي يُذْكَرُ فِيهَا كذا**»[(٣)]»[(٤)].

قال ابن كثير: «ولا شَكَّ أنَّ هذا أحْوطُ وأولى، ولكن قد صَحَّتِ الأَحَادِيثُ بالرُّخصةِ في الآخَرِ، وعليه عملُ النَّاسِ اليومَ في تَرْجَمَةِ السُّوَرِ في مَصاحِفهم»[(٥)].

قال ابن حجر: «وقد تمسَّكَ بالاحتياطِ المذكُورِ جماعةٌ مِنَ المفسرينَ منهم: أبو محمد ابن أبي حاتم، ومِن المتقدمين: الكلبيُّ، وعبد الرَّزَّاقِ، ونقلهُ القرطبيُّ في تفسيرِهِ عن الحكيم التِّرمذي أنَّ مِنْ حُرمةِ القرآن أن لا يُقال: سورة كذا، كقولك: سورة البقرة وسورة النَّحْل وسورة النساء، وإنما يُقال: السُّورةُ التي يُذْكَرُ فيها كذا، وَتَعَقَّبَهُ القُرطُبِيُّ بِأَنَّ حديثَ أَبِي مسعُودٍ يُعَارِضُهُ»[(٦)]. وما ذهب إليه الإمام البخاري في عدم كراهية قول: سورة البقرة ونحوها، هو قولُ جماهير علماء المسلمين من سلف الأمة وخلفها[(٧)]، وقد استدلَّ البخاري بثلاثة أحاديث تشهد لما ذهب إليه في الترجمة، وهي:

---

(١) انظر: **المعجم الأوسط**، للطبراني (٦/ ٤٧)، و**شعب الإيمان**، للبيهقي (٤/ ١٧٢).

(٢) انظر: **الموضوعات**، لابن الجوزي (١/ ٢٥٠).

(٣) أخرجه أبو داود في **السنن** (ح٧٨٦)، والترمذي في **السنن** (ح٣٠٨٦)، كلاهما من طريق يزيد الفارسي، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا به. قال الألباني في **ضعيف سنن أبي داود** (١/ ٣٠٦): «إسناده ضعيف؛ يزيد الفارسي ضعفه البخاري، والعسقلاني».

(٤) انظر: **فتح الباري** (٩/ ٨٧).

(٥) انظر: **تفسير ابن كثير** (١/ ٧٧).

(٦) انظر: **فتح الباري** (٩/ ٨٨).

(٧) انظر: **الأذكار**، للنووي (ص٢٠٨).

- **الحديث الأول**: حديث أبي مسعود الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ودلالته على الترجمة ظاهرة[١]. ووجه دلالته: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يقل: السورة التي يذكر فيها البقرة، وإنما قال: سورة البقرة، مما يدلُّ على جواز قول ذلك، وعدم كراهيته.

- **الحديث الثاني**: حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ودلالته على الترجمة ظاهرة[٢]. ووجه دلالته: أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يقل: السورة التي يذكر فيها الفرقان، وإنما قال: سورة الفرقان، وقد سمعه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم ينكر عليه، مما يدلُّ على جواز قول ذلك، وعدم كراهيته[٣].

- **الحديث الثالث**: حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ودلالته على الترجمة ظاهرة[٤]. ووجه دلالته: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يقل: السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وإنما قال: سورة كذا وكذا، مما يدلُّ على جواز قول ذلك، وعدم كراهيته.

قال ابن بطال في وجه الدلالة من الأحاديث الثلاثة: «في هذه الأحاديث ردُّ قول مَن يقول: إنه لا يجوز أن يقول سورة البقرة، ولا سورة آل عمران، وزعم أن الصواب في ذلك أن يقال: السورة التي يذكر فيها البقرة، ويذكر فيها آل عمران»[٥].

وبعد هذا العرض للقولين وأدلتهما، يتبين -والله أعلم- أن القول الراجح الذي تطمئن إليه النفس هو ما ذهب إليه الإمام البخاري، قال النووي: «وهو قولُ جماهير علماء المسلمين من سلف الأمة وخلفها، والأحاديثُ فيه عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثر من أن تحصر، وكذلك عن الصحابة فمن بعدهم»[٦].

(١) انظر: **لب اللباب في التراجم والأبواب** (٤/ ١٥٢).
(٢) انظر: **عمدة القاري** (٢٠/ ٥٣)، **وإرشاد الساري** (٧/ ٤٧٨).
(٣) انظر: **لب اللباب في التراجم والأبواب** (٤/ ١٥٢).
(٤) انظر: **لب اللباب في التراجم والأبواب** (٤/ ١٥٢).
(٥) انظر: **شرح صحيح البخاري**، لابن بطال (١٠/ ٢٧١).
(٦) انظر: **الأذكار**، للنووي (ص٢٠٨).

هذا وقد أجابَ الشِّهاب الخفاجي[1] عمَّا نُقل عن بعض السَّلف أنه كان يكره أن يقال: سورة البقرة، وسورة الدخان، والعنكبوت ونحو ذلك، فقال: «بأنه كان مكروهاً في بدء الإسلام وقبل الهجرة؛ لاستهزاء كفار قريش بذلك، وقد أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة: «أنّ المشركين قالوا: سورة البقرة، وسورة العنكبوت يستهزئون بهما، فنزل: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [سورة الحجر:٩٥] »[2]. ثم بعد سطوع نور الإسلام نسخ النهي عنه، فشاع من غير نكير، وورد في الحديث بياناً لجوازه»[3].

❋ **الباب الثامن:** قال في ترجمته: «**بَابُ: التَّرْتِيلِ فِي القِرَاءَةِ**[4]**، وَقَوْلِهِ تَعَالَى:** ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [سورة المزمل:٤]، **وَقَوْلِهِ:** ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ [سورة الإسراء:١٠٦]، **وَمَا يُكْرَهُ أَنْ يُهَذَّ كَهَذِّ الشِّعْرِ**[5]، ﴿فِيهَا يُفْرَقُ﴾ [سورة الدخان:٤]: **يُفَصَّلُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:** «﴿فَرَقْنَاهُ﴾ [سورة الإسراء:١٠٦]: **فَصَّلْنَاهُ**» »[6]. ثم أورد تحته حديثين ساقهما بإسناده:

[٥٠٤٣] عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: «**غَدَوْنَا عَلَى عَبْدِ اللهِ، فَقَالَ رَجُلٌ: قَرَأْتُ الْمُفَصَّلَ البَارِحَةَ، فَقَالَ: هَذّاً كَهَذِّ الشِّعْرِ! إِنَّا قَدْ سَمِعْنَا القِرَاءَةَ، وَإِنِّي لَأَحْفَظُ القُرَنَاءَ الَّتِي كَانَ يَقْرَأُ بِهِنَّ النَّبِيُّ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سُورَةً مِنَ الْمُفَصَّلِ، وَسُورَتَيْنِ مِنْ آلِ حم**».

[٥٠٤٤] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فِي قَوْلِهِ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [سورة القيامة:١٦]، قَالَ: « **كَانَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إِذَا نَزَلَ جِبْرِيلُ بِالوَحْيِ، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَهُ وَشَفَتَيْهِ، فَيَشْتَدُّ عَلَيْهِ، وَكَانَ يُعْرَفُ مِنْهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ الآيَةَ الَّتِي فِي:** ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ

(١) هو شهاب الدين، القاضي أحمد بن محمد الخفاجي المصري، صاحب التصانيف في الأدب واللغة، ولد ونشأ بمصر، من أشهر كتبه: «عناية القاضي وكفاية الراضي» حاشية على تفسير البيضاوي، (ت:١٠٦٩هـ). انظر: **الأعلام** (١/ ٢٣٨).

(٢) لم أجده في تفسير ابن أبي حاتم المطبوع، وقد أورده السيوطي في **الدر المنثور** (٥/ ١٠٤)، عن عكرمة.

(٣) انظر: **حاشية الشهاب على البيضاوي** (١/ ١٥٢). وانظر أيضاً: **تفسير الألوسي** (١/ ١٠١)، و**تفسير ابن عاشور** (١/ ٩٠).

(٤) قوله: التَّرْتِيلِ فِي القِرَاءَةِ» قال ابنُ الأَثِيرِ: «ترتيلُ القِرَاءَةِ: التأَني فيها والتّمهُّل، وتبيِين الحروفِ والحركاتِ». انظر: **النهاية في غريب الحديث** (٢/ ١٩٤) مادة: «رتل». وانظر أيضاً: **فتح الباري** (٩/ ٨٩).

(٥) «أي: يَسُرده. وسكِّيْن هَذوذٌ: قَطَّاعٌ». انظر: **الصحاح** (٢/ ٥٧٢)، و**لسان العرب** (٣/ ٥١٧) مادة: «هذذ».

(٦) انظر: **صحيح البخاري**، كتاب: **فضائل القرآن** (٦/ ١٩٤).

لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ ﴾ [سورة القيامة:١٦ ١٧] **فَإِنَّ عَلَيْنَا أَن نَجْمَعَهُ فِي** ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴾[سورة القيامة:١٧ ١٨] **فَإِذَا أَنزَلْنَاهُ فَاسْتَمِعْ** ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ﴾[سورة القيامة:١٩] ، **قَالَ: إِنَّ عَلَيْنَا أَن نُبَيِّنَهُ بِلِسَانِكَ، قَالَ: وَكَانَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ أَطْرَقَ، فَإِذَا ذَهَبَ قَرَأَهُ كَمَا وَعَدَهُ اللهُ».**

الدراسة:

بيَّن ابن حجر قصد الإمام البخاري من الترجمة فقال: «كأنه يشير إلى أن استحباب الترتيل لا يستلزم كراهة الإسراع، وإنما الذي يكرَهُ الهَذُّ؛ وهو: الإسراعُ المُفْرِطُ بالقراءة بحيثُ يَخْفَى كثيرٌ من الحروف، أو لا تَخْرُجُ من مخارجها»[(١)]. واستحباب الترتيل في القراءة هو محلُّ اتفاقٍ بين العلماء[(٢)]، أمَّا الهَذَّ المنتهي إلى لفِّ كلمات القرآن، وترك إقامة حروفه، فقد حكى القاضي عياض والنووي إجماع العلماء على أنه غير مستحسن ولا جائز[(٣)].

قال ابن حجر: «ودليلُ جوازِ الإسراعِ ... حديث أبي هريرة رَفَعَهُ «خُفِّفَ على داودَ القرآنُ، فكانَ يَأْمُرُ بدوابِّهِ فَتُسْرَجُ، فيفرغُ مِنَ القُرْآنِ قبل أَن تُسْرَجَ»[(٤)]»[(٥)]. قلتُ: وأصرحُ منه في جواز الهذِّ في القراءة بغير إفراط ما رواه عبد الله بن بريدة، عن أبيه قال: «مرَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أبي موسى ذات ليلة وهو يقرأ، فقال: لقد أُعطي من مزامير آل داود، فلما أصبح ذكروا ذلك له. فقال: لو كنت أعلمتني لَحَبَّرْتُ ذلك تَحْبِيراً»[(٦)].

قال القرطبي: «وهذا يدلُّ على أنه كان يَهذُّ في قراءته مع حسن الصوت الذي جُبِل عليه»[(٧)].

---

(١) انظر: **فتح الباري** (٩/ ٨٩).

(٢) انظر: **التبيان في آداب حملة القرآن** (ص٨٨).

(٣) انظر: **إكمال المعلم بفوائد مسلم** (٢/ ٣٥٩)، **والمجموع شرح المهذب** (٢/ ١٦٥).

(٤) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴾ (ح٣٤١٧).

(٥) انظر: **فتح الباري** (٩/ ٨٩).

(٦) أخرجه النسائي في **السنن الكبرى** (٧/ ٢٧٣)، والبيهقي في **شعب الإيمان** (٣/ ٤٦٧) كلاهما من طريق مالك بن مغول، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه به. قال البيهقي: «أخرجه مسلمٌ من وجه آخر عن مالك بن مغول دون قولِ أبي موسى». قال الألباني عن لفظ النسائي «وإسناده صحيح». انظر: **سلسلة الأحاديث الصحيحة** (٧/ ١٤٨٣).

(٧) انظر: **تفسير القرطبي** (١/ ١٢).

وقال ابن عبد البر: «وفي قولِ حفصةَ «فَيُرَتِّلُهَا، حتى تكونَ أطوَلَ مِنْ أطوَلَ منها»[(١)]، دليلٌ على إباحةِ الهذِّ؛ لأنه محالٌ أن تكونَ أطوَلَ مِنْ أطوَلَ منها إذا رُتِّلَتِ التي هي أطولُ منها مثل ترتِيلِهَا وإنما أرادت «أطولَ مِنْ أطولَ منها»: إِذَا حُدِرَت تلك وَهَذَّ بها قَارِئُها»[(٢)].

وقد استدل الإمام البخاري بآيتين، وحديثين فيها دلالة على ما ذهب إليه في الترجمة من استحباب التَّرْتِيلِ، وكراهية الهذّ المفرط في القراءة:

أمَّا الآيتين، فهما:

- **الآية الأولى**: قولهُ تَعَالَى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾[سورة المزمل: ٤]. قال ابن حجر: «كأنه يشير إلى ما ورد عن السَّلف في تفسيرها، فعند الطبري -بسند صحيح-، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ﴾ قال: «بعضه إثر بعض على تؤدة»، وعن قتادة قال: «بَيِّنه بياناً»[(٣)].

- **والآية الثانية**: قوله: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾[سورة الإسراء:١٠٦]. قال ابنُ عبَّاس: «﴿فَرَقْنَٰهُ﴾: فَصَّلْنَاهُ»[(٤)]. قال الكوراني: «وهو معنى الترتيل»[(٥)]. وقال ابن المنير: «قوله: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾.... لما أنزلهُ منجّماً مفرقاً ناسب هذا الأناة فِي تِلَاوَته، وهو معنى الترتيل»[(٦)].

وأمَّا قول البخاري: «﴿فِيهَا يُفْرَقُ﴾[سورة الدخان:٤]: يُفَصَّلُ». قال عبد الحق الهاشمي:

(١) أخرجه مسلم في **صحيحه**، في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها (ح٧٣٣).
(٢) انظر: **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد** (٦/ ٢٢٢).
(٣) انظر: **فتح الباري** (٩/ ٨٩).
(٤) قال ابن حجر: «وصله ابن جرير من طريق علي ابن أبي طلحة، عنه، وعند أبي عبيد من طريق مجاهد: «أنَّ رجلًا سألهُ عن رجلٍ قرأ البقرةَ وآل عمرانَ، ورجلٍ قرأ البقرةَ فقط قيامُهُمَا واحدٌ، ورُكُوعُهُمَا واحدٌ، وَسُجُودُهُمَا واحدٌ، فقال: الذي قرأ البقرة فقط أفضلُ، ثم تلا ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾». ومن طريق أبي حمزة: «**قلتُ لابن عباسٍ: إني سريعُ القراءةِ، وإني لأقرأُ القرآنَ في ثلاثٍ، فقال: لأن أقرأ البقرةَ أُرَتِّلُهَا فَأَتَدَبَّرُهَا خيرٌ مَنْ أن أقرأَ كما تقول**». وعند ابن أبي داود من طريق أخرى عن أبي حمزة: «**قلتُ لابن عباس: إني رجلٌ سريعُ القراءةِ، إني لأقرأُ القرآنَ في ليلة، فقال ابن عباس: لأن أقرأَ سورةً أحبُّ إليَّ، إن كُنتَ لا بدَّ فاعلاً فاقرأ قِرَاءَةً تُسْمِعُهَا أُذُنَيْكَ وَيُوعِهَا قلبُكَ**» انظر: **فتح الباري** (٩/ ٨٩).
(٥) انظر: **الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري** (٨/ ٤٠٩).
(٦) انظر: **المتواري على أبواب البخاري** (ص٣٩٦).

«ذكرها الإمامُ البخاري استطراداً؛ لتقوية معنى ﴿فَرَقَنَٰهُ﴾: بِفَصَّلْناه»[١].

وأمَّا الحديثين، فهما:

- **الحديث الأول**: حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ودلالته على الترجمة ظاهرة. ووجه دلالته: أنَّ ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنكر عليه قراءته للقرآن هذّاً، وهذا يقتضي استحباب الترتيل في قراءة القرآن[٢].

- **الحديث الثاني**: حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ودلالته على الترجمة ظاهرة، وتؤخذ من قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾[سورة القيامة:١٦][٣]. وفي وجه دلالته قال ابن حجر: «شاهد الترجمة منه: النهي عن تعجيله بالتلاوة، فإنه يقتضي استحباب التأني فيه، وهو المناسب للترتيل»[٤].

وقال ابن كثير في وجه الدلالة من الحديثين: «وفيه والذي قبله دليلٌ على استحباب ترتيل القراءة والترسُّل فيها، من غير هذْرمة، ولا سرعة مُفرطة، بل بتأمل وتفكر، قال الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾[سورة ص:٢٩]»[٥].

(١) انظر: لب اللباب في التراجم والأبواب (٤/ ١٥٣).
(٢) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم (٣/ ١٩٦)، وشرح النووي على صحيح مسلم (٦/ ١٠٥).
(٣) انظر: عمدة القاري (٢٠/ ٥٤)، ونجاح القاري في شرح صحيح البخاري (٢٢/ ١٧٢).
(٤) انظر: فتح الباري (٩/ ٩٠).
(٥) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٧٧).

❋ **الباب التاسع**: وقال في ترجمته: «**بَابُ مَدِّ القِرَاءَةِ**[1]»[2]. ثم أورد تحته حديثين ساقهما بإسناده:

[٥٠٤٥] عن قَتَادَةَ، قَالَ: سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، عَنْ قِرَاءَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «**كَانَ يَمُدُّ مَدّاً**».

[٥٠٤٦] عن قَتَادَةَ، قَالَ: سُئِلَ أَنَسٌ: كَيْفَ كَانَتْ قِرَاءَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ: «**اَنَتْ مَدّاً**»، **ثُمَّ قَرَأَ**: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [سورة الفاتحة:١] **يَمُدُّ بِبِسْمِ اللهِ، وَيَمُدُّ بِالرَّحْمَنِ، وَيَمُدُّ بِالرَّحِيمِ**».

الدراسة:

قصد الإمام البخاري بمَدّ القراءة في الترجمة المدَّ الأصلي، وهو: المَدّ الطبيعي[3]، فكأن الإمام البخاري أراد بيان أن المدّ الذي يُستحب عند قراءة القرآن هو المدّ الطبيعي.

وقد استدلَّ على ما أراده في الترجمة بحديثين كلاهما عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهما ظَاهِرا الدلالة على الترجمة مِن جهة ذكر المَدِّ فيهما[4]. ووجه دلالتهما: أن أنس أخبر فيهما عن صفة قراءة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للقرآن، وأنه كان يُمُدُّ الحرف الذي يستحق المد. قال الكوراني: «أراد

---

(١) قوله: «مَدُّ القِرَاءَةِ» المَدُّ هو: إطالة الصوت بحرف من حروف المد واللين. وهي ثلاثة: الألف، والواو الساكنة المضموم ما قبلها، والياء الساكنة المكسور ما قبلها، فإن فقدت الواو والياء شرطيهما بأن سكنتا وانفتح ما قبلهما كانتا حرفي لين فقط، وهذه الحروف الثلاثة مجموعة في لفظ «واي» وينقسم المدُّ إلى قسمين:
الأول: مدٌّ أصلي ويسمى بالمد الطبيعي ، وضابطه: ألا يقع بعد حرف المد همز أو سكون. ومقدار مدّه حركتان؛ والحركة هي بمقدار قبض الإصبع أو بسطه.
والثاني: مدٌّ فرعي، وضابطه: أن يقع بعد حرف المد همز أو سكون سواء كان السكون لازماً أو عارضاً. انظر: **هداية القاري إلى تجويد كلام الباري** (١/ ٢٦٦)، و**بغية المستفيد في علم التجويد** (ص٣١). هذا وقد عرَّف ابن حجر في **فتح الباري** (٩/ ٩١) المَدَّ الأصلي بأنه: «إشباع الحرف الذي بعده ألف أو واو أو ياء». قال الجعبري: «**وما قيل: إن المد الأصلي: إشباع الحرف الذي بعده ألفٌ أو واوٌ أو ياءٌ، فلا أصل له**». انظر: **الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري** (٨/ ٤١١).

(٢) انظر: **صحيح البخاري**، كتاب: **فضائل القرآن** (٦/ ١٩٥).

(٣) انظر: **لب اللباب في التراجم والأبواب** (٤/ ١٥٤). وانظر أيضاً: **فتح الباري** (٩/ ٩١)، و**نجاح القاري** (٢٢/ ١٧٢).

(٤) انظر: **عمدة القاري** (٢٠/ ٥٤)، و**نجاح القاري** (٢٢/ ١٧٣)، و**لب اللباب** (٥/ ١٥٤).

بهذا المدّ الأصلي الذي هو ذاتي لهذه الحروف، لا المدّ الفرعي الذي يكون عند ملاقاة هذه الحروف الهمزة والساكن»[١].

❊ **الباب العاشر**: وقال في ترجمته: «**بَابُ التَّرْجِيعِ**[٢]»[٣]. ثم أورد تحته حديثاً واحداً ساقه بإسناده:

[٥٠٤٧] عن عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ، قَالَ: «**رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ أَوْ جَمَلِهِ، وَهِيَ تَسِيرُ بِهِ، وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ الفَتْحِ -أَوْ مِنْ سُورَةِ الفَتْحِ- قِرَاءَةً لَيِّنَةً، يَقْرَأُ وَهُوَ يُرَجِّعُ**».

الدراسة:

سكت شُرَّاح الصحيح عن بيان قصد الإمام البخاري من هذه الترجمة، لكن بالنظر إلى الحديث الذي أورده تحتها، وما ذُكر في شرحه يتبين -والله أعلم-أنَّه أراد بيان جواز التَّرْجِيعِ في قراءة القرآن، وقد ذكر ابن العربي، والقرطبي استحسانَ كثِير مِن فُقَهَاءِ الأمصار القراءة بالتَّرْجِيعِ[٤]. قال القرطبي: «وأجاز ذلك طائفة منهم: أبو حنيفة وأصحابه، والشافعي وأصحابه، وابن المبارك، والنضر بن شميل، واختاره الطبري، وابن العربي وغيرهما»[٥]. وقال ابن قُدامة[٦]: «فأما تحسين القراءة والتَّرجيع، فغير مكروه»[٧]. وحملوا تَرْجِيعِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قراءته على ثلاثة أوجه، وهي:

---

(١) انظر: **الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري** (٨/ ٤١١).

(٢) قوله: «التَّرَجِيعِ» قال ابن الأثير: «التَّرَجِيعُ: تَرديدُ القِراءة، ومنه التَّرجِيعُ في الأَذانِ. وقيل هو: تَقارُبُ ضُروبِ الحَرَكات فِي الصَّوْت». وقال الزَّبيدي: «التَّرجيعُ: ترديدُ الصَّوتِ فِي الحلق في قراءةٍ، أو غِناءٍ، أو زَمْرٍ، أو غير ذلك مما يُتَرَنَّم بِهِ». انظر: **النهاية في غريب الحديث والأثر** (٢/ ٢٠٢)، و**تاج العروس** (٢١/ ٧٦) مادة «رجع»

(٣) انظر: **صحيح البخاري**، كتاب: **فضائل القرآن** (٦/ ١٩٥).

(٤) انظر: **أحكام القرآن** (٤/ ٤)، و**تفسير القرطبي** (١٤/ ٢٦٥).

(٥) انظر: **التذكار في أفضل الأذكار**، للقرطبي (ص١٥٩).

(٦) هو موفق الدين، أبو محمد، عبد الله بن محمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي ثم الدمشقيّ الصالحي، الحنبلي، فقيه، من أكابر الحنابلة، له تصانيف، منها: «المغني» شرح به مختصر الخرقي في الفقه، (ت: ٦٢٠هـ). انظر: **السير** (٢٢/ ١٦٥).

(٧) انظر: **المغني** (٢/ ١٢٨).

أولاً: إشباعُ المَدّ في موضعِه[(١)]، قال ابن حجر: «وهذا أشبهُ بالسياق؛ فإن في بعض طرقه: «لولا أن يجتمع الناس، لقرأت لكم بذلك اللحن»[(٢)]، أي: النغم»[(٣)].

ثانياً: تحسين الصوت بتلاوة القرآن، وهو نوع من التغني بالقرآن، قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة[(٤)] معنى الترجيع: «تحسين التلاوة لا ترجيع الغناء؛ لأن القراءة بترجيع الغناء تنافي الخشوع الذي هو مقصود التلاوة»[(٥)]. ويدلُّ عليه ما جاء في بعض ألفاظ الحديث عن عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ قَالَ: «قرأَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومَ فتحِ مَكَّةَ بِسُورَةِ الفَتْحِ، فما سَمِعْتُ قراءةً أحسَنَ منها يُرَجِّعُ»[(٦)].

ثالثاً: تكرير الآية، قال السخاوي[(٧)]: «ويجوز أن يكون الراوي أراد بقوله: «يرجِّع» أي: يكرر الآية أو بعضها»[(٨)]. وقال أبو بكر الطرطوشي[(٩)]: «وأمَّا التَّرجيع؛ فإن أراد به ترديد الكلمة؛ مثل أن يتلو آية تخويف أو تحزين، فيرددها خوفاً أو تخشعاً؛ فلا بأس به»[(١٠)]. وهو اختيار الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ[(١١)].

---

(١) انظر: **تفسير القرطبي** (١/ ١٦)، و**فتح الباري** (٩/ ٩٢)، و**إرشاد الساري** (٧/ ٣٤٦).

(٢) أخرجه ابن الجعد في **المسند** (ص١٧١) واللفظ له، وأبو عبيد في **فضائل القرآن** (ص١٥٩) والإمام أحمد في **المسند** (ح٢٠٨٥٨)، كلهم من طريق مُعَاوِيَة بْن قُرَّةَ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مُغَفَّلٍ: «**رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْفَتْحِ، وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ أَوْ عَلَى جَمَلِهِ وَهِيَ تَجْتَرُّ، وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفَتْحِ أَوْ مِن سُورَةِ الْفَتْحِ قِرَاءَةً لَيِّنَةً. قَالَ مُعَاوِيَةُ: لَوْلَا أَن يَجْتَمِعَ النَّاسُ عَلَيْنَا لَقَرَأْتُ لَكُمُ اللَّحْنَ. قَالَ: وَجَعَلَ يُرَجِّعُ**». وفي مسند أحمد دون لَفظ: «قِرَاءَةً لَيِّنَةً». قال محققو المسند: «إسناده صحيح على شرط الشيخين. أبو إياس: هو معاوية بن قرة».

(٣) انظر: **فتح الباري** (٩/ ٩٢).

(٤) هو أبو محمد، عبد الله بن سعد بن سعيد بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي، من العلماء بالحديث، مالكي، من كتبه «جمع النهاية» اختصر به **صحيح البخاري**، ويعرف بمختصر ابن أَبي جَمْرة، (ت:٦٩٥هـ). انظر: **الأعلام** (٤/ ٨٩).

(٥) انظر: **فتح الباري** (٩/ ٩٢).

(٦) أخرجه النسائي في **السنن الكبرى** (٧/ ٢٧٢)، من طريق شُعْبَة، عن أبي إياسٍ، عن عبد الله بن مُغَفَّلٍ به.

(٧) هو علم الدين، أبو الحسن، علي بن محمد الهمدانّي المصري السَّخاوي الشافعيّ، عالم بالقراءات، والأُصول، واللغة، والتفسير، من كتبه «مال القرء وكمال الإقراء »، (ت:٥٥٨هـ). انظر: **الوافي بالوفيات** (٢٢/ ٤٣)، و**الأعلام** (٤/ ٣٣٢).

(٨) انظر: **جمال القراء وكمال الإقراء** (ص٦٣٧).

(٩) هو أبو بكر، محمد بن الوليد بن خلف القرشي الفِهْرِيّ الأندلسي، الطرطوشي، وكان يُعرف فِي وقته بِابْنِ أَبِي رَندَقَه، لازم القاضي أَبا الوليد الباجِي وأخذ عنه مسائل الخلافِ، من كتبه: «الحوادث والبدع»، (ت:٥٢٠هـ). انظر: **السير** (١٩/ ٤٩٠).

(١٠) انظر: **الحوادث والبدع** (ص٩٥).

(١١) نقله عن الشيخ ابن باز، د. سعيد بن وهف القحطاني، انظر: **عظمة القرآن وتعظيمه وأثره في النفوس** (ص٧٩).

وقد استدلَّ الإمام البخاري على ما قصده من التَّرجمة بحديث واحد عَن عبد اللهَّ بن مُغَفَّلٍ، ودلالته على الترجمة ظاهرة[١]. ووجه دلالته: أنَّ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قرأ سُورَةَ الفَتْحِ فَرَجَّعَ فِيهَا، وفعله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هذا يدل على جواز قراءة القرآن بالترجيع.

قال ابن بطال: «وفى هذا الحديث من الفقه إجازة قراءة القرآن بالترجيع»[٢]. وقال ابن حجر: «وقد ثبت التَّرْجِيعُ في غير هذا الموضع، فأخرج الترمذي في الشمائل، والنسائي، وابن ماجه، وابن أبي داود -واللفظ له- من حديث أم هانئ: «**كنت أسمع صوت النبي** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **، وهو يقرأ، وأنا نائمةٌ على فراشي يُرَجِّعُ القرآن**»[٣]»[٤].

هذا وقد كرِهَ بعض العلماء التَّرْجِيعِ في قراءة القرآن والاستِماع إليه، قال القرطبي: «فمنع من ذلك وأنكره: مالك بن أنس، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، والقاسم بن محمد، والحسن، وابن سيرين، والنخعي، وكرهه أحمد بن حنبل، كما كرهه مالك -رحمهم الله-»[٥]. وقالوا عن حديث الباب: بأن التَّرجيع الوارد فيه لم يكن باختيار النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وإنما صدر هذا منه اضطراراً لهزِّ الناقة له[٦]. قال القرطبي: «ويحتمل أن يكون حكاية صوتهِ عند هَزِّ الرَّاحلَة، كما يعتري رافعَ صوته إذا كان راكباً من انضغاط صوته وتقطيعه لأجل هَزِّ المركوب، وإذا احتمل هذا فلا حُجَّةَ فيه»[٧].

---

(١) انظر: **عمدة القاري** (٢٠/ ٥٥)، **ولب اللباب في شرح التراجم والأبواب** (٤/ ١٥٣).

(٢) انظر: **شرح صحيح البخاري** (١٠/ ٢٧٥).

(٣) لم أعثر عليه فيما بين يدي من مصادر ابن أبي داود. وأخرجه نحو لفظ ابن أبي داود الطبراني في **المعجم الكبير** (٢٤/ ٤١١)، من طريق قَيْس بْن الرَّبِيعِ، عن هِلَالِ بنِ خَبَّابٍ، عن يَحْيَى بنِ جَعْدَةَ، عن أُمِّ هَانِئٍ نحوه. وفي إسناده قيس بن الربيع الأسدي، قال عنه ابن حجر في **تقريب التهذيب** (ص٤٥٧):«صدوق تغير لما كبر، وأدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدَّث به».

وأخرجه بدون لفظ «يُرَجِّعُ القرآن» الترمذي في **الشمائل المحمدية** (ص٢٦٠)، والنسائي في **السنن** (ح١٠١٣)، وابن ماجه في **السنن** (ح١٣٤٩)، كلهم من طريق مِسْعَر، عن أبي العَلاء، عن يَحْيَى بن جَعْدَة، عن أُمِّ هانِئٍ بنت أبي طالِبٍ، قَالَتْ: «**كُنتُ أَسْمَعُ قِرَاءَةَ النَّبِيِّ** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **بِاللَّيْلِ وَأَنَا عَلَى عَرِيشِي**». قال البوصيري في **مصباح الزجاجة** (١/ ١٥٩): «هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات».

(٤) انظر: **فتح الباري** (٩/ ٩٢).

(٥) انظر: **التذكار في أفضل الأذكار** (ص١٥٩).

(٦) انظر: **تفسير القرطبي** (١/ ١٦)، **وتفسير ابن كثير** (١/ ٧٩)، **والنهاية في غريب الحديث والأثر** (٢/ ٢٠٢).

(٧) انظر: **تفسير القرطبي** (١/ ١٦).

وقد أجاب ابن القيم عن هذا، فقال: «أن هذا التَّرجيع منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان اختياراً لا اضطراراً لهزِّ الناقة له، فإن هذا لو كان لأجل هَزِّ الناقة لما كان داخلاً تحت الاختيار، فلم يكن عبدُ الله بن مغفَّل يحكيه ويفعلُه اختياراً لِيُؤتسى به، وهو يرى هَزَّ الرَّاحلَة له حتى ينقطع صوتُه، ثم يقول: كان يُرجِّعُ في قراءته، فنسب التَّرجيع إلى فعله. ولو كان من هَزِّ الرَّاحلَة، لم يكن منه فعل يسمى ترجيعاً»[(١)].

ولابن حجر جواب آخر، فقال: «وهذا فيه نظر؛ لأن في رواية علي بن الجعد، عن شعبة عند الإسماعيلي: «... وهو يقرأ قراءة لينة. فقال: لولا أن يجتمع الناس علينا لقرأت ذلك اللحن»، وكذا أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن، عن أبي النضر، عن شعبة»[(٢)].

واستدلَّ مَن كَرِهَ التَّرجيع في قراءة القرآن بما رواه عمرو بن موسى، عن قتادة، عن عبد الرحمن بن أبي بكر، عن أبيه قال: «**كانت قراءةُ رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **المدَّ ليس فيها ترجيع**»[(٣)].

قال ابن عبد الهادي[(٤)]: «وهو حديث منكر، فإنه من رواية عمر بن موسى الوَجيهي، عن قتادة، وعمر هذا في عداد من يضع الحديث»[(٥)].

وبعد هذا العرض للقولين وأدلتهما يتبين -والله أعلم- أن **القول الراجح** الذي تطمئن إليه النفس هو القول الأول؛ لقوة ما استدلوا به، وضعف دليل القول الثاني؛ ولأن الترجيع في القراءة ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث أم هانئ السَّابق ولم يكن راكباً على ناقته،

---

(١) انظر: **زاد المعاد** (١/ ٤٦٥).

(٢) أخرجه أبو عبيد في **فضائل القرآن** (ص١٥٩). والحديث تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه الطبراني في **المعجم الأوسط** (٥/ ٨٦)، وابن عدي في **الكامل في ضعفاء الرجال** (٦/ ١٨)، كلاهما من طريق عُمَر بن مُوسَى، عن قتادة، عن عبد الرَّحمن بن أبي بكرة به. قال الألباني في **ضعيف الجامع الصغير** (ح٤٤٧٦): «موضوع».

(٤) هو جمال الدين، يوسف بن حسن بن أحمد بن عَبْد الهادي الدمشقي، الصالحي، الحنبلي، المعروف بابن المِبْرد، من فقهاء الحنابلة، من كتبه: «غاية السول إلى علم الأصول»، (ت:٩٠٩هـ). انظر: **الوافي بالوفيات** (٢٢/ ٤٣)، و**الأعلام** (٨/ ٢٢٥).

(٥) انظر: **هداية الإنسان إلى الاستغناء بالقرآن**، لابن عبد الهادي (ص٦٧٦).

لكن إن خرج التَّرجيع إلى تمطيطِ أهل الغناء، وترجيع أهل الكتاب، فإنه يكون غير جائز في قراءة القرآن، قال القرطبي: «قلت: وهذا الخلاف إنما هو ما لم يُبهم[(١)] معنى القرآن بترديد الأصوات وكثرة التَّرْجِيعَاتِ، فإن زاد الأمرُ على ذلك لا يُفْهَمُ معناهُ، فذلك حرام باتفاق»[(٢)].

❋ **الباب الحادي عشر**: وقال في ترجمته: «**بَابُ حُسْنِ الصَّوْتِ بِالقِرَاءَةِ لِلْقُرْآنِ**»[(٣)]. ثم أورد تحته حديثاً واحداً ساقه بإسناده، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[٥٠٤٨] عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: «**يَا أَبَا مُوسَى، لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَاراً مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ**[(٤)]».

الدراسة:

بيَّن القسْطَلاني قصد الإمام البخاري من هذه الترجمة، فقال: «بابُ استحبابُ حُسنِ الصَّوتِ بِالقِرَاءَةِ لِلقُرآنِ»[(٥)]. وقد حكى النووي إجماع العلماء من السَّلف والخلف على استحباب تحسين الصوت بقراءة القرآن؛ لكونه أوقع في القلب، وأشدَّ تأثيراً، وأرقَّ لسامعه، فإن لم يكن القارئ حسنَ الصَّوتِ، حَسَّنَهُ ما استطاعَ ما لم يخرج عن حدِّ القراءة بالتَّمطيطِ، فإن أفرط حتى زاد حرفاً، أو أخفاه فهو حرام، ومن جُملة تحسينه: أن يُراعيَ فيه قوانينَ النَّغَمِ، فإنَّ الحسنَ الصَّوتِ يزدادُ حُسْناً بذلك، وهذا إذا لم يخرج عن التجويد المعتبر عند أهل القراءات، فإن خرجَ عنها لم يَفِ تحسينُ الصوت بِقُبْحِ الأداء[(٦)].

استدلَّ الإمام البخاري على ما ذهب إليه في الترجمة بحديث واحد، عَنْ أَبِي مُوسَى

(١) في **تفسير القرطبي** (١/ ١٦): «يُفهم»، والمثبت يستقيم به المعنى.
(٢) انظر: **التذكار في أفضل الأذكار** (ص١٧١).
(٣) انظر: **صحيح البخاري**، كتاب: **فضائل القرآن** (٦/ ١٩٥).
(٤) قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مِزْمَاراً**» أي: صوتاً حسناً. انظر: **النهاية في غريب الحديث** (٢/ ٣١٢) مادة: «زمر».
(٥) انظر: **إرشاد الساري** (٧/ ٤٨١). وانظر أيضاً: **نجاح القاري** (٢٢/ ١٧٦)، و**عمدة القاري** (٢٠/ ٥٥).
(٦) انظر: **التبيان في آداب حملة القرآن** (ص١٠٩)، و**فتح الباري** (٩/ ٧٢)، و**إرشاد الساري** (٧/ ٤٨١)، و**الإتقان** (١/ ٣٧٢).

الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهو ظاهِر الدلالة على الترجمة. ووجه دلالته: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أثنى على حُسن صوت قراءة أبي موسى الأشعري للقرآن، وشبَّه حُسنَ صوتِهِ، وحلاوةَ نَغْمَته بصوتِ المِزْمَارِ[1].

❋ **الباب الثاني عشر:** وقال في ترجمته: «**بَاب مَنْ أَحَبَّ أَن يَسْمَعَ القُرْآنَ مِنْ غَيْرِهِ**»[2]. ثم أورد تحته حديثاً واحداً ساقه بإسناده، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٥٠٤٩] عَنْ عَبْدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اقْرَأْ عَلَيَّ القُرْآنَ**»، **قُلْتُ: آقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنزِلَ؟ قَالَ: «إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي»**.

الدراسة:

سكت شُرَّاح الصحيح عن بيان قصد الإمام البخاري من هذه الترجمة، لكن بالنظر إلى الحديث الذي أورده تحتها، وما ذُكر في شرحه يتبين -والله أعلم- أنه قصد بها: بيان استحباب استماع قراءة القرآن من الغير.

قال النووي: «وهذا متفقٌ على استحبابِهِ، وهو عادةُ الأخيارِ، والمتعبدينَ، وعبادِ اللهِ الصالحينَ»[3]. وذلك: أنَّ المُستمعَ للقرآن أقوى عَلَى التَّدَبُّرِ، ونفسُهُ أخلَى وَأنشَطُ لذلك مِنَ القَارِئِ؛ لاشتِغَالِهِ بِالقِرَاءَةِ وَأحكامها[4]. وقد استدلَّ الإمام البخاري على ما ذهب إليه في الترجمة بحديث واحد عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو ظاهر الدلالة على الترجمة. ووجه دلالته: قال العيني: «من حيث إنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَبَّ أن يسمع القرآنَ مِن غيرِهِ»[5].

وقال النووي: «وفي حديثِ ابنِ مسعودٍ هذا فوائِدُ منها: استِحبَابُ استِمَاعِ القِراءةِ

(١) انظر: **عمدة القاري** (٢٠/ ٥٦)، **ولب اللباب** (٤/ ١٥٤)، **والنهاية في غريب الحديث** (٢/ ٣١٢).
(٢) انظر: **صحيح البخاري**، كتاب: **فضائل القرآن** (٦/ ١٩٥).
(٣) انظر: **التبيان في آداب حملة القرآن** (ص١١٣).
(٤) انظر: **فتح الباري** (٩/ ٩٤).
(٥) انظر: **عمدة القاري شرح صحيح البخاري** (٢٠/ ٥٦).

والإصغاءِ لها، وَالبُكاءِ عندها وتدَبُّرِها واستِحبَابُ طلبِ القِراءةِ مِنْ غيرِهِ؛ ليستَمِعَ لهُ، وهو أبلغُ في التَّفَهُّمِ والتَّدَبُّرِ مِن قِرَاءَتِهِ بنفسِهِ ...»[(١)].

❊ **الباب الثالث عشر**: وقال في ترجمته: «**بَابُ قَوْلِ الْمُقرِئِ لِلقَارِئِ: حَسبُكَ**[(٢)]»[(٣)]. ثم أورد تحته حديثاً واحداً ساقه بإسناده، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[٥٠٥٠] عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: «**قَالَ لِي النَّبِيُّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **اقْرَأْ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، آقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنزِلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الآيَةِ** ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [سورة النساء:٤١]، **قَالَ: حَسْبُكَ الآنَ، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ**».

الدراسة:

لـمَّا كان يُتوهم مِن قطع المُقرئ على القارئ قراءته القرآن المنع عن الخير، وعدم احترام القرآن، أراد الإمام البخاري في هذه الترجمة بيان جواز قطع القراءة على القارئ إذا حدث على المُقرِئِ عذرٌ أو شغل بال[(٤)].

قال ابن المُنيّر: «مدخل هذه التَّرْجَمَة فِي الفقه: إزاحة الشُّبهة عَمَّن يستمع إلى قارئ قُرآن أو حديث، يعرض له مانع من ملل أو غيره، فلهُ أن يكف القارئ، ولا يخرج بكونهِ قطع عليه التِّلَاوَة، ولا يُعَدُّ فِيمن استخفَّ بكتاب الله؛ لأن الدّين يسرٌ»[(٥)].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «يجوز للإنسانِ أن يقولَ: حَسْبُكَ، أو كَفَى، أو ما أشبه ذلك،

(١) انظر: **شرح النووي على صحيح مسلم** (٦/ ٨٨).
(٢) قوله: «حَسْبُكَ» أي: يكفيك، يُقالُ: حَسْبُكَ دِرْهَمٌ، وحَسْبُكَ ذلك، أَي: كَفاكَ. انظر: **لسان العرب** (١/ ٣١١).
(٣) انظر: **صحيح البخاري**، كتاب: **فضائل القرآن** (٦/ ١٩٥).
(٤) انظر: **شرح البخاري**، لابن بطال (١٠/ ٢٧٨)، و**الأبواب والتراجم لصحيح البخاري** (٥/ ٤٥٦)، و**فيض الباري** (٥/ ٤٩٢).
(٥) انظر: **المتواري على أبواب البخاري** (ص٣٩٧).

لا يُقالُ: إنَّ هذا يدلُّ على أنَّ هذا الإنسانَ لا يريدُ القرآنَ والاستماعَ إليه، بل يُقالُ: إنَّ كلَّ شيءٍ له مُنتهى، وكلُّ شيءٍ له أجل، فقول الإنسانِ للقارئِ: يكفي، ما فيه مانعٌ»[1].

أمَّا وجه أمره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابن مسعود بقطع القراءة، قال ابن بطال: «لأن القراءة على نشاط المقرئ أولى؛ ليتدبر معاني القرآن، ويتفهم عجائبه، ويحتمل أن يكون أمره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقطع القراءة؛ تنبيهاً له على الموعظة والاعتبار في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [سورة النساء:٤١] الآية. ألا ترى أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكى عندها، وبكاؤه إشارة منه إلى معنى الوعظ»[2].

وقد استدلَّ الإمام البخاري على ما ذهب إليه في الترجمة بحديث واحد عَن ابن مسعود، وهو ظاهر الدلالة على الترجمة[3]. ووجه دلالته: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر ابن مسعود بقطع قراءته، لـمَّا عرض له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مانع، مما يدل على جواز قطع القراءة على القارئ إذا حدث على الـمُقرِئِ عذر. قال ابن هُبيرة: «وفيه من الفقه أنه يجوز لمن يقرأ عنده القرآن أن يقول للقارئ: حسبك»[4].

❊ **الباب الرابع عشر**: وقال في ترجمته: «**بَابٌ فِي كَمْ يُقْرَأُ القُرْآنُ، وقولُ اللهِ تَعَالَى**: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [سورة المزمل:٢٠]»[5].

ثم أورد تحته أثراً، وحديثين، الثاني منهما رواه من ثلاثة طرق عن عبد الله بن عمرو بن العاص، والكل ساقها بإسناده، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٥٠٥١] حدَّثنا عليٌّ، حدَّثنا سُفْيَانُ، قَالَ لِي ابنُ شُبْرُمَةَ: «**نَظَرْتُ كَمْ يَكْفِي الرَّجُلَ مِنَ**

(١) انظر: شرح صحيح البخاري (٦/ ١١٣).
(٢) انظر: شرح صحيح البخاري (١٠/ ٢٧٨).
(٣) انظر: عمدة القاري (٢٠/ ٥٦).
(٤) انظر: الإفصاح عن معاني الصحاح (٢/ ٥٠).
(٥) انظر: صحيح البخاري، كتاب: فضائل القرآن (٦/ ١٩٥).

القُرْآنِ[١]، فَلَمْ أَجِدْ سُورَةً أَقَلَّ مِن ثَلاَثِ آيَاتٍ[٢]، فَقُلْتُ: لاَ يَنبَغِي لِأَحَدٍ أَن يَقْرَأَ أَقَلَّ مِن ثَلاَثِ آيَاتٍ».

قال عليٌّ[٣]: حدَّثنا سُفْيَانُ، أخبرنا مَنصُورٌ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، أَخْبَرَهُ عَلْقَمَةُ، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ -وَلَقِيتُهُ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ -فَذَكَرَ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّهُ مَن قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ».

[٥٠٥٢] عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: «أَنكَحَنِي أَبِي امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ، فَكَانَ يَتَعَاهَدُ كَنَّتَهُ[٤]، فَيَسْأَلُهَا عَن بَعْلِهَا، فَتَقُولُ: نِعْمَ الرَّجُلُ مِن رَجُلٍ لَمْ يَطَأْ لَنَا فِرَاشاً، وَلَمْ يُفَتِّشْ لَنَا كَنَفاً[٥] مُنذُ أَتَيْنَاهُ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: القَنِي بِهِ، فَلَقِيتُهُ بَعْدُ، فَقَالَ: كَيْفَ تَصُومُ قَالَ: كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: وَكَيْفَ تَخْتِمُ؟ قَالَ: كُلَّ لَيْلَةٍ، قَالَ: صُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلاَثَةً، وَاقْرَأِ القُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ، قَالَ: قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ، قَالَ: صُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ فِي الجُمُعَةِ، قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ، قَالَ: أَفْطِرْ يَوْمَيْنِ وَصُمْ يَوْماً، قَالَ: قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ، قَالَ: صُمْ أَفْضَلَ الصَّوْمِ صَوْمَ دَاوُدَ صِيَامَ يَوْمٍ وَإِفْطَارَ يَوْمٍ، وَاقْرَأْ فِي كُلِّ سَبْعِ لَيَالٍ مَرَّةً، فَلَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذَاكَ أَنِّي كَبِرْتُ وَضَعُفْتُ، فَكَانَ يَقْرَأُ عَلَى بَعْضِ أَهْلِهِ السُّبْعَ مِنَ القُرْآنِ بِالنَّهَارِ، وَالَّذِي يَقْرَؤُهُ يَعْرِضُهُ مِنَ النَّهَارِ، لِيَكُونَ أَخَفَّ عَلَيْهِ بِاللَّيْلِ، وَإِذَا أَرَادَ أَن يَتَقَوَّى أَفْطَرَ أَيَّاماً وَأَحْصَى، وَصَامَ مِثْلَهُنَّ كَرَاهِيَةَ أَن يَتْرُكَ شَيْئاً، فَارَقَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: «وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فِي ثَلاَثٍ، وَفِي خَمْسٍ، وَأَكْثَرُهُمْ عَلَى سَبْعٍ».

---

(١) قال ابن حجر: «أي: في الصلاة». وتعقَّبه العيني، فقال: «قلتُ: ليس كذلك؛ بل مُرَادهُ: كم يكفيهِ في اليوم والليلة من قراءة القرآن مُطلقاً». انظر: **فتح الباري** (٩/ ٩٥)، و**عمدة القاري** (٢٠/ ٥٧).

(٢) قال القسَّطلاني: «وهي سورة الكوثر». انظر: **إرشاد الساري** (٧/ ٤٨٣).

(٣) قال ابن حجر: «هو علي بن المديني، وهو موصول من تتمة الخبر المذكور». انظر: **فتح الباري** (٩/ ٩٥).

(٤) قوله: «كَنَّتَهُ»: قال ابن حجر: «بفتح الكاف وتشديد النون، هي: زوج الولد». انظر: **فتح الباري** (٩/ ٩٥).

(٥) قولها: «وَلَمْ يُفَتِّشْ لَنَا كَنَفًا»: قال ابن حجر: «هو الستر والجانب، وأرادت بذلك الكناية عن عدم جماعه لها؛ لأن عادة الرجل أن يدخل يده مع زوجته في دواخل أمرها». انظر: **فتح الباري** (٩/ ٩٦).

[٥٠٥٣] عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فِي كَمْ تَقْرَأُ القُرْآنَ؟**».

[٥٠٥٤] عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اقْرَأِ القُرْآنَ فِي شَهْرٍ، قُلْتُ: إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً حَتَّى قَالَ: فَاقْرَأْهُ فِي سَبْعٍ وَلاَ تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ**».

الدراسة:

جعل الإمام البخاري ترجمة الباب مكونة من جزأين:

الجزء الأول: وأشار إليه بقوله: «فِي كَمْ يُقْرَأُ القُرْآنُ». وقد بيَّن القسَّطلاني قصد الإمام البخاري من هذا الجزء في الترجمة، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «في كم مُدَّة يَقرأُ القارئ القرآن كلَّه فيها»[(١)]. ولـمَّا تفاوتت مُدَدَ ختم القرآن المذكورة في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، لم يُحدِّد الإمام البخاري مُدَّة يُقْرَأُ فيها جميع القرآن، قال العيني: «ولم يبين فِيهِ الْمُدَّة؛ لأَنَّهُ لم يرد فِيهِ شَيء من الحَد المعين»[(٢)].

الجزء الثاني: وأشار إليه بقوله: «وقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾[سورة المزمل:٢٠]». وقد بيَّن ابن حجر قصد الإمام البخاري من هذا الجزء في الترجمة، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «كأنه أشار إلى الرَّد على مَن قال: أقل ما يجزئ من القراءة في كل يوم وليلة جزء من أربعين جزءاً من القرآن، وهو منقولٌ عن إسحاق بن رَاهوَيَة، والحنابلة؛ لأن عموم قوله: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ يشمل أقل من ذلك، فمن ادَّعى التحديد فعليه البيان»[(٣)]. وقال العيني: «أوردَ هذا فِي معرض الاستدلال على عدم التَّحدِيد فِي كمية القِرَاءَة»[(٤)].

وقد أورد البخاري أثراً، وحديثين تشهد لما ترجم له:

---

(١) انظر: **إرشاد الساري** (٧/ ٤٨٢). وانظر أيضاً: **عمدة القاري** (٢٠/ ٥٧)، و**نجاح القاري** (٢٢/ ١٨١).

(٢) انظر: **عمدة القاري** (٢٠/ ٥٧).

(٣) انظر: **فتح الباري** (٩/ ٩٥).

(٤) انظر: **عمدة القاري** (٢٠/ ٥٧). وانظر: **إرشاد الساري** (٧/ ٤٨٢)، و**نجاح القاري** (٢٢/ ١٨١)، و**لب اللباب** (٤/ ١٥٥).

أمَّا الأثر: فعن ابن شُبْرُمَةَ، وفيه دلالة على الجزء الثاني من الترجمة، ووجه دلالته: قال العيني: «من حيثُ إِنَّه إشارة إلى الكمية بثلاث آيات، ولكنهُ ليس بتحديد بحسب الوجوب، ولا بحسب السُّنة»[(١)].

وأمَّا الحديثين، فهما:

الحديث الأول: حديث أبي مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه دلالة ظاهرة على الجزء الثاني من الترجمة، ودلالته تُؤْخَذ من قَوْله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَن قَرَأَ بالآيتين**»[(٢)]. قال ابن بطال: «هو نصٌّ أن قارئ الآيتين داخل في: ﴿مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾»[(٣)]. ووجه دلالته: قال ابن حجر: «من جهة أنَّ الآية المُترجم بها تُنَاسِبُ مَا اسْتَدَلَّ بِهِ ابن عُيينة من حديث أبي مسعود، والجامع بينهما: أن كلاً من الآية والحديث يَدُلُّ على الاكتفاء؛ بخلاف ما قال ابنُ شُبْرُمَةَ»[(٤)].

قال عبد الحق الهاشمي: «فكأنه أورد أثرَ ابنِ شُبْرُمَةَ للرد عليه، وهذا من عادته: أنه أحياناً يورد الآثار للرد عليها، وأكثر ما يوردُها البخاري لتقوية ما ذهب إليه»[(٥)].

الحديث الثاني: وقد رواه من ثلاثة طُرق كلها عن عَبْدِ الله بنِ عَمْرو بن العاص، ودلالته على الجزء الأول من الترجمة ظاهرة، ودلالته تُؤْخَذ من قَوْله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الطريق الأول: «**كَيفَ تختم؟ قَالَ: كل لَيْلَة**»، ومن قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الطريق الثاني: «**كم تقْرَأ الْقُرْآن؟**»، **ومن قوله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **في الطريق الثالث**: «**فاقرأه فِي سبع**»[(٦)]. ووجه دلالته: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر عبد الله بن عمرو بأن يقرأ القرآن مرَّة في كل شهر، وعند ما أخبره بقدرته على قراءته في أقلَّ من ذلك أذن له بأن يقرأه مرَّة في كل سبع ليال.

(١) انظر: **عمدة القاري** (٢٠/ ٥٧).
(٢) انظر: **عمدة القاري** (٢٠/ ٥٧).
(٣) انظر: **شرح صحيح البخاري** (١٠/ ٢٨٠).
(٤) انظر: **فتح الباري** (٩/ ٩٥). وانظر أيضاً: **عمدة القاري** (٢٠/ ٥٧)، **ولب اللباب** (٤/ ١٥٥)، **ونجاح القاري** (٢٢/ ١٨١).
(٥) انظر: **لب اللباب في التراجم والأبواب** (٤/ ١٥٦).
(٦) انظر: **عمدة القاري** (٢٠/ ٥٨، ٥٩)، **ونجاح القاري** (٢٢/ ١٨٧، ١٨٩).

ولـمَّا كانـت الـمُدَدَ التـي أمـر النبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبـد الله بـن عمـرو بـن العـاص أن يختـم القـرآن فيهـا متفاوتـة، اختلـف العلـماء في الـمُدَّة التـي يُستحبُّ أن يُـختمَ ويُقـرأ القـرآنُ كلَّـه فيهـا عـلى أقـوال أشـهرها مـا يـأتي:

- **القـول الأول**: يُستحب ختـم القـرآن مـرَّة في كل ثـلاث ليـال، ويكـره ختمـه في أقـل مـن ذلـك، وقـد عـزاه النـووي إلى الكثيريـن مـن السَّـلف[(١)]. وقـال ابـن كثـير: «وقـد كـره غـير واحـد مـن السَّـلف قـراءة القـرآن في أقـل مـن ثـلاث، كـما هـو مذهـب أبي عبيـد، وإسـحاق، وابـن راهويـه، وغيرهـم مـن الخلـف»[(٢)]. وقـال ابـن حجـر: «وهـذا اختيـار أحمـد ...»[(٣)].

وقـال السُّـيوطي: «... ويليـه مَـن كان يختـم في كل ثـلاث، وهـو حسـن، وكـره جماعـات الختـم في أقـل مـن ذلـك»[(٤)]، واختـاره الذهبـي، والشـيخ ابـن بـاز، والألبـاني[(٥)]. واسـتدلوا عـلى أنـه يسـتحب ختـم القـرآن مـرَّة في كل ثـلاث ليـال بـما يـلي:

أولاً- عـن عبـد الله بـن عمـرو بـن العـاص قـال: قـال لي رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اقـرأ القـرآن في شـهر، قـال: إن بي قـوة، قـال: اقرأه في ثـلاث**»[(٦)].

ثانيـاً- عـن سـعد بـن المنـذر الأنصـاري، أنـه قـال: «يـا رسـول الله، أقـرأ القـرآن في ثـلاث؟ قـال: نعـم، إن اسـتطعت، فـكان يقـرؤُهُ كذلـك حتـى تـوفي»[(٧)]. واسـتدلوا عـلى كراهيـة ختـم القـرآن

---

(١) انظر: **التبيان في آداب حملة القرآن** (ص٥٩).

(٢) انظر: **تفسير ابن كثير** (١/ ٨٣).

(٣) انظر: **فتح الباري** (٩/ ٩٧). وانظر: **المغني** (٢/ ١٢٨).

(٤) انظر: **الإتقان في علوم القرآن** (١/ ٣٦١).

(٥) انظر: **سير أعلام النبلاء** (٨/ ٥٠٣)، و**فتاوى ابن باز** (١١/ ٣٥١، ٢٤/ ٤١٧)، و**أصل صفة صلاة النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢/ ٥٢١).

(٦) أخرجه أبو داود في **السنن** (ح١٣٩١)، عن عبد الله بن عمرو به. قال الألباني في **صحيح سنن أبي داود** (٥/ ١٣٦): «إسناده حسن صحيح».

(٧) أخرجه الإمام أحمد في المسند كما في **تفسير ابن كثير** (١/ ٨٢) ، وأبو عبيد في **فضائل القرآن** (ص١٧٩)، كلاهما من طريق ابن لهيعة، عن حبان بن واسع، عن أبيه، عن سعد بن المنذر الأنصاري به. قال ابن كثير في **تفسيره** (١/ ٨٢): «وهذا إسناد جيد قوي حسن، فإن حسن بن موسى الأشيب ثقة متفق على جلالته روى له الجماعة، وابن لهيعة إنما يخشى من تدليسه وسوء حفظه، وقد صرَّح هاهنا بالسماع».

في أقل من ثلاث ليال بما يلي:

* **أولاً**: عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يَفْقَهُ مَنْ قَرَأَ القرآنَ في أقلَّ مِنْ ثلاثٍ»(١).

* **ثانياً**: أنَّ مَن قرأ القرآن في أقل مِن ثلاث ليال الغالب أنه يهذُّه هذّاً، فلا يتدبره، ولا يفهم معاني ما يقرأ، والمقصود من القراءة التَّدبر والتأمل فيما يقرأ، كما قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [سورة ص:٢٩](٢).

- **القول الثاني**: يُستحب ختم القرآن مرَّة في كل سبع ليال، وقد عزاه النووي إلى الأكثرين من السلف(٣)، وقال السُّيوطي: «وهذا أوسط الأمور وأحسنها، وهو فعل الأكثرين من الصحابة وغيرهم»(٤). واختاره ابن تيمية، وقال: «كان الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ يقرؤه في كل سبع»(٥). واستدلوا بما يلي:

أولاً: بحديث عبد الله بن عمرو بن العاص الذي أورده الإمام البخاري، وفي بعض طرقه: «**فَاقْرَأْهُ فِي سَبْعٍ وَلَا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ**». قال ابن كثير: «فهذا السياق ظاهره يقتضي المنع من قراءة القرآن في أقل من سبع»(٦).

نوقش هذا الدليل: بأنه قد سبق أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد رَخَّصَ بقراءة القرآن في ثلاث ليال.

ثانياً: عن أوس بن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «... **قلنا: ما أَمْكَثَكَ عنا يا رسول الله؟ قال:**

(١) أخرجه الإمام أحمد في **المسند** (١١/ ٩١)، وأبو داود في **السنن** (ح١٣٩٤) واللفظ له، والترمذي في **السنن** (ح٢٩٤٩)، وابن ماجه في **السنن** (ح١٣٤٧)، عن عبد الله بن عمرو به. قال الألباني في **صحيح سنن أبي داود** (٥/ ١٣٨): «إسناده صحيح».
(٢) انظر: **مجموع فتاوى ابن باز** (٢٤/ ٤١٧).
(٣) انظر: **التبيان في آداب حملة القرآن** (ص٥٩).
(٤) انظر: **الإتقان في علوم القرآن** (١/ ٣٦١).
(٥) انظر: **مجموع الفتاوى** (١٣/ ٤٠٧). وانظر: **المغني** (٢/ ١٢٧).
(٦) انظر: **تفسير ابن كثير** (١/ ٨١).

طرأ عَلَيَّ حزبٌ من القرآن، فأردت ألا أخرج حتى أقضيه. قال: فسألنا أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين أصبحنا، قال: قلنا: كيف تحزبون القرآن؟ قالوا: نحزبه ثلاث سور، وخمس سور، وسبع سور، وتسع سور، وإحدى عشرة سورة، وثلاث عشرة سورة، وحزب المفصل من قاف حتى يختم»[(١)].

قال ابن تيمية: «وهذا الحديث يوافق معنى حديث عبد الله بن عمرو، في أن المسنون كان عندهم قراءته في سبع؛ ولهذا جعلوه سبعة أحزاب ولم يجعلوه ثلاثة ولا خمسة»[(٢)].

نوقش هذا الدليل: بما قاله الألباني: «إسناده ضعيف؛ ابن يعلى -هذا، وهو الطائفي- ضعَّفه الذهبي والعسقلاني»[(٣)].

ثالثاً: أن ختم القرآن مرَّة في كل سبع ليال كان يفعله عدد كثير من الصحابة والتابعين ومن بعدهم[(٤)].

- **القول الثالث**: أن المُدَّة التي يُختم بها القرآن غير مقدَّرة شرعاً، وأن مرد ذلك إلى حال القارئ من النشاط والضعف، والتدبر والغفلة، وقد عزا النووي هذا القول إلى أكثر العلماء[(٥)]. وقال الزَّركشي: «وعليه أكثر المحققين أن ذلك يختلف بحال الشخص في النشاط والضعف، والتدبر والغفلة»[(٦)]. وقال ابن كثير: «وقد ترخَّص جماعة من السَّلف في تلاوة القرآن في أقل من ذلك؛ منهم أمير المؤمنين عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»[(٧)]. وبه قال الإمام أحمد

(١) تقدم تخريجه في (ص٢٥١).
(٢) انظر: **مجموع الفتاوى** (١٣/ ٤٠٩).
(٣) انظر: **ضعيف أبي داود** (٢/ ٦٩).
(٤) انظر: **فضائل القرآن**، للقاسم بن سلام (ص١٧٧)، و**المصنف**، لابن أبي شيبة (٢/ ٢٤١)، و**التبيان في آداب حملة القرآن** (ص٦١).
(٥) انظر: **فتح الباري** (٩/ ٩٧).
(٦) انظر: **البرهان في علوم القرآن** (١/ ٤٧١).
(٧) انظر: **تفسير ابن كثير** (١/ ٨٣).

في روايةٍ عنه[١]، وهو ظاهر اختيار الإمام البخاري، واختاره النووي[٢]، واستدلوا بما يلي:

أولاً: استدلوا بما استدلَّ به أصحاب الأقوال السابقة من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، حيث أمره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولاً بأن يقرأ القرآن مرَّة في كل سبع ليالٍ، ثم تناقصه فأنقصه لـمَّا أخبره بقدرته على قراءته في أقلَّ من ذلك، وهذا يدلُّ على أنه ليس هناك مُدَّة محددة، بل هو على حسب نشاط القارئ وقوته.

قال أبو الوليد الباجي: «أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبد الله بن عمرو أن يختم في سبع أو ثلاث يُحْتَمَلُ أنه الأفضل في الجملة، أو أنه الأفضل في حق ابن عمرو؛ لِـمَا علم مِن ترتيله في قراءته، وعلم من ضعفه عن استدَامَتِهِ أكثَرَ مِمَّا حدَّ لهُ، وأمَّا مَن استطاع أكثر من ذلك فلا تمنع الزيادة عليه، وسُئِلَ مالكٌ عَنِ الرَّجُلِ يختم القرآن في كل ليلة، فقال: «ما أحسنَ ذلك! إنَّ القرآن إمامُ كل خير»»[٣].

ثانياً: هناك آثارٌ كثيرة مروية عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم في ختم القرآن، فمنهم من كان يختمه مرَّة في اليوم والليلة، ومنهم من كان يختمه أكثر من ذلك[٤].

ثالثاً: أن النهي عن قراءة القرآن في أقل من سبع أو ثلاث ليالٍ الوارد في الأحاديث السابقة ليس للتحريم، وإنما هو بالنظر الى حال المخاطب لضعفه وعجزه في الحال أو في المآل، أو المداومة على ذلك[٥].

مناقشة هذا القول: قال الألباني: «وهذا مخالفٌ لصريح قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن قرأ القرآن في أقل من ثلاث؛ لم يفقهه». وهذا نصٌّ عام شامل لجميع الأشخاص، وفيه التقدير

(١) انظر: **المغني** (٢/ ٦١٢).
(٢) انظر: **التبيان في آداب حملة القرآن** (ص٦١).
(٣) انظر: **البرهان في علوم القرآن** (١/ ٤٧١).
(٤) انظر: **فضائل القرآن**، لأبي عبيد (ص١٨١)، و**المصنف**، لابن أبي شيبة (٢/ ٥٠٢)، و**التبيان** (ص٥٩)، و**الإتقان** (١/ ٣٦٠).
(٥) انظر: **فتح الباري** (٩/ ٩٧)، و**لطائف المعارف**، لابن رجب (ص١٧١).

بثلاث ليال؛ فكيف يقال: إنه لا تقدير في ذلك؟! فقد ذكر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن كل مَن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث لا يفقهه، ولا يفهمه الفهم المقصود من تلاوة القرآن، كما قد أشار إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[سورة محمد:٢٤]...»[(١)].

وبعد هذا العرض للأقوال وأدلتهم، يتبين -والله أعلم- أن **القول الراجح** الذي تطمئن إليه النفس هو القول الأول؛ حيث جاءت أدلتهم نصية صريحة في استحباب ختم القرآن في ثلاث ليال، وكراهية ختمه في أقل من ذلك، وأمَّا من نقل عن السَّلف في ختم القرآن مرة وأكثر في اليوم والليلة، فقد أُجيب عنها بأجوبة، منها:

أولاً: أنه لم يبلغهم النهي عن ذلك.

ثانياً: أنهم كانوا يفهمون ويتفكرون فيما يقرؤونه مع هذه السرعة[(٢)].

ثالثاً: أنهم لم يحملوا النهي على المنع.

رابعاً:أنهم خصصوا النهي بمن ورد في حقه[(٣)].

خامساً: أنهم حملوا النهي على المداومة على ذلك، أمَّا في الأوقات المفضلة كشهر رمضان أو في الأماكن المفضلة كمكة فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن اغتناماً للزمان والمكان[(٤)].

(١) انظر: **أصل صفة صلاة النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢/ ٥٢١).
(٢) انظر: **تفسير ابن كثير** (١/ ٨٥).
(٣) انظر: **الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري** (١٩/ ٤٧)، و**فتح الباري** (٩/ ٩٧).
(٤) انظر: **لطائف المعارف**، لابن رجب (ص١٧١)، و**مجموع الفتاوى**، لابن تيمية (١٣/ ٤٠٧).

❊ **الباب الخامس عشر:** وقال في ترجمته: «**بَاب البُكَاء**[(١)] **عِنْدَ قِرَاءَةِ القُرْآنِ**»[(٢)]. ثم أورد تحته حديثين ساقهما بإسناده، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[٥٠٥٥] عَنْ عَبْدِ الله قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اقْرَأْ عَلَيَّ. قَالَ: قُلْتُ: أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي. قَالَ: فَقَرَأْتُ النِّسَاءَ حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ:** ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [سورة النساء:٤١] **قَالَ لِي: كُفَّ أَوْ أَمْسِكْ، فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَذْرِفَانِ**».

[٥٠٥١] عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اقْرَأْ عَلَيَّ. قُلْتُ: أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي**».

الدراسة:

هذه الترجمة ظاهرة البيان في الكشف عن قصد الإمام البخاري منها، حيث قصد بها -والله أعلم- بيان استحباب البُكَاء عند قراءةِ القُرْآنِ. قال أبو حامد الغزالي: «البُكَاءُ مُستحب مع القِرَاءَة وعندها»[(٣)]. وقال النووي: «ويُسْتَحَبُّ البُكَاءُ عند القراءةِ، وهي صفة العارفين، وشعار عباد الله الصالحين»[(٤)].

وأمَّا طريقة تحصيل البكاء، فقد قال أبو حامد الغزالي[(٥)]: «وطريقةُ فِي تحصيلِهِ: أن يحضر قلبه الحزن؛ بأن يتأمل ما فيه من التهديد، والوعيد الشديد، والمواثيق، والعهود ثم يتأمل

(١) قوله: «البُكَاءِ»: قال الجوهري: «البُكاءُ يُمَدُّ ويُقصُر؛ فإذا مَدَدْتَ أردتَ الصوتَ الذي يكونُ مع الْبُكَاءِ، وإذا قَصَرتَ أردتَ الدموعَ وَخُرُوجَهَا. قال الشاعر فِي قَصْرِهِ وَمَدِّهِ: بَكَتْ عَيْنِي وَحُقَّ لَهَا بُكَاهَا ... وَمَا يُغْنِي الْبُكَاءُ وَلَا الْعَوِيلُ». انظر: **الصحاح** (٦/ ٢٢٨٤)، **ولسان العرب** (١٤/ ٨٢) مادة: «بكى».

(٢) انظر: **صحيح البخاري**، كتاب: **فضائل القرآن** (٦/ ١٩٧).

(٣) انظر: **التبيان في آداب حملة القرآن** (ص٨٦).

(٤) انظر: **المجموع شرح المهذب** (٢/ ١٦٤). وانظر أيضاً: **الإتقان في علوم القرآن** (١/ ٣٧١)، **وفتح الباري** (٩/ ٩٨).

(٥) هو زينُ الدين، أبو حامد، محمد بن محمد الغَزَالي الطُّوسِي، الشافعي، حجة الإسلام، فيلسوف، متصوف، له نحو مائتي مصنف، منها: «إحياء علوم الدين»، و«تهافت الفلاسفة»، (ت:٥٠٥هـ). انظر: **السير** (١٩/ ٣٢٢)، **والأعلام** (٧/ ٢٢).

تقصيره في ذلك، فإن لم يَحْضُرْهُ حُزْنٌ وبُكاءٌ كما يحضر الخواص، فَلْيَبْكِ على فقد ذلك، فإنه من أعظم المصائب»[(١)].

استدلَّ الإمام البخاري على ما ذكره في الترجمة بحديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد رواه عنه من طريقين، وهو ظاهر الدلالة على التَّرجمة[(٢)]. ووجه دلالته: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكى عندما قرأ ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عليه قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[سورة النساء:٤١]، مما يدلُّ على استحباب البُكاء عند قراءة القرآن. قال النووي: «وفي حديثِ ابن مسعود هذا فوائد منها: استِحبابُ استماعِ القراءةِ والإصغاءِ لها، والبُكاءِ عندها وَتَدَبُّرِهَا...»[(٣)].

هذا وقد اختلف العلماء في سبب بُكَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

فقال ابن بطَّال: «وإنما بكى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند هذا؛ لأنه مَثَّلَ لنفسه أهوال يوم القيامة، وشدَّة الحال الداعية له إلى شهادته لأمته بتصديقه والإيمان به، وسؤاله الشفاعة لهم ليريحهم من طول الموقف وأهواله، وهذا أمر يحق له طول البكاء والحزن»[(٤)].

وقال الكُوراني: «قال صاحب «الكشاف»: «بكاؤه بكاء سرور؛ لشرف أمته بالشهادة على سائر الأمم». والأظهر أنَّه بكاء حزن على عباد الله المحكوم عليهم بالنار، ويدلُّ عليه قطع القراءة؛ إذ لو كان سروراً لازداد نشاطه»[(٥)]. وقال ابن حجر: «والذي يظهرُ أَنَّهُ بَكَى رحمةً لِأُمَّتِهِ؛ لأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّهُ لا بُدَّ أن يَشهَدَ عليهم بِعَمَلِهِمْ، وَعَمَلُهُمْ قد لا يكون مستقيماً، فقد يفضي إلى تعذيبهم، والله أعلم»

(١) انظر: التبيان في آداب حملة القرآن (ص٨٨).
(٢) انظر: عمدة القاري (٢٠/ ٦٠)، ونجاح القاري (٢٢/ ١٩١).
(٣) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٦/ ٨٨).
(٤) انظر: شرح صحيح البخاري (١٠/ ٢٨١). وانظر أيضاً: التذكار في أفضل الأذكار (ص١٩٩).
(٥) انظر: الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري (٨/ ٧٤).

❊ **الباب السادس عشر**: وقال في ترجمته: «**بَاب إِثْمِ مَن رَاءَى**[(١)] **بِقِرَاءَةِ القُرْآنِ أَوْ تَأَكَّلَ بِهِ**[(٢)]**، أَوْ فَجَرَ بِهِ**[(٣)]**»**[(٤)].

ثم أورد تحته ثلاثة أحاديث ساقها بإسناده، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[٥٠٥٧] عَن سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ، قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ البَرِيَّةِ**[(٥)]**، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لاَ يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَن قَتَلَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ**».

[٥٠٥٨] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ، وَيَقْرَؤُونَ القُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَنظُرُ فِي النَّصْلِ فَلَا يَرَى شَيْئاً، وَيَنظُرُ فِي القِدْحِ فَلَا يَرَى شَيْئاً، وَيَنظُرُ فِي الرِّيشِ فَلَا يَرَى شَيْئاً، وَيَتَمَارَى فِي الفُوقِ**».

[٥٠٥٩] عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**المُؤْمِنُ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ: كَالأُتْرُجَّةِ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَالمُؤْمِنُ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ، وَيَعْمَلُ بِهِ: كَالتَّمْرَةِ**

---

(١) قوله: «رَاءَى»: جاء في لسان العرب: «رَاءَيْت الرَّجُلَ مُراآةً ورِياءً: أَرَيْته أَنِّي عَلَى خِلَافِ مَا أَنا عَلَيْهِ». وقال الفيومي: «لرِّيَاءُ: وهو إظهَارُ العملِ للناسِ لِيَرَوْهُ وَيَظُنُّوا بِهِ خيراً، فالعملُ لغيرِ الله، نَعُوذُ بِالله مِنْهُ». انظر: **لسان العرب** (١٤/ ٢٩٦) مادة: «رأي»، **والمصباح المنير** (١/ ٢٤٦) مادة: «روي».

(٢) قوله: «أو تَأَكَّلَ بِهِ» أي: طَلَبَ الْأَكْلَ به، أي: بالقرآن. انظر: **فتح الباري** (٩/ ١٠٠)، **وعمدة القاري** (٢٠/ ٦١).

(٣) قوله: «أَوْ فَجَرَ بِهِ»: بالجيم في رواية الأكثرين من الفجور أي: مال عن الحق، وقال الباطل والكذب. وفي رواية: بالخاء المعجمة من الفَخْر، وهو: «التَّمَدُّح بالخِصَالِ، وعَدُّ القَدِيم، والـمُبَاهَاة بالـمَكَارِم مِن حَسَبٍ ونَسَب ... وقيلَ: الفَخْرُ: ادِّعاءُ العِظَم والكِبَرِ والشَّرَفِ». انظر: **مقاييس اللغة** (٤/ ٤٧٥)، **ولسان العرب** (٥/ ٤٧) مادة: «فجر»، **وتاج العروس** (١٣/ ٣٠٥)، **والنهاية في غريب الحديث** (٣/ ٤١٨) مادة: «فخر»، **وفتح الباري** (٩/ ١٠٠)، **وعمدة القاري** (٢٠/ ٦١)، **ومنحة الباري** (٨/ ٣١٩).

(٤) انظر: **صحيح البخاري**، كتاب: **فضائل القرآن** (٦/ ١٩٧).

(٥) قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ البَرِيَّةِ**»: قال ابن حجر: «هو من المقلوب، والمراد: من قولِ خيرِ البريَّة، أي: من قول الله، وهو المناسب للترجمة». انظر: **فتح الباري** (٩/ ١٠٠).

طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ: كَالرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ: كَالحَنظَلَةِ، طَعْمُهَا مُرٌّ -أَوْ خَبِيثٌ- وَرِيحُهَا مُرٌّ».

الدراسة:

هذه الترجمة ظاهرة البيان في الكشف عن قصد البخاري منها، فقد جعلها مكونة من ثلاثة أركان، قال عبد الحق الهاشمي: «هذه الترجمة لها ثلاثةُ أركان:

الأول: في بيان إثم من يريد الرِّياءَ والسُّمعة بالقراءة.

والثاني: في بيان [إثم] مَن اسْتَحصَلَ الدنيا بالقراءة.

والثالث: في بيان إثم مَن فَجَرَ بالقراءة[1]. استدلَّ البخاري على ما ذكره في الترجمة بثلاثة أحاديث، وهي:

- **الحديث الأول**: حديث علي، في ذكر الخوارج، ودلالة على الترجمة، قال العيني: «تُؤْخَذ من معنى الحَدِيث»[2].

- **الحديث الثاني**: حديث أبي سعيد الخدري، في ذكر الخوارج أيضاً، ودلالة على الترجمة، قال العيني: «مطابقته للتَّرجَمَة نحو مُطَابقَة الحَدِيث الَّذِي قبله»[3].

- **الحديث الثالث**: حديث أبي موسى الأشعري، قال ابن حجر: «وهو ظاهرٌ فيما تَرْجَمَ لهُ»[4].

قال ابن حجر: «فالأحاديث الثلاثة دالَّةٌ لأركان الترجمة؛ لأن منهم مَن رايا به وإليه

(١) انظر: **لب اللباب في التراجم والأبواب** (٤/ ١٥٦).
(٢) انظر: **عمدة القاري** (٢٠/ ٦١). وانظر أيضاً: **نجاح القاري** (٢٢/ ١٩٣).
(٣) انظر: **عمدة القاري** (٢٠/ ٦٢). وانظر أيضاً: **نجاح القاري** (٢٢/ ١٩٤).
(٤) انظر: **فتح الباري** (٩/ ١٠٠). وانظر أيضاً: **عمدة القاري** (٢٠/ ٦٢).

الإشارة في حديث أبي موسى، ومنهم مَن تأكل به وهو مُخْرَجٌ من حديثه أيضاً، ومنهم مَن فَجَرَ به وهو مُخْرَجٌ من حديث علي، وأبي سعيد»[(١)]. فالقراءة إذا لم تكن خالصة لله تعالى، فهي للمُراءاة، أو التَّأكُّلِ بها، أو أن يفجر أو يفخر بها.

❋ **الباب السابع عشر**: قال في ترجمته: «**بَاب اقْرَءُوا القُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ**[(٢)]»[(٣)].

ثم أورد تحته ثلاثة أحاديث ساقها بإسناده، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[٥٠٦٠] عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ الله، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**اقْرَءُوا القُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ**[(٤)]».

[٥٠٦١] عَنْ جُنْدَبٍ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اقْرَءُوا القُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ**».

[٥٠٦٢] عَنْ عَبْدِ الله: «**أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلاً يَقْرَأُ آيَةً سَمِعَ النَّبِيَّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَرَأَ خِلَافَهَا،**

---

(١) انظر: **فتح الباري** (٩/ ١٠٠). وانظر أيضاً: **لب اللباب في التراجم والأبواب** (٤/ ١٥٧).

(٢) قوله: «مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ»: أي: ما اجْتمعت عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ. يُقالُ: تَأَلَّفَ الْقَوْمُ تَأَلُّفاً: اجْتَمَعُوا. انظر: **تاج العروس** (٢٣/ ٣٧)، و**المصباح المنير** (١/ ١٨) مادة: «ألف». وانظر: **فتح الباري** (٩/ ١٠١).

(٣) انظر: **صحيح البخاري**، كتاب: **فضائل القرآن** (٦/ ١٩٧).

(٤) اختلف شُّراح الحديث في بيان معناه على أقوال يمكن حصرها في الآتي:

الأول: قال الطيبي: يعني اقرؤوه على نشاطٍ منكم وخواطركُم مجموعة، فإذا حصل لكم ملالة وتَفَرُّقُ القلوب فاتركوه، فإنَّهُ أعظمُ من أَن يقرأه أحدٌ من غير حُضُور القلب، يُقال: قام بالأمر؛ إذ جدَّ فيه وداوم عليه، وقام عن الأمر؛ إذا تركه وتجاوز عنه.

الثاني: قال القاضي عياض: يحتمل أن يكون النَّهي خاصاً بزمنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لئلا يكون ذلك سبباً لنزول ما يسوؤهم، كما في قوله تعالى: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [سورة المائدة:١٠١].

الثالث: يحتمل أن يكون المعنى: اقرؤوا والزموا الائتلاف على ما دلَّ عليه وقاد إليه، فإذا وقع الاختلاف أو عرض عارض شبهة يقتضي المنازعة الدَّاعية إلى الافتراق، فاتركوا القراءة، وتمسكوا بالـمُحكم الـمُوجب للألفة، وأعرضوا عن المتشابه المؤدِّي إلى الفرقة، وهو كقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فاحذرُوهم**».

الرابع: يحتمل: أنَّه ينهى عن القراءة إذا وقع الاختلافُ في كيفية الأداء؛ بأن يتفرقوا عند الاختلاف ويستمر كل منهم على قراءته، ومثله ما تقدَّم عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا لما وقع بينه وبين الصحابيين الآخَرين الاختلاف في الأداء، فترافعوا إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «**كلكم مُحْسِنٌ**»».

الخامس: يحتملُ أن يكون المرادُ بالائتلافِ: الاتفاق في فهم معاني القرآن، وبالاختلاف: اختلافهم في ذلك، فكأنه يقول: فإذا وقعَ الاختلافُ، وجاءت النوبةُ بضربِ الآياتِ بعضها ببعض، يتفرقوا. انظر: **فتح الباري** (٩/ ١٠١)، و**لب اللباب** (٤/ ١٥٧).

فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، فَانطَلَقْتُ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَقَالَ: كِلَاكُمَا مُحْسِنٌ فَاقْرَآ -أَكْبَرُ عِلْمِي-، قَالَ: فَإِنَّ مَن كَانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا فَأُهْلِكُوا».**

الدراسة:

جعل الإمام البخاري ترجمة الباب نصف حديث أورده تحتها[(١)]، وقد بيَّن الشيخ عبد الحق الهاشمي قصد الإمام البخاري من هذه التَّرجمة، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «غالبُ ظَنِّي: أنَّ مُرادَ الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه التَّرجمة: أنَّه ينبغي للقارئ أن يقرأَ القرآنَ ما دامَ ائتلافُ قلْبِه بالقرآن قائماً، فإذا وقعَ الاختلافُ -يعني: بملالِ القلب- قامَ، كأنه يقول: يقرأُ القرآنَ بالنشاط، فإذا ملَّ قام، ثم عاد لقراءة القرآن عند نشاط الطَّبعِ والقلب»[(٢)]. وقد أشارَ إلى هذا الكُوراني، فقال: «والمعنى: اقرؤوا القرآنَ ما دامت قلوبكم على نشاط وحضور، فإن قراءة مَن تفَرَّقت أفكاره كلا قراءة، وهو المراد من الائتلاف، وقد سلف نظيره في أبواب الصلاة من قوله: «**لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا**»[(٣)]»[(٤)].

وقراءة القرآن والنفس مُشتاقة إليه، مُقبلة عليه، مُتدبِّرَة لآياته، أعظمُ من قراءته والنفس منشغِلَةٌ، والقلب غير حاضر، وقد أصابه الملَلُ؛ لأنَّهُ لا يحصلُ المقصودُ من التلاوةِ؛ وهو التَّدبر.

قال الآجري[(٥)]: «وأُحِبُّ لمن أراد قِرَاءَةَ القُرْآنِ، مِن لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ ... إذا كانَ يقرأُ فأدركهُ النُّعَاسُ، فحكمُهُ أَن يقطَعَ القراءة حتى يَرْقُدَ، حتى يقرأهُ وهو يعقِلُ مَا يتلُوه»[(٦)]. وقال

(١) انظر: **الكوثر الجاري** (٨/ ٤١٩)، و**عمدة القاري** (٢٠/ ٦٢).
(٢) انظر: **لب اللباب في التراجم والأبواب** (٤/ ١٥٧).
(٣) **صحيح البخاري**، في كتاب: التهجد (ح١١٥١)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، دون قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ**».
(٤) انظر: **الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري** (٨/ ٤١٩).
(٥) هو أبو بكر، محمد بن الحسين البغدادي، الآجري، نسبته إلى «آجر» من قرى بغداد، فقيه شافعيّ محدث، له تصانيف كثيرة، منها: «أخلاق حملة القرآن»، و«كتاب الشريعة»، (ت: ٣٦٠هـ). انظر: **السير** (١٦/ ١٣٣)، و**الأعلام** (٦/ ٩٧).
(٦) انظر: **أخلاق أهل القرآن** (ص١٤٦).

السيوطي: «ويقطعُ القراءة إذا نعُس أو مَلَّ ...»[١]. وقد أورد الإمام البخاري ثلاث أحاديث تشهد لما ترجم له، وهي:

- **الحديث الأول، والثاني**: كلاهما عن جُنْدَبِ بن عبدِ اللهِ، ودلالتهما على التَّرجمة ظاهرة، إذ التَّرجمةُ هي عينُ الحديث. ووجه دلالتهما:

قال ابن كثير: «أنَّه أرشدَ وحَضَّ أُمَّتَهُ على تلاوةِ القرآن إذا كانتِ القلوبُ مجتمعةً على تلاوته، مُتَفكِّرَةً فيهِ، مُتدَبِّرَةً لهُ، لا في حالِ شُغلِهَا ومَلَالِهَا، فإنَّهُ لا يحصلُ المقصودُ من التلاوةِ بذلكَ، كما ثبتَ في الحديث أنه قال: «**اكْلَفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا**»[٢]»[٣].

- **الحديث الثالث**: عن عبد الله بن مسعود. ووجه دلالته: قال ابن كثير: «وهذا في معنى الحديث الَّذِي تَقَدَّمَهُ»[٤].

(١) انظر: **التحبير في علم التفسير** (ص٣٢١).
(٢) أخرجه أبو داود في **السنن** (ح١٣٦٨)، والنسائي في **السنن** (ح٧٦٢)، كلاهما من طريق ابن عجلان، عن سعيد المقبري، عن أبي سلمة، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا به. قال الألباني: «إسناده حسن صحيح». انظر: **صحيح أبي داود** (٥/ ١٠٩).
(٣) انظر: **تفسير ابن كثير** (١/ ٨٨).
(٤) انظر: **تفسير ابن كثير** (١/ ٨٨).

الخَاتِمَةُ

الحمد لله الذي وفقني للكتابة في هذا الموضوع، ويسَّر لي أسباب إتمامه وإنجازه، وقد توصَّلت بعد اكتماله إلى جملة من النتائج والتوصيات، أُجملها فيما يلي:

أولا: النتائج:

١- تبين أن الإمام البخاري قد أودع علمه، وفرَّقه في تراجم كتابه «الجامع الصحيح».

٢- أن الإمام البخاري مع التزامه على رواية الأحاديث الصحيحة في جامعه إلا أنه لم يُخله مِنَ الِاسْتِنْبَاطَاتِ الفِقْهِيَّةِ، والنُّكَتِ الحِكَمِيَّةِ، التي استخرجها من متون الأحاديث، وفرَّقها في أبواب الكتاب بحسب المناسب لها.

٣- تعرَّفت على منهج الإمام البخاري في تراجم أبواب كتابه «الجامع الصحيح»، من خلال الوقوف على منهجه في تراجم أبواب «كتاب فضائل القرآن».

٤- للإمام البخاري آراءٌ في بعض علوم القرآن نشرها في تراجم كتاب «فضائل القرآن» من الجامع الصحيح، وهي كالآتي:

- **أولا:** في مبحث الوحي: عقد له الإمام البخاري باباً واحداً قصد في ترجمته بيان:

١- كيفية نزول الوحي بالقرآن على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢- أن أول ما نزل من القرآن على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صدر سورة اقرأ.

- **ثانياً:** في مبحث نزول القرآن: عقد له الإمام البخاري بابين قصد في ترجمتهما بيان:

١- أن نزول القرآن لم يقتصر على لغة قريش، وإنما نزل بلغة قريش وسائر قبائل العرب.

٢- في الأحرف السبعة لم يكن للإمام البخاري رأيٌ في المراد بها، وإنما اكتفى ببيان على كم حرفٍ نزل القرآن.

- **ثالثاً:** في مبحث جمع القرآن:

أولاً: جمع القرآن في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحفظه في الصدور: عقد له الإمام البخاري بابين قصد في ترجمتهما بيان:

١- أن جبريل كان يستعرض ما أقرأه للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من القرآن في السَّنَةِ كلها.

٢- الذين اشتهروا بحفظ القرآن، والتصدي لتعليمه مِنْ أصحابِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في عهده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم سبعة: ابن مسعود، وسالم مولى أبي حُذيفة، ومعاذ بن جبل، وأُبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو زيد عَمُّ أنس بن مالك، وأبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

ثانياً: جمع القرآن في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكتابته في السطور: عقد له الإمام البخاري باباً واحداً قصد في ترجمته بيان أشهر كُتَّاب الوحي لرسوله الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخصهم؛ وهو زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثالثاً: جمع القرآن في عهد أبي بكر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عقد له الإمام البخاري باباً واحداً قصد في ترجمته: بيان كيفية جمع القرآن في عهدهما حيث جُمْع ما تفرق من القرآن في صُحُفٍ، ثم تُجمع تلك الصُّحُفِ في مُصحفٍ واحد، مرتب السور.

رابعاً: في مبحث ترتيب سور القرآن: عقد له الإمام البخاري باباً واحداً، قصد في ترجمته الإشارة إلى أن جمعَ السُّورِ مرتبة في المصحف كان باجتهاد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولم يكن بتوقيفٍ من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

خامساً: في مبحث فضائل القرآن الكريم:

أولاً: فضائل القرآن عموماً، عقد لها الإمام البخاري ستة أبواب، قصد في تراجمها بيان:

١- أن قراءة القرآن سببٌ في نزول السَّكينة والملائكة.

٢- الرد على مَن زَعَم مِن الرافضة أنَّ كثيراً من القرآن ذهب لذهاب حَـمَلَتِه.

٣- فَضلِ القُرْآنِ عَلَى سَائِرِ الكَلَامِ.

٤- أنَّ الْوَصِيَّةِ بِكِتَاب الله تعالى تكون بحفظه حِسّاً ومعنى.

٥- أن صاحب القرآن، وما هو فيه بفضل القرآن عليه من منزلة رفيعة، ودرجة عالية، يَغْتَبِطُ نفسه.

٦- فضل القرآن الكريم على مَن تعلَّمه وعلَّمه غيره، بأن جعل صاحبه من خير الناس وأفضلهم بعد النبيِّن.

ثانياً: فضائل سور مخصوصة من القرآن الكريم عقد لها الإمام البخاري ستة أبواب، قصد في تراجمها بيان:

فضل قراءة سورة الفاتحة، والبقرة، والكهف، والفتح، والإخلاص، وفضل الـمُعَوِّذَاتِ مجتمعة، وهي: الإخلاص، الفلق، الناس على غيرها من سور القرآن.

ثالثاً: مَن يتأمل الأبواب التي عقدها الإمام البخاري في فضائل بعض سور القرآن، وما أورده تحتها من أحاديث في فضائلها، يتبين له كأنه -والله أعلم- يُشير إلى تفضيل بعض القرآن على بعض.

سادساً: في مبحث آداب قراءة القرآن: نالَ آداب قراءة القرآن الحظَّ الأوفر والنصيب الأكثر من علوم القرآن التي تناولها الإمام البخاري في كتاب فضائل القرآن، فقد عقد له

سبعة عشر باباً قصد في تراجمها بيان:

١- أن التَّغَنِّيَ الوارد في الحديث يحمل على الاستغناء بالقرآن عن أخبار الأمم الماضية، والكتب السَّالفة، لا أنه يحمله على الغِناء الذي هو تحسين الصوت.

٢- مشروعية أو استحباب قراءة القرآن عن ظهر قلب، وأمَّا كونها أفضل من قراءة القرآن نظراً في المصحف فلم يتعرض لها في الترجمة.

٣- أن اسْتِذْكَارِ القُرْآنِ، وهو: طلبُ ذُكْرِهِ -بضم الذَّال-، يكون باسترجاعه في ذهن حافظه، وتعاهده يكون: بملازمة تلاوته، وَتَحفُّظِه وَترك الكَسَلِ عَن تكراره.

٤- جواز قِرَاءَة القرآن للراكب على الدَّابَّة الأمر، والردُّ على مَن كره ذلك.

٥- جواز تعليم الصبيان القرآن، والرَّدُ على مَن كره ذلك من السَّلف.

٦- جواز مَن نسي شيئاً من القرآن أن يقول: نَسِيتُ آيةَ كذا وكذا، وأن النهي الوارد في الحديث ليس عن قول: نَسِيتُ آيةَ كذا وكذا، وإنما النهي عن تعاطي أسباب النسيان الداعية لقول هذا اللفظ.

٧- عدم كراهية قول: سُورَةُ البَقَرَةِ، وَسُورَةُ كَذَا وَكَذَا، والرَّدُ على مَن كره ذلك من السَّلف.

٨- أن استحباب الترتيل لا يستلزم كراهة الإسراع، وإنما الذي يُكرَهُ الْهَذُّ؛ وهو: الإسراعُ المُفْرِطُ بالقراءة بحيثُ يَخْفَى كثيرٌ من الحروف، أو لا تَخْرُجُ من مخارجها.

٩- أنَّ المدَّ الذي يستحب عند قراءة القراءة هو المدّ الأصلي، أي: المدّ الطبيعي.

١٠- جواز التَّرْجِيعِ في قراءة القرآن.

١١- استحبابُ حُسنِ الصَّوتِ بِقِرَاءَةِ القُرآنِ.

١٢- استحباب استماع قراءة القرآن من الغير.

١٣- جواز قطع القراءة على القارئ إذا حدث على الـمُقرِئِ عذرٌ أو شغل بال.

١٤- لم يبين الإمام البخاري مُدَّة يُقْرَأُ فيها جميع القرآن، وإنما ردَّ على مَن قال: أقل ما يجزئ من القراءة في كل يوم وليلة جزء من أربعين جزءاً من القرآن؛ لأن عموم قوله: (فاقرءوا ما تيسر منه) يشمل أقل من ذلك، فمن ادَّعى التحديد فعليه البيان.

١٥- استحباب البُكَاء عند قراءةِ القُرْآنِ.

١٦- إثمُ مَن يريد بقراءة القرآن الرِّياءَ، أو اسْتَحصَلَ الدنيا بالقراءة، أو يفَجَرَ بالقراءة.

١٧- أنَّه ينبغي للقارئ أن يقرأَ القرآنَ ما دامَ ائتلافُ قلْبِه بالقرآن قائماً، فإذا وقعَ الاختلافُ -يعني: بمللِ القلب- قامَ.

ثانياً- التوصيات:

١- ما زالت تراجم أبواب كتب السنة بحاجة إلى دراستها؛ للوقوف على آراء مؤلفيها في علوم الشريعة، خصوصاً في علوم القرآن وتفسيره.

٢- هذا البحث ما هو إلا لبنة قصدت بها إبراز رأي الإمام البخاري في بعض علوم القرآن من خلال كتاب «فضائل القرآن»، وإلا هناك جوانب أخرى ما زالت بحاجة الى دراستها ونفض الغبار عنها؛ كـ:دراسة أقواله أو استنباطاته في التفسير من خلا تراجم أبواب كتابه «الجامع الصحيح».

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يكتب لهذا العمل القبول والانتفاع، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

المصادر والمراجع

١. **الأبواب والتراجم لصحيح البخاري**، محمد زكريا الكاندهلوي، ت: د. ولي الدين الندوي، دار البشائر الإسلامية، بيروت -لبنان، ط١، ١٤٣٣هـ.

٢. **الإتقان في علوم القرآن**، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ.

٣. **الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها**، د.حسن عتر، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ.

٤. **أحكام القرآن**، محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٣، ١٤٢٤هـ.

٥. **أخلاق أهل القرآن**، محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ، ت: محمد عمرو عبد اللطيف، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٣، ١٤٢٤هـ.

٦. **الأذكار**، يحيى بن شرف النووي، الجفان والجابي -دار ابن حزم للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٥هـ.

٧. **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، أحمد بن محمد القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط٧، ١٣٢٣هـ.

٨. **الاستذكار**، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، ت: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

٩. **أصل صفة صلاة النبي** ﷺ، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ.

١٠. **الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي**، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.

١١. **إِكْمَالُ الْمُعْلِمِ بِفَوَائِدِ مُسْلِم**، القاضي عياض بن موسى السبتي، ت: د. يَحْيَى إِسْمَاعِيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط١، ١٤١٩هـ.

١٢. **الإمام البخاري وفقه التراجم في جامعه الصحيح**، نور الدين محمد عتر الحلبي، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية بالكويت، العدد ٤، ١٤٠٦هـ.

١٣. **انتقاض الاعتراض في الرد على العيني في شرح البخاري**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، وصبحي بن جاسم السامرائي، مكتبة الرشد، الرياض -المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٣هـ.

١٤. **البحر المحيط في التفسير**، محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي، ت: صدقي محمد جميل، ط: دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠ هـ.

١٥. **البرهان في علوم القرآن**، محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط١، ١٣٧٦هـ.

١٦. **بغية المستفيد في علم التجويد**، محمّد بن بَلْبَان الحنبلي، اعتنى به: رمزي سعد الدين دمشقية، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٧. **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمد بن محمد الزَّبيدي، ت: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

١٨. **تاريخ بغداد**، أحمد بن علي الخطيب البغدادي، ت: د.بشار عواد، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٩. **التبيان في آداب حملة القرآن**، يحيى بن شرف النووي، ت: محمد الحجار، ط: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط٣، ١٤١٤هـ.

٢٠. **التحبير في علم التفسير**، للسيوطي، ت: د.فتحي عبدالقادر، دار العلوم، الرياض، ط١، ١٤٠٢هـ.

٢١. **التحرير والتنوير**، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤م.

٢٢. **التذكار في أفضل الأذكار، القرطبي**، بعناية: بشير عون، مكتبة دار البيان، دمشق، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٢٣. **تراجم أحاديث الأبواب**، د.علي الزبن، مجلة جامعة الإمام، العدد (٥)، ١٤١٢هـ.

٢٤. **تفسير ابن عاشور= التحرير والتنوير**.

٢٥. **تفسير أبي حيان = البحر المحيط في التفسير**.

٢٦. **تفسير الألوسي = روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**.

٢٧. **تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن**.

٢٨. **تفسير القرآن العظيم**، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، ت: سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ.

٢٩. **تفسير القرآن العظيم**، لابن أبي حاتم، ت: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز -المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤١٩هـ.

٣٠. **تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن**.

٣١. **تفسير فخر الدين الرازي = مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي**

٣٢. **تقريب التهذيب**، ابن حجر العسقلاني، ت: محمد عوامة، ط: دار الرشيد – سوريا، ط١، ١٤٠٦هـ.

٣٣. **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي، ت: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، ١٣٨٧هـ.

٣٤. **تهذيب الأسماء واللغات**، محيي الدين يحيى بن شرف النووي، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٣٥. **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، يوسف بن عبد الرحمن المزي، ت: د. بشار عواد، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ.

٣٦. **تهذيب اللغة**، محمد بن أحمد بن الأزهري، ت: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٣٧. **التوشيح شرح الجامع الصحيح**، جلال الدين السيوطي، ت: رضوان جامع رضوان، مكتبة الرشد – الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.

٣٨. **توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار**، محمد بن إسماعيل الصنعاني، ت: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٧هـ.

٣٩. **التوضيح لشرح الجامع الصحيح**، ابن الملقن عمر بن علي بن أحمد، ت: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق – سوريا، ط١، ١٤٢٩هـ.

٤٠. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، محمد بن جرير الطبري، ت: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، دار هجر للطباعة، ١٤٢٢هـ.

٤١. **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**، محمد بن

إسماعيل البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

٤٢. **الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي**، ت: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ.

٤٣. **جمال القراء وكمال الإقراء**، علم الدين السخاوي، ت: د. مروان العطيَّة، د. محسن خرابة، ط: دار المأمون للتراث، دمشق – بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

٤٤. **حاشية السيوطي على سنن النسائي**، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ.

٤٥. **حاشية الشِّهاب على تفسير البيضاوِي = عِناية القاضي وكفاية الرَّاضِي على تفسير البيضاوي**.

٤٦. **حديث الأحرف السبعة**، د. عبد العزيز قارئ، مؤسسة الرسالة، بيروت –لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ.

٤٧. **الحوادث والبدع، محمد بن الوليد**، أبو بكر الطرطوشي المالكي، ت: علي الحلبي، دار ابن الجوزي، ط٣، ١٤١٩هـ.

٤٨. **الدر المنثور**، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط: دار الفكر، بيروت.

٤٩. **دراسات في علوم القرآن الكريم**، د. فهد الرومي، ط١٢، ١٤٢٣هـ.

٥٠. **ديوان ذي الرمة شرح أبي نصر الباهلي رواية ثعلب**، أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي، ت: عبد القدوس أبوصالح، مؤسسة الإيمان، جدة، ط١، ١٤٠٢هـ.

٥١. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، محمود بن عبد الله الألوسي، ت: علي عبد الباري عطية، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.

٥٢. **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ابن قيم الجوزية، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢٧ـ.

٥٣. **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، محمد ناصر الدين الألباني، ط: مكتبة المعارف، الرياض، ط١.

٥٤. **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**، محمد ناصر الدين الألباني، ط: دار المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢هـ.

٥٥. **السنن الكبرى**، أحمد بن شعيب النسائي، ت: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

٥٦. **السنن**، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية –فيصل عيسى البابي الحلبي.

٥٧. **السنن**، أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

٥٨. **السنن**، النسائي، ت: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ.

٥٩. **السنن**، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، ت: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢هـ.

٦٠. **السنن**، محمد بن عيسى الترمذي أبو عيسى، ت: أحمد محمد شاكر (جـ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ٣)، وإبراهيم عطوة (ج ٤، ٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ.

٦١. **سير أعلام النبلاء**، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ.

٦٢. **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، محمد بن محمد بن مخلوف، علق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ.

٦٣. **شرح رياض الصالحين**، محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.

٦٤. **شرح صحيح البخاري**، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد -السعودية، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ.

٦٥. **شرح صحيح البخاري**، محمد بن صالح العثيمين، المكتبة الإسلامية، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ.

٦٦. **شعب الإيمان**، أبو بكر البيهقي، ت: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، ط: مكتبة الرشد، الرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط١، ١٤٢٣ه.

٦٧. **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط٤، ١٤٠٧ه.

٦٨. **صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله** ﷺ **وسننه وأيامه**.

٦٩. **صحيح البخاري بحاشية السندي**، محمد بن عبد الهادي السندي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٠. **صحيح سنن أبي داود**، الألباني، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ١٤٢٣هـ.

٧١. **صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله** ﷺ .

٧٢. **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**، الألباني، بإشراف: زهير الشاويش، ط: المكتب الإسلامي.

٧٣. **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار مكتبة الحياة – بيروت.

٧٤. **طبقات المفسرين، محمد بن علي الداوودي**، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية – بيروت.

٧٥. **عظمة القرآن وتعظيمه وأثره في النفوس في ضوء الكتاب والسنة**، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.

٧٦. **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧٧. **عناية القاضي وكِفاية الرَّاضي**، شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي، دار صادر – بيروت.

٧٨. **غريب الحديث**، أبو عُبيد القاسم بن سلَام الهروي البغدادي، ت: د. محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد-الدكن، ط١، ١٣٨٤ه.

٧٩. **غريب الحديث، حمد بن محمد بن الخطاب البستي**، ت: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، دار الفكر – دمشق، ١٤٠٢هـ.

٨٠. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، بإشراف: محب الدين الخطيب، دار المعرفة -بيروت، ١٣٧٩هـ.

٨١. **فضائل القرآن الكريم**، د. عبد السلام الجار الله، دار التدمرية، الرياض، ط١، ١٤٢٩هـ.

٨٢. **فضائل القرآن**، أبو عُبيد القاسم بن سلَام الهروي، ت: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٨٣. **فنون الأفنان في عيون علوم القرآن**، عبد الرحمن الجوزي، دار البشائر، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

٨٤. **القبس في شرح موطأ مالك بن أنس**، أبو بكر محمد بن عبد الله العربي المعافري، ت: محمد عبد الله ولد كريم، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٢م.

٨٥. **الكامل في ضعفاء الرجال**، أبو أحمد بن عدي الجرجاني، ت: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض، الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٤١٨هـ.

٨٦. **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، أبو بكر بن أبي شيبة، ت: كمال الحوت، ط: مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.

٨٧. **كشف المشكل من حديث الصحيحين**، الجوزي، ت: علي البواب، ط دار الوطن، الرياض.

٨٨. **الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري**، محمد بن يوسف الكرماني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ.

٨٩. **الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري**، أحمد بن إسماعيل الكوراني، ت: أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٩هـ.

٩٠. **اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح**، شمس الدين البِرْماوي، ت: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، ط١، ١٤٣٣هـ.

٩١. **لب اللباب في التراجم والأبواب**، عبد الحق الهاشمي، بإشراف: نور الدين طالب، دار النوادر، الكويت، ط٢، ١٤٣٢هـ.

٩٢. **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن علي، ابن منظور الأنصاري، دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٩٣. **لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف**، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٤هـ.

٩٤. **المتواري على تراجم أبواب البخاري**، أبو العباس ناصر الدين ابن المنير الإسكندراني، ت: صلاح الدين مقبول أحمد، مكتبة المعلا – الكويت.

٩٥. **مجموع الفتاوى**، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ.

٩٦. **المجموع شرح المهذب**، يحيى بن شرف النووي، ط: دار الفكر.

٩٧. **مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أشرف على جمعه: محمد بن سعد الشويعر.

٩٨. **المدخل إلى جامع الإمام الترمذي**، الطاهر الأزهر خذيري، مكتب الشؤون الفنية، الكويت، ط١، ١٤٢٨هـ.

٩٩. **المدخل لدراسة القرآن الكريم**، محمد بن محمد أبو شُهبة، مكتبة السنة، القاهرة، ط٢، ١٤٢٣هـ.

١٠٠. **المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز**، أبو شامة المقدسي، ت: طيار آلتي قولاج، دار صادر، بيروت، ١٣٩٥هـ.

١٠١. **المستدرك على الصحيحين**، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

١٠٢. **مسند ابن الجعد**، علي بن الجَعْد الجَوْهَري، ت: عامر أحمد حيدر، مؤسسة نادر، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

١٠٣. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ت: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرين، إشراف: د عبد الله التركي، ط: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ.

١٠٤. **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله** ﷺ، مسلم بن الحجاج القشيري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٠٥. **مشارق الأنوار على صحاح الآثار**، القاضي: عياض بن موسى السبتي، المكتبة العتيقة ودار التراث.

١٠٦. **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، أحمد بن محمد الفيومي، ط: المكتبة العلمية، بيروت.

١٠٧. **مطالع الأنوار على صحاح الآثار**، أبو إسحاق ابن قرقول، إبراهيم بن يوسف الحمزي، ت: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- قطر، ط١، ١٤٣٣هـ.

١٠٨. **معالم السنن في شرح سنن أبي داود**، حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، المطبعة العلمية، حلب، ط١، ١٣٥١هـ.

١٠٩. **المعجم الأوسط**، سليمان بن أحمد الطبراني، طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة.

١١٠. **معجم البلدان**، عبد الله ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.

١١١. **المعجم الكبير**، سليمان بن أحمد الطبراني، ت: حمدي السلفي، ط: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢.

١١٢. **المعلم بفوائد مسلم، المازري**، ت: محمد الشاذلي النفير، ط: دار التونسية للنشر، ط٢، ١٩٨٨م.

١١٣. **المغني**، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، مكتبة القاهرة.

١١٤. **مفاتيح الغيب**، فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١١ه.

١١٥. **المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم**، أحمد بن عمر القرطبي، ت: محيي الدين ديب وآخرون، ط: دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤١٧ه.

١١٦. **مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس القزويني، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ه.

١١٧. **مناهل العرفان في علوم القرآن**، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط٣.

١١٨. **منحة الباري بشرح صحيح البخاري**، زكريا بن محمد الأنصاري، ت: سليمان بن دريع العازمي، مكتبة الرشد، الرياض -المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٦هـ.

١١٩. **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

١٢٠. **الموضوعات**، عبد الرحمن بن علي الجوزي، ت: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط١.

١٢١. **نجاح القاري في شرح صحيح البخاري**، يوسف زاده عبد الله الأماسي، موسوعة صحيح البخاري، https: / /www.bukhari-pedia.net

١٢٢. **نزول القرآن على سبعة أحرف**، مناع بن خليل القطان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤١١ه.

١٢٣. **النشر في القراءات العشر**، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، ت: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، تصوير دار الكتاب العلمية.

١٢٤. **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ابن الأثير أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري، ت: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.

١٢٥. **هداية الإنسان إلى الاستغناء بالقرآن**، يوسف بن حسن بن عبد الهادي، ت: د. محمد أور صاحب، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، كلية القرآن، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤١٨هـ.

١٢٦. **هداية القاري إلى تجويد كلام الباري**، عبد الفتاح بن السيد عجمي المصري، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، ط٢.

١٢٧. **هدي الساري في مقدمة فتح الباري = فتح الباري شرح صحيح البخاري**.

١٢٨. **الوافي بالوفيات**، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، ت: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ.

رِسَالَة في مَوْضُوعَاتِ المَصَابِيح

لسراج الدين عمر بن علي القزويني (ت : ٧٥٠) رحمه الله تعالى

تحقيق ودراسة :

د/مصعب بن خالد بن عبد الله المرزوقي

أستاذ مساعد بقسم علوم الحديث الشريف والدراسات الإسلامية

بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

mkm800@hotmail.com

مجلة تعظيم الوحيين

ملخص البحث

موضوع البحث :

تحقيق رسالة القزويني: رسالة في موضوعات (مصابيح السنة للبغوي).

هدف البحث :

إخراج المخطوط الذي نقل عنه كثير ممن صنف في الموضوعات وأيضاً من اعتنى بكتاب مصابيح السنة .

مشكلة البحث :

١. وجود نقول عن القزويني بحكمه على أحاديث في كتاب مصابيح السنة بالوضع، وليست موجودة في رد الحافظين العلائي وابن حجر الذين وصلتهما أحكام القزويني وتعقباه .

٢. عناية كثير من المسلمين بكتاب مصابيح السنة وانتشاره في أيديهم .

نتائج البحث :

١. تضمنت الرسالةُ المحققة الأحاديثَ التي أجاب عنها الحافظين العلائي وابن حجر، وزادت عليها بأحاديث، وهي ثابتة في المخطوط وفي نقول العلماء عن القزويني من أَلَّفَ في الموضوعات بعده .

٢. إبراز مكانة الحافظ القزويني في علم الحديث وعناية العلماء بما نقل عنه.

الكلمات الدالة (المفتاحية) :

مصابيح - السنة – القزويني - الموضوعات.

المقدمة

إن الحمد لله، نستعينه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلوات ربي عليه، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، أما بعد ..

فقد اجتهد علماء الحديث في حفظ سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والذبّ عنها وتقريبها إلى المسلمين .

ومن مفاخر أهل الحديث وتراثهم المجيد : كتاب (مصابيح السنة) للإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ[١]، الذي جمع فيه أحاديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بعد حذف أسانيدها، قصد بذلك تقريبها لمتلقيها، ووضع له منهجاً في التصحيح والتحسين والتضعيف، أبان عنه في مقدمة كتابه[٢] .

أهمية الموضوع :

وقد تلقى أهل العلم كتابه بقبول حسن، واعتنوا به عناية فائقة، ولا أدل على ذلك من نسخه الخطية التي بلغت ٥٢٣ نسخة، وزادت شروحه على ٤٠ شرحاً[٣] .

وممن اعتنى بالكتاب الخطيب التبريزي رَحِمَهُ اللَّهُ [٤]، فقد ألّف كتابه (مشكاة المصابيح)، وقال في مقدمته : (كتاب «المصابيح» الذي صنفه الإمام محيي السنة قامع البدعة أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي رفع الله درجته، أجمع كتاب صنف في بابه، وأضبط لشوارد الأحاديث وأوابدها)[٥] .

---

(١) هو الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، أبو محمد، الشافعي، الإمام المفسر، صاحب التصانيف، توفي سنة ست عشرة وخمس مائة، وقد عاش بضعاً وسبعين سنة (سير **أعلام النبلاء** للذهبي ١٩/ ٤٣٩-٤٤٢) .

(٢) **مصابيح السنة** للبغوي (١/ ١٠٩) .

(٣) يُنظر : **الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط** «الحديث النبوي وعلومه ورجاله»(٣/ ١٤٩٠ ١٥٠٧)، **ومقدمة تحقيق مصابيح السنة** (١/ ٥١) .

(٤) هو محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله التبريزي، عالم بالحديث، توفي سنة إحدى وأربعين وسبعمائة (**الأعلام** للزركلي ٦/ ٢٣٤) .

(٥) مقدمة **مشكاة المصابيح** (١/ ٣) .

ومن أوجه عناية العلماء بالأحاديث التي أوردها البغوي في كتابه : ما ألّفه الإمام سراج الدين عمر بن علي القزويني رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي ذكر الأحاديث التي يراها موضوعة في مصابيح السنة .

وقد اعتنى بعض أهل العلم بما أورده الحافظ القزويني؛ لمكانته العلمية، وناقشوا أحكامه، وكل الذي بين أيدينا هو ما نقل عنه في إجاباتهم ومناقشاتهم .

أهداف الموضوع :

١- الذبّ عن سنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٢- إظهار عناية العلماء بسنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٣-التأكيد على أهمية كتاب مصابيح السنة للبغوي، وعناية العلماء به .

٤-إبراز مكانة الحافظ القزويني عند العلماء، وعنايتهم بما نُقل عنه وأحكامه .

٥- التأكيد على إثبات أحكام القزويني التي نُقلت عنه، وأن المخطوط فيه زيادة على ما نُقل عنه .

أسباب اختيار الموضوع :

بعد أن وفق الله للاهتداء إلى مخطوط في رسالة القزويني في أحاديث المصابيح الموضوعة، استعنت بالله لتحقيقها وإخراجها لطلاب العلم وأهل التخصص؛ لما يلي :

١. لم أقف على من حققها وأخرجها أو درسها .

٢. وجدت فيها زيادة على ما نُقل عنه –كما سيأتي في دراسة الكتاب– .

٣. مكانة الحافظ القزويني العلمية، والذي يدل عليه تلقي العلماء لرسالته ودراستها ومناقشتها .

٤. خدمة الكتاب الأصل (مصابيح السنة) الذي له مكانة عظيمة عند العلماء والمسلمين، وشهرته والانتفاع به أمر ظاهر .

٥. الذبّ عن سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونفي الكذب عن نقلتها .

سائلاً الله أن يرحم الإمام القزويني وأن يجعلها رفعة لنا وله في الجنة .

المنهج العلمي (خطة البحث):

وقد اشتمل البحث على :

١. **مقدمة:** وفيها : بيان لموضوع البحث وأهميته، وأسباب اختياره، وخطة البحث .

ثم قسمته إلى فصلين :

٢. **الفصل الأول** : التعريف بالحافظ القزويني رَحِمَهُ اللَّهُ ورسالته، وفيه مبحثان :

المبحث الأول / التعريف بالحافظ القزويني رَحِمَهُ اللَّهُ ، وفيه مطالب :

- المطلب الأول : اسمه ونسبه .
- المطلب الثاني : مولده ووفاته .
- المطلب الثالث : شيوخه .
- المطلب الرابع : تلاميذه .
- المطلب الخامس : نشأته .
- المطلب السادس : مكانته العلمية .
- المطلب السابع : مؤلفاته .

المبحث الثاني / التعريف برسالة القزويني في موضوعات مصابيح السنة، وفيه مطالب :

- المطلب الأول : اسم الرسالة .
- المطلب الثاني : توثيق نسبتها إلى الحافظ القزويني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
- المطلب الثالث : مصادره .
- المطلب الرابع : منهجه وعدد الأحاديث .
- المطلب الخامس : نماذج من عناية العلماء بهذه الرسالة .
- المطلب السادس : وصف المخطوط وصورته .

٣. **الفصل الثاني** : النص المحقق .

٤. **الخاتمة**: وبها أهم النتائج والتوصيات .

٥. **المصادر والمراجع** .

٦. **فهرس الأحاديث ، فهرس الغريب ، فهرس الأعلام.**

المنهج في تحقيق المخطوط :

- نسخت المخطوط وفق القواعد العلمية لذلك .
- أحلت على موضع كل حديث في كتاب (مصابيح السنة) .
- اعتمدت لفظ الحديث ومخرجه الذي أورده في (مصابيح السنة)، في العزو والتخريج، ولا أتعدى لغيرها من غير حاجة [1].

(١) وذلك أن رسالة القزويني في أحاديث **(المصابيح)** .

- إذا كان الحديث من الأحاديث التي خرّج وأجاب الحافظان العلائي وابن حجر رحمهما الله أو أحدهما على حكم المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عليه، ذكرتُه وأحلت إليه، واكتفيت بذلك[1] .

- وإذا كان الحديث مما لم يرد في جواب الحافظين، خرّجته وتتبعت طرق حديثه وكلام العلماء عليه، واجتهدت في مناقشة حكم المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وذكرت من وقفت عليه ممن وافق حكمه المصنف في الحكم على الحديث بالوضع ممن تقدم، وكذلك من نقل حكمه بعده .

(١) وذلك لأن الحافظين رحمهما الله قد أجابا وحققا ذلك، ولا معنى للزيادة على عملهما بما لا يخرج عن النتيجة التي توصلا إليها .

الفصل الأول :

التعريف بالحافظ القزويني رَحِمَهُ ٱللَّهُ ورسالته.

وفيه مبحثان :

المبحث الأول: التعريف بالحافظ القزويني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

المبحث الثاني: التعريف برسالة القزويني في موضوعات مصابيح السنة.

المبحث الأول:

التعريف بالحافظ القزويني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وفيه مطالب :

المطلب الأول : اسمه ونسبه

هو سراج الدين عمر بن علي بن عمر القزويني، الواسطي، أبو حفص البغدادي، الشافعي[١] .

المطلب الثاني : مولده ووفاته

ولد سنة ثلاث وثمانين وستمائة، كما ذكر عن نفسه في مشيخته[٢] .

وتوفي سنة خمسين وسبعمائة[٣]، رَحِمَهُ ٱللَّهُ ورفع درجاته .

المطلب الثالث : شيوخه

تلقى عن كثير من أهل العلم في فنون وعلوم شتى[٤]، من أبرزهم :

المحدث المقرئ أحمد بن غزال البغدادي[٥].

والمقرئ إسماعيل بن علي، أبو البركات وأبو الفضل ابن الطبال الحنبلي[٦].

والحافظ المصنف علي بن إبراهيم، ابن العطّار الشافعي[٧] .

---

(١) يُنظر : **غاية النهاية في طبقات القراء** لابن الجزري (١/ ٥٩٤)، **ذيل التقييد** للفاسي (٢/ ٢٤٨)، **الدرر الكامنة** لابن حجر (٤/ ٢١١)، **الأعلام** للزركلي (٥/ ٥٧) .

(٢) **مشيخة القزويني** (ص٥٤٦) .

(٣) **ذيل التقييد** (٢/ ٢٤٨)، **الدرر الكامنة** (٤/ ٢١١) .

(٤) المصادر السابقة .

(٥) ولد سنة سبع وعشرين وستمائة، وتوفي سنة سبع وسبعمائة، وقد سمع منه القزويني، ووصفه بـ(الشيخ العلامة المقرئ)، رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، يُنظر (**مشيخة القزويني** ص١٦٤، **ذيل التقييد** ٢/ ١٣٧ ، **الدرر الكامنة** ١/ ١٣٨)

(٦) توفي سنة ثمان وسبعمائة، ووصفه القزويني بـ(مسند العراق الشيخ)، ينظر (**مشيخة القزويني** ص٣١١، **ذيل التقييد** ٢/ ٢٨٦) .

(٧) ولد سنة أربع وخمسين وستمائة، وتوفي أربع وعشرين وسبعمائة، يروي عنه القزويني مصنفات الإمام النووي كما قيده في مشيخته، وعدّه

المطلب الرابع : تلاميذه

أخذ عنه كثير من طلاب العلم، واستفادوا، منهم :

الإمام الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد ابن رجب البغدادي الدمشقي الحنبلي[١].

والفقيه حسام بن أحمد بن عمر النعماني الحنفي[٢].

والشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عبد المحمود البغدادي، وابنه أحمد[٣] .

واللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الشافعي[٤] .

المطلب الخامس : نشأته

قد نشأ سراج الدين القزويني في بغداد التي كانت من حواضن العلم، فاستفاد من مشيختها، وتفنن، واعتنى بمختلف العلوم، وكان شافعي المذهب، أخذ القراءات، والحديث بأسانيد عالية، واعتنى بالسماع، ومشيخته شاهدة على ذلك .

وقد تولى التدريس والوعظ ببغداد، وتخرج به جماعة[٥] .

الذهبي في معجمه الكبير من شيوخه، وينظر (**معجم الشيوخ الكبير** للذهبي ٢/ ٧، **ذيل التقييد** ٣/ ١٣٢) .

(١) الإمام الحافظ المعروف، صاحب المصنفات والتحقيقات النافعة، ولد سنة ست وسبعمائة، وتوفي سنة خمس وتسعين وسبعمائة، ينظر : (**الدرر الكامنة** ٣/ ١٠٨)، وقد قرأ على القزويني وأخذ عنه (**ذيل طبقات الحنابلة** ١/ ١٥١ ، ٣٤٥) .

(٢) ولد سنة إحدى وخمسين وسبعمائة، ومات سنة ثمان وثمانين وسبعمائة، سمع من القزويني ببغداد، ينظر (**الدرر الكامنة** ٢/ ١٠٧) .

(٣) ذُكرا أنهما ممن أخذ عن القزويني، ينظر (**الضوء اللامع** للسخاوي ٢/ ١١٩ ، ٤/ ٢٢٢) .

(٤) الإمام المعروف، صاحب القاموس، ولد سنة تسع وعشرين وسبعمائة، وتوفي سنة سبعة عشر وثمانمائة، وهو ممن أخذ عن القزويني، ينظر (**الضوء اللامع** ١٠/ ٧٩ ، **الدرر الكامنة** ٤/ ٢١١) .

(٥) ينظر : كتاب **مشيخة القزويني** .

المطلب السادس : مكانته العلمية

كان للحافظ سراج الدين القزويني مكانة علمية مرموقة لدى علماء عصره؛ لعلو أسانيده، وغزارة مروياته، وما ثبت عنه واشتهر من حفظ وسعة الاطلاع؛ فحرص على الأخذ عنه علماء عصره، منهم الحافظ ابن رجب الحنبلي والفيروزآبادي، وغيرهما من كبار أهل العلم .

كما وصفه ابن الجزري بقوله : (المحدث شيخ بغداد) .

ووصفه بالحفظ أيضاً الحافظ ابن حجر فقال : (الحافظ الكبير محدث العراق) .

وهذا يدل على أنه كان من أكثر علماء بغداد شهرة بعلم الحديث في عصره .

ولما سبق اعتنى العلماء بمصنفاته وآرائه؛ وخاصة الحديثية منها، من ذلك :

أن الحافظ العلائي (وهو معاصر له) ردّ على رسالته التي بين أيدينا[١].

وكذلك الحافظ ابن حجر تعقبه ووصفه بـ (الحافظ)[٢] .

والفتني في كتابه (تذكرة الموضوعات) اعتمد أحكام القزويني ونقل كثيراً منها، ونقل بعضها الشوكاني في (الفوائد المجموعة) .

ومن ذلك : ما بلغه من رتبة عالية في علو الإسناد وما كان لديه من إجازات في علوم وفنون جمعها من علماء المشرق والمغرب، وقد ذكر عن نفسه أنه كان يحفظ هذه الإجازات ويمليها من حفظه، مما دعا أهل العلم استجازته، وقد ذكر ذلك في مقدمة مشيخته[٣] .

(١) واسم رسالته : (**النقد الصحيح لما اعترض من أحاديث المصابيح**) .
(٢) وقد طُبعت باسم : (**أجوبة الحافظ ابن حجر العسقلاني عن أحاديث المصابيح**)، وينظر كلامه عن القزويني في مقدمة رسالته الملحقة **بمصابيح السنة** ص١٧٧٥) .
(٣) **مشيخته** (ص٨٠ ٨١) .

المطلب السابع : مؤلفاته

ذكر القزويني في مقدمة مشيخته أنه ألّف في مختلف العلوم، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمن طلب منه إجازة فأجازه: (وجميع ما ألفته وجمعته من علم القرآن والحديث والفقه والتاريخ والتصوّف، وما سؤألّفه وأرويه ..)[1] ، ومن الكتب التي وقفت عليها أو على ذكرها :

١. رسالة في موضوعات المصابيح [2].

٢. مشيخته [3].

٣. جزء من حديث نجم الدين الربعي عن بعض البغداديين[4] .

٤. أربعون حديثاً[5] .

(١) **مشيخته** (ص٨١) .

(٢) وهي رسالتنا هذه .

(٣) مطبوع، بتحقيق د عامر صبري، قدّم بمقدمة في الاصطلاح، ثم قال (ص١١٦): (وآن وقت الشروع في أسانيد الكتب المقروءة والمسموعة على مشايخي، والمستجازة لي بطرق خرجتها إليهم بعد السعي البليغ والاجتهاد التام بأعلى ما يمكنني في الوقت من الطرق العالية الإسناد ..).

وقد ذكر حاجي خليفة في **كشف الظنون** (٢/ ١٦٩٧) كتاباً له بعنوان (المشيخة السراجية)، ونقل عنه أنه قال: (لا أذكر فيها طريقاً إلا بعد علم أنه أعلى طرق الإسناد في زماني).

وليس ثمة ما يدل على أنهما كتاب واحد أو كتابين، والنفس تميل إلى أنهما واحد؛ لتقارب الهدف من الكتاب فيما ذكره في مقدمة (المشيخة) المطبوعة، مع التي نقلها حاجي خليفة في كشافه، والله أعلم .

(٤) ذكره السلامي صاحب **منتخب المختار** (ص٨٧) .

(٥) مخطوط في دار الكتاب المصرية برقم (٤٠٣)، نقله محقق **المشيخة** (ص٢٠) .

المبحث الثاني :

التعريف برسالة القزويني في موضوعات مصابيح السنة

وفيه مطالب :

المطلب الأول : اسم الرسالة .

(رسالة في موضوعات المصابيح) ، هكذا في المخطوط .

المطلب الثاني : توثيق نسبتها إلى الحافظ القزويني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

في مطلع المخطوط عزو الكلام إلى القزويني وأنه من قوله، وتظهر علامة المقابلة، وليس فيها اسم ناسخه .

والذي يظهر أن نسبة ما في هذه الرسالة صحيح إلى الحافظ القزويني رحمه الله؛ بدلالة ما يلي :

١. صرّح الحافظ ابن حجر في ردّه باسم القزويني، كما تقدم ذكره في وصفه له بالحافظ .

٢. كل الأحاديث التي أجاب عنها الحافظان العلائي وابن حجر رحمهما الله قد وردت فيها، وعددها عند العلائي (١٩) وابن حجر (١٨) .

٣. وهي متقاربة في الترتيب مع ما أورد ابن حجر، وبعض الاختلاف عن ترتيب العلائي .

٤. هذه الرسالة زادت بثلاثة أحاديث لم ترد في مناقشة العلائي، وبأربعة لم ترد في رسالة ابن حجر، وهي ثابتة بنقل مَن بعد القزويني عنه، وممن نقل ذلك : الفتني والشوكاني، وقد تم عزو ذلك في حاشية كل حديث من الأحاديث الأربعة .

المطلب الثالث : مصادره .

يظهر أن القزويني رَحِمَهُ ٱللَّهُ اعتمد كثيراً على كتاب ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الموضوعات والعلل المتناهية (فقد وافق حكمه في ١٧ حديثاً)، ومن الظاهر استفادة ابن الجوزي في كتبه من ابن حبان والنقل عنه .

وقد ذكر العلائي في مقدمة ردّه استفادة القزويني من ابن الجوزي[1] .

واستفاد من العلماء قبله وربما عزى إليهم وسماهم، كالإمام أحمد (الحديث ٤)، والحاكم (الحديث ٢٠) وابن الجوزي (الحديث ٢٠) .

المطلب الرابع : منهجه، وعدد الأحاديث .

١. الاختصار، وذلك بسرد الأحاديث والتعليق اليسير في مواضع .

٢. يورد القزويني الأحاديث مع ذكر بابها، موافقاً في ذلك ورودها في الأصل (مصابيح السنة) .

٣. الرسالة في الأحاديث الموضوعة، ومع ذلك فقد يصرح بالحكم في مواضع، ويبين ما القدر الذي يراه منه موضوعاً إذا كانت بعض ألفاظ الحديث قد صحت من طرق وأوجه أخرى .

٤. وقد استفاد من كتب ابن الجوزي في الموضوعات كما تقدم .

٥. عدد الأحاديث في هذه الرسالة ٢٢ حديثاً، أورد العلائي منها ١٩ وابن حجر ١٨ .

(١) مقدمة رد العلائي، (ص٢١) .

وفي الجدول التالي بيان لشيء من ذلك :

رقم الحديث عند القزويني	ترتيبه في رد العلائي	ترتيبه في رسالة ابن حجر	ذكره عند ابن الجوزي
١	١	١	✓
٢	٢	٢	✓
٣	لم يرد	لم يرد	لم أقف عليه
٤	٣	٣	✓
٥	٤	٤	✓
٦	لم يرد	لم يرد	✓
٧	لم يرد	لم يرد	لم أقف عليه
٨	١٠	لم يرد	✓
٩	٥	٥	لم أقف عليه
١٠	٦	٦	✓
١١	٧	٧	لم أقف عليه
١٢	٨	٨	✓
١٣	٩	٩	✓
١٤	١٤	١٠	لم أقف عليه
١٥	١١	١١	✓
١٦	١٥	١٢	✓
١٧	١٢	١٣	✓
١٨	١٣	١٤	✓
١٩	١٦	١٥	✓
٢٠	١٧	١٦	✓
٢١	١٨	١٧	✓
٢٢	١٩	١٨	✓

المطلب الخامس : نماذج من عناية العلماء بهذه الرسالة .

ظهرت عناية العلماء بأحكام القزويني في جوانب عدة، من أهمها :

١. تعقب العلائي أحكامه التي وردت في هذه الرسالة، والعلائي كما تقدم في ترجمته معاصر له .

٢. تعقبات الحافظ ابن حجر، وقد سئل عن أحكام القزويني على بعض أحاديث استشهاد الفتني في كتابه تذكرة الموضوعات بأحكام القزويني، وسيرد في تحقيق الرسالة بعض ذلك .

٣. كذلك استشهاد الشوكاني في كتابه الفوائد المجموعة بما يرد عن القزويني، وسيأتي إحالة لبعضها في تحقيق الرسالة .

المطلب السادس : وصف المخطوط وصورته .

تقع هذه الرسالة ضمن مجموع مخطوطات مكتبة المحمودية (رقم حفظها ٢٦٢١) ، ورقم اللوحة التي فيها الرسالة (٩٢/ ب)، وهي ليست مستقلة بلوحة، بل كُتب قبلها وبعدها وفي حواشيها نقول في أبواب مختلفة من أبواب العقيدة .

عدد أسطرها : ٢٣ سطراً، ومتوسط عدد الكلمات في السطر الواحد : ١٣ كلمة .

كتبت بخط واضح، ويوجد ما يدل على المقابلة بعد الكتابة، وليس فيها ما يدل على كاتبها .

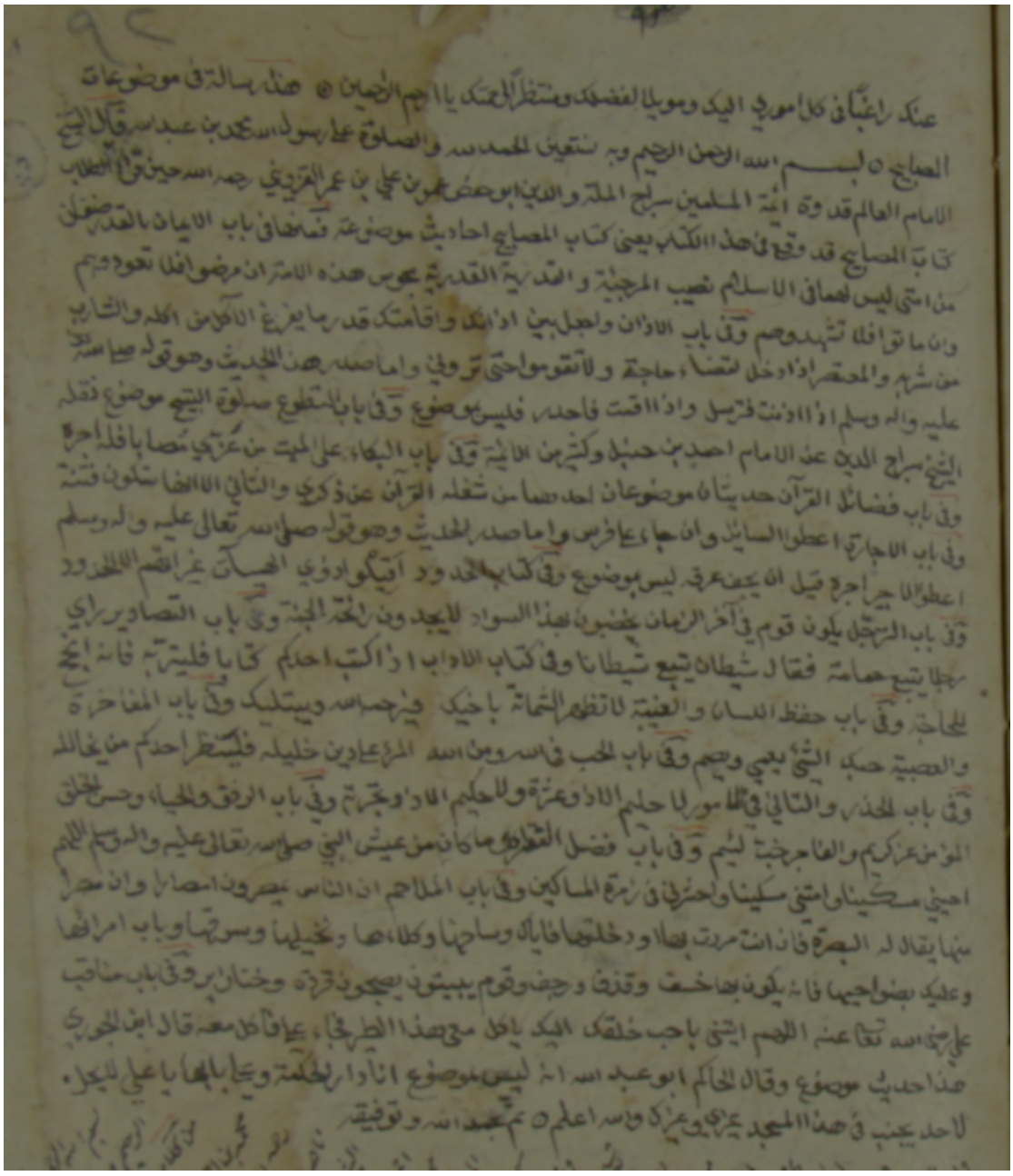

(صورة المخطوط)

الفصل الثاني:

(النص المحقق)

هذه رسالة في موضوعات المصابيح

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله والصلاة على رسول الله محمد بن عبد الله،قال الشيخ الإمام العالم قدوة أئمة المسلمين سراج الملة والدين أبو حفص عمر بن علي بن عمر القزويني رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين قرأ الطلاب كتاب المصابيح :

قد وقع في هذا الكتاب-يعني كتاب المصابيح- أحاديث موضوعة، منها:

في باب الإيمان بالقدر:

١- «**صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب: المرجئة والقدرية**»(١).

٢- «**القدرية مجوس هذه الأمة؛ إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم**»(٢).

---

(١) ذكره البغوي (ح٨٣) من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا .

والحديث أخرجه الترمذي في **جامعه** (٤/ ٤٥٤ ح٢١٤٩)، وابن ماجه في سننه (١/ ٥٣ ح٧٣) : من طريق نِزار بن حيان، عن عكرمة، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وعند ابن ماجه (وجابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ)، وكذلك أخرجه غيرهما.

وقد سبق المصنفَ في توهيته : ابنُ الجوزي (**العلل المتناهية** ١/ ١٥١ ١٥٢).

ورد الحكمَ بالوضع: العلائيُّ في رسالته التي استدرك بها على القزويني (ص٢٧ ح١) وابنُ حجر في أجوبته عن تلك الأحاديث التي سئل عنها (**خاتمة مشكاة المصابيح** ص١٧٧٦ ح١)، ورجحا حكم الترمذي عليه بالحسن، فهو حسن لغيره لشواهده، والله أعلم.

(٢) ذكره البغوي (ح٨٥) من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا .

وقد أخرجه أبو داود (٧/ ٧٧ ح٤٦٩١) : من طريق عبد العزيز بن أبي حازم، عن أبيه، عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، بمثل اللفظ الذي ذكره المصنف.

وأخرجه أحمد في **المسند** (٩/ ٤١٥ ح٥٥٨٤): من طريق أنس بن عياض، عن عمر بن عبد الله مولى غفرة، عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، ولفظه: «**لكل أمة مجوس، ومجوس أمتي الذين يقولون (لا قدر)، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم**».

وأخرجه أيضاً (١٠/ ٢٥٢ ح٦٠٧٧) : من طريق عبد الرحمن بن صالح، عن عمر بن عبد الله مولى غفرة، عن نافع، عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، ولفظه: «**إن لكل أمة مجوساً، وإن مجوس أمتي المكذبون بالقدر .. **».

وقد سبق المصنفَ في توهيته : ابنُ الجوزي (**العلل المتناهية** ١/ ١٤٤).

وتعقب ذلك : العلائي (ص٢٧ ح٢)، وبيّن أن الحديث له أصل، وابن حجر (ص١٧٧٧ ح٢) وصحّحه .والله أعلم.

في باب الأذان:

٣- «واجعل بين أذانك وإقامتك قدر ما يفرغ الآكل من أكله والشارب من شربه والمعتصر إذا دخل لقضاء حاجة، ولا تقوموا حتى تروني»، وأما صدر هذا الحديث وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا أذّنت فترسّل، وإذا أقمت فاحدر» فليس بموضوع[1].

---

(١) ذكره البغوي (ح٤٤٩) من حديث جابر رضي الله عنه، وضعفه .

وهذا الحديث لم يرد في تعقب الحافظين العلائي وابن حجر، ومما يعضد صحة ما في المخطوط وأن عدم نقل الحافظين له لا يعني خطأه : نقل الفتني حكم القزويني على الحديث (**تذكرة الموضوعات** ص٣٤)، حيث قال: (وقال القزويني: موضوع عندي، وصدر الحديث ليس بموضوع وهو «إذا أذنت فترسل .. »،، وكذا الشوكاني (**الفوائد المجموعة** ص٢٠)، وقال: (وقال القزويني: هو موضوع، وصدره ليس بموضوع) .

والحديث أخرجه الترمذي في **جامعه** (١/ ٢٧٣ ح١٩٥): من طريق المعلى بن أسد .

وعبد بن حميد (كما في **منتخبه** ص٣١٠) –وعنه الترمذي (ح١٩٦) ، والعقيلي (**الضعفاء الكبير** ٣/ ١١): من طريق يونس بن محمد .

كلاهما، عن عبد المنعم صاحب السقاء، قال: حدثنا يحيى بن مسلم، عن الحسن وعطاء، عن جابر رضي الله عنه: **أن رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال لبلال: «يا بلال! إذا أذّنت فترسّل في أذانك، وإذا أقمت فاحدر، واجعل بين أذانك وإقامتك قدر ما يفرغ الآكل من أكله، والشارب من شربه، والمعتصر إذا دخل لقضاء حاجته، ولا تقوموا حتى تروني»**.

وأخرجه ابن عدي في **الكامل** (٩/ ١٣) –ومن طريقه البيهقي في **السنن الكبرى** ١/ ٦٢٨) : من طريق معلى بن مهدي، عن عبد المنعم، به، مثله .

وأخرجه الحاكم في **مستدركه** (١/ ٣٢٠): من طريق علي بن حماد بن أبي طالب، عن عبد المنعم، عن عمرو بن فائد، عن يحيى بن مسلم، به، مثله دون قوله «**ولا تقوموا حتى تروني**».

والحديث مداره على عبد المنعم، وهو ابن نعيم، وقد اختلف عليه، فمرة عنه عن يحيى بن مسلم، ومرة عنه عن عمرو بن فائد عن يحيى، والذي يظهر أنه (أي عبد المنعم) هو آفة الخبر، فقد تكلم العلماء فيه، وهو عندهم ضعيف جداً :

قال البخاري (**التاريخ الكبير** ٦/ ٣١٧): (منكر الحديث)، وكذا قال أبو حاتم (**الجرح والتعديل** ٦/ ٦٧) والعقيلي (**الضعفاء الكبير** ٣/ ١١١) .

وقال ابن حبان (**المجروحين** ٢/ ١٥٨): (منكر الحديث لا يجوز الاحتجاج به إذا وافق الثقات، فكيف إذا انفرد بأوابد) .

وقال الدار قطني (**سؤالات البرقاني** ص٤٦): (متروك) .

وقد أورد حديثه هذا ابن عدي والعقيلي في ترجمته، كما تقدم .

لكن لم أقف على من اتهمه بوضع الحديث .

فالحديث ضعيف جداً، وليس بموضوع، وقد ضعفه ابن حجر في **هداية الرواة** (١/ ٣١١) و**الفتح** (٢/ ١٠٦)، والله أعلم .

وأما صدر الحديث «**إذا أذّنت فترسّل في أذانك، وإذا أقمت فاحدر**».فقد ورد بمعناه من حديث أبي هريرة وأبي بن كعب وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ :

- أما حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

قال البيهقي بعد أن أخرج حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السابق (١/ ٦٢٩) : (وقد روي بإسناد آخر عن الحسن وعطاء، عن أبي هريرة وليس بالمعروف)، ثم أسنده وقال: (الإسناد الأول أشهر من هذا) .

وقد وهّاه ابن حجر (**الفتح** ٢/ ١٠٦).

- وأما حديث أبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وفي باب التطوع:

٤- صلاة التسابيح[١].

فقد أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في **زوائده على مسنده أبيه** (٣٥/ ٢٠٧) : عن زكريا بن يحيى بن عبد الله بن أبي سعيد، عن سلم بن قتيبة، عن مالك بن مغول، عن أبي الفضل، عن أبي الجوزاء، عن أبي بن كعب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا بلال! اجعل بين أذانك وإقامتك نفساً يفرغ الآكل من طعامه في مهل، ويقضي المتوضئ حاجته في مهل**».

وأبو الجوزاء مجهول (**تعجيل المنفعة** ٢/ ٤٣٠) .

- وأما حديث علي رضي الله عنه:

فقد أخرجه الطبراني في **الأوسط** (٥/ ١٨٨) :من طريق أبي معاوية، عن عمر بن بشير، عن عمران بن مسلم، عن سعيد بن علقمة، عن علي قال: **كان رسول الله ﷺ يأمر بلالاً أن يرتل في الأذان، ويحدر في الإقامة** .

وأخرجه الدار قطني في **سننه** (١/ ٤٤٥) : من طريق القاسم بن الحكم رضي الله عنه عن عمرو بن شمر رضي الله عنه عن عمران بن مسلم عن سويد بن غفلة رضي الله عنه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : **كان رسول الله ﷺ يأمرنا أن نرتل الأذان ونحذف الإقامة** .

وقد وقع في مطبوع الطبراني (عمرو بن بشير عن عمران بن مسلم عن سعيد بن علقمة)، وفي مطبوع الدار قطني (عمرو بن شمر عن عمران بن مسلم عن سويد بن غفلة)، ولا أدري إن كان هذا من باب التصحيف والخطأ خاصة وأن الرسم متقارب، أو أنه من باب الرواية .

ولو افترض أن مدار الحديث عمران، وعنه من طريقين، فيقال :

في الطريق الأول عمر بن بشير، وهو ضعيف (**الجرح والتعديل** ٦/ ١٠٠) .

وفي الطريق الثاني عمرو بن شِمر، قال في البخاري (**التاريخ الكبير** ٦/ ٣٤٤) : (منكر الحديث)، وقد اتُهم (**الكامل** ٦/ ٢٢٦) .

فأحاديث هذه اللفظة التي ذكرها المصنف وما في معناها ضعيفة أو ضعيفة جداً.

قال ابن حجر (**الفتح** ٢/ ١٠٦) عند تبويب البخاري في صحيحه (باب كم بين الأذان والإقامة)، قال : (لعله أشار بذلك إلى ما روي عن جابر رضي الله عنه: **أن النبي ﷺ قال لبلال: «اجعل بين أذانك وإقامتك قدر ما يفرغ الآكل من أكله والشارب من شربه والمعتصر إذا دخل لقضاء حاجته»**. أخرجه الترمذي والحاكم، لكن إسناده ضعيف، وله شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ومن حديث سلمان رضي الله عنه، أخرجهما أبو الشيخ، ومن حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، أخرجه عبد الله بن أحمد في زيادات المسند، وكلها واهية؛ فكأنه أشار إلى أن التقدير بذلك لم يثبت) .

ولم أقف على حديث سلمان رضي الله عنه.والله أعلم .

(١) ذكره البغوي (ح٩٣٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

وقد أخرجه أبو داود في **سننه** (٢/ ٤٦٧ ح١٢٩٧) وابن ماجه في **سننه** (٢/ ٣٩٧ ح١٣٨٧) وابن خزيمة في **صحيحه** (٢/ ٢٢٣): جميعهم، عن عبد الرحمن بن بشر بن الحكم النيسابوري، حدثنا موسى ابن عبد العزيز، حدثنا الحكم بن أبان، عن عكرمة عن ابن عباس : **أن رسول الله ﷺ قال للعباس بن عبد المطلب: «يا عباس! يا عماه! ألا أعطيك؟ ألا أمنحك؟ ألا أحبوك؟ ألا أفعل بك؟ عشر خصال إذا أنت فعلتَ ذلك غفر الله لك ذنبك أوله وآخره، قديمه وحديثه، خطأه وعمده، صغيره وكبيره، سرّه وعلانيته، عشر خصال : أن تصلي أربع ركعات، تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة، فإذا فرغت من القراءة في أول ركعة وأنت قائم قلت: (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر)، خمس عشر مرة، ثم تركع، فتقولها وأنت راكع عشراً، ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشراً، ثم تهوي ساجداً فتقولها وأنت ساجد عشراً، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشراً، ثم تسجد فتقولها عشراً، ثم ترفع رأسك فتقولها عشراً، فذلك خمس وسبعون في كل ركعة، تفعل ذلك في أربع ركعات، إن استطعت أن تصليها في كل يوم مرة فافعل، فإن لم تفعل ففي كل جمعة مرة، فإن لم تفعل ففي كل شهر مرة، فإن لم تفعل ففي كل سنة مرة، فإن لم تفعل ففي عمرك مرة»**.

وفي الباب عن عبد الله بن عمرو والفضل بن عباس وأبي رافع وابن عمر وغيرهم، رضي الله عنهم.

موضوع، نقله الشيخ سراج الدين عن الإمام أحمد بن حنبل وكثير من الأئمة[1].

وفي باب البكاء على الميت:

٥- «**من عزّى مصاباً فله أجره**»[2].

(١) أي أن القزويني صاحب هذه الرسالة هو من نقل ذلك، وقد ورد عن الإمام أحمد تضعيف الحديث :
قال عبد الله ابن الإمام أحمد (**مسائل الإمام بروايته** ص٨٩) : سمعت أبي يقول: (لم تثبت عندي صلاة التسبيح، وقد اختلفوا في إسناده، لم يثبت عندي)، وكأنه ضعف عمرو بن مالك النكري.
وقال (**مسائل الكوسج** ٣٣٥٣) وسئل عنها ما ترى فيها؟ : (ما أدري، ليس فيها حديث يثبت).
وقال (**المغني** ٢/ ٩٨): (ما تُعْجبُنِي)، قيل له: لم؟، قال: (ليس فيها شيء يصح)، ونفض يده كالمنكِر.
قال ابن قدامة (السابق): (لم يُثبت أحمدُ الحديثَ المرويّ فيها).
وجاء عن غيره من الأئمة تضعيف الحديث، من ذلك :
قال الترمذي بعد أن أخرجه (٢/ ٣٤٨ ح٤٨١): (قد روي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غير حديث في صلاة التسبيح، ولا يصح منه كبير شيء).
وقال ابن خزيمة –وقد بوب له وأخرجه (**صحيحه** ٢/ ٢٢٣): (إن صح الخبر فإنّ في القلب من هذا الإسناد شيئاً).
وقال العقيلي (**الضعفاء** ١/ ١٢٤): (ليس في صلاة التسابيح حديث يثبت).
وقال ابن الجوزي (**الموضوعات** ٢/ ١٤٥): (هذه الطرق كلها لا تثبت).
وقدّ خرّجه وردّ الحكم بالوضع : العلائيُّ (ص٣ ح٣)، وحكم عليه بأنه (حسن صحيح) .
وأما ابن حجر فتوسّع في ذكر أحاديث الباب وشواهده ومراسيله، وقال بعد أن أنكر تصحيح الحاكم وحكم ابن الجوزي بالوضع (ص١٧٧٧ ح٣) : (والحق أنه في درجة الحسن؛ لكثرة طرقه التي يقوى بها الطريق الأولى، والله أعلم).
إلا أنه في آخر رده (ص١٧٨٥) قال وهو يسرد أسماء مخرجي الأحاديث التي أوردها القزويني : (الرابع: الترمذي، وهو ضعيف).
وفي **التلخيص الحبير** (٢/ ١٨) أورد أحكام جماعة من أهل العلم في الحكم على الحديث، وقال عن حكم ابن الجوزي بالوضع : (بالغ ابن الجوزي فذكره في الموضوعات)، ثم قال: (والحق أن طرقه كلها ضعيفة وإن كان حديث ابن عباس يقرب من شرط الحسن، إلا أنه شاذ؛ لشدة الفردية فيه، وعدم المتابع والشاهد من وجه معتبر، ومخالفة هيئتها لهيئة باقي الصلوات، وموسى بن عبد العزيز راوي حديث ابن عباس وإن كان صادقاً صالحاً فلا يُحتمل منه هذا التفرد).
فالذي يظهر أنه يراه ضعيفاً، قد يقبل التحسين، بدلالة حكمه بالتضعيف والتحسين في رده، فضلاً عن حكمه عليه في التلخيص الحبير، وفي كل حال هو يرد الحكم على الحديث بالوضع، وأنكره على ابن الجوزي والقزويني .والله أعلم .

(٢) ذكره البغوي (ح ١٢٣٦) .
وقد أخرجه الترمذي في **جامعه** (٣٨٣٧٧ ح١٠٧٣)، وابن ماجه في **سننه** (٢/ ٥٣٣ ح١٦٠٢): من طريق علي بن عاصم، قال: حدثنا والله محمد بن سوقة، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
وفي الباب عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
وقد أورده ابن الجوزي في **الموضوعات** (٣/ ٢٢٣)، والصغاني في **الموضوعات** (ح ٦٦).
وقد رد ذلك العلائي (ص٣٣ ح٤) وحسّنه، وابن حجر (ص١٧٨٠ ح٤) وعدّه من الضعيف الذي يتقوى .والله أعلم.

وفي باب فضائل القرآن:

حديثان موضعان، أحدهما:

٦- «**من شغله القرآن عن ذكري**»[١].

(١) ذكره البغوي (ح ١٥٣٦) .

وهذا الحديث لم يرد في تعقب الحافظين العلائي وابن حجر، ومما يعضد صحة ما في المخطوط وأن عدم نقل الحافظين له لا يعني خطأه : نقل الفتني حكم القزويني على الحديث بالوضع (**تذكرة الموضوعات** ص٧٦) .

والحديث أخرجه الترمذي في **جامعه** (٥/ ٤٥ ح٢٩٢٦)، والدارمي في **مسنده** (٤/ ٢١١٢)، وعبد الله ابن الإمام أحمد في **السنة** (١/ ١٤٩) –وعنه الطبراني في **الدعاء** ص٥١٩) ، والمروزي في **قيام الليل** (**مختصره** ص١٧٢)، والعقيلي في **الضعفاء الكبير** (٤/ ٤٩)، وابن حبان في **المجروحين** (٢/ ٢٧٧)، والبيهقي في **الأسماء والصفات** (١/ ٥٨١): من محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني، عن عمرو بن قيس، عن عطية، عن أبي سعيد رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**يقول الرب عز وجل: من شغله القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيتُه أفضل ما أعطي السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه**».

والحديث مداره على محمد بن الحسن الهمداني، وقد ضعفه جماعة من العلماء :

وقال ابن معين (**الكامل** ٧/ ٣٧٤): (قد سمعنا منه، ولم يكن ثقة)، وقال (**تاريخه – رواية الدوري** ٣/ ٣٧٢): (يكذب).

وقال الإمام أحمد (**العلل ومعرفة الرجال** ٣/ ١٦١ ، ٣/ ٣٩٩): (ضعيف الحديث، ما أراه يسوى شيئاً).

وقال أبو حاتم (**الجرح والتعديل** ٧/ ٢٢٥): (ليس بالقوي).

وقال النسائي (**الضعفاء والمتروكون** ص٩٣): (متروك الحديث).

وقال ابن حبان (**المجروحين** ٢/ ٢٧٦): (منكر الحديث، يروي عن الثقات المعضلات)، وذكر تضعيف العلماء له، وعدّ من منكراته حديث الباب.

وقال ابن عدي (**الكامل** ٧/ ٣٧٥): (مع ضعفه يكتب حديثه).

وقال ابن حجر (**التقريب** ت٥٨٢٠): (ضعيف) .

فظاهر من حاله الضعف الذي يمكن وصفه بأنه شديد، لكن وصفه بالكذب لم أقف عليه إلا عن ابن معين، ومعلوم أن ابن معين من المتشددين في الجرح والتعديل (**ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل** ص١٧٢).

وحال التسليم بجبر روايته فإن الراوي عن أبي سعيد رضي الله عنه: عطية، وهو العوفي، وقد ضعفه جماعة من العلماء، ومن المدلسين (يُنظر **تهذيب الكمال** ٢٠/ ١٤٥ ، **طبقات المدلسين** ص٥١).

فالحديث ضعيف، وقد قال الترمذي بعد أن أخرجه (حسن غريب)، فتعقبه الذهبي بقوله (**الميزان** ٣/ ٥١٥): (حسّنه الترمذي فلم يُحسن).

وقال ابن حجر (**هداية الرواة** ٢/ ٣٨٣) : (غريب) .

وقد حكم عليه بالوضع ابن حبان (**المجروحين** ١/ ٣٧٦ ، ٢/ ٢٧٧)، ونقله ابن الجوزي (**الموضوعات** ٣/ ١٦٥) .

ولعل مستند القزويني في الحكم بالوضع هو كلام ابن معين وحكم ابن حبان وابن الجوزي، والراجح والله أعلم أنه لا يصل إلى الوضع والله أعلم.

والثاني:

٧- «**ألا إنها ستكون فتنة**»[1].

(١) ذكره البغوي (ح١٥٣٨).

وهذا الحديث لم يرد في تعقب الحافظين العلائي وابن حجر، ومما يعضد صحة ما في المخطوط وأن عدم نقل الحافظين له لا يعني خطأه : نقل الفتني حكم القزويني على الحديث **(تذكرة الموضوعات ص٧٦)** بالوضع .

وقد أخرجه الترمذي في **جامعه** (٥/ ٢٩ ح٢٩٠٦)، وابن أبي شيبة في **مصنفه** (٦/ ١٢٥)، والدرامي في **سننه** (٤/ ٢٠٩٨)، والبزار في **مسنده** (٣/ ٧١): من طريق حمزة الزيات، عن أبي المختار الطائي، عن ابن أخي الحارث الأعور، عن الحارث، قال: **مررتُ في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث فدخلت على علي رضي الله عنه، فقلت: يا أمير المؤمنين، ألا ترى أن الناس قد خاضوا في الأحاديث، قال: وقد فعلوها؟ قلت: نعم. قال: أما إني قد سمعت رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يقول: «ألا إنها ستكون فتنة». فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟، قال: «كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: «إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد». من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم». خذها إليك يا أعور.**

واللفظ للترمذي، والبقية بنحوه .

وأخرجه أحمد في **مسنده** (٢/ ١١١ ح٧٠٤)، وأبو يعلى في **مسنده** (١/ ٣٠٢): من طريق يعقوب بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن إسحاق قال: وذكر محمد بن كعب القرظي، عن الحارث بن عبد الله الأعور، قال: **قلتُ: لآتين أمير المؤمنين فلأسألنه عما سمعتُ العشية، فجئته بعد العشاء فدخلت عليه، فذكر الحديث، قال: ثم قال: سمعت رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يقول: « أتاني جبريل، فقال: يا محمد، إن أمتك مختلفة بعدك. قال: فقلت له: فأين المخرج يا جبريل؟ قال: فقال: كتاب الله تعالى، به يقصم الله كل جبار، من اعتصم به نجا ..** »الحديث .

والحديث كما يظهر مداره على الحارث الأعور، وعنه من طريقين : ابن أخيه، ومحمد بن كعب .

أما الوجه الأول : ففيه ابن أخي الحارث والراوي عنه أبو المختار الطائي، وهما مجهولان (**التقريب** ت ٨٤٩٢ ، ٨٣٤٨).

وأما الوجه الثاني : ففيه محمد بن إسحاق، وهو صدوق يدلس (**التقريب** ت ٥٧٢٥)، وهنا لم يسند عن محمد بن كعب، فراويته عنه منقطعة .

وأما مداره الحارث الأعور فقد كذبه الشعبي (**التاريخ الكبير** ٢/ ٢٧٣)، وأبو إسحاق وأبو خيثمة (**الجرح والتعديل** ٣/ ٧٨ ٧٩)، وضعفه أبو حاتم وأبو زرعة، وذكرا بأنه لا يحتج بحديثه .

فالحديث بهذه الحال ضعيف جداً، وقد قال الترمذي بعد أن أخرجه : (هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال).

وقال ابن حجر (**هداية الرواة** ٢/ ٣٧٤): (إسناده مجهول) .

ولعل مستند القزويني في الحكم بوضعه هو تكذيب الحارث الأعور .والله أعلم .

وفي باب الإجارة:

٨- «**أعطوا السائل وإن جاء على فرس**».

وأما صدر الحديث وهو قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم «**أعطوا الأجيرَ أجرَه قبل أن يجفّ عرقُه**». ليس بموضوع[١].

وفي كتاب الحدود:

٩- «**أقيلوا ذوي الهيآت عثراتهم إلا الحدود**»[٢].

وفي باب التَرجّل[٣]:

١٠- «**يكون قوم في آخر الزمان يخضبون هذا السواد، لا يجدون رائحة الجنة**»[٤].

---

(١) ذكر البغوي الأول (ح٢٢٠٢) والثاني قبله (ح٢٢٠١) .
وقد أخرج الأول «**أعطوا السائل** .. ».: فقد أخرجه أبو داود في **سننه** (٣/ ٩٨ ح١٦٦٥) وأحمد في **مسنده** (٣/ ٢٥٤ ح١٧٣٠): من طريق مصعب بن محمد بن شرحبيل، عن يعلى بن أبي يحيى، عن فاطمة بنت حسين، عن حسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**للسائل حق وإن جاء على فرس**».
وقد ذكره ابن الجوزي في **الموضوعات** (٢/ ٢٣٦)، وأورده الفتني في **تذكرته** (ص٦١) وعزاه للقزويني .
وتعقبه العلائيُّ (ص٤٠ ح١٠)، وحسّن الإسناد، ولم يرد ذكر الحديث في رسالة ابن حجر، والله أعلم.
وأما الثاني «**أعطوا الأجير** .. » : فقد أخرجه ابن ماجه في **سننه** (٣/ ٥١٠ ح٢٤٤٣): عن العباس بن الوليد، عن وهب بن سعيد، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بمثله.
ولم يحكم عليه القزويني بالوضع كما هو ظاهر في لفظه .والله أعلم .

(٢) ذكره البغوي (ح٢٦٩٣) من حديث عائشة رضي الله عنه.
وقد أخرجه أبو داود في **سننه** (٦/ ٤٢٨ ح٤٣٧٥) وأحمد في **مسنده** (٤٢/ ٣٠٠ ح٢٥٤٧٤): من طريق عبد الملك بن زيد، عن محمد بن أبي بكر، عن عمرة، عن عائشة، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مثله.
وقد ردّ حكم القزويني العلائيُّ (ص٣٤ ح٥) وحسّنه محتجاً بتخريج النسائي له، وابنُ حجر (ص١٧٧٩ ح٥) وحسّنه، وهو فيما يظهر أنه عنده من الحسن لذاته .والله أعلم .

(٣) الترجيل: تسريح الشعر وتنظيفه وتحسينه والإكثار من الإدهان والامتشاط (**غريب الحديث** لابن الجوزي ١/ ٣٨٣، **النهاية** ٢/ ٢٠٣).

(٤) ذكره البغوي (ح٣٤٤٤) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
وقد أخرجه أبو داود (٦/ ٢٧٢ ح٤٢١٢) والنسائي (٨/ ١٣٨ ح٥٠٧٥) وأحمد (٤/ ٢٧٦ ح٢٤٧٠) : من طريق ابن جبير، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال : «**يكون قوم يخضبون في آخر الزمان بالسواد كحواصل الحمام، لا يريحون رائحة الجنة**».
وقد أورده ابن الجوزي في **الموضوعات** (٣/ ٥٥).
وقد ردّ ذلك العلائي (ص٣٥ ح٦) وابن حجر (ص١٧٨٠ ح٦)، وحكما بصحة الحديث .والله أعلم.

وفي باب التصاوير:

١١- رأى رجلاً يتبع حمامة، فقال: «**شيطان يتبع شيطاناً**»(١).

وفي كتاب الآداب:

١٢- «**إذا كتب أحدكم كتاباً فَلْيُتَرِّبه**(٢)**؛ فإنه أنجح للحاجة**»(٣).

وفي باب حفظ اللسان والغيبة:

١٣- «**لا تظهر الشماتة بأخيك فيرحمه الله ويبتليك**»(٤).

وفي باب المفاخرة والعصبية:

١٤- «**حبُّك الشيء يُعمي ويصمّ**»(٥).

---

(١) ذكره البغوي (ح٣٤٨٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
والحديث أخرجه أبو داود (٧/ ٢٩٦ ح٤٩٤٠) وابن ماجه (٤/ ٦٩٢ ح٣٧٦٥) وأحمد (١٤/ ٢٢١ح٨٥٤٣) : من طريق محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **رأى رجلاً يتبع حمامة، فقال: «شيطان يتبع شيطانة»**.
وتعقب ذلك العلائي (ص ح٧) وابن حجر (ص١٧٨٠ ح٧) وحسّنه، وقوّيا طرق الحديث .والله أعلم.

(٢) أتربت الشيء : إذا جعلت عليه التراب؛ اعتماداً على الحق تعالى في إيصاله إلى المقصد، أو أراد ذرّ التراب على المكتوب، أو ليخاطب الكاتب خطاباً على غاية التواضع (يُنظر : **النهاية** ١/ ١٨٥ ، **مجمع بحار الأنوار** ١/ ٢٥٧).

(٣) ذكره البغوي (ح٣٦٠٦) من حديث جابر رضي الله عنه.
أخرجه الترمذي في **جامعه** (٥/ ٦٦ ح٢٧١٣): من طريق حمزة، عن أبي أحمد، عن أبي الزبير، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا كتب أحدكم كتاباً فليُتَرِّبه؛ فإنه أنجح للحاجة**».
وأخرجه ابن ماجه (٤/ ٦٩٦ ح٣٧٧٤): من طريق بقية، عن أبي أحمد، به، ولفظه: «**تَرِّبوا صحفكم أنجح لها؛ إن التراب مبارك**»، وقد أورده ابن الجوزي في **العلل المتناهية** (١/ ٨٢ ٨٦).
وضعّف الحديث العلائي (ص٣٨ ح٨) وابن حجر (ص١٧٨٢ ح٨)، لكنهما ردا الحكم عليه بالوضع .والله أعلم.

(٤) ذكره البغوي (ح٣٧٨٤)، وأخرجه الترمذي في **جامعه** (٤/ ٦٦٢ ح٢٥٠٦): من طريق حفص بن غياث، عن برد بن سنان، عن مكحول، عن واثلة بن الأسقع، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بمثله، وقال: (حسن غريب).
وقد أورده ابن الجوزي في **الموضوعات** (٣/ ٢٢٤) واستشهد بقول ابن حبان (هذا لا أصل له من كلام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وكلامه في **المجروحين** (٢/ ٢١٣ ٢١٤).
وقد ردّ الحكم بالوضع : العلائي (ص٣٩ ح٩): (هو حسن كما قال الترمذي، لكنه غريب)، وحسّنه ابن حجر (ص١٧٨٢ ح٩ ، ص١٧٨٦) وقال مبيّناً مراد الترمذي بقوله «حسن غريب»: (الغرابة لتفرد بعض رواة كل منهما عن شيخه، فهي غرابة نسبية، وأما الحسن فلاعتضاد كل منهما بالآخر) .والله أعلم .

(٥) ذكره البغوي (ح٣٨١٦) من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي باب الحب في الله ومن الله:

١٥- «المرء على دين خليله؛ فلينظر أحدُكم من يُخالِـلُـهُ»(١).

وفي باب الحذر والتأنّي في الأمور:

١٦- «لا حليم إلا ذو عثرة، ولا حكيم إلا ذو تجربة»(٢).

وفي باب الرّفق والحياء وحُسن الخلق:

١٧- «المؤمن غِرٌّ(٣) كريم، والفاجر خَبٌّ(٤) لئيم»(٥).

وقد أخرجه أبو داود (٧/ ٤٤٨ ح٥١٣٠ – باب في الهوى)، وأحمد من طريقين (٣٦/ ٢٤ ح٢١٦٩٤ ، ٤٥/ ٥٣٣ ح٢٧٥٤٨) : من طريق أبي بكر الغساني، عن خالد بن محمد الثقفي، عن بلال بن أبي الدرداء، عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وأورده العلائي (ص٤٥ ح١٤) وابن حجر (ص١٧٨٢ ح١٠)، ورجحا وقفه على أبي الدرداء، وضعفا المرفوع، لكن لم يعداه من الموضوع .والله أعلم.

(١) ذكره البغوي (ح٣٩٠٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقد أخرجه أبو داود (٧/ ٢٠٤ ح٤٨٣٣)، والترمذي (٤/ ١٦٧ ح٢٣٧٨)، وأحمد من طريقين (١٣/ ٣٩٨ ح٨٠٢٨ ، ١٤/ ١٤٢ ح٨٤١٧) : من طريق زهير بن محمد، عن موسى بن وردان، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وقد سبق المصنفَ في توهيته : ابنُ الجوزي، فأورده في **العلل المتناهية** (٢/ ٢٣٦).

وتعقب ذلك العلائي (ص٤٢ ح١١)، وقال مرجحاً لحكم الترمذي: (حسن غريب)، وحسّن ابن حجر (ص١٧٨٣ ح١١) وحكى تصحيح الحاكم، فلم ينزلا بالحديث إلى درجة الضعيف فضلاً عن الموضوع .والله أعلم.

(٢) ذكره البغوي (ح٣٩٣٢) من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأخرجه الترمذي (٣/ ٤٤٧ ح٢٠٣٣)، وأحمد من طريقين (١٧/ ١١٠ ح١١٠٥٦ ، ١٨/ ٢٠١ ح١١٦٦١) : من طريق ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن درّاج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وقد سبق المصنفَ في توهيته : ابنُ الجوزي، فأورده في **العلل المتناهية** (١/ ٤٢).

ورد ذلك العلائي (ص٤٦ ح١٥) وجعله من أنزل مراتب الحسن أو من الضعيف المحتمل، وابن حجر (ص١٧٨٣ ح١٢)، وحسّنه وذكر تصحيح بعض أهل العلم لإسناد الحديث .والله أعلم.

(٣) أي ليس بذي نُكر، فهو ينخدع لانقياده ولينه، وهو ضد الخَبّ، يريد أن المؤمن المحمود من طبعه الغَرارة، وقلة الفطنة للشر، وترك البحث عنه، وليس ذلك منه جهلاً، ولكنه كرم وحسن خلق (يُنظر : **غريب الحديث** ٢/ ١٥٠ ، **النهاية** ٣/ ٣٥٤) .

(٤) الخَبّ –بالفتح وقد تُكسر : الخدّاع، وهو الذي يسعى بين الناس بالفساد (يُنظر : **غريب الحديث** ١/ ٢٦٠ ، **النهاية** ٢/ ٤) .

(٥) ذكره البغوي (ح٣٩٥٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقد أخرجه أبو داود (٧/ ١٦٧ ح٤٧٩٠)، وأحمد (١٥/ ٥٩ ح٩١١٨) : من طريق الحجاج بن فرافصة، عن رجل، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة عن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأبو داود، والترمذي (٣/ ٤٠٩ ح١٩٦٤) : من طريق بشر بن رافع، عن يحيى ابن أبي كثير، عن أبي سلمة، به.

وقد سبق المصنفَ في توهيته : ابنُ الجوزي، فأورده في **العلل المتناهية** (٢/ ١٠٩).

وتعقب ذلك : العلائي (ص٤٣ ح١٢) وحسّنه، وابن حجر (ص١٧٨٣ ح١٣) وحسّنه لغيره فيما يفهم من سياقه .والله أعلم.

وفي باب فضل الفقراء وما كان من عيش النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم:

١٨- «**اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين**»[١].

وفي باب الملاحم:

١٩- «**إن الناس يُمصّرون أمصاراً، وإن مِصراً منها يقال لها البصرة، فإن أنت مررتَ بها ودخلتَها فإياك وسِباخها**[٢] **وكلأها**[٣] **ونخيلها وسوقها وباب أمرائها، وعليك بضواحيها**[٤]**؛ فإنه يكون خسْف وقذف ورجف، وقوم يبيتون يصبحون قردة وخنازير**»[٥].

وفي باب مناقب علي رضي الله تعالى عنه:

٢٠- «**اللهم ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي هذا الطير**». فجاء عليّ، فأكل معه[٦].

---

(١) ذكره البغوي (ح٤٠٥٥) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أخرجه الترمذي (٤/ ١٥٥ ح٢٣٥٢): من طريق ثابت بن محمد، عن الحارث بن النعمان، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة**». **فقالت عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: **لم يا رسول الله؟ قال: «إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً، يا عائشة! لا تردي المسكين ولو بشق تمرة، يا عائشة! أحبي المساكين وقربيهم؛ فإن الله يُقرّبك يوم القيامة»**.وفي الباب عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بذكر الدعاء دون بقية القصة، أخرجه ابن ماجه (٥/ ٢٤١ ح٤١٢٦)، وقد أورد ابن الجوزي كلا الحديثين في **الموضوعات** (٣/ ١٤١ ١٤٢).

وضعّف العلائي حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ص٤٥ ح١٣)، وأبى الحكم عليه بالوضع، وأورد ابن حجر كلا الحديثين (ص١٧٨٤ ح١٤)، وضعّف الحديث، لكنه تعقب الحكم بالوضع، مستأنساً بكلام الترمذي على حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتصحيح الحاكم لحديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.والله أعلم.

(٢) هي الأرض التي تعلوها الملوحة، ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر (يُنظر: **النهاية** ٢/ ٣٣٣، **المصباح المنير** ١/ ٢٦٣).

(٣) أي العشب والنبات، رطباً كان أو يابساً (يُنظر: **النهاية** ٤/ ١٩٤، **المصباح المنير** ٢/ ٥٤٠).

(٤) أي البادية منها والبعيدة (يُنظر: **الدلائل في غريب الحديث** ٢/ ٧١٥، **النهاية** ٣/ ٧٨).

(٥) ذكره البغوي (ح٤١٩٢) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أخرجه أبو داود (٦/ ٣٤٦ ح٤٣٠٧): من طريق عبد العزيز بن عبد الصمد، عن موسى الحناط، لا أعلمه إلا ذكره عن موسى بن أنس، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد أورده ابن الجوزي في **الموضوعات** (٢/ ٦٠).

ورد ذلك العلائي (ص٤٨ ح١٦) ووثق رجاله، وابن حجر (ص١٧٨٤ ح١٥) وحسّن الحديث .والله أعلم.

(٦) ذكره البغوي (ح٤٧٧٠) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أخرجه الترمذي في **جامعه** (٦/ ٨٤ ح٣٧٢١): من طريق عيسى بن عمر، عن السدي، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: **كان عند النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **طيرٌ، فقال** .. ، الحديث ، وأخرجه الحاكم في **المستدرك** (٣/ ١٤١): من طريق محمد بن أحمد بن عياض بن أبي طيبة، عن أبيه، عن يحيى بن حسان، عن سليمان بن بلال، عن يحيى بن سعيد، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه قصة .

وأخرجه أيضاً (٣/ ١٤٢): من طريق إبراهيم بن ثابت، عن ثابت البناني، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيها قصة .

وقد أورد طرقه ابن الجوزي في **العلل المتناهية** (١/ ٢٢٥ ٢٣٤) وضعفها .

قال ابن الجوزي: (هذا حديث موضوع)[١]، وقال الحاكم أبو عبد الله: (إنه ليس بموضوع)[٢].

٢١- «**أنا دار الحكمة وعليّ بابها**»[٣].

٢٢- «**يا عليّ! لا يحلّ لأحد يُجنِب في هذا المسجد غيري وغيرك**»[٤].

والله أعلم.

تم بحمد الله وتوفيقه[٥].

ورده العلائي (ص٤٩ ح١٧) وحكم عليه بأنه من الضعيف الذي ينجبر إن لم يكن حسناً، وأورد ابن حجر (ص١٧٨٤ ح١٦) طريق الترمذي وحسّنه، وأورد كذلك الحديث عند الحاكم وكلامه، ثم ذكر بأن للحديث شاهدين عن سفينة وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقال: (سند كل منهما متقارب)، والله أعلم .

(١) أورده كما تقدم في **العلل المتناهية** (١/ ٢٢٥ ٢٣٤) وضعّف كل طرقه، ونقل حكم ابن طاهر عليه بالوضع .

(٢) فقد خرجه في **المستدرك على الصحيحين** كما تقدم، وقال: (حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه) .

(٣) ذكره البغوي (ح٤٧٧٢) من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأخرجه الترمذي (٦/ ٨٥ ح٣٧٢٣): من طريق شريك، عن سلمة بن كهيل، عن سويد بن غفلة، عن الصنابحي، عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال الترمذي بعد أن أخرجه : (هذا حديث غريب منكر، وروى بعضهم هذا الحديث عن شريك، ولم يذكروا فيه عن الصنابحي، ولا نعرف هذا الحديث عن أحد من الثقات غير شريك، وفي الباب عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) .

وأورده ابن الجوزي في **الموضوعات** (١/ ٣٤٩)، وقال ابن حبان (**المجروحين** ٢/ ٩٤): (هذا خبر لا أصل له ..) .

وقد رد ذلك العلائي (ص٥٢ ح١٨) وحسّنه وقوّى حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وابن حجر (ص١٧٨٥ ح١٧) وقال: (ضعيف، ويجوز أن يُحسّن)، وقوّى الشاهد عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

وحكم كل من العلائي وابن حجر لا يناقض قول الترمذي (غريب منكر)؛ وذلك لأن العلائي وابن حجر نقلا حكم الترمذي وعبارته دون حكمه بالنكارة، وبالتالي لم يناقشا ذلك ولم يتعرضا له، ومن المعلوم أن النكارة تطلق على الضعيف الذي يخالف أو الذي لا يحتمل تفرده، وبالتالي قد تتعذر تقويته، وقد ذهب د محمد التركي أن النكارة عند الترمذي مما لا ينجبر (يُنظر : **الحديث المنكر ودلالته عند الإمام الترمذي** ص٦٧)، وعلى كل حال : حكم الترمذي على الحديث بالنكارة لا يعارض حكم العلائي وابن حجر، فلكل إمام اجتهاده .

والذي يظهر أن الحديث في أشد حالاته ضعفاً لا ينزل إلى الوضع، والله أعلم .

(٤) ذكره البغوي (ح٤٧٧٤) من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقد أخرجه الترمذي (٦/ ٨٨ ح٣٧٢٧): من طريق سالم بن أبي حفصة، عن عطية، عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.. الحديث . قال علي بن المنذر: قُلت لِضرار بن صُرد: ما معنى هذا الحديث؟ . قال : لا يحلّ لأحد يستطرقه جُنُباً غيري وغيرك . ثم قال الترمذي : (هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وقد سمع مني محمد بن إسماعيل هذا الحديث واستغربه).

وأسنده ابن الجوزي (**الموضوعات** ١/ ٣٦٨)، وقال : (هذا حديث لا صحة له ..) .

وتعقب ذلك : العلائي (ص٥٥ ح١٩)، وضعّفه لكنه رد الحكم عليه بالوضع، وابن حجر (١٧٨٦ ح١٨)، وقال: (ضعيف، وقد يُحسّن) .والله أعلم .

(٥) **هذا آخر الرسالة، والحمد لله رب العالمين.** .

الخاتمة

أهم نتائج البحث :

فهذه أبرز نتائج البحث :

١. ظهور مكانة الحافظ القزويني في علم الحديث وعناية العلماء بما نُقل عنه .

٢. بيان مكانة كتابة مصابيح السنة للبغوي عند العلماء؛ فإنه قد تبيّن أن الأحاديث التي قيل إنها موضوعة لم تكن كذلك، مما يدلّ على حسن انتقاء الإمام البغوي وإمامته في علم الحديث .

٣. تضمنت الرسالةُ المحققة الأحاديثَ التي أجاب عنها الحافظين العلائي وابن حجر، وزادت عليها بأحاديث، وهي ثابتة في المخطوط وفي نقول العلماء عن القزويني من ألف في الموضوعات بعده .

٤. ظهور استفادة العلماء الذين ألّفوا في الموضوعات من بعضهم، وفي كثير من الأحيان تُنقل الأحكام دون تعقب أو بيان .

التوصيات العلمية :

وبعد الدراسة والعمل على رسالة الحافظ القزويني، فهذه أبرز التوصيات العلمية، فأوصي بما يلي :

١. العناية بتراث الحافظ القزويني العلمي ودراسة ما جاء عنه وجمع أحكامه المبثوثة في كتب الحديث .

٢. تحرير ضوابط الحكم بالوضع عند الحافظ القزويني .

٣. النظر في ضوابط الحكم بالوضع عند العلماء الذين ألفوا الموضوعات وخصوصاً التي يغلب عليها النقل عمن تقدم دون تعقب أو بيان وجه الحكم .

الفهارس

فهرس الأحاديث

طرف الحديث	الصفحة
أتاني جبريل، فقال: يا محمد، إن أمتك مختلفة بعدك	٣٤٧
إذا أذّنت فترسّل، وإذا أقمت فاحدر	٣٤٣
إذا كتب أحدكم كتاباً فَلْيُتَرّبه	٣٤٩
أعطوا السائل وإن جاء على فرس	٣٤٨
أقيلوا ذوي الهيآت عثراتهم إلا الحدود	٣٤٨
ألا إنها ستكون فتنة	٣٤٧
إن الناس يُمصّرون أمصاراً، وإن مِصراً منها يقال	٣٥١
إن لكل أمة مجوساً، وإن مجوس أمتي المكذبون بالقدر	٣٤٢
أنا دار الحكمة وعليّ بابها	٣٥٢
ترّبوا صحفكم أنجح لها	٣٤٩
حبُّك الشيء يُعمي ويصمّ	٣٤٩
رأى رجلاً يتبع حمامة، فقال: شيطان يتبع شيطاناً	٣٤٩
صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب: المرجئة والقدرية	٣٤٢
القدرية مجوس هذه الأمة؛ إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم	٣٤٢
قلتُ: لآتين أمير المؤمنين فلأسألنه عما سمعتُ العشية	٣٤٧
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بلالاً أن يرتل في الأذان	٣٤٤
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا أن نرتل الأذان	٣٤٤
كان عند النبي صلى الله عليه وسلم طيرٌ	٣٥١
لا تظهر الشماتة بأخيك فيرحمه الله ويبتليك	٣٤٩
لا حليم إلا ذو عثرة، ولا حكيم إلا ذو تجربة	٣٥٠
لكل أمة مجوس، ومجوس أمتي الذين يقولون (لا قدر)، إن مرضوا ..	٣٤٢
للسائل حق وإن جاء على فرس	٣٤٨
اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين	٣٥١
اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير	٣٥١

طرف الحديث	الصفحة
المرء على دين خليله؛ فلينظر أحدُكم من يُخالِلْـهُ	٣٥٠
مررتُ في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث فدخلت على علي	٣٤٧
من شغله القرآن عن ذكري	٣٤٦
من عزّى مصاباً فله أجره	٣٤٥
المؤمن غِرٌّ كريم، والفاجر خَبٌّ لئيم	٣٥٠
واجعل بين أذانك وإقامتك قدر ما يفرغ الآكل من أكله ..	٣٤٣
يا بلال! اجعل بين أذانك وإقامتك نفساً	٤٤٣
يا بلال! إذا أذّنت فترسّل في أذانك	٣٤٣
يا عباس! يا عماه! ألا أعطيك؟ ألا أمنحك؟	٣٤٤
يا عليّ! لا يحلّ لأحد يُجنِب في هذا المسجد غيري وغيرك	٣٥٢
يقول الرب عز وجل: من شغله القرآن عن ذكري	٣٤٦
يكون قوم في آخر الزمان يخضبون هذا السواد	٣٤٨

فهرس الغريب

الكلمة	الصفحة
ترب : (يترّبه)	٣٤٩
خبب : (خَبٌّ)	٣٥٠
رجل : (الترجّل)	٣٤٨
سبخ : (سِباخها)	٣٥١
ضحا : (ضواحيها)	٣٥١
غرر : (غِرٌّ)	٣٥٠
كلأ : (كلأها)	٣٥١

فهرس الأعلام المعرّف بهم أو الرواة المبيّن حالهم

	العَلَم أو الراوي	الصفحة
الأسماء	أحمد بن غزال البغدادي	٣٣٢
	أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد المحمود البغدادي	٣٣٣
	إسماعيل بن علي، أبو البركات وأبو الفضل ابن الطبال الحنبلي	٣٣٢
	الحارث الأعور	٣٤٧
	حسام بن أحمد بن عمر النعماني الحنفي	٣٣٣
	الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي	٣٢٦
	عبد الرحمن بن أحمد ابن رجب البغدادي الدمشقي الحنبلي	٣٣٣
	عبد المنعم بن نعيم صاحب السقاء	٣٤٣
	عطية العوفي	٣٤٦
	علي بن إبراهيم، ابن العطّار الشافعي	٣٣٢
	عمر بن بشير	٣٤٤
	عمر بن علي بن عمر القزويني	٣٣٢
	عمرو بن شِمر	٣٤٤
	محمد بن إسحاق	٣٤٧
	محمد بن الحسن الهمداني	٣٤٦
	محمد بن عبد الرحمن بن عبد المحمود البغدادي	٣٣٣
	محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله التبريزي	٣٢٦
	محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الشافعي	٣٣٣
الكنى	أبو الجوزاء	٣٤٤
	أبو المختار الطائي	٣٤٧
	ابن أخي الحارث الأعور	٣٤٧

المصادر والمراجع

١. **أجوبة الحافظ ابن حجر عن أحاديث المصابيح** لأبي الفضل أحمد بن ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢) (في آخر كتاب مصابيح السنة لأبي محمد الحسين بن مسعود بن الفراء البغوي الشافعي (ت٥١٦))، تحقيق د يوسف المرعشلي، محمد سليم، جمال الذهبي (بيروت: دار المعرفة، ط١، ١٤٠٧).

٢. **الأسماء والصفات** لأحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت٤٥٨)، تحقيق عبد الله الحاشدي (جدة: مكتبة السوادي، ط. ١، ١٤١٣).

٣. **الأعلام** لخير الدين محمد بن محمد الزركلي الدمشقي (ت١٣٩٦)، (بيروت: دار العلم للملايين، ط. ١٥، ٢٠٠٢).

٤. **تاريخ ابن معين رواية الدوري** لأبي زكريا يحيى بن معين بن عون المري البغدادي (ت٢٣٣)، تحقيق أحمد محمد نور سيف (مكتبة: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ط. ١، ١٣٩٩).

٥. **التاريخ الكبير** لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦)، عناية محمد عب المعيد (الهند: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٧٧).

٦. **تاريخ علماء بغداد المسمى منتخب المختار** لأبي المعالي محمد بن رافع السلامي (ت٧٧٤)، تصحيح وتعليق عباس العزاوي (بيروت: الدار العربية للموسوعات، ط. ٢، ١٤٢٠).

٧. **تذكرة الموضوعات** لمحمد طاهر الفَتني الهندي (ت٩٨٦) (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط. ٢، ١٣٩٩).

٨. **تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة** لأبي الفضل أحمد بن ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢)، تحقيق إكرام الله إمداد الحق (بيروت: دار البشائر، ط. ١، ١٤١٦).

٩. **تقريب التهذيب** لأبي الفضل أحمد بن ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢)، تحقيق محمد عوامة (حلب: دار الرشيد، ط. ١، ١٤٠٦).

١٠. **التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير** لأبي الفضل أحمد بن ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢) (بيروت: الكتب العلمية، ط. ١، ١٤١٩).

١١. **تهذيب الكمال في أسماء الرجال** لأبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن القضاعي الكلبي المزي ت٧٤٠)، تحقيق بشار عواد معروف (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط. ١، ١٤٠٠).

١٢. **الجامع الكبير** لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي (ت٢٧٩)، تحقيق بشار عواد معروف (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط. ١، ١٩٩٦).

١٣. **الجرح والتعديل لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد التميمي الحنظلي**، ابن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧)، عناية محمد عب المعيد (الهند: مجلس دائرة المعارف العثمانية بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط. ١، ١٣٧١).

١٤. **الحديث المنكر ودلالته عند الإمام الترمذي** لمحمد بن تركي التركي (الرياض: دار العاصمة، ط. ١، ١٤٣٠).

١٥. **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة** لأبي الفضل أحمد بن ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢)، عناية محمد عب المعيد (الهند: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط. ٢، ١٣٩٢).

١٦. **الدعاء** لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي الطبراني (ت٣٦٠)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: الكتب العلمية، ط. ١، ١٤١٣).

١٧. **الدلائل في غريب الحديث** لقاسم بن ثاب السرقسطي (ت٣٠٢)، تحقيق محمد القناص (الرياض: مكتبة العبيكان، ط. ١، ١٤٢٢).

١٨. **ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل** لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨)، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة (بيروت: دار البشائر، ط. ٤، ١٤١٠).

١٩. **ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد**، لمحمد بن أحمد الفاسي (ت٨٣٢)، تحقيق كمال الحوت (بيروت: الكتب العلمية، ط. ١، ١٤١٠).

٢٠. **ذيل طبقات الحنابلة** لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي الدمشقي الحنبلي (ت٧٩٥)، تحقيق د عبد الرحمن العثيمين (الرياض: العبيكان، ط. ١، ١٤٢٥).

٢١. **السنة** لعبد الله بن الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٩٠)، تحقيق محمد القحطاني (الدمام: دار ابن القيم، ط. ١، ١٤٠٦).

٢٢. **السنن** لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد البغدادي الدار قطني (ت٣٨٥)، تحقيق شعيب الأرناؤوط وجماعة (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط. ١، ١٤٢٥).

٢٣. **السنن الكبير** لأحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت٤٥٨)، تحقيق محمد عبد القادر عطا (بيروت: الكتب العلمية، ط. ٣، ١٤٢٤).

٢٤. **سنن النسائي (المجتبى من السنن)**، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي (ت٣٠٣)، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة (حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط. ٢، ١٤٠٦).

٢٥. **السنن** لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٣)، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد ومحمد كامل وعبد اللطيف حرز الله (بيروت: الرسالة العالمية، ط. ١، ١٤٣٠).

٢٦. **سؤالات البرقاني** للدار قطني رواية الكرجي عنه لأبي بكر أحمد بن محمد بن غالب البرقاني (ت٤٢٥)، تحقيق عبد الرحيم بن محمد القشقري (باكستان: كتب خانه جميلي، ط. ١، ١٤٠٤).

٢٧. **سير أعلام النبلاء** لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨)، تحقيق شعيب الأرناؤوط (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط. ٣، ١٤٠٥).

٢٨. **صحيح ابن خزيمة** لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري (ت٣١١)، تحقيق محمد الأعظمي (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٠) .

٢٩. **الضعفاء الكبير** لأبي جعفر محمد بن عمرو العقيلي المكي (ت٣٢٢)، تحقيق عبد المعطي قلعجي (بيروت: الكتب العلمية، ط. ١، ١٤٠٤) .

٣٠. **الضعفاء والمتروكون** لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي (ت٣٠٣)، تحقيق محمود إبراهيم زايد حلب: دار الوعي، ط. ١، ١٣٩٦) .

٣١. **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (ت٩٠٢) (بيروت: دار الجيل، ١٤١٢) .

٣٢. **طبقات المدلسين (تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس)** لأبي الفضل أحمد بن ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢)، تحقيق عاصم القريوتي (عمان: مكتبة المنار، ط. ١، ١٤٠٣) .

٣٣. **العلل المتناهية في الأحاديث الواهية** لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت٥٩٧)، تحقيق إرشاد الحق الأثري (فيصل آباد: إدارة العلوم الأثرية، ط. ١، ١٤٠١) .

٣٤. **العلل ومعرفة الرجال** برواية عبد الله لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١)، تحقيق وصي الله عباس (الرياض: دار الخاني، ط. ٢، ١٤٢٢) .

٣٥. **غاية النهاية في طبقات القراء** لأبي الخير محمد بن محمد ابن الجزري (ت٨٣٣)، اعتنى به برجستراسر (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ط. ١، ١٣٥١) .

٣٦. **غريب الحديث** لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت٥٩٧)، تحقيق عبد المعطي قلعجي (بيروت: دار الكتب العلمية، ط. ١، ١٤٠٥) .

٣٧. **فتح الباري شرح صحيح البخاري** لأبي الفضل أحمد بن ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي وأخرجه محب الدين الخطيب (بيروت:

دار المعرفة، ١٣٧٩) .

٣٨. **الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط** لمؤسسة آل البيت، (١٩٨٧).

٣٩. **الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة** لمحمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠)، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي (بيروت: الكتب العلمية، ط. ١، ١٤١٦) .

٤٠. **الكامل في ضعفاء الرجال** لأبي أحمد ابن عدي الجرجاني (ت٣٦٠)، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي عوض (بيروت: الكتب العلمية، ط. ١، ١٤١٨) .

٤١. **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار** لأبي بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم العبسي، ابن أبي شيبة ت٢٣٥)، تحقيق كمال الحوت (الرياض: مكتبة الرشد، ط. ١، ١٤٠٩) .

٤٢. **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين** لأبي حاتم محمد بن حبان التميمي البُستي (ت٣٥٤)، تحقيق محمود إبراهيم (حلب: دار الوعي، ط. ٣، ١٣٩٦) .

٤٣. **مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار الموضوعات** لمحمد طاهر الفَتني الهندي (ت٩٨٦) (الهند: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط. ٣، ١٣٨٧) .

٤٤. **مختصر قيام الليل** لأبي عبد الله محمد بن نصر المروزي (ت٢٩٤)، اختصره أحمد بن علي المقريزي (ت٨٤٥) (فيصل آباد: حديث أكادمي، ط. ، ١٤٠٨) .

٤٥. **مسائل الإمام أحمد** برواية ابنه عبد الله لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١)، تحقيق زهير الشاويش (بيروت: المكتب الإسلامي، ط. ١، ١٤٠١) .

٤٦. **مسائل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه** برواية إسحاق بن منصور الكوسج المروزي (ت٢٥١)، تحقيق مجموعة من الباحثين (المدينة: الجامعة الإسلامية، ١٤٢٥) .

٤٧. **المستدرك على الصحيحين** لأبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري الذي يعرف بان البيّع الحاكم (ت٤٠٥)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا بيروت: الكتب العلمية، ط. ١، ١٤١١) .

٤٨. **مسند أبي يعلى** لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي (ت٣٠٧)، تحقيق حسين سليم أسد (دمشق: دار المأمون للتراث، ط. ١، ١٤٠٤).

٤٩. **المسند** لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١)، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد وآخرون بإشراف د عبد الله التركي (بيروت: الرسالة، ط. ١، ١٤٢١).

٥٠. **مسند البزار (البحر الزخار)** لأبي بكر أحمد بن عمرو العتكي المعروف بالبزار (ت٢٩٢)، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله وجماعة (المدينة: العلوم والحكم، ط. ١، ١٤١٨-١٤٢٩).

٥١. **مسند الدارمي (الذي يعرف بسنن الدارمي)** لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدرامي التميمي السمرقندي (ت٢٥٥)، تحقيق حسين سليم أسد (السعودية: دار المغني، ط. ١، ١٤١٢).

٥٢. **مشكاة المصابيح** لولي الدين محمد بن عبد الله الخطيب العمري التبريزي (ت٧٤١)، تحقيق الشيخ محمد الألباني (بيروت: المكتب الإسلامي، ط. ٣، ١٩٨٥).

٥٣. **مشيخة سراج الدين عمر بن علي القزويني (ت٧٥٠)**، تحقيق د عامر صبري (بيروت: دار البشائر، ط. ١، ١٤٢٦).

٥٤. **مصابيح السنة** لأبي محمد الحسين بن مسعود بن الفراء البغوي الشافعي (ت٥١٦)، تحقيق د يوسف المرعشلي، محمد سليم، جمال الذهبي (بيروت: دار المعرفة، ط١، ١٤٠٧).

٥٥. **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير** لأحمد بن محمد الفيومي الحموي (ت٧٧٠)، تحقيق عبد العظيم الشناوي (القاهرة: دار المعارف، ط. ٢).

٥٦. **المعجم الأوسط** لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي الطبراني (ت٣٦٠)، تحقيق طارق عوض الله وعبد المحسن الحسيني (القاهرة: دار الحرمين، ١٤١٥).

٥٧. **معجم الشيوخ الكبير** لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨)، تحقيق د محمد الحبيب الهيلة (الطائف: مكتبة الصديق، ط. ١، ١٤٠٨).

٥٨. **المغني** لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد ابن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، ابن قدامة المقدسي (ت٦٢٠) (القاهرة: مكتبة القاهرة، ١٣٨٨).

٥٩. **الموضوعات** لجمال الدين عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧)، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان (المدينة: المكتبة السلفية، ط. ١، ١٣٨٦).

٦٠. **الموضوعات** لرضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن العدوي العمري القرشي الصغاني (ت٦٢٠)، تحقيق نجم عبد الرحمن خلف (دمشق: دار المأمون للتراث، ط. ٢، ١٤٠٥).

٦١. **ميزان الاعتدال في نقد الرجال** لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨)، تحقيق علي البجاوي بيروت: دار المعرفة، ط. ١، ١٣٨٢).

٦٢. **النقد الصحيح لما اعترض من أحاديث المصابيح** لصلاح الدين خليل بن كيكلدي الدمشقي العلائي (ت٧٦١)، تحقيق د عبد الرحيم القشقري (المدينة: المؤلف، ط. ١، ١٤٠٥).

٦٣. **النهاية في غريب الحديث** والأثر لمجد الدين أبي السادات المبارك بن محمد بن محمد الشيباني الجزري، ابن الأثير (ت٦٠٦)، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي (بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٩٩).

٦٤. **هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة** لأبي الفضل أحمد بن ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢)، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، تحقيق علي حسن عبد الحميد (القاهرة: دار ابن عفان، الدمام: دار ابن القيم، ط. ١، ١٤٢٢).

مجلة تعظيم الوحيين

مَنْهَجُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْمُتَكَلِّمَةِ فِي التَّعَامُلِ مَعَ الْمَسَائِلِ الْغَيْبِيَّةِ: ذَبْحُ الْمَوْتِ وَعَذَابُ الْقَبْرِ

-أنموذجاً-

دراسة في قراءة أهل السنة والمتكلمة لنصوص الوحيين

عزيزة ارمولي

باحثة بمرحلة الدكتوراه: كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة ابن طفيل بالقنيطرة المملكة المغربية

aziza.armouli19@gmail.com

مجلة تعظيم الوحيين

مُلخَّص البَحث

موضوع البحث:

إبراز أهمية المنهج في تناول القضايا الغيبية، مع بيان أثر اختلاف المنهج بين أهل السنة والمتكلمة في تقرير هذه الأخبار كقضية: «ذبح الموت»، و«عذاب القبر».

هدف البحث:

مناقشة أدلة الفريقين، وبيان منهجهما في التعامل مع نصوص الوحي خاصة مسألة: «ذبح الموت» و«عذاب القبر».

مشكلة البحث:

ما السر في اختلاف أهل السنة مع غيرهم في التعامل مع الأخبار الغيبية كقضية: «ذبح الموت»، و«عذاب القبر»؟ وهل للمنهج دور في هذا الاختلاف؟

نتائج البحث:

١. الاختلاف في المنهج خاصة في القضايا الغيبية من شأنه أن يؤدي إلى التباين في التعامل معها .

٢. الاختلاف في المنهج أدى بفريق إلى تمرير تلك الأخبار يقينا منه بأن: من الله العلم وعلى الرسول البلاغ وعلى الأمة التسليم، بينما استنكف فريق آخر السير على سنن أهل الاتباع فركب مطية التأويل فتسبب في تعطيل أخبار ثابتة بمقتضى الوحي.

الكلمات الدالة (المفتاحية):

منهج: أهل السنة- المتكلمة - ذبح الموت -عذاب القبر.

مجلة تعظيم الوحيين

المُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[سورة الأحزاب: ٧٠ - ٧١]، أما بعد؛ فإن خير الحديث كتاب الله -تعالى-، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد، لاشك أن علم العقائد من العلوم التي لا يدرك كنهها إلا بمقتضى ما أخبر به الحق -سبحانه-، وبَيَّنَهُ نبيه الأكرم -صلوات ربي وسلامه عليه-ومن بين أهم القضايا العقدية التي يستعان في فهمها على السنة البيانية مسألة: «ذبح الموت»، و«عذاب القبر»، فرغم وجود الدليل السمعي على ثبوتهما إلا أن بعض المتكلمة رفضوا قبول النصوص الخبرية على ظاهرها، وعملوا على تأويلها، مع أن هذه المسائل الغيبية لا يمكن للعقل أن يستوعبها بقدراته المحدودة.

لهذا كان لازما أن نرصد السبب الذي جعل هؤلاء المتكلمة يعطلون هذه الأخبار، ويرفضون منهج أهل السنة في إثبات هذين الخبرين.

لهذا جاء البحث بعنوان:

منهج أهل السنة والمتكلمة في التعامل مع المسائل الغيبية:«ذبح الموت وعذاب القبر» -أنموذجا-

أولاً: أهمية البحث:

تظهر أهمية هذا البحث في كونه؛

١- يبرز أهمية المنهج في التعامل مع القضايا الغيبية؛ لأن الاختلاف في المنهج هو الذي أدى بالبعض إلى تعطيل نصوص الوحي.

٢- التأكيد على أن إعمال العقل في المسائل الغيبية سفسطة لا تؤدي سوى إلى تعطيل ما أقره الوحي.

٣-أصالته في تقصي منهج أهل السنة في التعامل مع مسائل الغيب.

٤- تنبيه المعاصرين أن المنهج الصحيح في التعامل مع الوحي هو اتباع ما كان عليه سلف الأمة.

٥- إبراز أن مخالفة أهل الاتباع هو الذي جر على الأمة الفتن والقلاقل، ومزق وحدتها العقدية، حتى هان شأنها عند أعدائها.

ثانياً: أسباب اختيار موضوع البحث:

لعل أبرز أسباب اختيار هذا الموضوع هي:

١- أهمية المنهج في التعامل مع القضايا العقدية خاصة المسائل الغيبية منها.

٢- جدة هذا الموضوع من حيث البحث والثمرة والنتيجة، وأصالته من ناحية المصدر.

٣- دقة هذا الموضوع وتداخله بين علم أصول الدين والتفسير والحديث وعلومه، وكتب التاريخ والتراجم...

ثالثاً: أهداف البحث:

تكمن أهداف البحث فيما يلي:

١- معرفة منهج أهل السنة والمتكلمة في التعامل مع القضايا الغيبية خاصة مسألة: «ذبح الموت» و«عذاب القبر».

٢- الوقوف على الأسلوب الحجاجي للمثبتين من أهل السنة في رد شبهات المؤولة والمعطلة من أهل الكلام لنصوص الوحيين.

٣- بيان الترابط الوثيق بين الانحراف في المنهج وتعطيل نصوص الوحي.

٤- إبراز أن بيان المسائل الغيبية وغيرها مرجعه الأساس القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة بمنهج الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

٥- التأكيد على أن إعمال العقل في مسائل الغيب شذوذ وخروج وانحراف عن النهج القويم.

رابعاً: مشكلة البحث:

ومشكلة البحث هي: ما السبب في اختلاف أهل السنة وبعض المتكلمة في التعامل مع خبر: «ذبح الموت»، و«وعذاب القبر»، وهل للمنهج دور في هذا التباين؟

خامساً: حد البحث والدراسة:

سينحصر البحث في بيان منهج المتقدمين من أهل السنة وأهل الكلام في التعامل مع هذه النصوص الخبرية مع رصد الأسلوب الحجاجي للمثبتين من أهل السنة في رد شبهات المؤولين من أهل الكلام.

سادساً: حدود مصادر البحث:

حدود البحث العلمية: كتب العقائد والفرق الأصيلة، وكتب التفسير والحديث وعلومه، وكذلك الاستعانة بكتب شروح الحديث، وكتب السير والأخبار ...

سابعاً: الدراسات السابقة:

صحيح أنه هناك دراسات تناولت هاتين المسألتين، لكن -بحسب علمي المحدود- لم أقف على دراسة قامت بتحرير المسألتين بنفس المنهجية التي اعتمدتها من خلال سَوْقِ أقوال الفريقين معًا، والوقوف على منهج أهل السنة في الرَدِّ على شبهات هؤلاء المتكلمة، مع التأكيد على أهمية المنهج، وعلى الرغم من ذلك فقد استفدت من بعض الدراسات في بناء الجانب النظري لدراستي، ولعل أهم هذه الدراسات:

- «تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي»/ المؤلف: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر/ غراس للنشر والتوزيع/ لطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

- «أحداث الآخرة» بقلم: سعد يوسف أبو عزيز/ طبع: دار التوفيقية للتراث، حيث عمل على سرد الآيات والأحاديث وأقوال ابن القيم من خلال كتابه «الروح» دون بسط شبه المتكلمة من خلال كتبهم.

- «الموت وأحوال من الآخرة»: للباحث: د. طه ياسين كاظم الدليمي حيث حرره في ثلاث وثلاثين صفحة، لكنه اكتفى في مبحث الرد على منكري عذاب القبر بشبهة واحدة نقلها عن كتب الأشاعرة دون تحريرها من كتبهم، كما لم يتناول باقي الشبهات التي حررتها في بحثي، وأغفل ذكر نصوص المفسرين في تفسير الأدلة المثبتة لعذاب القبر.

- «الطعن في حديث: يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح» مقال منشور بموقع: «بيان الإسلام للرد على شبهات حول الإسلام».

- «الرد على من زعم أخذ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لعقيدة عذاب القبر من اليهود» مقال منشور بموقع: «الإسلام: سؤال وجواب».

- «صور من عذاب القبر» لنفس الموقع.

وينبغي أن أشير إلى أن البحث اعتمد بشكل كبير على الأصول من تفاسير المتقدمين وكذا في باب أصول الدين من كلا الجانبين، ويبقى أن لكل باحث اجتهاده في منهج التناول لمثل هذه القضايا وتحريرها، والله أسأل أن لا يحرم كل من أسهم في بيان المنهج القويم في التعامل مع مثل هذه القضايا الغيبية، أجر اجتهاده، وأن يرزقنا وإياهم الإخلاص والسداد، والتوفيق والرشاد.

ثامناً: خطة البحث:

انتظم سلك هذا البحث كما يلي:

- **مقدمة:** وفيها بيان أهمية الموضوع، وحدوده، والمنهج المتبع، وخطة البحث.

- **تمهيد:** أهمية المنهج في التعامل مع القضايا العقدية لاسيما الغيبية منها.

- **المبحث الأول: منهج أهل السنة وأهل الكلام في التعامل مع خبر: «ذبح الموت»**

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: منهج أهل السنة في إثبات خبر: ذبح الموت».

المطلب الثاني: منهج أهل الكلام في تأويل هذا الخبر ورد أهل السنة عليهم.

- **المبحث الثاني: منهج أهل السنة وأهل الكلام في التعامل مع خبر: «عذاب القبر»،**

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: منهج أهل السنة في إثبات خبر: «عذاب القبر».

المطلب الثاني: منهج أهل الكلام في تعطيل هذا الخبر ورد أهل السنة على شبهاتهم.

- **الخاتمة**: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

-**الفهارس**: فهرس للمصادر والمراجع.

تاسعاً: منهج البحث:

يعتمد هذا البحث أصالة على المنهج الاستقرائي التحليلي، دون أن يغيب المنهج النقدي، ومن متممات هذا المنهج ولوازمه ما يلي:

١. عزو الآيات إلى سورها بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٢. تخريج الأحاديث والآثار من مصادرها الأصيلة بذكر اسم الكتاب والباب، ورقم الحديث، مع رصد أقوال علماء الجرح والتعديل بشأنها.

٣. عزو معاني الألفاظ إلى المعاجم اللغوية لاسيما المتقدمة منها.

٤. ترجمة الأعلام بالرجوع إلى كتب التراجم.

٥. الاستعانة بكتب العقائد والفِرَقِ الأصيلة، وكتب التفسير والأصول، والحديث وشروحه، والتاريخ والسير...

٦. عزو الأقوال إلى أصحابها من كتبهم مباشرة عدا إذا استعصى الوقوف عليها في أصولها إما لأنها مفقودة أو لأنها لم تحقق بعد؛ كشأن أبي بكر الأصم حيث اعتمدت الواسطة

في بيان مذهبه من خلال ما ذكره ابن بطال في شرحه على صحيح البخاري، وكشأن ضرار بن عمرو فيما حكاه عنه القاضي عبد الجبار في: «شرحه للأصول الخمسة»، وكذلك قول الكعبي فيما حكاه عنه الفخر الرازي في: «مفاتيح الغيب»، أما بخصوص الدراسات التي ظهرت مؤخرا لبعض هؤلاء المعتزلة فما هي إلا تجميع لأقوالهم من خلال الكتب التي نقلت أصولهم، كشأن فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير.

٧. راعيت في اعتماد هذه المصادر الترتيب التاريخي احتراما لتاريخ الأفكار من جهة، ولكون ذلك الترتيب يبين أن الخلف من كلا الجانبين لم يشذ كثيرا عن سلفه.

هذا وأسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يرزقني الصدق والإخلاص في العمل، وأن يمن علي بحسن القبول وأن ينفع بما وفقني إليه من إبراز أهمية المنهج في التعامل مع الوحي لاسيما في المسائل الغيبية، كما أسأله سبحانه أن يجعل جهدي وتعبي ونتاج بحثي في صحيفتي يوم القيامة، وأن يجزي عني والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومشايخي خير الجزاء، وأن يجزل العطاء لأمي حفظها الله ورعاها ورزقها دوام الصحة والعافية، كما أسأله -تعالى شأنه- أن يغفر لي ما في هذا البحث من أخطاء وزلات، وكما قيل:

والنقص في أصل الطبيعة كامن فبنو الطبيعة نقصهم لا يجحد.

تمهيد

تعتبر المسائل الغيبية من القضايا الشائكة التي يصعب على المكلف استيعابها بمقتضى العقل، ومن ثم فلا مجال لمعرفتها إلا بواسطة الخبر، بمعنى أن إدراك هذه القضايا يأتي من قبل الآيات الحكيمة وبما بينته السنة النبوية الصحيحة؛ لأن أقوال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى جانب أفعاله وتقريراته وحي كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [سورة النجم:٣- ٤]، وما دامت السنة وحي فلا غرو أن يكون من بين أهم أدوارها البيان والتبيين لما أجمل من الذكر الحكيم؛ قال تعالى مخاطباً نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[سورة النحل:٤٤]، بل إن النص القرآني نفسه قد أعطى لنبي الهدى حق التشريع أيضا يقول عز من قائل: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[سورة النساء:١١٣].

يقول الإمام الشاطبي(١) رَحِمَهُ اللَّهُ: «يُطْلَقُ لَفْظُ «السُّنَّةِ» عَلَى مَا جَاءَ مَنْقُولًا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْخُصُوصِ، مِمَّا لَمْ يُنَصّ عَلَيْهِ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ، بَلْ إِنَّمَا نُصَّ عَلَيْهِ من جهته -عليه الصلاة وَالسَّلَامُ-، كَانَ بَيَانًا لِمَا فِي الْكِتَابِ أَوَّلاً».

وما قرره الإمام الشاطبي له أصل من حديث الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَلاَ إِنِّي أُوتِيتُ الكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ**»(٢).

---

(١) «**الموافقات**»/ للإمام الشاطبي (ت:٧٩٠هـ)/ (٤/ ٢٩٠).

(٢) «إسناده صحيح»: أخرجه أحمد في:«**مسنده**»/ (مسند الشاميين/ حديث المقدام بن معدي كرب الكندي/ ح:١٧١٧٤)، وأبو داود في:«**سننه**»، في كتاب: السنة/ باب: في لزوم السنة/ ح: ٤٦٠٤)، وابن بطة في:«**الإبانة الكبرى**»/ (باب: ذكر ما جاءت به السنة من طاعة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ/ ح:٦٢)، من طرق، عن حَرِيز، عن عبد الرحمان بن أبي عوف الجُرَشِي، عن المقدام بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الكِنْدِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا.

قلت: حريز بن عثمان الرُّحَبِي: من الثقات الأثبات، رمي بالنصب.«**التقريب**»/ (ص:١٧٠)، وعبد الرحمان بن أبي عوف الجُرَشِي: من الثقات أيضا.«**التقريب**»/ (ص:٤٧٠)، والمقدام بن معدي كرب هو من الصحابة رضوان الله عليهم . فإسناد الحديث صحيح، لأن رواته من الثقات العدول، لهذا صححه الألباني عند تحقيقه لكتاب:«**الإيمان**» (ص: ٣٦)، وأورده في:«**صحيح سنن أبي داود**»/

قال أبو القاسم الخطابي[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي أُذِنَ له أن يبين ما في الكتاب ويعم ويخص وأن يزيد عليه فَيُشَرِّعَ ما ليس له في الكتاب ذكرٌ، فيكون ذلك في وجوب الحكم ولزوم العمل به كالظاهر المتلو من القرآن» ولتأكيد ذلك استدل الإمام البغوي[2] بقوله -تعالى-: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾، [سورة البقرة:١٢٩]، حيث فهم أن بيان الكتاب إلى الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وكيف لا؟! وقد آتاه الله الحكمة وهي السنة، يقول ابن قيم الجوزية في كتابه: «**التبيان في أقسام القرآن**»[3]: «وقد صح عنه أنه قال « **أَلاَ إِنِّي أُوتِيتُ الكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ** » وهذا هو السنة بلا شك وقد قال -تعالى-: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾، [سورة النساء:١١٣]، وهما القرآن والسنة».

لهذا كله يظهر أن معرفة الإسلام -لاسيما المسائل العقدية منه- لا يكون إلا بالرجوع المطلق إلى الوحي المتمثل في الكتاب والسنة، ولا مجال لمقارنتها بالقراءات البشرية القاصرة خاصة في باب الأمور الغيبية التي لا يمكن إخضاعها لأقوالهم واجتهاداتهم مهما أوتوا من العلم، بل الواجب الإيمان بها والتسليم بما ورد في القرآن وبما صح من حديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الإنسان يبقى محدود المعرفة، ومحصور الفكر والنظر بالمقارنة مع الخالق الذي له كمال العلم والحكمة، وبالتالي فإنه لا يقدر أن يستوعب ما يجري في هذا الكون الشاسع، يقول -سبحانه-: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[سورة الإسراء: ٨٥]، أي أن ما: «أعطاكم الله من العلم قليل فيما عنده من العلم»[4]، لهذا قال العبد الصالح: الخضر رَحِمَهُ ٱللَّهُ لموسى -عليه السلام-: «**وَاللَّهِ مَا عِلْمِي وَمَا عِلْمُكَ فِي جَنْبِ عِلْمِ اللهِ إِلَّا كَمَا أَخَذَ هَذَا الطَّائِرُ بِمِنْقَارِهِ مِنَ البَحْرِ**»[5].

(٣/ ١١٧ ١١٨).

(١) «**معالم السنن**»/ لأبي سليمان الخطابي (ت: ٣٨٨هـ)/ (٤/ ٢٩٨).

(٢) ينظر: «**شرح السنة**»/ للبغوي/ (ت: ٥١٦هـ)/ (١/ ٢٠٢).

(٣) «**التبيان في أقسام القرآن**» / لابن القيم (ت:٧٥١هـ)/ (ص: ٢٤٩).

(٤) ينظر: «**بحر العلوم**»/ لأبي الليث السمرقندي (ت:٣٧٣هـ) / (٣/ ٢٥).

(٥) أخرجه **البخاري** في :«كتاب: **التفسير**/ باب :«فلما بلغا مجمع بينهما.../ ح:٤٧٢٦)، عن أبي بن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، مرفوعاً.

يقول ابن حجر[١] في تعليقه على قول الخضر: « من الفوائد أن الله يفعل في ملكه ما يريد ويحكم في خلقه بما يشاء مما ينفع أو يضر فلا مدخل للعقل في أفعاله ولا معارضة لأحكامه بل يجب على الخلق الرضا والتسليم فإن إدراك العقول لأسرار الربوبية قاصر فلا يتوجه على حكمه لِمَ وَلاَ كَيْفَ، كما لا يتوجه عليه في وجوده أين وحيث، وإن العقل لا يحسن ولا يقبح وأن ذلك راجع إلى الشرع ... فليحذر المرء من الاعتراض فإن مآل ذلك إلى الخيبة»، وبالتالي وجب تمرير ما أخبر به الشارع الحكيم وبينه نبيه الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، على ظاهره، يقول الإمام أحمد[٢]: «**نُؤْمِنُ بِهَا وَنُصَدِّقُ بِهَا وَلَا نَرُدُّ شَيْئًا مِنْهَا إِذَا كَانَتْ أَسَانِيدُ صِحَاحَ وَلَا نَرُدُّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ قَوْلَهُ وَنَعْلَمُ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ حَقٌّ**»، فالأمور الغيبية هي فوق مستوى العقل وإدراكه، وهذا لا يعني أنها مناقضة لأحكامه أو مستحيلة في حكمه، كما أن العقل الصريح لا يمكنه إطلاقا أن يناقض الوحي الصحيح؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية[٣] رَحِمَهُ اللَّهُ: «فجميع ما يخبر به الرسول عن الله صدق وحق لا يجوز أن يكون في ذلك شيء مناقض لدليل عقلي ولا سمعي، فمتى علم المؤمن بالرسول أنه أخبر بشيء من ذلك جزم جزما قاطعا أنه حق وأنه لا يجوز أن يكون في الباطن بخلاف ما أخبر به، وأنه يمتنع أن يعارضه دليل قطعي لا عقلي ولا سمعي، وأن كل ما ظن أنه عارضه من ذلك فإنما هو حجج داحضة وشبه من جنس شبه السوفسطائية[٤]».

ولا عجب في ذلك، فالعقل مخلوق وهو يؤدي وظيفته من خلال قدراته المحدودة، ومن خلال ما يدركه بحواس الإنسان المحدودة، فالقدرة المطلقة والإحاطة الشاملة هي

(١) «**فتح الباري**»/ لابن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ)/ (١/ ٢٢٠ ٢٢١).
(٢) ينظر: «**شرح أصول اعتقاد أهل السنة**»/ للالكائي (ت:٤١٨هـ)/ (٣/ ٥٠٢).
(٣) «**درء تعارض العقل والنقل**»/ لابن تيمية (ت:٧٢٨هـ)/ (١/ ١٧٢).
(٤) «**السوفسطائية**»: هم الَّذين ينفون العلم وينفون حقائق الاشياء كلهَا، لهذا عُدُّوا معاندين لما قد علموه بِالضَّرُورَةِ، كما زعموا أن حقائق الاشياء تَابِعَة للاعتقاد وصححوا جَمِيع الاعتقادات مَعَ تضادها وتنافيها، وقد بسط ابن حزم مقالتهم وفندها وكشف عَوَرَهَا من خلال كتابه:«**الفصل**» ينظر:«**الفرق بين الفرق**»/ (ص:٣١١)، و«**الفصل في الملل والأهواء والنحل**»/ (١/ ١٤ ١٥).

من صفات الخالق وحده وليست من صفات العقل المخلوق، وقس على ذلك ما يتعلق بالذات الإلهية، لهذا استغرب ابن القيم[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ ممن أراد أن يعمل العقل فيما لا يسع إدراكه إلا بمقتضى الوحي، يقول: «فكيف يطمع العقل المخلوق المحصور المحدود في معرفة كيفية من له الكمال كله والجمال كله والعلم كله والقدرة كلها والعظمة كلها والكبرياء كلها !؟».

ومن هنا تبرز أهمية منهج الصحابة في تعاملهم مع بيان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهذه المسائل التي تخص عوالم الأزل الغيبية؛ فالصحابة كان لهم الفضل والسبق في الإسلام، ومنزلتهم لا يتقدمها أحد، لا من عامة المسلمين ولا من خاصتهم، يقول ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**إِنَّ اللهَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ، فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا، فَهُوَ عِنْدَ اللهَّ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللهَّ سَيِّئٌ**»[2]، ويكفيهم رفعة بما وصفهم به -سبحانه وتعالى-: ﴿لَّقَدْ

(١) «**مدارج السالكين**» / لابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ)/ (٣/ ٣٥٣).

(٢) «إسناده حسن»: أخرجه أبو داود الطيالسي في: «**مسنده**»/ (ما أسند عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ/ ح:٢٤٣)، والطبراني في:«**معجمه**»/ (خطبة ابن مسعود،/ ح:٨٥٨٣)، والبيهقي في:«**الاعتقاد**»/ (ص:٣٢٢/ باب: القول في: أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آله ورضي عنهم)، من طريق المسعودي، عن عاصم، عن أبي وائل، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ به.

وأخرجه أحمد في:«**مسنده**»/ (مسند المكثرين من الصحابة/ مسند عبد الله بن مسعود/ ح:٣٦٠٠)، والبزار في:«**البحر الزخار**»/ (زر بن حبيش/ ح:١٨١٦)، من طريق أبي بكر بن عياش، عن عاصم، عن زر بن حُبَيْش، عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ به.

قال الدارقطني في:«**العلل الواردة في الأحاديث النبوية**»/ (٥/ ٦٦): فَقَالَ: يرويه عاصم وَاخْتُلِفَ عَنْهُ، فَرَوَاهُ أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ، وَابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرٍّ، عَنْ عَبْدِ اللهَّ، وَخَالَفَهُمَا الْمَسْعُودِيُّ، وَحَمْزَةُ الزَّيَّاتُ، فَرَوَيَاهُ عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللهَّ.

وَخَالَفَهُمْ نُصَيْرُ بْنُ أَبِي الْأَشْعَثِ، رَوَاهُ عَنْ عَاصِمٍ، عَنِ الْمُسَيَّبِ بْنِ رَافِعٍ، وَمُسْلِمُ بْنُ صُبَيْحٍ، عَنْ عَبْدِ اللهَّ، ورواه الأعمش، وَاخْتُلِفَ عَنْهُ؛ فَقَالَ عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ حَرْبٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ عَبْدِ اللهَّ، وَقَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ مَالِكِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ عَبْدِ اللهَّ»

قلت: المسعودي: عبد الرحمان بن عبد الله بن مسعود الكوفي: قال ابن حجر: صدوق اختلط قبل موته، وضابطه أن من سمع منه ببغداد فبعد الاختلاط.«**التقريب**»/ (ص:٤٦٤)، وقال في: «**تهذيب التهذيب**»/ (٦/ ٢١٠): وإنما اختلط المسعودي ببغداد ومن سمع منه بالكوفة والبصرة فسماعه جيد وقال حنبل عن أحمد سماع أبي النضر وعاصم وهؤلاء من المسعودي بعدما اختلط.

وأبو بكر بن عياش الكوفي: ثقة عابد إلا أنه لما كبر ساء حفظه، وكتابه صحيح.«**التقريب**»/ (ص:٨٨٨)، وذكر في:«**تهذيب التهذيب**»/ (١٢/ ٣٥)، أنه حدث: عن عاصم بن بهدلة أحد القراء هو في كل رواياته عن كل من روى عنه لا بأس به وذلك إني لم أجد له حديثا منكرا إذا روى عنه ثقة إلا أن يروي عن ضعيف.

قلت: والحال أنه يروي عن عاصم وهو ممن اختلف فيه وهو ليس بالضعيف الذي تسقط روايته، فعاصم بن بهدلة: صدوق له أوهام، حجة في القراءة.«**التقريب**»/ (ص:٣٦٩)، وابو وائل: شقيق بن سلمة من الثقات.«**التقريب**»/ (ص:٣٤٢)، لهذا تكون رواية أحمد

﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحًا قَرِيبًا﴾[الفتح:١٨]، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، فَيَغْزُو فِئَامٌ**[1] **مِنَ النَّاسِ، فَيَقُولُونَ: فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ رَسُولَ اللَّهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ مَنْ صَاحَبَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ**»[2].

فالواجب على كل فرد مسلم التأسي بالصحابة واتباع منهجهم في تلقي الوحي والإيمان به على ظاهره، يقول اللالكائي[3]: « فلم نجد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله وآثار صحابته إلا الحث على الاتباع، وذم التكلف والاختراع، فمن اقتصر على هذه الآثار كان من المتبعين».

وقد توعد الله -تعالى- من ينحرف عن منهجهم بقوله -عز من قائل-: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[النساء:١١٥]، قال أبو جعفر الطبري[4]: «يتبع طريقًا غير طريق أهل التصديق، ويسلك منهاجًا غير منهاجهم، وذلك هو الكفر بالله، لأن الكفر بالله ورسوله غير سبيل المؤمنين وغير منهاجهم»، فلم يثبت عن الصحابة أن عمدوا إلى التأويل -خاصة ما يتعلق بالاعتقاد- ليقينهم أن ذلك يخرج عن مدركات عقولهم، ومن ثم كان منهجهم في ذلك التسليم والإذعان؛ بمعنى أن الوحي هو المُوَجِّه والعقل يمارس وظيفته في ظل توجيهات الوحي، وكل من أراد تجاوز الوحي وأراد إخضاع النصوص لرأيه فإنه يكون بذلك قد سلك سبيل إبليس -لعنه الله- لما رفض تنفيذ

إسنادها حسن، وهذا ما نحا إليه ابن القيم في:«**الفروسية المحمدية**»/ (ص:٢٣٨)، قال: ثابت عن ابن مسعود، وحسنه ابن حجر في:«**الأمالي المطلقة**»/ (ص:٦٥)، وقال الألباني في:«**السلسة الضعيفة**»/ (٢/ ١٧):«إسناده حسن»، والله أعلم.

(١) «فئام»: الجماعة من الناس وغيرهم. ينظر:«**العين**»/ (مادة: فأم).

(٢) «متفق عليه»: أخرجه **البخاري** في: (كتاب:أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ/ باب:فضائل أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ/ ح:٣٦٤٩)، و**مسلم** في: (كتاب: فضائل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ / باب: فضل الصحابة/ ح:٦٥٠٢)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مرفوعا.

(٣) «**شرح أصول اعتقاد أهل السنة**»/ اللالكائي (ت:٤١٨هـ)/ (١/ ٢٣).

(٤) ينظر:«**جامع البيان**»/ لأبي جعفر الطبري (ت:٣١٠هـ)/ (٩/ ٢٠٥).

أمر الله بدعوى تميزه عن آدم -عليه السلام- يقول ابن أبي العز الحنفي[1]: «وَكُلُّ مَنْ قَالَ بِرَأْيِهِ وَذَوْقِهِ وَسِيَاسَتِهِ - مَعَ وُجُودِ النَّصِّ، أَوْ عَارَضَ النَّصَّ بِالْمَعْقُولِ - فَقَدْ ضَاهَى إِبْلِيسَ، حَيْثُ لَمْ يُسَلِّمْ لِأَمْرِ رَبِّهِ، بَلْ قَالَ: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [سورة ص:٧٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[سورة النساء:٨٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[سورة آل عمران:٣١]، وَقَالَ تَعَالَى:﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[النساء: ٦٥]، أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِنَفْسِهِ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوا نَبِيَّهُ وَيَرْضَوْا بِحُكْمِهِ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا».

وفي هذا السياق ينبغي أن أشير إلى أن السنة كان لها أثرٌ ظاهرٌ في تكوين فهم المسلمين الأوائل للإسلام عقيدة وشريعة، وتأثير بيِّنٌ في تحديد المجالات التي يمكن للمسلم أن يُعْمِل تفكيره فيها، ومن ثم تحديد آفاق عوالمه الممكنة والمستحيلة؛ فالعقل محدود المعرفة، وقاصر عن إدراك المسائل الغيبية، وسلطان الوحي يجعله يقنع أن هناك حدودا لا يستطيع أن يسبر أغوارها لعجزه عن إدراكها، يقول الإمام الشاطبي[2] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الشريعة بَيَّنَتْ أن حكم الله على العباد لا يكون إلا بما شرع في دينه على ألسنة أنبيائه ورسله، ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[سورة النساء:٥٩]».

لأجل هذا كله يجدر بالمسلم أن يدرك أنه في مثل هذه الأمور لا يسعه إلا أن يسلم بما جاء في الوحيين حتى لا يقع فيما وقع فيه بعض المتكلمة من تعطيل أو تأويل لنصوص الوحي، قال تعالى:﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة القصص:٥٠].

(١) «**شرح العقيدة الطحاوية**»/ لابن أبي العز الحنفي (ت:٧٩٢هـ)/ (ص: ١٧٦).
(٢) «**الاعتصام**»/ للإمام الشاطبي (ت:٧٩٠هـ)/ (٢/ ٥٢٦).

ومن بين أبرز المسائل الغيبية التي تولت السنة النبوية الشريفة بيانها مسألة: «ذبح الموت» و«عذاب القبر»، فكيف كان منهج أهل السنة وأهل الكلام في التعامل مع هذين الخبرين؟ ولماذا اختار فريق الإمرار بينما اختار الآخر التأويل؟

هذا ما سأعمل على تفصيله بإذن الله -تعالى- من خلال المبحثين التاليين:

-**المبحث الأول**: منهج أهل السنة وأهل الكلام في التعامل مع خبر: «ذبح الموت».

-**المبحث الثاني**: منهج أهل السنة وأهل الكلام في التعامل مع خبر: «عذاب القبر».

المبحث الأول:

منهج أهل السنة وأهل الكلام في التعامل مع خبر:

«ذبح الموت»

كيف تعامل المتقدمون من أهل السنة والمتكلمة مع هذا الخبر؟ وهل مرروا النصوص المثبتة لهذا الخبر على ظاهرها أم أقحموا العقل في تأويلها؟ هذا ما سيفصل فيه من خلال المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: منهج أهل السنة في إثبات خبر: «ذبح الموت»

يعد ذبح الموت من الأخبار التي يستعان في فهمها بما ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبمنهج الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وكما سيأتي فقد بينت السنة أن معنى ذبح الموت أنه يؤتى به يوم القيامة على هيئة كبش أملح فيذبح على رؤوس الأشهاد.

وقد استدل السلف الصالح لإثبات هذا الخبر بقوله تعالى﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[سورة مريم: ٣٩]، واستعانوا في تفسير هذه الآية بحديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: وهَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾**[سورة مريم: ٣٩]، **وَهَؤُلاَءِ فِي غَفْلَةِ أَهْلُ الدُّنْيَا «وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ»**»[1].

(١) «متفق عليه»: أخرجه الشيخان؛ **البخاري** في: (كتاب: تفسير القرآن/ باب: قوله:«وأنذرهم يوم الحسرة»/ ح: ٤٧٣٠)، **ومسلم** في: (كتاب: الجنة/ باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء/ ح: ٢٨٤٩).

وهذا الحديث هو الذي اعتمده معظم المفسرين في بيان هذه الآية، ومن هؤلاء؛ شيخ المفسرين أبو جعفر الطبري إلى جانب استعانته بأقوال الصحابة منهم؛ حبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول(١): «يصور الله الموت في صورة كبش أملح(٢)، فيذبح، قال: فييأس أهل النار من الموت، فلا يرجونه، فتأخذهم الحسرة من أجل الخلود في النار، وفيها أيضًا الفزع الأكبر، ويأمل أهل الجنة الموت، فلا يخشونه، وأمنوا الموت، وهو الفزع الأكبر، لأنهم يخلدون في الجنة» ثم تابعه بقول ابن جريج: «يحشر أهل النار حين يذبح الموت والفريقان ينظرون، فذلك قوله: ﴿إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ قال: ذبح الموت» واستدل ابن أبي حاتم الرازي(٣) لتقرير هذا الخبر الغيبي بقول الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يقول: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، يأتي الموت في صورة كبش أملح حتى وقف بين الْجَنَّة والنار...».

ولم يخالف باقي المفسرين منهج سلفهم فقد استعانوا في فهم هذه الآية بما فهمه الأتباع، منهم :

-أبو الليث السمرقندي(٤) فقد استدل في تقرير هذا الخبر بحديث أبي سعيد الخدري، ثم أتبعه بقول شريح ، يقول: «حين يذبح الموت على هيئة كبش أملح على الأعراف، والفريقان ينظرون فينادى: يا أهل الجنة، خلود لا موت، ويا أهل النار، خلود لا موت».

-وكذلك الإمام البغوي(٥)، وبه احتج علماء الأصول من أهل السنة منهم؛-أبو سعيد

(١) ينظر:«**جامع البيان**»/ لأبي جعفر الطبري (ت:٣١٠هـ)/ (١٨/ ٢٠١).
(٢) «أملح»: الذي فيه بياض سواد ويكون البياض أكثر. ينظر:«**غريب الحديث**»/ للقاسم بن سلام (ت:٢٢٤هـ)/ (مادة: ملح).
(٣) ينظر:«**تفسير القرآن العظيم**»/ لابن أبي حاتم الرازي (ت:٣٢٧هـ)/ (٧/ ٢٤١٠/ رقم:١٣١٣٦).
(٤) ينظر:«**بحر العلوم**»/ لأبي الليث السمرقندي (ت:٣٧٣هـ)/ (٢/ ٤٤٣).
(٥) ينظر:«**معالم التنزيل**»/ للإمام البغوي (ت: ٥١٠هـ)/ (٥/ ٢٣٢).

الدارمي[1] في نقضه على المريسي الجهمي، والإمام، الأثري، المُتَّبِع؛ عبد الغني المَقْدِسِي في كتابه: «الاقتصاد في الاعتقاد»[2] يقول: «ونؤمن بأن الموت يُؤتى به يوم القيامة فيذبح»، لهذا أدرجه كل من ابن قدامة في كتابه: «لمعة الاعتقاد»[3]، وابن العطار[4] ضمن قسم الإيمان بكل ما أخبر به الرسول، فهؤلاء جميعهم آمنوا بهذا الخبر على ظاهره لإدراكهم أن العقل يعجز عن استيعابه؛ وتعاملوا معه بمنهج الصحابة والتابعين في تمرير النص على ظاهره دونما تأويل أو تعطيل، لهذا قال الإمام أحمد[5]: «أمض الحديث كما روي بلا كيف».

ولعل ذلك راجع بالأساس لاعتقادهم الجازم أن الله ﷻ قادر على كلِّ شيء، قادر على أن يقلب الأعراض أجساماً والأجسام أعراضاً، لا يعجزه -تبارك وتعالى- شيء، فلا يقال: كيف يؤتى به ونحن نعلم أنَّ الموت عرض؟! فاللبيب هو من أعرض عن هذا التهوك ولزم ما بين الدفتين، يقول الملطي[6]: «وَلَا أرى للبيب مَا هُوَ أفضل من لُزُوم مَا بَين الدفتين والإكثار من النّظر فِي تَأْوِيله وَلُزُوم السّنة وَالْجَمَاعَة ودَعْ عَنْك العوج وَلِمَ وَكَيف، فَمَا أُمِرْتَ بِهِ وَإِنَّمَا خلقك الله لعبادته وَأنزل إِلَيْك نورا مُبينًا وَأرْسل إِلَيْك رَسُولا كَرِيمًا فَاتبع نوره وَمَا سنّ لَك نبيه -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام- فَمَا عدا هذَيْن فَهُوَ ضلال»، كما أن الصحابة قد حذروا من البدع ولاشك أن الخوض في تأويل المسائل الغيبية تدخل ضمن هذا التحذير، لهذا خاطب الملطي[7] أهل الأهواء بالقول: «فَهَل سَمِعت عَنْهُم إِلَّا التحذير عَن الْبدع والمحدثات وَنقل عَنْهُم أَن كل محدثة بِدعَة وكل بِدعَة ضَلَالَة فَهَذَا مُحدث ووسواس».

(١) ينظر: «**نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي**/ للدارمي (ت: ٢٨٠هـ)/ (ص:٦٦).
(٢) ينظر: «**الاقتصاد في الاعتقاد**»/ لعبد الغني المقدسي (ت:٦٠٠هـ)/ (ص:١٩٤).
(٣) ينظر: «**لمعة الاعتقاد**»/ لابن قدامة المقدسي (ت:٦٢٠ هـ)/ (ص:٣٤).
(٤) ينظر: «**الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد**»/ لعلاء الدين ابن العطار (ت:٧٢٤هـ)/ (ص:٢٥٤ ٢٥٥).
(٥) ينظر: «**الإبانة الكبرى**»/ لابن بطة (ت:٣٨٧هـ)/ (٧/ ٢٤٢).
(٦) «**التنبيه والرد**»/ للملطي (ت:٣٧٧هـ)/ (ص:٤٢).
(٧) المصدر نفسه.

فحديث: «ذبح الموت» يفيد أن الموت يأتي على هيأة كبش، ويزداد اليقين بذلك بحديث آخر أخرجه الشيخان في: «صحيحيهما»[(١)]، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **إِذَا صَارَ أَهْلُ الجَنَّةِ إِلَى الجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ، جِيءَ بِالمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ لاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لاَ مَوْتَ، فَيَزْدَادُ أَهْلُ الجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ**».

وهذين الحديثين اللذين فسرا الآية الكريمة هما من رواية الشيخين اللذين اتفقت الأمة على صحة روايتهما، والسلف قبلوا ببيان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يسألوا: كيف يكون الموت كبشا؟ وهذا هو الواجب على المسلم الحق، أن يسلم بذلك ويعتقد اعتقادا جازما بما أفادته قراءة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهذه الآية، لأن ذلك لن يكون بدعا منه، بل هو دأب المتقدمين من أهل السنة كما سلف في هذه المسألة وغيرها، يقول أبو عيسى التِّرمذي[(٢)]: «والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل: سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وابن المبارك، وابن عيينة، ووكيع وغيرهم أنهم رووا هذه الأشياء، ثم قالوا: تروى هذه الأحاديث ونؤمن بها، ولا يقال: كيف؟ وهذا الذي اختاره أهل الحديث أن يرووا هذه الأشياء كما جاءت ويؤمن بها ولا تفسر ولا تتوهم ولا يقال: كيف؟»[(٣)].

وإذا كان أهل السنة استدلوا لإثبات هذا الخبر بالآية الكريمة وببيان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لها مع سلوك منهج الصحابة ومن نحا منحاهم من التابعين في تمرير ذلك الخبر على ظاهره، فكيف تعامل أهل الكلام مع هذا الخبر، وما سبب هذا الاختلاف؟ هذا ما سيفصل فيه -إن شاء الله تعالى- في المطلب التالي.

(١) «متفق عليه»: أخرجه **البخاري** في: (كتاب : الرقاق/ باب: صفة الجنة والنار/ ح: ٦٥٤٨)، و**مسلم** في:«كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء/ ح: ٢٨٥٠).
(٢) «**سنن الترمذي**» / لأبي عيسى الترمذي (ت:٢٧٩هـ)/ (٤/ ٦٩١).
(٣) وهو ما ذكره ابن خزيمة فيما نقله عنه ابن تيمية في:«**الفتاوى الكبرى**»/ (٦/ ٥٦١).

المطلب الثاني: منهج أهل الكلام في تأويل هذا الخبر ورد أهل السنة عليهم.

لم يسلم المتكلمة ببيان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهذه الآية الكريمة حيث تعللوا بشبهتين:

الأولى: أن ظاهر الخبر يخالف مدركات العقل ومن ثم وجب تأويله.

الثانية: أن هذا الخبر هو من أحاديث الآحاد الذي يحكمه الظن لا القطع، ومن تم فهو لا يفيد العلم؛ وهذا هو المقرر عند الأصوليين المتكلمين.

فبالنسبة للشبهة الأولى: ادعوا أنه يستحيل أن ينقلب العرض جوهرا، وبناء على هذه الذريعة سوغوا لأنفسهم أن يؤلوا الخبر الصحيح الصريح، ومن بين هؤلاء:

- الإمام المازري[1] يقول: «الموت عرض من الأعراض عندنا يضادّ الحياة ... لا يصح أن يكون الموت كبشا ولا جِسماً من الأجسام وإنما المراد بهذا التَّشبيه والتَمثِيل، وقد يخلق الباري سبحانه هذا الجسم ثمَّ يُذبَح ويجعل هذا مثالا لأن الموت لا يطرأ على أهل الآخرة».

- وبناء على نفس القاعدة في التأويل استشكل على أبي العباس القرطبي صاحب: «المفهم»[2]، أن ينقلب العرض جوهرا، يقول: «ظاهر هذا الحديث مستحيل، وذلك أن العقلاء اتفقوا على: أن الموت: إما عرض مخصوص، وإما نفي الحياة، ولم يذهب أحد إلى أنه من قبيل الجواهر»، وذكر أن الناس أولوا هذا الخبر من وجهين؛ الأول: أن الله خلق صورة كبش خلق فيها الموت، فلما رآه أهل الجنة وأهل النار وعرفوه، فعل الله فيه فعلا يشبه الذبح، و الثاني: أن المراد بالحديث تمثيل عدم الموت على جهة التشبيه والاستعارة ورجح الوجه الأول، يقول: «والوجه المعني: الأول، والله أعلم» وإلى ذلك نحا القرطبي في: «تذكرته»[3]، ولأجل تدعيم

(١) «**المُعْلم بفوائد مسلم**»/ لأبي عبد الله المازري (ت: ٥٣٦هـ) / (٣/ ٣٥٨).
(٢) ينظر: «**المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**»/ لأبي العباس القرطبي (ت:٦٥٦هـ)/ (٧/ ١٩٠ ١٩١).
(٣) «**التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة**»/ لشمس الدين القرطبي (ت:٦٧١هـ)/ (ص: ٩٢٧).

هـذا الطـرح أضـاف الفخـر الـرازي[١]: «أن المـوت عـرض فـلا يجـوز أن يصـير جسـما حيوانيـا بـل المـراد أنـه لا مـوت البتـة بعـد ذلـك».

وبنـاء عـلى هـذه المقدمـة نفـى الإيجـي[٢] هـذه القـراءة ليقـول: «وذبـح المـوت بَـدَلٌ مـن اليـوم أو ظَـرْفٌ للحسـرة».

ولعـل الإشـكال عنـد المؤولـة يظهـر في أن الجوهـر عندهـم مـا قـام بذاتـه، والعـرض مـا قـام بغـيره، فالإِنسَـانُ جوهـر، واللـون لا يقـوم بذاتـه فهـو عـرض، وهكـذا الحيـاة والمـوت.

أمـا الشـبهة الثانيـة: فهـي أنهـم تعللـوا بـرد الخـبر عـلى ظاهـره لأنـه خـبر آحـاد[٣] وليـس بمتواتـر، فالمتكلمـة قسـموا السـنة إلى أصـول وأحـكام، فـما تحتـه حكـم فهـو قطعـي الدلالـة، وأمـا مـا يتعلـق بالأصـول فهـو ظنـي الدلالـة لا يفـضي إلى العلـم؛ لأن معظـم الآثـار الثابتـة فيهـا آحـاد وليسـت بالمتواتـر، ومـن ثـم فتحـوا البـاب عـلى مصراعيـه مـن أجـل تأويـل مـا لا يوافـق عقولهـم، ومـن بـين مـن تبنـوا هـذا التقسـيم:

-أبـو الوليـد الباجـي[٤]: حيـث اعتـبر خـبر الآحـاد لا يفيـد العلـم، متعلـلا بأنـه لـو قبـل عـلى سـبيل القطـع لاسـتوى مـع خـبر التواتـر مـع أنـه لا يسـتوي معـه في نفـس الدرجـة، يقـول: «العلـم لا يحصـل مـن جهتـه؛ إذ لـو كان يحصـل مـن جهتـه العلـم لوجـب أن يسـتوي فيـه كل مَـنْ سـمعه كـما يسـتوي في العلـم بمخـبر خـبر التواتـر، فلـما كنـا نجـد أنفسـنا غـير عالمـين بصحـة مخـبره، دل عـلى أنـه لا يقطـع عـلى معينـه، وأنـه بخـلاف التَّواتـر، وصـار خـبر الواحـد، بمنزلـة الشَّـاهد الـذي قـد أمرنـا بقَبُـول شـهادته وإن كنـا لا نقطـع عـلى صدقـه»، وإلى ذلـك نحـا أبـو المعـالي الجوينـي[٥]، وأبـو العبـاس القرطبـي[٦].

(١) «**مفاتيح الغيب**»/ فخر الدين الرازي (ت:٦٠٦هـ)/ (٢١/ ٥٤١).
(٢) ينظر:«**جامع البيان في تفسير القرآن**»/ محمد الإيجي الشافعي (ت:٩٠٥هـ)/ (٢/ ٤٨٠).
(٣) «**خبر الآحاد**»: هو الذي لم يبلغ درجة التواتر.
(٤) ينظر: «**الإشارة في أصول الفقه**»/ لأبي الوليد الباجي (ت:٤٧٤هـ)/ (ص:٢٦ ٢٧).
(٥) «**التلخيص في أصول الفقه**»/ لأبي المعالي الجويني (ت:٤٧٨هـ)/ ٢/ ٣٤).
(٦) «**المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**»/ لأبي العباس القرطبي (ت:٦٥٦هـ)/ (٢/ ١٢٥).

- وبناء على هذا المنهج جوز أبو بكر ابن العربي[1] المعافري -الفقيه المالكي- تأويل خبر الآحاد إذا خالف مقتضى العقل، يقول: «لما سمع الناس هذا الحديث، من ذهاب الصدر الأول، قالت طائفة: لا نقبله، فإنه خبر واحد، وأيضا فإن جاء بما يناقض العقل، فإن الموت عرض، والعرض لا ينقلب جسما، ولا يعقل فيه ذبحا، ولما استحال ذلك عقلا، وجب أن يمنح الحديث ردا، وقالت طائفة أخرى: إن كان ظاهره محالا، فإن تأويله جائز» وانتقد في كتابه: «المحصول»[2] على من ساوى بين خبر الآحاد والمتواتر واعتبر أن ذلك ناتج إما عن جهلهم بالعلم أو جهلهم بخبر الواحد، يقول: «وَهَذَا إِنَّمَا صَارُوا إِلَيْهِ بشبهتين دخلتا عَلَيْهِم إِمَّا لجهلهم بِالْعلمِ وَإِمَّا لجهلهم بِخَبَرِ الْوَاحِد فَإِنَّا بِالضَّرُورَةِ نعلم امْتنَاع حُصُول الْعلم بِخَبَرِ الْوَاحِد وَجَوَاز تطرق الْكَذِب والسهو عَلَيْهِ».

ولتأكيد ذلك احتج القرطبي[3] بقوله -تعالى﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [سورة يونس:٣٦]، يقول[4]: «وفي هذه الآية دليل على أنه لا يكتفى بالظن في العقائد».

هذا الغيض من فيض ما قرره الأصوليون في الباب.

وقد رد علماء السنة على هاتين الشبهتين:

فبالنسبة للشبهة الأولى: وهي استشكالهم أن يأتي الموت على هيئة كبش يوم القيامة، بدعوى أن الموت عرض والأعراض لا تنقلب أجسامًا، يمكن القول أن دعواهم هذه مردودة وحجتهم في ذلك واهية لأن الذي خلق الأعراض والجواهر قادر على أن يحولها من جنس

(١) ينظر: «**العواصم من القواصم**»/ لأبي بكر ابن العربي (ت:٥٤٣هـ)/ (ص:٢٣٦).
(٢) ينظر: «**المحصول**»/ لأبي بكر ابن العربي (ت:٥٤٣هـ)/ (ص:١١٧).
(٣) ينظر: «**الجامع لأحكام القرآن**»/ لشمس الدين القرطبي (ت:٦٧١هـ)/ (١٦/ ٣٣٢).
(٤) «**الجامع لأحكام القرآن**»/ لشمس الدين القرطبي (ت:٦٧١هـ)/ (٨/ ٣٤٣).

لآخر، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية[١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما ذكرتموه خطأ في المعقول والمنقول؛ إذ الصواب أن الأجسام أجناس مختلفة كالأعراض، وليس حقيقة الذوات كحقيقة الماء، وأن الله -سبحانه- يقلب الجنس إلى الجنس الآخر؛ كما يقلب الهواء ماء، والماء هواء، والنار هواء، والهواء نارًا، والتراب ماء، والماء ترابًا، وكما يقلب المني علقة، والعلقة مضغة، والمضغة عظامًا... فهو سبحانه يخلق من الأعراض أجسامًا كما ورد بذلك النصوص في مواضع كقوله -عليه السلام-: «**اقرؤوا القرآن، اقرؤوا البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان[٢] أو فرقان[٣] من طير صواف يحاجان عن صاحبهما**»[٤]، وقال: «**إنَّ لَسُبْحَانَ الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر دويًّا عند العرش تذكر صاحبها**»[٥]، وقال: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده سبحان الله**

(١) «**المسائل والأجوبة**»/ لابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)/ (١/ ١٢٩ ١٣٠).

(٢) «**غيايتان**»: من الغياية: كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه مثل السحابة. ينظر: «**غريب الحديث**»/ للابن سلام/ (مادة: غيي).

(٣) «**فرقان**»: أي قطعتان. ينظر: «**النهاية في غريب الحديث والأثر**»/ لابن الأثير (ت:٦٠٦هـ)/ (مادة: فَرِقَ).

(٤) أخرجه **مسلم** في: (كتاب: صلاة المسافرين وقصرها/ باب: فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة/ ح:١٨٨٤)، من حديث أبي أُمامة الباهلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٥) «صحيح»: أخرجه ابن المبارك في: «**الزهد**»/ قباب: ذكر رحمة الله تبارك وتعالى وجل وعلا/ ح:٩٣٢)، من طريق أبي عمر بن حَيَوَيْه، عن يحيى، عن الحسين، عن عبد الله، عن سعيد الجُرَيْري قال: بلغنا عن كعب الأحبار.

قلت: أبو عمر الخزاز ابن حيويه: وثقه الخطيب في:«**تاريخه**»/ (٤/ ٢٠٥)، ويحيى ابن صاعد وصفة الخطيب بأنه أحد حفاظ الحديث.«**تاريخ بغداد**»/ (١٦/ ٣٤١)، والحسين بن الحسن، أبو عبد الله المروزي: صدوق.«**التقريب**»/ (ص:١٨٤)، وعبد الله بن المبارك من الثقات الأثبات.«**التقريب**»/ (ص:٤٢٣)، وسعيد بن إياس الجُرَيْرِي: من الثقات، اختلط قبل موته بثلاث سنين.«**التقريب**»/ (ص:٢٨٥)، وعلق الألباني على هذا الأثر بعد أن أورده في:«**مختصر العلو**»/ (ص:١٢٩)، وذكر بأنه ثابت عن كعب الأحبار.

وأخرجه بنحوه، ابن ابي شيبة في:«**مصنفه**»/ (في ثواب التسبيح/ ح:٢٩٤١٥ و٣٥٠٣٧)، وأحمد في:«**مسنده**»/ (أول مسند الكوفيين/ حديث النعمان بن بشير/ ح:١٨٣٦٢ و١٨٣٨٨)، وابن ماجة في:«**سننه**»/ (باب: فضل التسبيح/ ح:٣٨٠٩)، والبزار في:«**البحر الزخار**»/ (مسند النعمان بن بشير/ ح:٣٢٣٦)، من طرق عن موسى بن مسلم الحزامي، عن عون بن عبد الله، عن أبيه أو عن أخيه، عن النعمان بن بشير، قال -واللفظ لابن أبي شيبة : قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:«**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ مِنْ تَسْبِيحِهِ وَتَحْمِيدِهِ وَتَكْبِيرِهِ وَتَهْلِيلِهِ يَتَعَاطَفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، يُذَكِّرْنَ بِصَاحِبِهِنَّ...**»

قال البوصيري في:«**مصباح الزجاجة**»/ (٤/ ١٣٢): إسناده صحيح، رجاله ثقات، وأخو عون اسمه عبيد الله بن عتبة.

قلت: موسى بن مسلم الحزامي، أبو عيسى الكوفي، قال ابن معين: لا بأس به.«**تهذيب الكمال**»/ (٢٩/ ١٥٣)، ومعناه - عند ابن معين أنه ثقة.«**معرفة أنواع علوم الحديث**» (**مقدمة ابن صلاح**)»/ (ص:٢٤٤)، وعون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الكوفي: من الثقات.«**التقريب**»/ (ص:٦٠١)، وأبوه أيضا وثقه العجلي وجماعة.«**التقريب**»/ (ص:٤١٠)، وإذا كان رواه عن أخيه: عبيد الله فهو أيضا: ثقة.«**التقريب**»/ (ص:٥٠٩)، وقد نحا الشيخ الألباني إلى تصحيحه في:«**سلسلة الأحاديث الصحيحة**»/ (٧/ ١٠٧٧)، فأثر كعب له شاهد من حديث النعمان ابن بشر كما تبين، ومن تم فالخبر حسن، والله أعلم.

العظيم»[1]، وقد قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [سورة فاطر:١٠]».

والسلف الصالح لم يثيروا مثل هذه الشبهات ولم يبحثوا في الكيف ليقينهم بأن ذلك غيب لا تدركه عقولهم، لهاذ لما تناول ابن القيم[2] رَحِمَهُ اللَّهُ هذا المبحث استشهد فيه بهذه الآية وبحديثي أبي سعيد الخدري وابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في تفسيرها، واعتبر أن تأويل الكبش بملك الموت استدراك فاسد وتأويل باطل يقول: «ولا حاجة إلى تكلف من قال: إن الذبح لملك الموت، فهذا كله من الاستدراك الفاسد على الله ورسوله والتأويل الباطل الذي لا يوجبه عقل ولا نقل وسببه قله الفهم لمراد الرسول من كلامه».

وتعجب ممن منع تجويز تأويل أقوال أصحاب العلوم، خوفا من عدم فهم مرادهم، بينما أباح تأويل كلام من لا يجوز عليه الخطأ والنسيان؟! يقول[3]: «فكيف يسلط التأويل على كلام من لا يجوز عليه الخطأ والغلط والتناقض وضد البيان والإرشاد هذا مع كمال علمه وكمال قدرته على أعلى أنواع البيان وكمال نصحه وهداه وإحسانه وقصده الإفهام والبيان لا التعمية والإلغاز... كما أن التأويل إن سلط على علوم الخلائق أفسدها فكذلك إذا استعمل في مخاطباتهم أفسد الأفهام والفهم ولم يمكن لأمة أن تعيش عليه أبدا فإنه ضد البيان الذي علمه الله الإنسان لقيام مصالحه في معاشه ومعاده».

ولم يكتف ابن أبي العز الحنفي[4] بأن ينحو منحاهما؛ بل أغنى هذه القراءة بأدلة أخرى، وذلك بعد أن ناقش شبهتهم يقول: «الموت صفة وجودية، خلافا للفلاسفة ومن وافقهم. قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [سورة الملك:٢]، والعدم لا يوصف بكونه مخلوقا، وفي

(١) «متفق عليه»: أخرجه **البخاري** في عدة كتب منها: (كتاب: الدعوات/ باب: فضل التسبيح/ ح:٦٤٠٦)، و**مسلم** في: (كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/ باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء/ ح:٦٨٨٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) ينظر: «**حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**»/ لابن القيم (ت:٧٥١هـ)/ (ص:٤٠١ ٤٠٢).

(٣) ينظر: «**الصواعق المرسلة**»/ لابن القيم (ت:٧٥١هـ)/ (٢/ ٣٩٩ ٤٠٠).

(٤) ينظر: «**شرح العقيدة الطحاوية**»/ لابن أبي العز الحنفي (ت:٧٩٢هـ)/ (ص:٧٩).

الحديث: أنه «**يُؤْتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُذْبَحُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ**»، وهو وإن كان عرضا فالله - تعالى - يقلبه عينا، كما ورد في العمل الصالح: «**أَنَّهُ يَأْتِي صَاحِبَهُ فِي صُورَةِ الشَّابِّ الْحَسَنِ، وَالْعَمَلُ الْقَبِيحُ عَلَى أَقْبَحِ صُورَةٍ**»[(١)]، وورد في القرآن: «**أَنَّهُ يَأْتِي عَلَى صُورَةِ الشَّابِّ الشَّاحِبِ اللَّوْنِ**» الحديث[(٢)]، أي قراءة القارئ، وورد في الأعمال: أنها توضع في الميزان[(٣)]، والأعيان هي التي تقبل الوزن دون الأعراض. وورد في سورة البقرة وآل

(١) «صحيح»: أخرجه ابن المبارك في:«**الزهد والرقائق**»/ (باب: فضل ذكر الله عز وجل/ ح:**١٢١٩**)، وأبو داود الطيالسي في:«**مسنده**»/ (البراء بن عازب/ ح:٧٨٩)، وابن أبي شيبة في:«**مصنفه**»/ (في نفس المؤمن وكيف تخرج ونفس الكافر/ ح:١٢٠٥٩)، وأحمد في:«**مسنده**»/ (أول مسند الكوفيين/ حديث البراء بن عازب/ ح:١٨٥٣٤)، وأبو داود في:«**سننه**»/ (كتاب: السنة/ باب: في المسألة في القبر وعذاب/ ح:٤٧٥٣)، وابن مندة في:«**الإيمان**»/ (ذكر وجوب الإيمان بالسؤال في القبر/ ح:١٠٦٤)، والبيهقي في:«**إثبات عذاب القبر**»: (باب: الدليل على أنه تعاد روحه في جسده ثم/ ح:٤٤)، من طرق، عن الأعمش، عن المنهال ابن عمرو، عن زاذان أبي عمر، عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا.

قلت: الأعمش: سليمان بن مهران مضى ترجمته وهو ثقة مدلس، والمنهال بن عمرو الأسدي: صدوق ربما وهم.«**التقريب**»/ (ص:٧٧٨)، وزاذان أبو عمر الكندي: صدوق يرسل، وفيه شيعية.«**التقريب**»/ (ص:٢٥٧)، وهو يحدث عن الصحابي الجليل: البراء بن عازي، قال ابن مندة في:«**الإيمان**»/ (ح:١٠٦٤)، عقب إيراده للحديث:« هَذَا إِسْنَادٌ مُتَّصِلٌ مَشْهُورٌ. رَوَاهُ جَمَاعَةٌ، عَنِ الْبَرَاءِ، وَكَذَلِكَ رَوَاهُ عِدَّةٌ، عَنْ الْأَعْمَشِ، وَعَنِ الْمِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو، وَالْمِنْهَالُ أَخْرَجَ عَنْهُ الْبُخَارِيُّ مَا تَفَرَّدَ بِهِ، وَزَاذَانُ أَخْرَجَ عَنْهُ مُسْلِمٌ، وَهُوَ ثَابِتٌ عَلَى رَسْمِ الْجَمَاعَةِ. وَرُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ جَابِرٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبِي سَعِيدٍ، وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ »، لهذا نحا ابن القيم في:«**إعلام الموقعين**»/ (٢/ ٣٠٨)، إلى القول: وهذا حديث صحيح، وهذا ما خلص إليه الألباني في تعليقه على:«**المشكاة**»/ (١/ ٥١٢)، و«**أحكام الجنائز**»/ (ص:١٥٩)، و«**صحيح سنن أبي داود**»/ (٣/ ١٦٦).

(٢) «إسناده حسن»: أخرجه ابن أبي شيبة في:«**مصنفه**»/ (من قال: يشفع القرآن لصاحبه يوم القيامة/ ح:٣٠٠٤٥)، وأحمد في:«**مسنده**»/ (مسند الأنصار/ حديث بريدة الأسلمي/ (ح:٢٢٩٧٦)، وابن ماجة في:«**سننه**»/ (كتاب: الأدب/ باب: ثواب القرآن/ ح:٣٧٨١)، من طرق، عن بشير بن مهاجر، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قَالَ واللفظ لابن أبي شيبة : **كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ:« إِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَى صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ قَبْرُهُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ ...»**

قال البوصيري في:«**مصباح الزجاجة**»/ (٤/ ١٢٦): هذا إسناد رجاله ثِقات، وهو ما نحا إليه ابن حجر في:«**المطالب العالية**»/ (١٤/ ٣٢٤)، والألباني في:«**صحيح سنن ابن ماجة**»/ (٣/ ٢٣٩)، ولرواية بريدة شاهد من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه الطبراني في:«**الأوسط**»/ (من اسمه: محمد/ ح:٥٧٦٤)، من طريق يحيى بن عبد الحميد الحماني، عن شريك، عن عبد الله بن عيسى، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، مرفوعا.

قال الهيتمي في:«**مجمع الزوائد**»/ (٧/ ١٦٠): رواه الطبراني في:«**الأوسط**»، وفيه يحيى بن عبد العزيز الحماني، وهو ضعيف، لكن الألباني عارضه من وجهين: الأول: قوله: ابن عبد العزيز، وإنما هو ابن عبد الحميد كما في كتب الرجال، ولعله سبق قلم من المؤلف، أو خطأ من الناسخ. والآخر: أن الطبراني قد صرح بأن الحماني قد تابعه يزيد بن هارون، وهو ثقة من رجال الشيخين، فإعلال الحديث بالحماني خطأ واضح، والصواب تضعيفه بشريك، وهو ابن عبد الله القاضي، وهو ضعيف لسوء حفظه. لكن الحديث حسن أو صحيح، لأن له شاهدا من حديث بريدة بن الحصيب مرفوعا بتمامه.«**السلسلة الصحيحة**»/ (٦/ ٧٩٣).

(٣) ورد في هذا الباب أحاديث تنص على أن الأعمال توضع في الميزان يوم القيامة منها:

«إسناده صحيح»: ما أخرجه ابن أبي شيبة في:«**مصنفه**»/ (ما ذكر في حسن الخلق وكراهية الفحش/ ح:٢٥٣٢٣)، وأحمد في:«**مسنده**»/ (الملحق المستدرك من مسند الأنصار/ ح:٢٧٥١٧ وح:٢٧٥٣٢)، وأبو داود في:«**سننه**»/ (أول كتاب: الأدب/ باب: في حسن

عمران[1]: «أَنَّهَا تُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ»، والأعيان هي التي تقبل الوزن دون الأعراض...».

أما عن الشبهة الثانية: وهي أن خبر الواحد يفيد الظن ولا يوجب العلم، فيجاب عنها، أن أهل السنة بدءا من الصحابة إلى من سار على دربهم من التابعين لم يفرقوا بين حديث الآحاد وحديث التواتر فشرطهم الأساس هو ثبوت صحته، وهذا هو المشهور عنهم ولعل أبرز هؤلاء؛ العَلَم الأصولي: الإمام الشافعي[2] يقول: «إذا صح الحديث فهو مذهبي، وإذا صح الحديث فاضربوا بقولي الحائط»، وكذلك ابن حزم حين بسط هذه المسألة في كتابه: «الإحكام»[3]، إذ عد أن المعيار في قبول الرواية أو ردها هو مدى ثبوتها، فإذا ثبت صحة الخبر ترتب عليه العلم والعمل سواء في العقائد أو الأحكام، يقول: «إن كل خبر رواه الثقة عن الثقة مسندا إلى رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في الديانة فإنه حق قد قاله -عليه السلام- كما هو وأنه يوجب العلم ونقطع بصحته».

فالسلف الصالح لم يلتفتوا إلى مثل هذه التقسيمات البدعية، فما ثبتت صحته ترتب عليه العلم والعمل، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية[4]: «ثُمَّ هِذه الأحاديث مُنْقَسِمَةٌ إِلَى: اتفاق

الخلق/ح:٤٧٩٩)، وابن أبي عاصم في:«**السنة**»/ (باب: ذكر الميزان/ح:٧٨٣)، واللالكائي في:«**شرح أصول اعتقاد أهل السنة**»/ (سياق ما روي في أن الإيمان بأن الحسنات/ح:٢٢٠٧)، من طرق عن شعبة، عن القاسم بن أبي بزة، عن عطاء الكَيخاراني، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، عن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قال:«**ما مِنْ شيءٍ أثقلُ في الميزانِ مِن حُسنِ الخُلُقِ**»

قلت: شعبة بن الحجاج: أمير المؤمنين في الحديث.«**التقريب**»/ (ص:٣٣٩)، والقاسم بن أبي بزة من الثقات.«**التقريب**»/ (ص:٦٢٧)، وعطاء بن نافع الكَيْخَارَانِي: من الثقات.«**التقريب**»/ (ص:٥٣٩)، وأم الدرداء: هُجَيْمَة ثقة فقيهة.«**التقريب**»/ (ص:١٠٥٢)، تروي عن زوجها أبي الدرداء الصحابي الجليل، قال أبو بكر ابن أبي عاصم في:«**السنة**»/ (٢/ ٣٦٣)، عقب روايته لحديث أن الخلق الحسن يوضع في الميزان:«الْأَخْبَارُ الَّتِي فِي ذِكْرِ الْمِيزَانِ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ صِحَاحٌ، لَا تَذْهَبُ عَنْ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِالْأَخْبَارِ لِكَثْرَتِهَا وَصِحَّتِهَا وَشُهْرَتِهَا، وَهِيَ مِنَ الْأَخْبَارِ الَّتِي تُوجِبُ الْعِلْمَ عَلَى مَا ذَكَرْنَا»، فإسناده صحيح وهذا ما نحا إليه أيضا الألباني في:«**السلسلة الصحيحة**»/ (٢/ ٥٣٥)، و«**صحيح سنن أبي داود**»/ (٣/ ١٧٩).

(١) أخرج مسلم في: (كتاب: صلاة المسلمين وقصرها/ باب: فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة/ح: ١٨٨٦)، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّوَّاسَ بْنَ سَمْعَانَ الْكِلَابِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، يَقُولُ:«**يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَآلُ عِمْرَانَ**»

(٢) «**شرح مسند الشافعي**»/ لأبي القاسم الرافعي القزويني (ت:٦٢٣هـ)/ (١/ ١٩).

(٣) ينظر: «**الإحكام في أصول الأحكام**»/ لابن حزم (ت:٤٥٦هـ)/ (١/ ١٢٣).

(٤) «**رفع الملام عن الأئمة الأعلام**»/ لابن تيمية (ت:٧٢٨هـ)/ (ص:٤٥).

العلماء على العلم والعمل بالأحاديث القطعية، بِأَنْ يَكُونَ قَطْعِيَّ السَّنَدِ وَالْمَتْنِ وَهُوَ مَا تَيَقَّنَّا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَهُ وَتَيَقَّنَّا أَنَّهُ أَرَادَ بِهِ تِلْكَ الصُّورَةَ» وحديث ذبح الموت قد ورد في الصحيحين، وقد اتفقت الأمة على أن جمهور ما ورد فيهما يعد أصح ما أوثر عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول ابن تيمية[1]: «.. فإن جميع أهل العلم بالحديث يجزمون بصحة جمهور أحاديث الكتابين وسائر الناس تَبَعٌ لهم في معرفة الحديث...»

فهذه كلها شواهد استدل بها السلف الصالح لرد شبهات المؤولة، وتثبت أن العرض يمكن أن يتحول إلى جوهر بدليل ما أورده ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ من أدلة حديثية في الباب وكذلك من أتى بعده، ولكون الحديثين المستدل بهما في هذه المسألة الغيبية من رواية الشيخين، والسلف لم يفرقوا فيهما بين الآحاد والمتواتر؛ فالضابط عندهم في القبول أو الرد هو مدى نسبة هذا الخبر إلى المعصوم.

وتبين كذلك أن منهج أهل السنة في التعامل مع هذا الخبر هو تمرير القراءة على ظاهرها دونما تأويل أو بحث في الكيف الذي لا يعلمه إلا الحق -سبحانه وتعالى-، ولا يَعْنُونَ بقولهم: «ولا تفسر»، أنه لا يفهم لها معنى، بل يقصدون عدم تفسيرها بخلاف ظاهرها الذي تدل عليه .

وكذلك كان دأبهم في إثبات باقي المسائل الغيبية منها إثبات «عذاب القبر»، فهل وافقهم أهل الكلام في تمرير الخبر على ظاهره أم عمدوا إلى التعطيل؟ هذا ما سيتبين في المبحث التالي.

(١) «**مجموع الفتاوى**»/ لابن تيمية (ت:٧٢٨هـ)/ (١٨/ ١٦ ١٧).

المبحث الثاني:

منهج أهل السنة وأهل الكلام في التعامل مع خبر:

«عذاب القبر»

بأي منهج أقر السلف الصالح هذا العذاب، ولماذا أنكر المعطلة هذا الخبر؟ هل السبب في ذلك هو اختلافهم في المنهج؟ هذا ما سيتم تناوله في المطلبين التاليين.

المطلب الأول: منهج أهل السنة في إثبات خبر: «عذاب القبر»

اعتمد أهل السنة في تقرير هذه المسألة على ما أخبر به -سبحانه وتعالى- في كتابه العزيز، وما بينته السنة الصحيحة، وسأكتفي بإيراد دليلين في الباب:

الدليل الأول: قوله -تعالى-: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا﴾[سورة غافر:٤٦]، ولاشك أنها أصرح آية مثبتة لعذاب القبر، وقد استعان أهل السنة في بيانها بالحديث الذي رواه الشيخان[(١)]، عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**»

ومن أبرز من اعتمد هذا الحديث لتفسير الآية الكريمة:

-أبو بكر بن مجاهد[(٢)]، يقول: «أجمع أهل السنة أن عذاب القبر حق، وأن الناس يُفتنون في قبورهم بعد أن يحيوا فيها ويُسألوا فيها، ويُثَبِّتُ الله من أحب تثبيته منهم».

---

(١) «متفق عليه»: أخرجه الشيخان؛ البخاري في: (كتاب: الجنائز/ باب: الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي/ ح:١٣٧٩)، ومسلم في: (كتاب: صفة الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه/ ح:٧٢٤٥).

(٢) ينظر: «**شرح صحيح البخاري**»/ لابن بطال (ت:٤٤٩هـ)/ (٣/ ٣٥٨).

-وأبو جعفر الطبري[١] يقول: «يقول تعالى ذكره مبيِّنا عن سوء العذاب الذي حلّ بهؤلاء الأشقياء من قوم فرعون ذلك الذي حاق بهم من سوء عذاب الله (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا) إنهم لما هلكوا وغرقهم الله، جعلت أرواحهم في أجواف طير سود، فهي تعرض على النار كلّ يوم مرتين (غُدُوًّا وَعَشِيًّا) إلى أن تقوم الساعة».

-وأضاف أبو إسحاق الزجاج[٢] اللغوي الحصيف نكتة فريدة لتأكيد هذا المعنى إذ ذكر أن لفظة: «ادخلوا» تقرأ: «على معنى الأمر لهم بالدخول، كأنَّه ويوم تقوم الساعة يقول: ادخلوا يا آل فرعون أشد العذاب».

-ولم يخالفهم أبو الليث السمرقندي[٣] فقد استدل لتقرير ذلك بما أوثر عن ابن عباس وابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقتادة ومجاهد، في حين احتج ابن أبي زمنين[٤] في بيان الآية بحديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا السالف الذكر دونما تأويل أو تعطيل.

ولم يكتف ابن حزم[٥] بتقرير عذاب القبر[٦]، بل تعقب المنكرين بالقول: «..وإنما هلك من هلك بأخذه آية وتركه أخرى، وأخذه حديثاً وتركه آخر، وأخذه آية وتركه حديثاً يبينها، وأخذه حديثاً وتركه آية، وهذا خطأ لا يحل، وإنما الفرض على المسلمين أخذ كل ما جاء به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قرآن وسنة وضم كل ذلك بعضه إلى بعض».

يظهر أن السلف اتفقوا على أن هذه الآية من الأدلة القاطعة على عذاب القبر، لهذا قال

(١) ينظر:«**جامع البيان**»/ لأبي جعفر الطبري (ت:٣١٠هـ)/ (٢١/ ٣٩٥)، و«اعتقاد أئمة الحديث»/ لأبي بكر الجرجاني (ت: ٣٧١هـ)/ (ص:٦٩ ٧٠).و«الإبانة عن أصول الديانة»/ لأبي الحسن الأشعري (ت: ٣٢٤هـ)/ (ص:٢٤٩ ٢٥٠).

(٢) ينظر:«**معاني القرآن وإعرابه**»/ لأبي إسحاق الزجاج (ت:٣١١هـ)/ (٤/ ٣٧٦).

(٣) ينظر:«**بحر العلوم**»/ لأبي الليث السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ)/ (٣/ ٢٠٨)، و«معالم التنزيل في تفسير القرآن» / للإمام البغوي (ت: ٥١٠هـ)/ (٧/ ١٥٠ ١٥١)..

(٤) ينظر:«**أصول السنة**»/ لابن أبي زمنين (ت:٣٩٩هـ)/ (ص: ١٣٤ ١٣٥).

(٥) ينظر:«**رسائل ابن حزم**»/ لابن حزم (ت:٤٥٦هـ)/ (٣/ ٢١٩).

(٦) قلت: إن ابن حزم وإن أثبت عذاب القبر إلا أنه نفى أن يكون جسديا، وسيأتي الكلام عن ذلك في المطلب الثاني عند تناول قضية: هل العذاب يشمل الروح أو الجسد أم هما معا؟

شيخ الإسلام ابن تيمية[1]: «وَهَذِه الْآيَة أحد مَا اسْتدلَّ بِهِ العلمَاء على عَذَاب البرزخ».

والدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة التوبة:١٠١]،

قال أبو حنيفة[2] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من قَالَ لَا أعرف عَذَاب الْقَبْر فَهُوَ من الْجَهْمِية الهالكة لِأَنَّهُ أنكر قَوْله تَعَالَى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ ، يَعْنِي عَذَاب الْقَبْر»، لهذا أوردها الإمام البخاري[3] في باب: «ما جاء في عذاب القبر»، وهو ما فهمه منها جمهور المفسرين منهم؛ أبو جعفر الطبري[4] وابن أبي زمنين[5] حيث اعتبرا أن هذه الآية من الأدلة المثبتة لعذاب القبر.

وإذا كان أهل السنة قد توافقوا على أن عذاب القبر ونعيمه حق، وأن المؤمن والكافر والمنافق كلهم يسألون في قبورهم، فإن بعض المتكلمة أولوا بيان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهذه الآية ولم يسلموا بأن الطريق الأوحد لمعرفة حقيقتها هو كتاب الله وسنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكيف تعامل هؤلاء مع الأدلة السمعية التي تثبت عذاب البرزخ؟ وكيف رد أهل السنة على شبهاتهم؟

هذا ما سيتم الفصل فيه -بإذن الله تعالى- في المطلب التالي.

---

(١) «**دقائق التفسير**» لابن تيمية (ت:٧٢٨هـ)/ (٢/ ٢٥٥).
(٢) «**الفقه الأكبر**»/ لأبي حنيفة النعمان (ت:١٥٠هـ)/ (ص:١٣٧).
(٣) «**صحيح البخاري**»/ لأبي عبد الله البخاري (ت:٢٥٦هـ)/ (٢/ ٩٧).
(٤) «**جامع البيان**»/ لأبي جعفر الطبري (ت:٣١٠هـ)/ (١٤/ ٤٤١).
(٥) ينظر: «**أصول السنة**»/ لابن أبي زمنين (ت:٣٩٩هـ)/ (ص:١٥٤).

المطلب الثاني: منهج أهل الكلام في تعطيل هذا الخبر ورد أهل السنة على شبهاتهم.

ذكر أبو الحسن الأشعري في: «إبانته»[١] أن المعتزلة جميعهم أنكر هذه المسألة، لكن الحقيقة أن الإنكار شمل بعضهم ممن نقلت كتب التراجم والأصول أسماءهم منهم؛

-ما ذكره الملطي[٢] في: «**التنبيه والرد**» يقول: «وأنكر جهم[٣] عذاب القبر ومنكرا ونكيرا، وقال: أليس يقول: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ﴾ [سورة الدخان: ٥٦]».

-و ضرار بن عمرو الغطفاني: يقول القاضي عبد الجبار[٤]: «..إلا شيء يحكى عن ضرار بن عمرو[٥] وكان من أصحاب المعتزلة ثم التحق بالمجبرة».

-وبشر المريسي[٦]: لهذا نقض عليه أبو سعيد الدارمي[٧] مقالته وفند مزاعمه.

-وأبو بكر الأصم[٨]: حيث روى ابن بطال[٩]، عن أبي عثمان ابن الحداد[١٠] أنه كان ينكر عذاب القبر.

---

(١) ينظر: «**الإبانة عن أصول الديانة**»/ لأبي الحسن الأشعري (ت:٣٢٤هـ)/ (ص:٢٤٧).

(٢) «**التنبيه والرد**»/ للملطي (ت:٣٧٧هـ)/ (ص:١٢٤).

(٣) «جهم بن صفوان»: أبو محرز الراسبي السمرقندي، الضال المبتدع، رأس الجهمية، كان ينكر الصفات، ويقول بخلق القرآن، وقد كانت نهايته على يد سلم بن أحوز؛ لإنكاره أن الله كلم موسى. ينظر ترجمته: «**سير أعلام النبلاء**»/ (٦/ ٢٧).

(٤) ينظر: «**شرح الأصول الخمسة**»/ للقاضي عبد الجبار (ت: ٤١٥هـ)/ (ص:٧٣٠).

(٥) «ضرار بن عمرو»: شيخ الضرارية، له مقالات خبيثة، منها؛ إنكاره عذاب القبر، له تصانيف كثيرة تؤذن بذكائه، لكن لم ينفعه ذلك. ينظر ترجمته: «**الفصل**»/ لابن حزم/ (٤/ ٥٥ ٥٦)، و«**سير أعلام النبلاء**»/ (١٠/ ٥٤٤ ٥٤٦).

(٦) «بشر المريسي»: هو أبو عبد الرحمن بشر بن غياث المريسي، رأس الطائفة المريسية المرجئة، وصفه العجلي بأنه كان دميم المنظر، وسخ الثياب، وافر الشعر، أشبه شيء باليهود. توفي سنة ثمانية عشر ومائتين: (٢١٨هـ). ينظر ترجمته: «**تاريخ بغداد**»/ للخطيب (ت:٤٦٣هـ/ (٢/ ٤٠٤)، و«**سير أعلام النبلاء**»/ للذهبي (ت:٧٤٨هـ)/ (١٠/ ١٩٩).

(٧) ينظر: «**نقض أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي**»/ للدارمي (ت:٢٨٠هـ)/ (ص:٢٤).

(٨) «أبو بكر الأصم»: هو عبد الرحمن بن كيسان، من طبقة أبي الهذيل العلاف أو أقدم منه، من مقالاته: «كل من جحد رسالته فهو مشرك..» ومن أبرز تلامذته إبراهيم بن إسماعيل ابن عُلَيَّة، من كتبه: «**خلق القرآن**»، وكتاب: «**الحجة والرسل**»، مات سنة إحدى ومائتين (٢٠١هـ). ينظر ترجمته: «**تاريخ دمشق**»/ لابن عساكر (ت:٥٧١هـ)/ (٥٣/ ٣٥٩)، و«**سير أعلام النبلاء**»/ (٨/ ١٢٣).

(٩) ينظر: «**شرح صحيح البخاري**»/ لابن بطال (ت:٤٤٩هـ)/ (٣/ ٣٥٨).

(١٠) «أبو عثمان بن الحداد»: هو سعيد بن محمد الغساني، من أهل القيروان، كان مناظرا، قويّ الحجة في علوم الدين واللغة، وكان كثير الرد على أهل البدع والمخالفين للسنة، وقد اشتهر بجدله لبعض علماء الدولة الفاطمية (العبيدية) في بدء قيامها، من مؤلفاته: «توضيح المشكل في القرآن»، توفي سنة اثنين وثلاث مائة (ت:٣٠٢هـ). ينظر ترجمته: «**الأعلام**»/ للزركلي (ت:١٣٩٦هـ)/ (٣/ ١٠٠).

-وزاد شمس الدين القرطبي[1] يحيى بن كامل[2].

فليس كل المعتزلة أنكروا عذاب القبر، لهذا استنكر التفتازاني[3] على من اتهمهم أنهم ينفون خبر «عذاب القبر»، ونددأن يُنْسَبَ ضِرَارٌ إلى المعتزلة يقول: «وإنما نُسِبَ إلى المعتزلة وهم براء منه لمخالطة ضرار إياهم وتبعه قوم من السفهاء المعاندين للحق».

وهذا الاستنكار يثبت أن الجهمية والضرارية ومن سبق ذكرهم هم الذي أنكروا عذاب القبر، يعضده أن من المعتزلة القدرية[4] من أقر عذاب القبر منهم؛ أبو القاسم الكعبي[5] وأبو علي الجبائي[6] وابنه أبو هاشم[7]، والقاضي عبد الجبار[8]، وصالح القبة[9].

وهذا صحيح؛ إذ باستقرائي لبعض كتبهم تبين أنهم يثبتون عذاب القبر -وإن اختلفوا في طريقة إثباته-، ومن هؤلاء المعتزلة؛

---

(١) ينظر:«**التذكرة**»/ لشمس الدين القرطبي (ت: ٦٨١هـ)/ (ص:٣٧٩ ٣٨٠).

(٢) «يحيى بن كامل»: كان من أصحاب المريسي، ثم انتقل إلى مذهب الإباضية، من أقواله أن الله كلف العباد ما لا يقدرون عليه، توفي في حدود أربعين ومائتين: (٢٤٠ هـ). ينظر ترجمته:«**مقالات الإسلاميين**»/ لأبي الحسن الأشعري/ (١/ ٩٩).

(٣) «**شرح المقاصد في علم الكلام**»/ سعد الدين التفتازاني (ت:٧٩٣هـ)/ (٥/ ١١٣).

(٤) ينظر:«**التذكرة**»/ لشمس الدين القرطبي (ت:٦٨١هـ)/ (ص:٣٧٩).

(٥) «أبو القاسم البلخي»: هو عبد الله بن أحمد، رأس المعتزلة، أخذ عن أبي الحسن الخياط، وروى عنه: محمد بن زكريا، من أقواله الشنيعة: إرادة الله ليست من صفات ذاته... توفي سنة تسعة عشرة وثلاث مائة (ت:٣٢٩هـ). ينظر ترجمته:«**السير**»/ (١٥/ ٢٥٥).

(٦) «أبو علي الجبائي»: هو محمد بن عبد الوهاب، أخذ عن: يعقوب الشحام، وأخذ عنه ابنه أبو هاشم، توفي سنة ثلاث وثلاث مائة (ت:٣٠٣هـ). ينظر ترجمته:«**سير أعلام النبلاء**»/ (١٤/ ١٨٣).

(٧) «ابنه أبو هاشم»: هو عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي، من مؤلفاته: كتاب:«الجامع الكبير»، وكتاب:«العرض»، توفي ببغداد سنة إحدى وعشرين وثلاث مائة (ت:٣٢١هـ). ينظر ترجمته:«**سير أعلام النبلاء**»/ (١٤/ ١٨٣).

(٨) «القاضي عبد الجبار»: هو ابن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني، شيخ المعتزلة، سمع من علي القطان، وعبد الرحمان بن الجلاب وغيرهما، وحدث عنه: أبو القاسم التنوي، وغيره، وتصانيفه كثيرة لعل أبرزها:«شرح الأصول الخمسة»، مات سنة خمس عشرة واربع مائة (ت:٤١٥هـ). ينظر ترجمته:«**سير اعلام النبلاء**»/ (١٧/ ٢٤٤).

(٩) «صالح القبة»: هو أبو جعفر محمد بن قبة، من متكلمي الشيعة القدرية، ذكر الأشعري أن سبب تلقيبه بـ:«ابن القبة» لأنه لما قيل له:«ما تنكر أن تكون في هذا الوقت بمكة جالساً في قبة قد ضربت عليك وأنت لا تعلم ذلك لأن الله سبحانه لم يخلق فيك العلم به هذا وأنت صحيح سليم غير مأوف قال: لا أنكر فلقب بِقُبَّة» أخذ عن النظام المعتزلي، وخالف المعتزلة أيضا في مسألة التولد، من آثاره:«كتاب الإنصاف في الإمامة».. ينظر ترجمته:«**مقالات الإسلاميين**»/ (١/ ١٨١)، و(٢/ ٢٨٥ و٢٩٩ ٣٠٠)، و«**الفهرست**»/ (ص:٢١٩)، و«**طبقات المعتزلة**»/ (ص:٧٣).

- القاضي عبد الجبار[١]: حيث ذهب إلى أن عذاب القبر يشمل كل المكلفين، يقول: «والدلالة التي تعم، قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾[سورة غافر:١١]، ولا تكون الإماتة والإحياء إلا وفي إحدى المرتين إما التعذيب في القبر أو التبشير على ما نقوله»، لكنه خالف أهل السنة حين اعتبر أن الآية: (٤٦)، من سورة غافر تخص آل فرعون-، يقول[٢]: «ووجه دلالته على عذاب القبر ظاهر غير أنه يختص بآل فرعون ولا يعم جميع المكلفين» وخالفه الزمخشري[٣] حيث استدل بها على إثبات عذاب القبر لجميع المكلفين دونما استثناء، يقول: «ويستدل بهذه الآية على إثبات عذاب القبر».

-كما أثبت عذاب القبر صالح القبة وهو من المعتزلة القدرية، يقول: «عذاب القبر جائز ويجري على المؤمنين من غير رد الأرواح إلى أجسادها، وقال: إن الميت يجوز أن يحس ويألم، وهو خلاف الضرورة»[٤].

ولم يكن إنكار هؤلاء عار من الدليل، فقد احتجوا بشبه عدة، سأعمل على ذكر أبرزها:

الشبهة الأولى: أن الإنسان لن يتعرض إلا لموتة واحدة، واستدلوا بقوله- تعالى-: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ ۖ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾[سورة الدخان: ٥٦].

والشبهة الثانية: أنهم فهموا من قوله -عز وجل-: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [سورة فاطر: ٢٢]، أنه ليس ثمة عذاب للقبر.

والشبهة الثالثة: احتجاجهم بقوله -تعالى-: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾[سورة غافر:١١]، بدعوى أن إحدى الإماتتين إنما هي خلق الله -تعالى- الخلق من نطفة هي موات، ومن ثم فلا عذاب قبل يوم القيامة.

(١) ينظر:«**شرح الأصول الخمسة**»/ للقاضي عبد الجبار (ت: ٤١٥هـ)/ (ص:٧٣٠- ٧٣١).
(٢) المصدر نفسه: (ص:٧٣٠).
(٣) ينظر:«**الكشاف**»/ للزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)/ (٤/ ١٧٠).
(٤) «**شرح العقيدة الكبرى**»/ لأبي عبد الله السنوسي (ت: ٨٩٥هـ)/ (ص:٤٤٢).

والشبهة الرابعة: وجود تعارض بين رواية أحمد لحديث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا التي تضمنت إنكار الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بداية لعذاب القبر ثم تقريره إياه في آخر الرواية، وبين رواية البخاري المقررة لهذا العذاب.

أما الشبهة الخامسة والأخيرة: إنكارهم أن يشمل عذاب القبر الروح والجسد، بدعوى أن المصلوب لا يظهر عليه شيء، وقد بسط القاضي عبد الجبار[1] بعض الأمثلة التي تعرض شبهتهم هاته، من ذلك؛ أن التعذيب يقتضي أن يكون ظاهرا على جسد الميت، والحال أن النباش[2] لا يجد ذلك، كما أن المصلوب والميت الذي لم يدفن بعد، المفروض أن يُسمع أنينه وأن يشاهدَ اضطرابَهُ كل واحد، والمعلوم أن اضطراب المعَاقَب لا يُرَى، ولا يسمع له أنين البتة، فكيف يكون معذبا؟!

وقد تولى أهل السنة الرد على هذه الشبهات بمقتضى الوحيين.

فبالنسبة للشبهة الأولى: فهي مردودة عليهم؛ لأن سياق الآية يفند مزاعمهم، فهي تخاطب أهل الجنة بأنهم لن يذوقوا موتا في الجنة غير التي ذاقوها في الدنيا، وهو مذهب جمهور المفسرين، لعل أبرزهم:

-ابن قتيبة الدينوري في كتابه: «**تأويل مشكل القرآن**»[3] يقول: « وأما قوله: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ ﴾[سورة الدخان: ٥٦]، فإن (إلّا) في هذا الموضع أيضا بمعنى (سوى)، ومثله:﴿ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [سورة النساء: ٢٢]، يريد سوى ما سلف في الجاهلية قبل النهي، وإنما استثنى الموتة الأولى وهي في الدنيا، لأن السّعداء حين يموتون يصيرون بما شاء الله من لطفه وقدرته، إلى أسباب من

(١) ينظر :«**شرح الأصول الخمسة**»/ للقاضي عبد الجبار (ت:٤١٥هـ)/ (ص:٧٣٣).
(٢) «النباش»: هو الذي يستخرج الأكفان خفية. ينظر:«**غريب الحديث**»/ للقاسم بن سلام (ت:٢٢٤هـ)/ (مادة: خفا).
(٣) ينظر:«**تأويل مشكل القرآن**»/ لأبي محمد ابن قتيبة (ت:٢٧٦هـ)/ (ص:٥٤).

أسباب الجنة، ويتفاضلون أيضا في تلك الأسباب على قدر منازلهم عند الله: فمنهم من يلقّى بالرّوح والرّيحان، ومنهم من يفتح له باب إلى الجنة، ومنهم الشهداء أرواحهم في حواصل طير خضر تعلق في الجنة، أي تأكل... ».

-وهو ما فسرها به أبو جعفر الطبري مبينا أن لفظة: «إلا» هنا بمعنى: «بعد»، ومبقيا على أن الموتة الوحيدة التي سيذوقها أهل الجنة هي تلك التي ستصيبهم في الدنيا، يقول[١]: « لا يذوق هؤلاء المتقون في الجنة الموت بعد الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا».

-ولم يحد أبو إسحاق الزجاج وأبو الليث السمرقندي[٢]، وابن أبي زمنين[٣] ومكي القيسي[٤] والإمام البغوي[٥] عن تفسير سلفهم، حيث احتجوا بنفس الآية (٢٢) من سورة النساء، ووافقهم علماء الأصول منهم؛ أبو الحسن الأشعري من خلال: «رسالته إلى أهل الثغر»[٦] يقول: «وأنهم لا يذوقون ألم الموت كما قال تعالى: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [سورة الدخان: ٥٦]»

أما الشبهة الثانية فهي احتجاجهم بقوله -عز وجل-: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴾ [سورة فاطر: ٢٢]، فقد رد عليها ثلة من العلماء منهم؛

-ابن قتيبة في: «**تأويل مختلف الحديث**»[٧] يقول: « يَعْنِي: أَنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْجُهَلَاءَ، الَّذِينَ كَأَنَّهُمْ مَوْتَى فِي الْقُبُورِ، وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ، وَلَمْ يُرِدْ بِالْمَوْتَى، الَّذِينَ ضَرَبَهُمْ مَثَلًا للجهلاء شهداء بَدْرٍ، فَيُحْتَجَّ بِهِمْ عَلَيْنَا أُولَئِكَ عِنْدَهُ أَحْيَاءٌ، كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ».

(١) ينظر: «**جامع البيان**»/ لأبي جعفر الطبري (ت:٣١٠هـ)/ (٢٢/ ٥٣)...
(٢) ينظر: «**بحر العلوم**»/ لأبي الليث السمرقندي (ت:٣٧٣هـ)/ (٣/ ٢٧٤).
(٣) «**تفسير القرآن العزيز**»/ لابن أبي زمنين (ت:٣٩٩هـ)/ (٤/ ٢٠٨).
(٤) «**الهداية إلى بلوغ النهاية**»/ لمكي القيسي (ت:٤٣٧هـ)/ (١٠/ ٦٧٦٠).
(٥) «**معالم التنزيل**»/ للإمام البغوي (ت:٥١٠هـ)/ (٧/ ٢٣٧).
(٦) «**رسالة إلى أهل الثغر**»/ لأبي الحسن الأشعري (ت:٣٢٤هـ)/ (ص:١٦٠).
(٧) ينظر: «**تأويل مختلف الحديث**»/ لابن قتيبة (ت:٢٧٦هـ)/ (ص:٢٢٩).

فمقصود الآية إذن؛ هو تشبيه الكفار وعنادهم في الاستجابة للحق بمنزلة أهل القبور الذين لن تنفعهم هذه الاستجابة بعد ما صاروا إلى دار الجزاء، قال أبو جعفر الطبري[1]: «يقول تعالى ذكره: كما لا يقدر أن يسمع من في القبور كتاب الله فيهديهم به إلى سبيل الرشاد، فكذلك لا يقدر أن ينفع بمواعظ الله وبيان حججه من كان ميت القلب من أحياء عباده، عن معرفة الله، وفهم كتابه وتنزيله، وواضح حججه»، لهذا أورد اللالكائي[2] هذه الآية في سياق ما روي عن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في أن الموتى في قبورهم لا يعلمون مما عليه الأحياء إلا إذا رد الله عليهم الأرواح.

-واستعان ابن عبد البر[3] بما فسرها به شيخ المفسرين أبو جعفر الطبري، لكنه أردف بالإشارة إلى أنه في مثل هذه القضايا يلزمنا أن نمرر ما أخبر به المصطفى صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ على ظاهره، لأنه هو الأعلم بمراد الله -تعالى-، يقول: «يمكن أن يكون معناه ما لا نُدركُه نحن، ولم نُؤْتَ مِن نوع هذا العلم إلّا قليلًا على إبانة من الله -عز وجل، فإنّ ما صحّ عن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لا تضرب له الأمثال، ولا يدخل عليه المقاييس، فلا يُؤمِن عبدٌ يَجِد حرجًا في نفسه من قضاء رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فهو العالم بمراد الله -عز وجل-، وبه عَلِمْنا ما عَلِمْنا، وإنّما بُعِث إلى أُمّته وهي لا تعلم شيئًا؛ جزاه الله عنها بأفضل ما جزى نَبِيًّا عن أمّته».

-أما الإمام البغوي[4] فقد استدل بالآية: (٨١)، من سورة النمل، يقول: «أَرَادَ بِهِ الْكفَّار الَّذين هم صُمٌّ عَن الْهدى لَا تقدر أَنْت على هدايتهم كما قال -جل ذكره-: ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ [سورة النمل:٨١]».

وبخصوص الشبهة الثالثة: فقد احتجوا بأن معنى الآية ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا

(١) ينظر: «**جامع البيان**»/ لابن جرير الطبري (ت:٣١٠هـ)/ (٢٠/ ٤٥٩).
(٢) ينظر: «**شرح أصول اعتقاد أهل السنة**»/ للالكائي (ت:٤١٨هـ)/ (٦/ ١٢٢٩).
(٣) ينظر: «**الأجوبة عن المسائل المستغربة من كتاب البخاري**»/ لابن عبد البر النمري (ت:٤٦٣هـ)/ (ص:١٩٤ ١٩٥).
(٤) ينظر: «**شرح السنة**»/ للإمام البغوي (ت:٥١٦هـ)/ (١٣/ ٣٨٤ ٣٨٥).

﴿ أَثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾ [سورة غافر:١١] يفيد أن الله خَلَقَ الخَلْقَ من نطفة هي موات، وهي المقصودة بالموتة الأولى، والثانية هي التي تكون قبل يوم القيامة، وهذه الشبهة ذكرها القاضي عبد الجبار في كتابه: «شرح الأصول»، يقول[١]: «قالوا إن إحدى الإماتتين إنما هو خلق الله -تعالى- الخلق من نطفة هي موات».

وقد تجند العلماء لبيان مراد الله- تعالى- من هذه الآية، نذكر من بين هؤلاء:

- أبو جعفر الطبري[٢] حيث استعان في تفسيرها بقول قتادة: «كانوا أمواتا في أصلاب آبائهم، فأحياهم الله في الدنيا، ثم أماتهم الموتة التي لا بد منها، ثم أحياهم للبعث يوم القيامة، فهما حياتان وموتتان»

-وأبطل ابن خزيمة[٣] شبهتهم مبينا أن الله قد ذكر في مواطن أخرى أعدادا تفوق الاثنين من حيث الإحياء والإماتة، ومن ثم فليس ما ذكروه حجة على نفي عذاب القبر، ومن هذه المواطن؛ قوله -تعالى-: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ﴾[سورة البقرة: ٢٥٩]، يقول: «فهذه الآية تصرح أن الله -تعالى- قد أحيى هذا العبد مرتين، إذ قد أحياه المرة الثانية بعد مكثه ميتا مائة سنة، وسيحييه يوم القيامة فيبعثه وقال ﷻ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ﴾[سورة البقرة: ٢٤٣] ... فهذه الجماعة قد أحياهم الله مرتين، قبل البعث، وسيبعثهم الله يوم القيامة أحياء، فالكتاب دال على أن الله يحيي هذه الجماعة مع ما تقدم من إحياء الله إياهم ثلاث مرات».

-وما ذكره أبو جعفر الطبري من قول قتادة هو أصلا ما فسرها به ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فيما نقله عنه ابن أبي حاتم في: «**تفسيره**»[٤].

(١) «**شرح الأصول الخمسة**»/ للقاضي عبد الجبار (ت:٤١٥هـ)/ (ص:٧٣١).
(٢) ينظر:«**جامع البيان**»/ لأبي جعفر الطبري (ت:٣١٠هـ)/ (٢١/ ٣٦٠)، و«الروح»/ لابن القيم (ت:٧٥١هـ)/ (ص:٣٥).
(٣) ينظر:«**التوحيد**»/ لابن خزيمة (ت:٣١١هـ)/ (٢/ ٨٧٩ -٨٨٠).
(٤) «**تفسير ابن أبي حاتم**»/ لابن أبي حاتم الرازي (ت:٣٢٧هـ)/ (١٠/ ٣٢٦٥).

-واجتهد أبو الحسين الملطي في دحض الشبهة الأولى والثالثة معا، وعرى عن جهل أصحابها بمعانيهما، يقول[1]: «أما قَوْله: ﴿أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾[سورة غافر:١١]، يَعْنِي كُنَّا نطفا ميتَة لَيست فِيهَا أَرْوَاح فخلقتنا من تِلْكَ النُّطْفَة فَجعلت فِينَا أرواحا فَهَذِهِ موتَة وحياة يَعْنِي بالموتة والحياة الْحَيَاة الثَّانِيَة حِين أماتهم فِي الدُّنْيَا عِنْد آجالهم ثمَّ يحييهم يَوْم الْقِيَامَة فَهَذِهِ موتَة وحياة أُخْرَى تَصْدِيق ذَلِك فِي سُورَة الْبَقَرَة حَيْثُ يَقُول للْكفَّار وهم أَحيَاء فِي الدنيا ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾[سورة البقرة:٢٨]، يَقُول كُنْتُم نطفا ميتَة لَيست فِيهَا أَرْوَاح فخلقكم وَجعل فِيكُم أرواحا ثمَّ يميتكم عِنْد آجالكم فِي الدُّنْيَا ثمَّ يُحْيِيكُمْ فِي الْآخِرَة فهاتان موتتان وحياتان فَهَذَا تفسيرهما».

-أما الحليمي[2] فاعتبر أن هذه الآية تدل على أن الإماتة الأولى هي الوفاة التي تسري على جميع الناس، أما الثانية فهي الإحياء في القبر لأجل السؤال والتعذيب لمن استحقه، يقول: «أرادوا بإحدى الإماتتين؛ الموت المعروف، وبالإماتة الثانية الموت بعد الإحياء في القبر للسؤال والتعذيب. وبإحدى الإحيائين؛ الإحياء في القبر للسؤال والتعذيب، وبالإحياء الثاني الإحياء يوم القيامة».

وفي الشبهة الرابعة: احتجوا بوجود تعارض بين رواية أحمد ورواية البخاري لحديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ ففي رواية أحمد[3] أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استنكر على اليهودية هذا الخبر

---

(١) «**التنبيه والرد**»/ لأبي الحسين الملطي (ت:٣٧٧هـ)/ (ص:٦٩).

(٢) ينظر:«**المنهاج في شعب الإيمان**»/ للحسين الحليمي (ت:٤٠٣هـ)/ (١/ ٤٩٠)، وبها احتج البيهقي (ت:٤٥٨هـ) في كتابه:«**إثبات عذاب القبر**»/ (ص:٥٠).

(٣) «صحيح الإسناد»: أخرجه أحمد في:«**مسنده**»/ (مسند عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا/ ح: ٢٤٥٢٠)، من طريق هاشم، عن إسحاق بن سعيد، عن أبيه سعيد بن عمرو بن العاص، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرفوعا.
قلت: هاشم بن القاسم بن مسلم، أبو النضر الليثي، وثقه ابن حجر في:«**التقريب**»/ (ص: ٨١٢)، عن إسحاق بن سعيد بن عمرو بن العاص ثقة أيضا.«**التقريب**» (ص:٧٩) عن أبيه سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص وثقه ابن حجر.«**التقريب**» (ص:٢٩٥) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرفوعا، وكلهم من رجال البخاري، قال الهيثمي في:«**مجمع الزوائد**»/ (٣/ ٥٥)،:«هو في الصحيح باختصار، رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح»
قلت: حديث الإمام أحمد صحيح الإسناد، كما أن روايته في:«**صحيح البخاري**»، باختصار لا ترد المتن لأنه ورد في نهاية الحديث أن =

لما سألته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن ذلك قائلا: «**كَذَبَتْ يَهُودُ، وَهُمْ عَلَى اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- أَكْذَبُ، لَا عَذَابَ دُونَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**» لكنه في نهاية الرواية أقرها على ذلك تقول أم المؤمنين؛ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: « **ثُمَّ مَكَثَ بَعْدَ ذَاكَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَمْكُثَ، فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ نِصْفَ النَّهَارِ مُشْتَمِلًا بِثَوْبِهِ، مُحْمَرَّةً عَيْنَاهُ، وَهُوَ يُنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِهِ: «أَيُّهَا النَّاسُ، أَظَلَّتْكُمُ الْفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، أَيُّهَا النَّاسُ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ بَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، أَيُّهَا النَّاسُ، اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، فَإِنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ حَقٌّ**».

أما رواية البخاري[1] ففي إقرار بهذا العذاب، فقد حكت: «**أَنَّ يَهُودِيَّةً دَخَلَتْ عَلَيْهَا، فَذَكَرَتْ عَذَابَ القَبْرِ، فَقَالَتْ لَهَا: أَعَاذَكِ اللهُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَذَابِ القَبْرِ، فَقَالَ: «نَعَمْ، عَذَابُ القَبْرِ» قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدُ صَلَّى صَلاَةً إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ زَادَ غُنْدَرٌ: «عَذَابُ القَبْرِ حَقٌّ»**».

وقد يبدو أن ثمة تعارض بين الروايتين، فالأولى نفى فيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عذاب القبر في بداية الرواية، لكن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في نهاية الخبر ذكرت أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعوذ من عذاب القبر، وأمر الناس بالتعوذ منه، وقد رد ابن حجر[2] هذا التعارض بأن الذي: «أنكره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما هو وقوع عذاب القبر على الموحدين ثم أعلم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ذلك قد يقع على من يشاء الله منهم فجزم به وحذر منه وبالغ في الاستعاذة منه تعليما لأمته وإرشادا، فانتفى التعارض بحمد الله تعالى وفيه دلالة على أن عذاب القبر ليس بخاص بهذه الأمة».

=النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعوذ من عذاب القبر، وهذا ما سيظهر من قول ابن حجر لنفي هذا التعارض، والله أعلم.

(١) أخرجه **البخاري** مختصرا في:«**صحيحه**»/ (كتاب: الجنائز/ باب: ما جاء في عذاب القبر/ ح: ١٣٧٢).

(٢) ينظر:«**فتح الباري**»/ لابن حجر العقلاني (ت:٨٥٢هـ)/ (٣/ ٢٣٦).

ومن ثم استنتج أن كلا الروايتين ثابتة عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، يقول[1]: «وكلا الحديثين عن عائشة، وحاصله أنه لم يكن أوحي إليه أن المؤمنين يفتنون في القبور فقال: إنما يفتن يهود، فجرى على ما كان عنده من علم ذلك، ثم لَمَّا عَلِمَ بأن ذلك يقع لغير اليهود استعاذ منه وعلمه وأمر بإيقاعه في الصلاة ليكون أنجح في الإجابة والله اعلم».

أما الشبهة الخامسة: فهي إنكارهم أن يشمل العذاب الروح والجسد؛ إذ رغم أن باقي المعتزلة أثبتوا عذاب القبر إلا أنهم أنكروا أن يكون شاملا الروح والجسد، حيث ذكر الفخر الرازي أن الكعبي طعن في حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما لقي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد استشهاد أبيه فقال له: «**يَا جَابِرُ مَالِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتُشْهِدَ أَبِي وَتَرَكَ عَلَيْهِ دَيْنًا وَعِيَالًا، فَقَالَ: « أَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَإِنَّ اللَّهَ أَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا[2]، وَقَالَ: يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ مَا شِئْتَ أُعْطِيكَ، قَالَ: تَرُدَّنِي إِلَى الدُّنْيَا فَأُقْتَلُ فِيكَ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: لَا، إِنِّي أَقْسَمْتُ بِيَمِينٍ أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ يَعْنِي الدُّنْيَا**»[3].

---

(١) ينظر:«**فتح الباري**»/ (١١/ ١٧٦).

(٢) «كفاحا»: أي اللقاء والمباشرة. ينظر:«**غريب الحديث**»/ لأبي عبيد الهروي (ت:٢٢٤هـ)/ (٤/ ١٨٦).

(٣) «إسناده حسن»: أخرجه ابن ماجة في:«**سننه**»/ (أبواب السنة/ باب: فيما أنكرت الجهمية/ ح:١٩٠)، و الترمذي في:«**سننه**»/ (أبواب تفسير القرآن/ باب: ومن سورة آل عمران/ ح:٣٠١٠)، والدارمي في:«**الرد على الجهمية**»/ (باب: الاحتجاب / ح:١١٥)، وابن أبي عاصم في:«**السنة**»/ (باب: حديث:«يا جابر ألا أخبرك بما قال/ ح:٦٠٢)، وابن خزيمة في: «**التوحيد**»/ (٢/ ٨٩٠)، والحاكم في:«**المستدرك**»/ (كتاب: معرفة الصحابة/ باب: ذكر مناقب عبد الله بن عمرو بن حرام/ ح:٤٩١٤)...من طرق، عن موسى بن إبراهيم، عن طلحة بن خِراش، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا.

وحسن الحديث كل من الترمذي والحاكم، وسكت عنه الذهبي في:«**التلخيص**»/ (ح:٤٩١٤)، وقال ا بن عبد البر في:«**الاستيعاب في معرفة الأصحاب**»/ (٣/ ٩٥٦): مُوسَى بْن إِبْرَاهِيم، وطلحة بْن خِرَاش أنصاري: كلاهما مدني ثقة.

قلت: مدار الرواية على موسى بن إبراهيم الأنصاري: وهو صدوق يخطئ.«**التقريب**»/ (ص:٧٨١)، وطلحة بن خراش، قال عنه ابن حجر: صدوق.«**التقريب**»/ (ص:٣٦٥)، لكن لحديث طلحة بن خراش متابع وهو عبد الله بن محمد بن عقيل الهاشمي، فيما أخرجه أحمد في:«**مسنده**»/ (مسند جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا/ ح:١٨٤٨١)، مختصرا، وإن كان هو الآخر صدوق فيه لين.«**التقريب**»/ (ص:٤٢٦)، يتبين أن موسى بن إبراهيم وطلحة بن خراش اختلف فيهما فقد وثقهما ابن عبد البر، وقول ابن حجر صدوق يحتاج إلى متابع وقد وجد وإن كان هو الآخر فيه لين لكن يقوي الحديث ليرفع الإسناد إلى درجة الحسن، لهذا أورده الألباني في:«**صحيح سنن ابن ماجة**»/ (١/ ٨١)، والله أعلم.

قال الفخر الرازي[١]: «طَعَنَ الْكَعْبِيُّ فِي هَذِهِ الرِّوَايَاتِ وَقَالَ: إِنَّهَا غَيْرُ جَائِزَةٍ لِأَنَّ الْأَرْوَاحَ لَا تَتَنَعَّمُ، وَإِنَّمَا يَتَنَعَّمُ الْجِسْمُ إِذَا كَانَ فِيهِ رَوْحٌ لَا الرُّوحُ، وَمَنْزِلَةُ الرُّوحِ مِنَ الْبَدَنِ مَنْزِلَةُ الْقُوَّةِ».

وذكر شمس الدين القرطبي في: «**تذكرته**»[٢] أن بعض المعتزلة قالوا: «إن الله يعذب الموتى في قبورهم، ويحدث فيهم الآلام وهم لا يشعرون، فإذا حشروا وجدوا تلك الآلام، وزعموا أن سبيل المعذبين من الموتى، كسبيل السكران أو المغشى عليه، لو ضُرِبُوا لم يجدوا الآلام، فإذا عاد إليهم العقل وجدوا تلك الآلام»[٣].

أما ابن حزم[٤] فقد حصر العذاب على الروح دون الجسد و استدل بقوله -تعالى-:

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[سورة الأنعام:٩٣]، يقول: «إن النفس معذبة كما ترى من حين موتها إلى يوم القيامة دون الأجساد، فإذا كان يوم القيامة أحيى الله -تعالى- العظام، وأخرجها من القبور وركب عليها الأجساد ورد إليها الأنفس، ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار».

وقد رد أهل السنة على هذه الشبهات بسرد جملة من الأحاديث وردت في الصحاح تثبت أن العذاب يشمل الروح والجسد معا من ذلك:

-حديث قتادة، عن أنس[٥] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولاَنِ: «مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...»وَأَمَّا المُنَافِقُ وَالكَافِرُ ... فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لاَ دَرَيْتَ وَلاَ تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ**».

---

(١) «**مفاتيح الغيب**»/ للفخر الرازي (ت:٦٠٦هـ)/ (٩/ ٤٢٦).
(٢) ينظر:«**التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة**»/ لشمس الدين القرطبي (ت:٦٧١هـ)/ (ص:٣٨٠).
(٣) اجتهدت في البحث عمن قال بذلك من المعتزلة فلم أقف عليه إلا ما أورده القرطبي في:«تذكرته»
(٤) ينظر:«**رسائل ابن حزم**»/ لابن حزم (ت:٤٥٦هـ)/ (٣/ ٢١٩).
(٥) أخرجه **البخاري** في: (كتاب: الجنائز/ باب: ما جاء في عذاب القبر/ ح:١٣٧٤).

-وحديث حبر الأمة ابن عباس[1] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «**مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ المَدِينَةِ، أَوْ مَكَّةَ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ» ثُمَّ قَالَ: «بَلَى، كَانَ أَحَدُهُمَا لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَكَانَ الآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ» ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ، فَكَسَرَهَا كِسْرَتَيْنِ، فَوَضَعَ عَلَى كُلِّ قَبْرٍ مِنْهُمَا كِسْرَةً، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: «لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ تَيْبَسَا» أَوْ: «إِلَى أَنْ يَيْبَسَا»**».

-وحديث سمرة بن جندب[2] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**«مَنْ رَأَى مِنْكُمُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟» قَالَ: فَإِنْ رَأَى أَحَدٌ قَصَّهَا، فَيَقُولُ: «مَا شَاءَ اللَّهُ» فَسَأَلَنَا يَوْمًا فَقَالَ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟» قُلْنَا: لاَ، قَالَ: «لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخَذَا بِيَدِي، فَأَخْرَجَانِي إِلَى الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ، بِيَدِهِ كَلُّوبٌ[3] مِنْ حَدِيدٍ» قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْ مُوسَى: «إِنَّهُ يُدْخِلُ ذَلِكَ الكَلُّوبَ فِي شِدْقِهِ حَتَّى يَبْلُغَ قَفَاهُ، ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الآخَرِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَلْتَئِمُ شِدْقُهُ هَذَا، فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالاَ: انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَى قَفَاهُ وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ بِفِهْرٍ - أَوْ صَخْرَةٍ - فَيَشْدَخُ بِهِ رَأْسَهُ، فَإِذَا ضَرَبَهُ تَدَهْدَهَ[4] الحَجَرُ...»** قال ابن القيم[5] في تعليقه على هذا الحديث: «وهذا نص في عذاب البرزخ فإن رؤيا الأنبياء وحي مطابق لما في نفس الأمر».

-أما تفسير ابن حزم لتلك الآية فهو يخالف ما فسرها به شيخ المفسرين[6]، حيث ذكر أن الله -جل شأنه- يقول: « لنبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ولو ترى، يا محمد، حين يغمر الموت بسكراته هؤلاء الظالمين العادلين بربهم الآلهة والأنداد، والقائلين: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾

---

(١) «متفق عليه»: أخرجه الشيخان؛ **البخاري** في عدة كتب منها: (كتاب: الجنائز/ باب: الجريد على القبر/ ح:١٣٦١)، و**مسلم** في: (كتاب: الطهارة/ باب: الدليل على نجاسة البول/ ح:٦٩٠)، من حديث ابن عباس **قَالَ: «مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ المَدِينَةِ، أَوْ مَكَّةَ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا...»**

(٢) أخرجه البخاري في:«**صحيحه**»/ (كتاب: الجنائز/ باب: ما قيل في أولاد المشركين/ ح:١٣٨٦).

(٣) «الكلوب»:حديدة معوجة الرأس. ينظر:«**النهاية في غريب الحديث**»/ (مادة: كلب).

(٤) «تدهده»: تدحرج. ينظر:«**النهاية في غريب الحديث**»/ لابن الأثير/ (مادة: دأل).

(٥) ينظر:«**الروح**»/ لابن القيم (ت:٧٥١هـ)/ (ص:٥٩).

(٦) «**جامع البيان**»/ لأبي جعفر الطبري (ت:٣١٠هـ)/ (١١/ ٥٣٧).

[الأنعام: ٩١]، والمفترين على الله كذبًا، الزاعمين أنّ الله أوحى إليه ولم يوحَ إليه شيء، والقائلين: ﴿سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣]، فتعاينهم وقد غشيتهم سكرات الموت، ونزل بهم أمر الله، وحان فناء آجالهم، والملائكة باسطو أيديهم يضربون وجوههم وأدبارهم» فهذا يدل على أن العذاب يشمل حتى الأجساد، ولعل الحكمة من عدم إسماع الثقلين أنين المعذب في القبر لكي لا تنتقص حكمة التكليف ويرتفع الابتلاء والامتحان ولا يعرضوا عن التدابير[١].

والسلف قد أجمعوا على أن العذاب يشمل الروح والجسد بلا خلاف، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية[٢] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَاعْلَمْ أَنَّ مَذْهَبَ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا أَنَّ الْمَيِّتَ إذَا مَاتَ يَكُونُ فِي نَعِيمٍ أَوْ عَذَابٍ وَأَنَّ ذَلِكَ يَحْصُلُ لِرُوحِهِ وَلِبَدَنِهِ...».

كما أن الميت إذا استحق العذاب سيأتيه لا مفر من ذلك قبر أم لم يقبر، أكلته السباع أم مات أي ميتة أخرى، فإن العذاب يطاله جسدا وبدنا، يقول ابن القيم[٣]: «ومما ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه قبر أو لم يقبر فلو أكلته السباع أو أحرق حتى صار رمادا ونسف في الهواء أو صلب أو غرق في البحر وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى القبور».

وطبيعة ذلك العذاب هو من عوالم الأسرار البرزخية التي غيبها الله ﷻ لحكمته البالغة، والله -جل وعلا- أمرنا بالإيمان بهذا الخبر وتجنب البحث في الكيف، وضرب أمثلة من القرآن نفسه تدل على أن القدرة الإلهية التي أنطقت الحجر وجعلت البحار والجبال والطير يسبحن بحمد الله، وأنين الجذع، وغير ذلك من الخوارق الإلهية تثبت أن الله قادر على أن يلحق بالميت المستحق لذلك العذاب وإن كان ذلك لا يظهر للناس، وهذا ما استدل به ابن القيم في كتابه: «الروح»[٤] لرد هذه الشبهة، كما أن العقل لا يستطيع أن يستوعب مثل هذه الأمور ومن ثم

(١) ينظر: «**تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة**»/ للقاضي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)/ (١/ ١١١).
(٢) ينظر: «**مجموع الفتاوى**»/ لابن تيمية (ت:٧٢٨هـ)/ (٤/ ٢٨٤).
(٣) «**الروح**»/ لابن القيم (ت:٧٥١هـ)/ (ص:٥٨).
(٤) المصدر نفسه: (ص: ٧٢ ٧٣).

وجب الإيمان بها مع تجنب السؤال عن الكيف يقول أبو العز الحنفي[1]: «فَيَجِبُ اعْتِقَادُ ثُبُوتِ ذَلِكَ وَالْإِيمَانُ بِهِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ فِي كَيْفِيَّتِه، إِذْ لَيْسَ لِلْعَقْلِ وُقُوفٌ عَلَى كَيْفِيَّتِه، لِكَوْنِه لَا عَهْدَ لَهُ بِهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ، وَالشَّرْعُ لَا يَأْتِي بِمَا تُحِيلُه الْعُقُولُ، وَلَكِنَّه قَدْ يَأْتِي بِمَا تَحَارُ فِيهِ الْعُقُولُ، فَإِنَّ عَوْدَ الرُّوحِ إِلَى الْجَسَدِ لَيْسَ عَلَى الْوَجْه الْمَعْهُودِ فِي الدُّنْيَا، بَلْ تُعَادُ الرُّوحُ إِلَيْهِ إِعَادَة غَيْرَ الْإِعَادَة الْمَأْلُوفَة فِي الدُّنْيَا» ثم خلص إلى أن: «.. عَذَابُ الْقَبْرِ يَكُونُ لِلنَّفْسِ وَالْبَدَنِ جَمِيعًا بِاتِّفَاقِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَة، تَنْعَمُ النَّفْسُ وَتُعَذَّبُ مُفْرَدَة عَنِ الْبَدَنِ وَمُتَّصِلَة بِهِ».

فأهل السنة بدءا من الصحابة -رضوان الله تعالى عليهم- كانوا على عقيدة راسخة أن ما جاء به الوحي يلزم الإيمان به دونما بحث في الكيف، وهو النهج الذي تمسك به الخلف من أهل الحديث كالإمام الأوزاعي والإمام مالك والإمام أحمد وغيرهم ممن ساروا على نهجهم، لهذا قال الإمام الزهري[2]: «مِنَ الله -عز وجل- العِلْمُ وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم»، وكذلك لاتفاقهم على قول واحد في المسائل الغيبية وغيرها، يقول قوام السنة: الإمام أبو القاسم الأصبهاني[3]: «وَمِمَّا يدل عَلَى أَن أهل الحَدِيث هم عَلَى الْحق، أَنَّك لَو طالعت جَمِيع كتبهمْ المصنفة من أَوَّلهمْ إِلَى آخرهم، قديمهم وحديثهم مَعَ اخْتِلَاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد مَا بَينهم فِي الديار، وَسُكُون كل وَاحِد مِنْهُم قطرا من الأقطار، وَجَدتهمْ فِي بَيَان الِاعْتِقَاد عَلَى وتيرة وَاحِدَة، ونمط وَاحِد يجرونَ فِيهِ عَلَى طَرِيقَة لَا يحيدون عَنْهَا، وَلَا يميلون فِيهَا».

وخير ما أختم به قوله ﷻ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[سورة يونس: ٣٩].

(١) ينظر: «شرح العقيدة الطحاوية»/ لابن أبي العز الحنفي (ت: ٧٩٢هـ)/ (ص: ٣٩٥-٣٩٦).
(٢) ينظر: «خلق أفعال العباد»/ للبخاري (ت:٢٥٦هـ)/ (ص:٧٦)...
(٣) «الحجة في بيان المحجة»/ لأبي القاسم الأصبهاني (ت:٥٣٥هـ/ (٢/ ٢٣٩).

مجلة تعظيم الوحيين

الخَاتِمَة

الحمد لله الذي جعلنا من أتباع سيد المرسلين وخاتم النبيين، والحمد لله الذي من علينا باتباع هديه والتمسك بسنته، الداعين إلى سبيله.

أما بعد؛ فقد جُلْنَا بين ثنايا هذا البحث بين أدلة الفريقين، في كلا المسألتين وخلص البحث إلى نتائج يمكن تلخيصها في العناصر الآتية:

١- أهمية المنهج في فهم نصوص الوحي لاسيما المسائل الغيبية.

٢- يؤدي الاختلاف في المنهج إلى الاختلاف في فهم نصوص الوحي.

٣- الانحراف عن منهج أهل السنة يؤدي إلى تعطيل نصوص الوحي.

وفي ضوء تلك النتائج نوصي بالآتي:

١. ينبغي الإيمان أن نصوص الوحي: (الكتاب والسنة) قطعية الدلالة فلا اجتهاد مع النص، وذلك لأن أهل السنة لم يقسموا الأحاديث الثابتة إلى ما هو قطعي الدلالة وما هو ظني منها، فكل ما هو ثابت يفيد العلم والعمل معا.

٢. ينبغي إدراك أن الوحي يأتي بما تحار فيه العقول لكن لا يأتي بما تحيله العقول.

٣. يجب الاعتقاد أن المسلك السليم والمنهج القويم هو اتباع سنة الأولين من الصحابة ومن سار على دربهم سواء في العقائد أو في غيرها من أمور الدين.

٤. اتباع السلف الصالح في المعتقد وغيره من شأنه أن يوحد الأمة ويقوي شوكتها ضد أعداء الدين.

المصادر والمراجع

١. **القرآن الكريم (مصحف المدينة النبوية).**

٢. **الإبانة عن أصول الديانة**، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي موسى الأشعري (ت: ٣٢٤هـ)/ تحقيق: د. فوقية حسين محمود/ الناشر: دار الأنصار القاهرة/ ط:١: ١٣٩٧هـ.

٣. **الإبانة الكبرى لابن بطة**، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري (ت: ٣٨٧هـ)/ الجزء الأول والثاني بتحقيق: رضا بن نعسان معطي / الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض/ ط:٢: ١٤١٥ هـ : ١٩٩٤ م.

٤. **إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين**، أبو بكر أحمد بن الحسين الخُسْرَوْجِردي البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)/ تحقيق: د. شرف محمود القضاة/ الناشر: دار الفرقان : عمان الأردن/ ط:٢: ١٤٠٥هـ.

٥. **الأجوبة عن المسائل المستغربة من كتاب البخاري**، أبو عمر يوسف ابن عبد البر النمري القرطبي (ت:٤٦٣هـ)/ قرأه وعلق عليه: عبد الخالق بن محمد ماضي/ تقديم: محمد بن عمر بن سالم بازمول/ الناشر: وقف السلام الخيري، الرياض: المملكة العربية السعودية/ ط:١: ١٤٢٥هـ:٢٠٠٤م.

٦. **أحكام الجنائز**، أبو عبد الرحمان محمد ناصر الدين الألباني (ت:١٤٢٠هـ)/ الناشر: المكتب الإسلامي/ ط:٤: ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٧. **الإحكام في أصول الأحكام**، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم (ت: ٤٥٦هـ)/ تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر/ قدم له: أ.د. إحسان عباس/ الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٨. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري (ت:٤٦٣هـ)/ تحقيق: علي محمد البجاوي/ الناشر: دار الجيل، بيروت/ ط:١: ١٤١٢هـ:١٩٩٢م.

٩. **الإشارة في أصول الفقه**، أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت: ٤٧٤ هـ)/ تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل/ الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان/ ط:١: ١٤٢٤ هـ: ٢٠٠٣ م.

١٠. **أصول السنة، ومعه رياض الجنة بتخريج أصول السنة**، أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (ت: ٣٩٩هـ)/ تحقيق وتخريج وتعليق: عبد الله بن محمد البخاري/ الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية : المملكة العربية السعودية/ ط:١: ١٤١٥ هـ.

١١. **اعتقاد أئمة الحديث**، أبو بكر أحمد بن إبراهيم الجرجاني (ت: ٣٧١هـ) / تحقيق: محمد بن عبد الرحمان خميس/ دار العاصمة: رياض/ ط:١: ١٤١٢هـ.

١٢. **الاعتصام**/ إبراهيم بن موسى اللخمي الشهير بالشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)/ تحقيق: سليم بن عيد الهلالي/ الناشر: دار ابن عفان، السعودية/ ط:١: ١٤١٢هـ: ١٩٩٢م.

١٣. **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ)/ قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان/ شارك في التخريج: أبو عمر أحمد عبد الله أحمد/ الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع: المملكة العربية السعودية/ ط:١: ١٤٢٣هـ.

١٤. **الأعلام**، خير الدين بن محمود الزركلي (ت:١٣٩٦هـ)/ الناشر: دار العلم للملايين/ ط:١٥:أيار: مايو ٢٠٠٢م.

١٥. **الأمالي المطلقة**، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ)/ تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي/ الناشر: المكتب الإسلامي/ بيروت/ ط:١٤١٦:١هـ/ ١٩٩٥م.

١٦. **الإيمان**، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن منده (ت:٣٩٥هـ)/ تحقيق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي/ الناشر: مؤسسة الرسالة/ بيروت/ ط:٢: ١٤٠٦هـ.

١٧. **الإيمان**، تقي الدين محمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ)/ تحقيق: خرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني (ت:١٤٢٠هـ)/ الناشر: المكتب الإسلامي/ ط:٤: ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

١٨. **البحر الزخار=مسند البزار**، أبو بكر أحمد بن عمرو المعروف بالبزار (ت:٢٩٢هـ)/ تحقيق: محفوظ الرحمان زين الله وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق/ الناشر: مكتبة العلوم والحكم/ المدينة المنورة/ ط:١: ١٩٨٨م إلى٢٠٠٩م.

١٩. **بحر العلوم**، أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي (ت:٣٧٥هـ)/ تحقيق وتعليق: الشيخ محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ود. زكريا عبد المجيد النوتي/ كلية اللغة العربية/ جامعة الأزهر/ دار الكتب العلمية/ بدون تاريخ الطبع.

٢٠. **تاريخ بغداد**، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)/ تحقيق: د. بشار عواد معروف/ الناشر: دار الغرب الإسلامي: بيروت/ ط: ١: ١٤٢٢هـ: ٢٠٠٢ م.

٢١. **تاريخ دمشق**، أبو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر (ت:٥٧١هـ)/ تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي/ الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت: لبنان/ ط:١: ١٤١٩ه:١٩٩٨م.

٢٢. **تأويل مشكل القرآن**، أبو محمد عبد الله بن سليم بن قتيبة الدينوري (ت:٢٧٦هـ)/ تحقيق: إبراهيم شمس الدين/ الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان.

٢٣. **التبيان في أقسام القرآن**، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)/ تحقيق: محمد حامد الفقي/ الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان/ بدون تاريخ الطبع.

٢٤. **تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة**، القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت:٦٨٥هـ)/ تحقيق: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب/ الناشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت/ عام النشر: ١٤٣٣هـ:٢٠١٢م/ بدون تاريخ الطبع.

٢٥. **التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة**، أبو عبد الله محمد بن أحمد، شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)/ تحقيق ودراسة: د. الصادق بن محمد بن إبراهيم/ الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض/ ط:١: ١٤٢٥ هـ.

٢٦. **تفسير القرآن العظيم**، أبو محمد عبد الرحمن بن إدريس ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)/ تحقيق: أسعد محمد الطيب/ الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز: المملكة العربية السعودية/ ط:٣: ١٤١٩ هـ.

٢٧. **تفسير القرآن العزيز**، أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن أبي زمنين (ت:٣٩٩هـ)/ (تحقيق: حسين بن عكاشة، ومحمد بن مصطفى الكنز/ الناشر: الفاروق الحديثة، مصدر/ القاهرة/ ط:١: ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٢٨. **تقريب التهذيب**، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ)/ ومعه: «**تحرير تقريب التهذيب**»/ ضبطه وعلق عليه: سعد بن نجدت عمر/ مؤسسة الرسالة: ناشرون/ ط: ١ :١٤٣٢ هـ:٢٠١١م.

٢٩. **التلخيص في أصول الفقه**، عبد الملك بن عبد الله، أبو المعالي الجويني (ت:٤٧٨هـ)/ تحقيق: عبد الله جولم النبالي وبشير أحمد العمر/ الناشر: دار البشائر الإسلامية: بيروت/ بدون طبعة ولا تاريخ الطبع.

٣٠. **التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع**، محمد بن أحمد، أبو الحسين الملطي (ت:٣٧٧هـ)/ تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري/ الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث/ مصر/ بدون طبعة ولا تاريخ النشر.

٣١. **تهذيب التهذيب**، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ)/ الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند/ ط:١: ١٣٢٦هـ.

٣٢. **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، يوسف بن عبد الرحمان، جمال الدين ابن الزكي المزي

(ت:٧٤٢هـ)/ تحقيق: بشار عواد معروف/ الناشر: مؤسسة الرسالة/ بيروت/ ط:١: ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٣٣. **التوحيد**، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (٣١١هـ)/ تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان/ الناشر: مكتبة الرشد/ السعودية/ الرياض/ ط:٥: ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٣٤. **جامع البيان في تأويل القرآن**، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت:٣١٠هـ)/ تحقيق: أحمد محمد شاكر/ الناشر: مؤسسة الرسالة/ ط:١: ١٤٢٠ه:٢٠٠٠م/ مؤسسة الرسالة.

٣٥. **جامع البيان في تفسير القرآن**، محمد بن عبد الرحمان الإيجي الشافعي (ت:٩٠٥هـ)/ الناشر: دار الكتب العلمية: بيروت / ط:١: ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

٣٦. **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري(ت: ٢٥٦هـ)/ تحقيق: محمد زهير / الناشر: دار طوق النجاة / ط:١: ١٤٢٢هـ.

٣٧. **الجامع لأحكام القرآن**، أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)/ تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش/ الناشر: دار الكتب المصرية/ القاهرة/ ط:٢: ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

٣٨. **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**، شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ)/ الناشر: مطبعة المدني: القاهرة.

٣٩. **الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة**، إسماعيل بن محمد التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (ت: ٥٣٥هـ)/ تحقيق: محمد بن ربيع المدخلي/ الناشر: دار الراية : السعودية / الرياض/ ط:٢: ١٤١٩هـ: ١٩٩٩م.

٤٠. **خلق أفعال العباد**، محمد بن إسماعيل البخاري(ت: ٢٥٦هـ)/ تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة / الناشر: دار المعارف السعودية/ الرياض بدون طبعة ولا تاريخ الطبع.

٤١. **درء تعارض العقل والنقل**، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)/ تحقيق: د. محمد رشاد سالم/ الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية/ ط:٢: ١٤١١ هـ: ١٩٩١ م.

٤٢. **دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية**، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)/ تحقيق: د. محمد السيد الجليند/ الناشر: مؤسسة علوم القرآن / دمشق/ ط:٢: ١٤٠٤م.

٤٣. **الرد على الجهمية**، أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي (ت:٢٨٠هـ)/ تحقيق: بدر بن عبد الله البدر/ الناشر: دار ابن الثير/ بيروت/ ط:٢:/ ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٤٤. **رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب**، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت:٣٢٤هـ)/ تحقيق: عبد الله شاكر ومحمد الجنيدي/ الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية/ ط: ١٤١٣هـ.

٤٥. **رسائل ابن حزم الأندلسي**، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم (ت: ٤٥٦هـ)/ تحقيق: إحسان عباس/ الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر: بيروت : لبنان.

٤٦. **رفع الملام عن الأئمة الأعلام**، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ)/ طبع ونشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض: المملكة العربية السعودية/ عام النش:١٤٠٣هـ:١٩٨٣م.

٤٧. **الروح**، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ)/ الناشر: دار الكتب العلمية/ بيروت/ بدون طبعة ولا تاريخ النشر.

٤٨. **الزهد والرقائق لابن المبارك**، أبو عبد الرحمان عبد الله بن المبارك الحنظلي(ت:١٨١هـ)/ تحقيق: حبيب الرحمان الأعظمي/ الناشر: دار الكتب العلمية/ بيروت/ بدون طبعة ولا تاريخ الطبع.

٤٩. **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، محمد ناصر الدين الألباني

(ت:١٤٢٠هـ)/ الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع لصاحبها: سعد بن عبد الرحمان الراشد: الرياض/ بدون تاريخ الطبع.

٥٠. **السنة**، أبو بكر بن أبي عاصم الشيباني (ت:٢٨٧هـ)/ تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني (ت:١٤٢٠هـ)/ ط:١ :١٤٠٠هـ.

٥١. **سنن أبي داود**، أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ)/ تحقيق: محمد عبد الحميد/ الناشر: المكتبة العصرية، صيدا/ بيروت، بدون تاريخ الطبع.

٥٢. **سنن ابن ماجة**، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت:٢٧٣هـ)/ تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، ومحمد كامل قرة بللي، وعبد اللطيف حرز الله/ الناشر: دار الرسالة العالمية/ ط:١: ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٥٣. **سنن الترمذي**، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت: ٢٧٩هـ)/ تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف/ الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي/ مصر/ ط:٢: ١٣٩٥ هـ: ١٩٧٥ م.

٥٤. **سير أعلام النبلاء**، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)/ تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط/ الناشر: مؤسسة الرسالة/ ط:٣: ١٤٠٥ هـ: ١٩٨٥ م.

٥٥. **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي (ت:٤١٨هـ)/ تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي/ الناشر: دار طيبة/ السعودية/ ط:٨: ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٥٦. **شرح الأصول الخمسة**، للقاضي عبد الجبار بن أحمد (ت:٤١٥هـ)/ تعليق: الإمام أحمد بن الحسين بن أبي هاشم/ حققه وقدم له: د. عبد الكريم عثمان/ مكتبة وهبة/ القاهرة/ ط:٣: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٥٧. **شرح صحيح البخاري**، أبو الحسن علي بن خلف ابن بطال (ت: ٤٤٩هـ)/ تحقيق: ياسر بن إبراهيم/ مكتبة: الرشد: السعودية، الرياض/ ط: ٢: ١٤٢٣ه:٢٠٠٣م.

٥٨. **شرح السنة**، الحسين بن مسعود البغوي (ت:٥١٦هـ)/ تحقيق: شعيب الأرناؤوط : محمد زهير الشاويش/ النشر : المكتب الإسلامي : دمشق ـ بيروت / ط:٢: ١٤٠٣هـ : ١٩٨٣م.

٥٩. **شرح العقيدة الطحاوية**، محمد بن علاء الدين ابن أبي العز الحنفي (ت: ٧٩٢هـ)/ تحقيق: أحمد شاكر/ الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد/ ط:١: ١٤١٨ هـ.

٦٠. **شرح العقيدة الكبرى المسماة عقيدة أهل التوحيد**، أبو عبد الله محمد بن عمر السنوسي التلمساني الحسني (ت:٨٩٥هـ)/ تحقيق: السيد يوسف أحمد/ دار الكتب العلمية/ بدون طبعة ولا تاريخ الطبع.

٦١. **شرح مسند الشافعي**، عبد الكريم بن محمد، أبو القاسم الرافعي القزويني (ت:٦٢٣هـ)/ تحقيق: أبو بكر وائل محمد بكر زهران/ الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: إدارة الشؤون الإسلامية، قطر/ ط:١: ١٤٢٨هـ:٢٠٠٧م.

٦٢. **شرح المقاصد في علم الكلام**، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت: ٧٩٣هـ)/ تحقيق وتعليق مع مقدمة في علم الكلام: د. عبد الرحمان عميرة/ تصدير فضيلة الشيخ: صالح موسى شرف (عضو هيئة كبار العلماء وعضو مجمع البحوث الإسلامية/ الناشر : عالم الكتب/ ط:٢: ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٦٣. **صحيح سنن ابن ماجة**، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)/ الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع: الرياض/ ط:١: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٦٤. **صحيح سنن أبي داود**، محمد ناصر الدين الألباني (ت:١٤٢٠هـ)/ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع: الرياض/ ط:١: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٦٥. **الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة**، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ)/ تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله/ الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية/ ط:١: ١٤٠٨هـ.

٦٦. **طبقات المعتزلة**، أحمد بن يحيى بن المرتضى/ عنيت بتحقيقه: سوسنة دفيلد-فلزر/ بيروت-لبنان/ ١٣٨٠ه-١٩٧١م/ النشرات الإسلامية يُصَدِّرُهَا: لجمعية المستشرقين الألمانية: هلموت ريتر وألبرت ديتريش.

٦٧. **العواصم من القواصم**، للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (ت:٥٤٣هـ)/ تحقيق: الدكتور عمار الطالبي/ الناشر: مكتبة التراث، مصر.

٦٨. **الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد**، علاء الدين ابن العطار (ت:٧٢٤هـ)/ (ص:٢٥٥)/ تحقيق: سعد الزويهري / وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: قطر/ ط:١: ١٤٣٢ه:٢٠١١م.

٦٩. **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث**، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي (ت:٤٥٨هـ)/ تحقيق: أحمد عصام الكاتب/ الناشر: دار الآفاق الجديدة: بيروت/ ط:١: ١٤٠١هـ.

٧٠. **العلل الواردة في الأحاديث النبوية**، أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت:٣٨٥هـ)/ تحقيق وتخريج: محفوظ الرحمان زين الله السلفي/ الناشر: دار طيبة الرياض/ ط:١: ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٧١. **العين**، أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت:١٧٠هـ)/ تحقيق: د. مهدي المخزومي،د. إبراهيم السامرائي/ الناشر: دار ومكتبة هلال/ بدون طبعة ولا تاريخ الطبع.

٧٢. **غريب الحديث**، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم (ت: ٢٢٤هـ)/ تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان/ مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد: الدكن/ ط:١: ١٣٨٤ هـ: ١٩٦٤ م.

٧٣. **الفتاوى الكبرى**، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ)/ الناشر: دار الكتب العلمية/ لبنان/ ط:١: ١٤٠٨هـ:١٩٨٧م.

٧٤. **فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري**، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ)/ رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي/ قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب/ عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز/ الناشر: المكتبة السلفية بدون تاريخ الطبع.

٧٥. **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية**، عبد القاهر بن طاهر البغدادي الأسفرايني (ت:٤٢٩هـ)/ الناشر: دار الآفاق الجديدة: بيروت/ ط:٢: ١٩٧٧م.

٧٦. **الفروسية المحمدية**، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)/ تحقيق: زائد بن أحمد النشيري/ الناشر: دار عالم الفوائد: مكة المكرمة/ ط:١: ١٤٢٨هـ.

٧٧. **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم (ت: ٤٥٦هـ)/ الناشر: مكتبة الخانجي/ القاهرة/ بدون تاريخ الطبع.

٧٨. **الفقه الأكبر**، ينسب لأبي حنيفة النعمان بن ثابت (ت:١٥٠هـ)/ الناشر: مكتبة الفرقان: الإمارات العربية/ ط:١: ١٤١٩هـ:١٩٩٩م.

٧٩. **الفهرست**، أبو الفرج محمد بن إسحاق الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (ت:٤٣٨هـ)/ تحقيق: إبراهيم رمضان/ الناشر: دار المعرفة بيروت/ لبنان/ ط:١٤١٧:٢هـ/ ١٩٩٧م.

٨٠. **الاقتصاد في الاعتقاد**، عبد الغني المقدسي (ت:٦٠٠هـ)/ تحقيق: أحمد بن عطية الغامدي/ مكتبة العلوم والحكم: المدينة المنورة: المملكة السعودية/ ط: ١: ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٨١. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، محمود بن عمر الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)/ الناشر:

دار الكتاب العربي/ بيروت/ ط:٣- ١٤٠٧ هـ.

٨٢. **لمعة الاعتقاد**، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن احمد بن قدامة المقدسي (ت:٦٢٠هـ)/ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة: المملكة العربية السعودية/ ط:٢: ١٤٢٠هـ:٢٠٠٠م.

٨٣. **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت:٨٠٧هـ) / تحقيق: حسام الدين القدسي/ الناشر : مكتبة القدسي، القاهرة / عام النشر: ١٤١٤هـ:١٩٩٤م/ بدون طبعة.

٨٤. **مجموع الفتاوى**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)/ تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم/ الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية/ عام النشر: ١٤١٦هـ:١٩٩٥م بدون طبعة.

٨٥. **المحصول في أصول الفقه**، القاضي محمد بن عبد أبو بكر بن العربي المعافري (ت:٥٤٣هـ)/ تحقيق: حسين علي اليدري وسعيد فودة/ الناشر: دار البيارق/ عمان/ ط:١: ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٨٦. **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)/ تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي/ الناشر: دار الكتاب العربي/ بيروت/ ط:٣- ١٤١٦ هـ: ١٩٩٦م.

٨٧. **المسائل والأجوبة**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)/ تحقيق: حسين بن عكاشة/ الفاروق الحديثة للطباعة والنشر / ط:١ :١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٨٨. **المستدرك على الصحيحين**، أبو عبد الله الحاكم (ت:٤٠٥هـ)/ تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا/ الناشر: دار الكتب العلمية: بيروت/ ط:١: ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

٨٩. **مسند أبي داود الطيالسي** ، أبو داود سليمان بن داود الطيالسي (ت:٢٠٤هـ)/ تحقيق: د. محمد بن عبد المحسن التركي/ الناشر: دار هجر/ مصر/ ط:١: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٩٠. **مسند الإمام أحمد** ، أبو عبد الله أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)/ تحقيق: شعيب الأرنؤوط : عادل مرشد، وآخرون/ إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي/ الناشر: مؤسسة الرسالة/ ط:١/ ١٤١٩هـ:١٩٩٩م.

٩١. **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله** ﷺ ، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري (ت: ٢٦١هـ)/ الناشر: دار صادر: بيروت بدون تاريخ الطبع.

٩٢. **مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة** ، أبو العباس أحمد بن أبي بكر البوصيري الكناني (ت:٨٤٠هـ)/ تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي/ الناشر: دار العربية: بيروت/ ط:٢ :١٤٠٣هـ.

٩٣. **مصنف ابن أبي شيبة** ، أبو بكر عبد الله بن محمد ابن أبي شيبة، العبسي (ت:٢٣٥هـ)/ تحقيق: كمال يوسف الحوت/ الناشر: مكتبة الرشد/ الرياض/ ط:١: ١٤٠٩هـ.

٩٤. **المطالب العالية** ، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ)/ تحقيق: مجموعة من الباحثين في ١٧ رسالة جامعية/ تنسيق: د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشتري/ الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع، ودار الغيث للنشر والتوزيع/ ط:١: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٩٥. **معالم التنزيل في تفسير القرآن** ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠هـ)/ تحقيق وتخريج: محمد عبد الله النمر : عثمان جمعة ضميرية : سليمان مسلم الحرش/ الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع/ ط:٤: ١٤١٧ هـ : ١٩٩٧ م.

٩٦. **معاني القرآن وإعرابه** ، إبراهيم بن السري، أبو إسحاق الزجاج (ت:٣١١هـ)/ تحقيق:

عبد الجليل عبده شلبي/ الناشر: عالم الكتب/ بيروت/ ط:١: ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٩٧. **معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود** ، أبو سليمان حمد بن محمد بن الخطاب المعروف بالخطابي (ت: ٣٨٨هـ)/ تحقيق: محمد راغب الطباخ/ الناشر: المطبعة العلمية/ حلب/ ط:١: ١٣٥١ هـ: ١٩٣٢ م.

٩٨. **المعجم الأوسط** ، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)/ تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني/ الناشر: دار الحرمين/ القاهرة بدون طبعة ولا تاريخ.

٩٩. **المعجم الكبير** ، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)/ تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي/ دار النشر: مكتبة ابن تيمية/ القاهرة/ ط:٢/ بدون تاريخ.

١٠٠. **معرفة أنواع علوم الحديث** ، عثمان بن عبد الرحمان، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (ت:٦٤٣هـ)/ تحقيق: عبد اللطيف الهميم: ماهر ياسين الفحل/ الناشر: دار الكتب العلمية/ ط:١٤٢٣:١ه:٢٠٠٢م.

١٠١. **المُعْلم بفوائد مسلم** ، أبو عبد الله محمد بن علي المازري (ت: ٥٣٦هـ) / تحقيق: الشيخ محمد الشاذلي النيفر/ الناشر: الدار التونسية للنشر: المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر: المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات بيت الحكمة/ ط:٢: ١٩٨٨م، والجزء الثالث صدر بتاريخ:١٩٩١م.

١٠٢. **مفاتيح الغيب= التفسير الكبير** ، أبو عبد الله محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)/ الناشر: دار إحياء التراث العربي/ بيروت/ ط:٣: ١٤٢٠ هـ.

١٠٣. **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم** ، أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي (ت:٦٥٦هـ)/ حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو: أحمد محمد السيد:

يوسف علي بديوي: محمود إبراهيم بزال/ الناشر: دار ابن كثير، دمشق: بيروت)، و(دار الكلم الطيب، دمشق: بيروت)/ ط:١: ١٤١٧هـ: ١٩٩٦م.-**مقالات الإسلاميين**/ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت:٣٢٤هـ)/ تحقيق: نعيم زرزور/ الناشر: المكتبة العصرية/ ط: ١: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

١٠٤. **المنهاج في شعب الإيمان**، أبو عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي (ت:٤٠٣هـ)/ تحقيق: حلمي محمد فودة/ الناشر: دار الفكر/ ط:١: ١٣٩٩هـ:١٩٧٩م.

١٠٥. **الموافقات**، إبراهيم بن موسى الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)/ تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان/ الناشر: دار ابن عفان/ ط:١: ١٤١٧هـ: ١٩٩٧م.

١٠٦. **نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد**، أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي (ت:٢٨٠هـ)/ تحقيق: أبو عاصم الشَّوَامِي الأثري/ الناشر: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة: مصر/ ط:١/ ١٤٣٣هـ:٢٠١٢م.

١٠٧. **النهاية في غريب الحديث والأثر**، مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير (ت:٦٠٦هـ) / تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي/ الناشر: المكتبة العلمية/ بيروت/ ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

١٠٨. **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه**، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت:٤٣٧هـ)/ تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي: جامعة الشارقة، بإشراف: أ. د: الشاهد البوشيخي/ الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية: جامعة الشارقة/ ط:١: ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

ملخصات البحوث باللغة الإنجليزية

No. (6)

Methodology of Ahlu-Sunnah and Theologians in relating with matters of Unseen a case study of:

Slaughtering of death and Punishment of the Grave

Study of Ahlu-Sunnah and Logicians' reading of the texts of the twor-evelations

Azeeza Armooli

Research topic:

Highlighting the importance of methodology in dealing with matters of unseen, in addition to explaining impact of the difference between the methodology of Ahlu-Sunnah and Theologians in establishing these narrations like the issue of "slaughtering of death" and "punishment of the grave".

Research objjectives:

Discussing the proofs of the two groups, and explaining their methodologies in dealing with texts of revelation especially the matters of "slaughtering of death" and "punishment of the grave".

Research problem:

What is the secret behind the disagreement of the Ahlu-Sunnnah with others in dealing with narrations of unseen like the issue of "slaughtering of death" and "punishment of the grave"? Does methodology play a role in this disagreement?

Research findings:

1. Difference of methodology, especially, in matters of unseen leads to difference in the way of dealing with them.
2. Difference in methodology led one of the groups to affirming those narrations with certainty that: the knowledge is from Allah, the messenger is to transmit it while the Ummah is to submit to it, while the other group refuse to follow that path and instead, adopted skewed interpretations and that caused the denial of narrations established by revelation.

Keywords:

Methodology-Ahlu-Sunnah-Theologian-Slaughtering of death- Punishment of the grave.

No. (5)

Treatise on the Fabricated Hadiths in Al-Masabih

by Siraj Ad-deen Umar Bin Ali Al-Qazweeni (750AH)

Investigation and Study

Dr. Mus'ab Bin Khalid Bin Abdallah Al-Marzooqi

Research Topic:

Investigation of Al-Qazweeni's treatise (Treatise on the fabricated hadiths in Al-Masabih). Al-Masabih is the book Masabih As-Sunnah of Al-Baghawee.

Research Objective:

Publishing the manuscript from which many of those who wrote on fabricated hadiths and those that had interest in the book Masabih As-Sunnah made quotations.

Research Problem:

1. There are quotations of Al-Qazweeni's rulings on hadiths in the book Masabih As-Sunnah as fabricated but are not in the rejoinder of Al-'Alaee and Ibn Hajar who both studied the rulings of Al-Qazweeni and did a critique on them.
2. The concern of many Muslims for the book Masabih As-Sunnah and its spread among them.

Research findings:

1. The investigated treatise contains the hadiths that Al-'Alaee and Ibn Hajar responded to, and other hadiths which are confirmed in the manuscript and in the quotations of scholars from Al-Qazweeni in their various books on fabricated hadiths that came after him.
2. Highlighting the status of Al-Hafiz Al-Qazweeni in the science of hadith and the concern of scholars for narrations from him.

Keywords:

Al-Masabih- As-Sunnah- Al-Qazweeni- Fabricated hadiths.

3. The heading of sunnah books are still in need of study so as to establish the views of their authors in sciences of the shariah especially science of the Quran and its exegesis.

Keywords:

Views- Al-Bukhari- science of the Quran.

No. (4)

Views of Imam of Al-Bukhari on science of the Quran through the Headings of "the book of virtues of the Quran"

Presentation and Study

Dr. Yahya bin Salih At-Tuwaiyan

Research Abstract

Research topic:

Views of Imam Al-Bukhari on science of the Quran through the headings of "the book of virtues of the Quran" presentation and study.

Research objectives:

Investigation of "the book of virtues of the Quran" in Sahih Al-Bukhari in order to bring out the views of Imam Al-Bukhari on science of the Quran from the headings of the book.

Research problem:

It is common knowledge among scholars that the jurisprudence of Imam Al-Bukhari is in his headings. That was why this study is meant to study his views on the science of the Quran through the headings of "the book of virtues of the Quran".

Research findings:

1. The headings of "the book of virtues of the Quran" in sahih Al-Bukhari comprises thirty seven chapters in which Imam Al-Bukhar touched on six areas of science of the Quran which are: revelation, how the Quran descends, compilation of the Quran, arrangement of chapters of the Quran, virtues of the Quran, and etiquettes of reciting the Quran. After the study, it was clear that Imam Al-Bukhari has his own views in many of the matters.
2. There are other aspects of this Imam which are still in need of study like: studying his views or deductions on Quran exegesis through the headings of his book "Al-Jami' As-Sahih".

No. (3)

Linguistic weakness among Jewish and Christian researchers and its impact on the attempt to criticize the Quran

Creedal and Critical study

Dr. Ahamd Muhammad Falah An-Namrat

Research topic:

Establishing the problem of linguistic weakness among Jewish and Christian researchers, refutation of some of their linguistic ambiguities directed at the Quran, and explanation of its evil creedal impact.

Research objective:

Establishing the problem of linguistic weakness among Jewish and Christian researchers with examples, and highlighting its evil creedal impact.

Research problem:

The phenomenon of linguistic weakness among Jewish and Christian researchers who pointed linguistic criticisms at the Quran,

Research findings:

1. Jewish and Christian researchers did not meet up with the condition stipulated by scholars of the three religions: adequate knowledge of the language before exegesis of the texts.
2. The need to refer to scholars of Quran exegesis, Arabic language and creed in order to resolve any problem or bad understanding of the words of the Quran.
3. The linguistic weakness of the researchers has evil creedal impacts such as judging the Quran to be the words of man, faulting the attributes of Allah, contesting the message of our prophet Muhammad, deformation of the Quran and prohibiting themselves from guidance.

Keywords:

Linguistic weakness- Researchers- Jews and Christians- Al-Quran- Creed.

NO. (2)

Exegesis of surah Al-Fajr

by Ahmad bin Muhammad bin Ali Al-Husni Al-Qal'awi popularly known as (As-Suhaimi) Ash-Shafi'ee (1178AH) Investigation and Study

Dr. Ahmad bin Ali bin Abdurrahman Al-Huzaifi

Research topic:

Investigation of a manuscript titled: (Exegesis of of surah Al-Fajr) by Ahmad bin Muhammad bin Ali Al-Husni Al-Qal'awi popularly known as (As-Suhaimi) Ash-Shafi'ee (1178AH).

Research objective:

Investigation and publication of the Manuscript for the benefit of students of knowledge who specialize in Quran Exegesis.

Research problem:

The author in his exegesis of surah Al-Fajr combined both authentic and other grades of hadith and views which necessitates study and investigation of the treatise.

Research findings:

1. The author of the treatise is among scholars of jurisprudence concerned with Quran exegesis.
2. The attribution of the treatise to the author is confirmed.
3. The treatise has merits and demerits, it also has benefits in exegesis, jurisprudence and hadith just as there are fabricated and weak hadiths in it.
4. From the content of the treatise, one can see the diversity of the author in various areas of knowledge like jurisprudence and Arabic language, just as it is obvious his knowledge of hadith is little.

Keywords:

Exegesis- Surah Al-Fajr- As-Suhaimi- Al-Qal'awi.

NO (1)

Exegesis of Verses on the Change of Qibla

Prof. Amin Bin ʿAish Al-Muzaini

Research topic:

Exegesis of verses on the change of Qibla that is, verses (142-150) of surah Al-Baqara which comprises discussion on change of Qibla from Jeslem to the Qa'ba.

Research Objective:

Exegesis of verses (142-150) of surah Al-Baqara, an analytic and objective exegesis that will highlight the subject of change of Qibla which was the first abrogation in Islam, the concern for it, preparations to it and the emphsis on it.

Research problem:

1. What are the aspects of care given to the change of Qibla which was the first abrogation in Islam?
2. How the verses on change of Qibla were revealed, and were they revealed to the prophet while he was praying? Which of the mosques were the Muslims reported to have changed their Qibla to Qa'ba while they were praying?

Research findings:

The confirmed Mosque in which the people changed their Qibla to the Qa'ba while they were praying is the Quba Mosque, and there is also a narration with a strong chain indicating that similar thing occurred in Bani Haritha Mosque.

Keywords:

Change of Qibla- Quba- Al-Qiblatain- Jerusalem- Al-Qa'ba.

Table of content

Exegesis of Verses on the Change of Qibla.....12

Prof. Amin Bin ʻAish Al-Muzaini

Exegesis of surah Al-Fajr 13

Dr. Ahmad bin Ali bin Abdurrahman Al-Huzaifi

Linguistic weakness among Jewish and Christian researchers and its impact on the attempt to criticize the Quran.....14

Dr. Ahamd Muhammad Falah An-Namrat

Views of Imam of Al-Bukhari on science of the Quran through the Headings of "the book of virtues of the Quran".....15

Dr. Yahya bin Salih At-Tuwaiyan

Treatise on the Fabricated Hadiths in Al-Masabih.....17

Dr. Mus'ab Bin Khalid Bin Abdallah Al-Marzooqi

**Methodology of Ahlu-Sunnah and Theologians in relating with matters of Unseen a case study of:
Slaughtering of death and Punishment of the Grave 18**

Azeeza Armooli

Abstract of Articles

8. Prof. Ahmad b. Ali al-Sudais

Professor of Qur'anic Modes of Reading, Islamic University, Madinah, KSA.

9. Prof Momammad Aydin

Professor of Exegesis, Sakarya University, Turkey.

10. Prof. Abdulrahman b. Maadah al-Shehri

Professor of Qur'anic Studies, King Saud University, Riyadh, KSA.

11. Dr. Almuthanna b. Adulfattah Mahmood Mahmood

Professor of Exegesis and Qur'anic Studies, Islamic University, Madinah, (Jordan).

12. Prof. Salim b. Muhammad Salim Ibrahim

Expert in Strategic Planning, Quality and Academic Accreditation, Islamic University, Madinah, (Egypt).

13. Dr. Waleed Bleyhesh al-Amri

Associate Professor of Translation Studies, Taibah University, KSA.

14. Dr.Eisa b. Muhammad al-Qaidi

Associate Professor of Communication and Media, Taibah University, KSA.

Advisory Panel

1. Prof. Muhammad Sidi Muhammad al-Amin

Professor of Exegesis and Qur'anic Studies, Islamic University, Madinah, KSA.

2. Prof. Muhammad Yakoob Turkustani

Professor of Arabic Language, Islamic University, Madinah, KSA.

3. Prof. Zain al-Abidin Bilafreej

Professor of Higher Education, Hassan II University, Casablanca, Morocco.

4. Prof. Said Falih al-Mughamasi

Professor of Educational Administration, Islamic University, Madinah, KSA.

5. Prof. Ghazi Ghazzai al-Mutairi

Professor of Propagation and Islamic Culture, Islamic University, Madinah, KSA.

6. Prof. Nabil Muhammad al-Jawhari

Professor of Exegesis and Qur'anic Studies, Islamic University, Madinah, KSA.

7. Prof. Muhammad Abdulaziz al-Aawaji

Professor of Exegesis and Qur'anic Studies, Islamic University, Madinah, KSA.

Editorial Board Members

Prof. Abdulaziz b. Salih al-Obaid

Professor of Exegesis and Qur'anic Studies, Islamic University, Madinah

Prof. Abdullah b. Muhammad Hassan Damfo

Professor of Hadith, Taibah University, Madinah

Prof. Hussein b. Muhammad al-Awaji

Professor of Qur'anic Modes of Reading, Islamic University, Madinah

Prof. Saud b. Eid al-Jarbuwi

Professor of Hadith, Islamic University, Madinah

Prof. Khalid b. Awn al-Enizi

Professor of Exegesis and Qur'anic Studies, Taibah University, Madinah

Prof. Abdullah b. Abdulaziz al-Falih

Professor of Hadith, Islamic University, Madinah

Prof. Basim b. Hamdi Hamid al-Sayyid

Professor of Qur'anic Modes of Reading, Islamic University, Madinah

Prof. Dr. Amin b. Aish al-Mozaini

Professor of Exegesis and Qur'anic Studies, Islamic University,

Madinah

General Supervisor

Prof. Imad b. Zuhair Hafidh

Professor of Exegesis and Qur'anic Studies, Islamic University, Madinah

Deputy General Supervisor

Dr. Ahmad b. Abdullah Sulaymani

Professor of Qur'anic Modes of Reading, Islamic University, Madinah

Editor-in-Chief

Prof. Hikmat b. Bashir Yaseen

Professor of Exegesis and Qur'anic Studies, Islamic University, Madinah

Managing Editor

Dr. Yasir b. Ismail Radi

Associate Professor of Exegesis and Qur'anic Studies, Taibah University, Madinah

Journal of Cherishing the Two Glorious Revelations

About the JCTGR and its Aims:

JCTGR is a scholarly, refereed periodical journal, specializing in research related to the Glorious Qur'an and the Elevated Prophetic Sunnah. It publishes research and contributions - both on paper and electronically - of university professors, specialists and all those concerned with the sciences of the Two Glorious Revelations.

JCTGR's Vision:

To be a beacon for research conducive to the service of the Two Glorious Revelations that is resultant in cherishing them.

JCTGR's Mission:

Refereeing and publishing serious scholarly, genuine research in the fields germane to its speciality in Qur'anic and Sunnah studies.

JCTGR's Aims:

1- Publishing scholarly research specialized Qur'anic and Sunnah studies.
2- Enriching scientific areas in the field Qur'anic and Sunnah studies.
3- Encouraging researchers to contribute, and meeting their needs by getting their research published.
4- Providing a platform for the highest standards of scholarly publication and research in Qur'anic and Sunnah studies.
5- Paving the way for innovative, encyclopedic, scientific projects in Qur'anic and Sunnah studies.
6- Reinforcing the varied activities of the Endowment with serious research related to its work and goals.

Endowment for Cherishing the Two Glorious Revelations

About us:

An institutional endowment devoted to serving the Glorious Qur'an and the Elevated Prophetic Sunnah, by underlining their guidance and fulfilling their aims.

Historical background:

The endowment was established in 1428AH, initially as, **Project for Cherishing the Glorious Qur'an**. In 1434AH the Project became a community development center under the nomenclature**, Center for Cherishing the Glorious Qur'an.** Yet, in 1436AH, the center was further developed to be an independent entity under the title, Endowment of Cherishing the Two Glorious Revelations.

Our Vision:

Extolling the acts of cherishing the Two Glorious Revelations and promoting their studies both locally and internationally.

Our Mission:

To promote cherishing the Glorious Qur'an and the Elevated Prophetic Sunnah throughout Muslim communities, by highlighting their aims and objectives, and underlining their guidance.

Our Aims:

1- Highlighting the glories of the Glorious Qur'an and the Elevated Prophetic Sunnah and making their rights known.

2- Defending the Glorious Qur'an and the Elevated Prophetic Sunnah and refuting the calumny leveled against them.

3- Furthering research studies and training programs related to the Glorious Qur'an and the Elevated Prophetic Sunnah.

In the name of Allah, the Most Gracious, the Most Merciful

The opinions expressed in this publication are those of the authours.

All rights reserved for Journal of Cherishing
the Two Glorious Revelations

Ministry of Culture and Information license
No. 8044, dated 14/4/1436AH

ISBN 1438/9939
28/1/1438AH
ISNN 1658-774X

Contact Information

All correspondence should be addressed to the editor-in-chief
mjallah.wqf@gmail.com
Journal of cherishing the Two Glorious Revelations, Endowment of Cherishing
The Two Glorious Revelations, Al-Hada Districtm Madinah, P.O.
Box 51993, Post code 41553, Kingdom of Saudi Arabia
Phone No. +966148493009
Mobile & WhatsUp No. +966535522130
Twitter: @Journaltw
Web Site: WWW.JOURNALTW.COM

Kingdom of Saudi Arabia,
Madina, Endowment for Cherishing
the Two Glorious Revelations,
Serving the Glorious Quran and the Elevated Sunnah
in the Illumed City of the Prophet ﷺ

Journal of Cherishing the Two Glorious Revelations

A scholary, refereed periodical journal, specializing in research related to the Glorious Qur'an and the Elevated Prophetic Sunnah

Vol. 5 , Issue 3, 1441AH- 2019AD

Kingdom of Saudi Arabia,
Madinah, Endowment for Cherishing
the Two Glorious Revelations,
Serving the Glorious Quran and the Elevated Sunnah
in the Illumed City of the Prophet ﷺ

Journal of Cherishing the Two Glorious Revelations

A scholarly, refereed periodical journal, specializing in research related to the Glorious Qur'an and the Elevated Prophetic Sunnah

This issue's articles:

- **Exegesis of Verses on the Change of Qibla.**
  Prof. Amin Bin 'Aish Al-Muzaini.
- **Exegesis of surah Al-Fajr by Ahmad bin Muhammad bin Ali Al-Husni Al-Qal'awi popularly known as (As-Suhaimi) Ash-Shafi'ee (1178AH).**
  Dr. Ahmad bin Ali bin Abdurrahman Al-Huzaifi.
- **Linguistic weakness among Jewish and Christian researchers and its impact on the attempt to criticize the Quran Creedal and Critical study.**
  Dr. Ahamd Muhammad Falah An-Namrat.
- **Views of Imam of Al-Bukhari on science of the Quran through the Headings of "the book of virtues of the Quran" Presentation and Study.**
  Dr. Yahya bin Salih At-Tuwaiyan.
- **Treatise on the Fabricated Hadiths in Al-Masabih .**
  Dr. Mus'ab Bin Khalid Bin Abdallah Al-Marzooqi.

Appendix of Papers Submitted by Post Graduate Students:

- **Methodology of Ahlu-Sunnah and Theologians in relating with matters of Unseen a case study of: Slaughtering of death and Punishment of the Grave Study of Ahlu-Sunnah and Logicians.**
  Azeeza Armooli.

5

Vol. 5, Issue 3, 1441AH - 2019AD